﴿فهرسة الجزء الحادى عشر من تاريخ الكامل لابن الاثير﴾

صحيفة

صحيفة

✽(تم)✽

فهرست الجزء الحادى عشر من تاريخ العلامة الجبرتى

(تمت)

(ما شاء الله كان)

الجزء الحادى عشر من تاريخ الكامل للعلامة أبى الحسن على بن أبى
الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد
الشيبانى المعروف بابن الاثير الجزرى
الملقب بعز الدين رحمه الله تعالى

وبهامشه التاريخ المسمى عجائب الآثار فى التراجم والاخبار للوذعى
العلامة الشيخ عبد الرحمن الجبرتى الحنفى رحمة الله تعالى عليه

الطبعة الاولى بالمطبعة الازهرية
المصرية سنة ١٣٠١ هجرية

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ذكر حصر المسترشد بالله الموصل)

فى هذه السنة (٥٢٧) حصر المسترشد بالله مدينة الموصل فى العشرين من شهر رمضان وسبب ذلك ما تقدم من قصة الشهيد زنكى ببغداد على ما ذكرناه قبل فلما كان الآن قصد جماعة من الامراء السلجقية باب المسترشد بالله وصار وامعه فقوى بهم واشتغل السلاطين السلجقية بالخلف الواقع بينهم فارسل الخليفة الشيخ بهاء الدين أبا الفتوح الاسفرايني الواعظ الى عماد الدين زنكى برسالة فيها خشونة زادها أبو الفتوح زيادة ثقة بقوة الخليفة وناموس الخلافة فقبض عليه عماد الدين زنكى واهانه ولقيه بما يكره فارسل المسترشد بالله الى السلطان مسعود يعرفه الحال الذى جرى من زنكى و يعلمه انه على قصد الموصل وحصرها وتمادت الايام الى شعبان فسار عن بغداد فى النصف منه فى ثلاثين ألف مقاتل فلما قارب الموصل فارقها أتابك زنكى فى بعض عسكره وترك الباقى بها مع نائبه نصير الدين جقر دزدارها والحاكم فى دولته وأمرهم بحفظها ونازلها الخليفة وقاتلها وضيق على من بها وأما عماد الدين فانه سار الى سنجار وكان يركب كل ليلة ويقطع الميرة عن العسكر ومتى ظفر باحد من العسكر أخذه ونكل به وضاقت الامور بالعسكر أيضا وتواطا جماعة من الخصاصين بالموصل على تسليم البلد فسعى بهم فاخذوا وصلبوا وبقى الحصار على الموصل نحو ثلاثة أشهر ولم يظفر منها بشئ ولا بلغه عن بها وهن ولا قلة ميرة وقوت فرحل عنها عائدا الى بغداد فقيل ان نصر الخادم

(ومنها) انه نودى فى اواخر السنة على صرف المحبوب بزيادة صرفه ثلاثين نصفا وكان يصرف بمائتين وخمسين من زيادات الناس فى معاملاتهم فكانوا ينادون بالنقص ورجوعها الى ما كان قبل الزيادة و يعاقبون على التزايد (وفى هذه الايام) نودى بالزيادة وذلك بحسب الاغراض والمقاصد والمقتضيات ومراعاة مصالح انفسهم لا المصلحة العامة هذا مع نقص عياره ووزنه عما كان عليه قبل المناداة وكذلك نقصوا وزن القروش وجعلوا القرش على النصف من القرش الاول ووزنه درهمين وكان اربعة دراهم وفى الدرهمين ربع درهم فضة هذا مع عدم الفضة العددية ووجودها بايدى الناس والصيارف واذا اراد انسان صرف قرش واحد من غيره صرفه بنقص ربع العشر واخذ بدله قطعا صغارا افرنجية يصرف منها الواحدة باثنى عشر واخرى بعشرة واخرى بخمسة ولكنها جيدة العيار وهم الآن يجمعونها ويضربونها بما يزاد عليها من النحاس وهو ثلاثة ارباعها قروشا لان القطعة الصغيرة

وصل

وصل اليه من عسكر السلطان وأبلغه عن عسكر السلطان مسعود ما أوجب مسيره وعوده الى بغداد وقيل بلغه ان السلطان مسعودا عزم على قصد بغداد فعاد بالجملة وانه رحل عنها منحدرا فى شبارة فى دجلة فوصل الى بغداد يوم عرفة

❁(ذكر ملك شمس الملوك مدينة حماة)❁

وفى هذه السنة ايضا فى شوال ملك شمس الملوك اسمعيل بن تاج الملوك صاحب دمشق مدينة حماة وقلعتها وهى لاتابك زنكى بن آقسنقر أخذها من تاج الملوك كما ذكرنا ولما ملك شمس الملوك قلعة بانياس أقام بدمشق الى شهر رمضان من هذه السنة وسار الى حماة فى العشر الاخير منه وسبب طمعه انه بلغه ان المسترشد بالله يريد ان يحصر الموصل فطمع وكان الوالى بحماة قد سمع الخبر فتحصن واستكثر من الرجال والذخائر ولم يبق أحد من أصحاب شمس الملوك الا أشار عليه بترك قصدها لقوة صاحبها فلم يسمع منهم وسار اليها وحصر المدينة وقاتل من بها يوم العيد وزحف اليها من وقته فتحصنوا منه وقاتلوه فعاد عنهم ذلك اليوم فلما كان الغد بكر اليهم وزحف الى البلد من جوانبه فملكه قهرا وعنوة وطلب من به الامان فامنهم وحصر القلعة ولم تكن فى الحصانة والعلو على ما هى اليوم فان تقى الدين عمر ابن أخى صلاح الدين قطع جبلها وعملها هكذا فى سنين كثيرة فلما حصرها عجز الوالى بها عن حفظها فسلمها اليه فاستولى عليها وعلى ما بها من ذخائر وسلاح وغير ذلك وسار منها الى قلعة شيزر وبها صاحبها من بنى منقذ فحصرها ونهب بلدها فراسله صاحبها وصانعه بمال حمله اليه فعاد عنه الى دمشق فوصل اليها فى ذى القعدة من السنة المذكورة

❁(ذكر هزيمة صاحب طرابلس الفرنجى)❁

وفى هذه السنة عبر الى الشام جمع كثير من التركمان من بلاد الجزيرة وأغاروا على بلاد طرابلس وغنموا وقتلوا كثيرا فخرج القمص صاحب طرابلس فى جموعه فانزاح التركمان من بين يديه فتبعهم فعادوا اليه وقاتلوه فهزموه وأكثروا القتل فى عسكره ومضى هو ومن سلم معه الى قلعة بعرين فتحصنوا فيها وامتنعوا عن التركمان فحصرهم التركمان فيها فلما طال الحصار عليهم نزل صاحب طرابلس ومعه عشرون فارسا من أعيان أصحابه سرا فنجوا وساروا الى طرابلس وترك الباقين فى بعرين يحفظونها فلما وصل الى طرابلس كاتب جميع الفرنج فاجتمع عنده منهم خلق كثير وتوجه بهم نحو التركمان ليرحلهم عن بعرين فلما سمع التركمان بذلك قصدوهم ولقوهم وقتل بينهم خلق كثير وأشرف الفرنج على الهزيمة فجمعوا انفسهم وعادوا على حمية الى رفنية فتعذر على التركمان اللحاق بهم الى وسط بلادهم فعادوا عنهم راجعين

❁(ذكر عدة حوادث)❁

فى هذه السنة اشترى الاسماعيلية بالشام قلعة حصن القدموس من صاحبه ابن عمرون وصعدوا اليه وقاموا بحرب من يجاوره من المسلمين والفرنج وكانوا كلهم

التى تصرف بخمسة انصاف وزنها درهم واحد وزن فيصيرونها أربعة قروش فتضاعف الخمسة الى ثمانين وكل ذلك نقص واختلاس اموال الناس من حيث لا يشعرون

(واما من مات فى هذه السنة ممن له ذكر) فمات الفقيه الفريد والعلامة المفيد الشيخ على الحصاوى الشافعى ولا أعلم له ترجمة وانما رأيته يقرر الدروس ويفيد الطلبة فى الفقه والمعقول ويشهد الفضلاء بفضله ورسوخه وكان على طريقة المتقدمين فى الانقطاع للافادة وعدم الرفاهية والرضا بما قسم له منعكفا فى حاله وتمرض بالبرودة ولم ينقطع عن ملازمة الدروس حتى توفى فى منتصف جمادى الثانية من السنة وصلى عليه بالازهر ودفن فى تربة المجاورين بالصحراء ❁ ومات المعلم جرجس الجوهرى القبطى كبير المباشرين بالديار المصرية وهو أخو المعلم ابراهيم الجوهرى ولما مات اخوه فى زمن رياسة الامراء المصرية تعين مكانه فى الرياسة على المباشرين والكتبة وبيده حل الامور وربطها فى جميع الاقاليم المصرية نافذ الكلمة وافر الحرمة وتقدم فى أيام الفرنسيس فكان رئيس الرؤساء وكذلك عند مجىء الوزير والعثمانيين وقدموه واجلسوه لما يسديه اليهم من الهدايا والرغائب حتى كانوا يسمونه جرجس افندى ورايته بمجلس بجانب محمد باشا خسرو وبجانب شريف افندى الدفتردار ويشرب بحضرتهم

يكرهون مجاورتهم وفيها وقع الخلف بالشام فقاتل بعضهم بعضا ولم تجر لهم بذلك عادة قبل هذه السنة وقتل بينهم جماعة وفيها في جمادى الآخرة أغار الامير سوار مقدم عسكر زنكي بحلب على ولاية تل باشر فغنم الكثير فخرج اليه الفرنج في جموع كثيرة فقاتلوه فظفر بهم وأكثر القتل فيهم وكان عدة القتلى نحو الف قتيل وعاد سالما وفيها تاسع ربيع الآخر وثب على شمس الملوك صاحب دمشق بعض مماليك جده طغدكين فضربه بسيف فلم يعمل فيه شيئا وتكاثر عليه مماليك شمس الملوك فاخذوه وقرروا الذى حمله على ما فعل فقال أردت اراحة المسلمين من شرك وظلمك ولم يزل يضرب حتى أقر على جماعة انهم وضعوه على ذلك فقتلهم شمس الملوك بغير تحقيق وقتل معهم أخاه سونج فعظم ذلك على الناس ونفروا عنه وفيها توفى الشيخ أبو الوفاء الفارسي وكان له جنازة مشهودة حضرها أعيان بغداد وفيها في رجب توفى القاضى أبو العباس أحمد بن سلامة بن عبد الله بن مخلد المعروف بابن الرطبي الفقيه الشافعي قاضى الكرخ وتفقه على أبي اسحق وأبي نصر بن الصباغ وسمع الحديث ورواه وكان قريبا من الخليفة يؤدب أولاده وتوفى أبو الحسين على بن عبد الله بن نصر المعروف بابن الزاغونى الفقيه الحنبلى الواعظ وكان ذا فنون توفى في المحرم وتوفى على بن يعلى بن عوض بن القاسم الهروى كان واعظا وله بخراسان قبول كثير وسمع الحديث فاكثر ومحمد بن احمد بن على أبو عبد الله الحرانى وهو من أولاد محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان وكان محمد يلقب بالديباج لحسنه وأصله من مكة وهو من اهل نابلس وكان مغاليا في مذهب الاشعرى وكان يعظ توفى في صفر وفيها توفى أبو فليتة أمير مكة وولى الامارة بعده ابنه القاسم وفيها توفى العزيز بن هبة الله بن على الشريف العلوى الحسينى فجاة بنيسابور وكان جده نقيب النقباء بخراسان وعرض على العزيز هذا نقابة العلويين فامتنع وعرض عليه وزارة السلطان فامتنع ولزم الانقطاع والاشتغال بامر آخرته وفيها توفى قاضى قضاة خراسان أبو سعيد محمد بن احمد بن صاعد وكان خيرا صالحا

(ثم دخلت سنة ثمان وعشرين وخمسمائة)

(ذكر ملك شمس الملوك شقيف تيرون ونهبه بلد الفرنج)

في هذه السنة في المحرم سار شمس الملوك اسمعيل صاحب دمشق منها الى شقيف تيرون وهو في الجبل المطل على بيروت وصيدا وكان بيد الضحاك بن جندل رئيس وادى التيم قد تغلب عليه وامتنع به فتحاماه المسلمون والفرنج يحتمى على كل طائفة بالآخرين فسار شمس الملوك اليه في هذه السنة واخذه منه في المحرم وعظم اخذه على الفرنج لان الضحاك كان لا يتعرض الى شئ من بلادهم المجاورة له فخافوا شمس الملوك فجمعوا عساكرهم فلما اجتمعت ساروا الى بلد حوران فخربوا أمهات البلد ونهبوا أماكنهم نهبة وكان شمس الملوك لما رآهم يجمعون جمع هو ايضا وحشد وحضر عنده جمع

الدخان وغيره ويراعون جانبه ويشاورونه في الامور وكان عظيم النفس ويعطي العطايا ويفرق على جميع الاعيان عند قدوم شهر رمضان الشموع العسلية والسكر والارز والكساوى والبن ويعطي ويهب وبنى عدة بيوت بحارة الونديك والازبكية وانشادارا كبيرة وهي التي يسكنها الدفتردار الآن ويعمل فيها الباشا وابنه الدواوين عند قنطرة الدكة وكان يقف على ابوابه الحجاب والخدم ولم يزل على حالته حتى ظهر المعلم غالي وتداخل في هذا الباشا وفتح له الابواب لاخذ الاموال والمترجم يدافع في ذلك واذا طلب الباشا طلبا واسعا من المعلم جرجس يقول له هذا لا يتيسر تحصيله فياتي المعلم غالي فيسهل له الامور ويفتح له ابواب التحصيل فضاق خناق المترجم وخاف على نفسه فهرب الى قبلي ثم حضر بامان كما تقدم وانحط قدره ولازمته الامراض حتى مات في اواخر شعبان وانقضى وخلا الجو للمعلم غالي وتعين بالتقدم ووافق الباشا في اغراضه الكلية والجزئية وكل شئ له بداية وله نهاية والله اعلم

(واستهلت سنة ست وعشرين ومائتين والف)

فكان اول المحرم يوم السبت فيه اظهر الباشا الاهتمام بامر الحجاز والتجهيز للسفر وركب في ليلة الجمعة سابعه الى السويس وسافر صحبته كثير

السيد محمد المحروقى وقام باحتياجاته ولوازمه فلما وصل الى السويس * حجز الداوات التى وصلت بالحمل وسفرهدة
من المراكب التى انشاها
ليقبضوا على الداوات والسفن
التى بالاساكل وحوزها
واستولى على البن الذى وجده
ببندر السويس للتجار فلما
وصل خبر ذلك الى مصر فغلا
سعر البن وزاد حتى وصل الى
خمسين ريالا افرانسه بعد ان
كان بستة وثلاثين عنها اثنا
عشر الف فضة وخمسمائة
نصف فضة

*(واستهل شهر صفر الخير
بيوم الاحد سنة ١٢٢٦)*

فى ثانيه يوم الاثنين حضر
الباشا من السويس الى مصر
فى سادس ساعة من الليل
فضربوا فى صبحها عدة مدافع
لحضوره وقد حضر على هجين
بمفرده ولم يصحبه الا رجل بدوى
على هجين ايضا ليدله على
الطريق وقطع المسافة فى
احدى عشرة ساعة وحضر من
كان بصحبته فى ثانى يوم وهم
مجدون السفر وحضر السيد
محمد المحروقى بجموله فى اليوم
الثالث واخبروا ان الباشا
انزل من ساحل السويس
خمسة مراكب من المراكب
التى انشاها باحتياجاتها
ولوازمها وعساكرها ووجههم
الى ناحية اليمن ليقبضوا على
ما يجدونه من المراكب وان
الصناع مجتهدون فى العمل فى
مراكب كبار بحمل الخيول
والعساكر واللوازم (فيه) حضر صالح اغاقوج حاكم اسيوط وتناقلت الاخبار عن الامراء المصريين القبليين بانهم

كثير من التركمان وغيرهم فنزل بازاء الفرنج وجرت بينهم مناوشة عدة أيام ثم ان شمس
الملوك نهض ببعض عسكره وجعل الباقى قبالة الفرنج وهم لا يشعرون وقصد بلادهم
طبرية والناصرة وعكا وما يجاورها من البلاد فنهب وخرب واحرق وسبى الفساء
والذرية وامتلأت ايدى من معه من الغنائم واتصل الخبر بالفرنج فانزعجوا ورحلوا فى
الحال لا يلوى أخ على أخيه وطلبوا بلادهم واما شمس الملوك فانه عاد الى عسكره على غير
الطريق الذى سلكه الفرنج فوصل سالما ورأى الفرنج بلادهم خرابا ففت فى
عضادهم وتفرقوا وراسلوا فى تجديد الهدنة فهادنهم شمس الملوك فى ذى القعدة
السنة

(ذكر عود الملك طغرل الى الجبل وانهزام الملك مسعود)

فى هذه السنة عاد الملك طغرل بن محمد بن ملكشاه ملك بلاد الجبل جميعها واجلى عنها
اخاه السلطان مسعودا وسبب ذلك ان مسعودا لما عاد من حرب اخيه طغرل بلغه
عصيان داود ابن اخيه السلطان محمود باذربيجان فسار اليه وحصره بقلعة روئين دز وكان
فتحصن بها واشتغل بحصره فجمع الملك طغرل العساكر واستمال بعض قواد مسعود ولم
يزل يفتح البلاد فكثرت عساكره وقصد مسعودا فلما قارب قزوين سار مسعود نحوه
فلما تراءى العسكران فارق مسعودا من امرائه من كان قد استماله طغرل فبقى فى قلة
من العسكر فولى منهزما اواخر رمضان وارسل الى المسترشد بالله فى القدوم لبغداد فاذن
له وكان نائبه باصفهان البقش السلاحى ومعه الملك سلجوق شاه فلما سمع بانهزام
مسعود قصد بغداد ايضا فنزل سلجوق شاه بدار السلطان فاكرمه الخليفة وانفذ اليه
عشرة آلاف دينار ثم قدم مسعود بغداد وا كثر اصحابه ركاب جمال لعدم ما يركبونه ولقى
فى طريقه شدة فارسل اليه الخليفة الدواب والخيام والآلات وغيرها من الاموال
والثياب فدخل الدار السلطانية ببغداد منتصف شوال وقام طغرل بهمذان

(ذكر حصر اتابك زنكى آمد وملكه قلعة الصور)

فى هذه السنة اجتمع أتابك زنكى وتمرتاش صاحب ماردين وقصدا مدينة آمد
فحصراها فارسل صاحبها الى داود بن سقمان صاحب حصن كيفا يستنجده فجمع
عساكره وغيرها وسار نحو آمد ليرحلهما عنها فالتقوا على باب آمد وتصافوا فى جمادى
الآخرة فاقتتلوا فانهزم داود وعاد مغلولا وقتل جماعة من عسكره واقام زنكى وتمرتاش
على آمد محاصرين لها وقطعا الشجر وشعثا البلد ثم عادا عنها من غير بلوغ غرض فقصد
زنكى قلعة الصور من ديار بكر وحصرها وضايقها فملكها فى رجب من هذه السنة
واتصل به ضياء الدين أبو سعيد بن الكفرتوثى فاستوزره زنكى وكان حسن الطريقة
عظيم الرياسة والكفاية محبا للخير

(ذكر ملك زنكى قلاع الاكراد الحميدية)

فى هذه السنة استولى عماد الدين زنكى على جميع قلاع الاكراد الحميدية منها قلعة

حضروا الى الطينة ورجعوا الى ناحية قنا وقوص وخرج اليهم أحمد اغا لاظ وتحارب معهم وقتل من عساكره عدة وافرة (وفيه) قلد الباشا ابنه طوسون باشا سارى عسكر الركب الموجه الى الحجاز واخرجوا جيشهم الى ناحية قبة العزب ونصبوا عرضيا وخياما واظهر الباشا الاجتهاد الزائد والعجلة وعدم التوانى ونوه بتسفير عساكر لناحية الشام لتمليك يوسف باشا المحله وسارى عسكرهم شاهين بك الالفى ونحو ذلك من الايهامات وطلب من المنجمين ان يختاروا وقتا صالحا لالباس ابنه خلعة السفر فاختاروا له الساعة الرابعة من يوم الجمعة فلما كان يوم الخميس رابعه طاف الاى جاويش بالاسواق على صورة الهيئة القديمة فى المناداة على المواكب العظيمة وهو لابس الضلمة والطبق على رأسه وراكب حمارا عاليا وامامه مقدم بعكاز وحوله قابجية ينادون بقولهم يادن ألاى ويكررون ذلك فى أخطاط المدينة وطافوا باوراق التنابيه على كبار العسكر والبينباشات والامراء المصرية الالفية وغيرهم يطلبونهم للحضور فى باكر النهار الى القلعة ليركب الجميع بتجملاتهم وزينتهم امام الموكب فلما اصبح يوم الجمعة سادسه ركب الجميع وطلعوا الى القلعة وطلع المصرية بمماليكهم وأتباعهم وأجنادهم فدخل الامراء عند الباشا وصبحوا عليه

العقر وقلعة شوش وغيرهما وكان لما ملك الموصل اقر صاحبها الامير عيسى الحميدى على ولايتها واعمالها ولم يعترضه على شئ مما هو بيده فلما حضر المسترشد الى الموصل حضر عيسى هذا عنده وجمع الاكراد عنده فاكثر فلما رحل المسترشد عن الموصل امر زنكى ان تحصر قلاعهم فحصرت مدة طويلة وقوتلت قتالا شديدا الى ان ملكت هذه السنة فاطمأن اذا أهل السواد المجاورون لهؤلاء القوم فانهم كانوا معهم فى ضائقة كبيرة من نهب اموالهم وخراب البلاد

(ذكر ملك قلاع الهكارية وكواشى)

وحكى عن بعض العلماء من الاكراد ممن له معرفة باحوالهم ان أتابك زنكى لما ملك قلاع الحميدية واجلاهم عنها خاف أبو الهيجاء بن عبد الله صاحب قلعة اشب والجزيرة ونوشى فارسل الى أتابك زنكى من استحلفه له وحمل اليه مالا وحضر عند زنكى بالموصل فبقى مدة ثم مات فدفن بتل توبة ولما سار عن اشب الى الموصل اخرج ولده أحمد بن أبى الهيجاء منها خوفا ان يتغلب عليها واعطاه قلعة نوشى وهذا أحمد هو والد على بن احمد المعروف بالمشطوب من أكابر امراء صلاح الدين بن ايوب بالشام ولما اخرجه ابوه من اشب استناب بها كرديا يقال له باو الارجى فلما مات أبو الهيجاء سار ولده احمد من نوشى الى اشب ليملكها فمنعه باو واراد حفظها للولد الصغير لابى الهيجاء اسمه على فسار زنكى بعسكره فنزل على اشب وملكها وسبب ملكها ان أهلها نزلوا كلهم الى القتال فتركهم زنكى حتى قاربوه واستجرهم حتى ابعدوا عن القلعة ثم عطف عليهم فانهزموا ووضع السيف فيهم فاكثر القتل والاسر وملك زنكى القلعة فى الحال واحضر جماعة من مقدمى الاكراد فيهم باو فقتلهم وعاد عنها الى الموصل ثم سار عنها ففى غيبته ارسل نصير الدين جقر نائب زنكى وخرب اشب وخلى كهيجة ونوشى وقلعة الجلاب وهى قلعة العمادية وارسل الى قلعة الشعبانى وفرح وكوشر والزعفران والقى وسروة وهى حصون المهرانية فحصرها فملك الجميع واستقام امر الجبل والزوزان وامنت الرعايا من الاكراد واما باقى قلاع الهكارية جبل صورو وهرور والملاسى ومابرما وباوخا وباكزا ونسباس فان قراجا صاحب العمادية فتحها من مدة طويلة بعد قتل زنكى وهذا قراجا كان اميرا قد اقطعه زين الدين على بلاد الهكارية بعد قتل زنكى ولم اعلم تاريخ فتح هذه القلاع فلهذا ذكرته ههنا وحكى غير هذا بعض فضلاء الاكراد وخالف فيه فقال ان زنكى لما فتح قلعة اشب وخربها وبنى قلعة العمادية ولم يبق فى الهكارية الا صاحب جبل صور وصاحب هرور ولم يكن لهما شوكة يخاف منها عاد الى الموصل فخافه اصحاب القلاع الجبلية فاتفق ان عبد الله بن عيسى بن ابراهيم صاحب الربية والقى وفرح وغيرها توفى وملكها بعده ولده على وكانت والدته خديجة بنت الحسن اخت ابراهيم وعيسى وهما من الامراء مع زنكى وكانا بالموصل فارسلها ولدها على الى اخويها وطلبا له الامان من زنكى وحلفاه له ففعل ونزل الى خدمة زنكى واقره على قلاعه واشتغل زنكى بفتح قلاع الهكارية وكان الشعبانى بيد امير من المهرانية اسمه الحسن بن عمر فاخذه

منه

منه وقربه منه لكبره وقلة اعماله وكان نصير الدين جقر يكره عليا صاحب الربية وغيرها فحسن لزنكى القبض عليه فاذن له فى ذلك فقبض عليه ثم ندم زنكى على قبضه فارسل الى نصير الدين ان يطلقه فرآه قد مات قيل ان نصير الدين قتله ثم ارسل العسكر الى قلعة الربية فنازلوها بغتة فلكوها فى ساعة واسروا كل من بها من ولد على واخوته واخواته وكانت والدة على خديجة غائبة فلم توجد فلما سمع زنكى الخبر بفتح الربية سره وأمران تسير العساكر الى باقى القلاع التى لعلى فسارت العساكر فحصروها فرأوها منيعة فراسلهم زنكى ووعدهم الاحسان فاجابوه الى التسليم على شرط ان يطلق كل من فى السجن منهم فلم يجبهم الى ذلك الآن يسلموا ايضا قلعة كواشى فمضت خديجة والدة على الى صاحب كواشى واسمه خول وهرون وهو من المهرانية فسألته النزول عن كواشى فاجابها الى ذلك وتسلم زنكى القلاع واطلق الاسرى فلم يسمع بمثل هذا فقال ينزل من مثل كواشى لقول امرأة فاما ان يكون اعظم الناس مروأة لايرد من دخل بيته واما ان يكون اقل الناس عقلا واستقامت ولاية الجبال

⊛ (ذكر عدة حوادث) ⊛

فى هذه السنة أوقع الدانشمند صاحب ملطية بالفرنج الذين بالشام فقتل كثيرا منهم وفيها اصطلح الخليفة وأتابك زنكى وفيها فى ربيع الاول عزل انوشروان بن خالد عن وزارة الخليفة وفيها توفيت ام المسترشد بالله وفيها سير المسترشد عسكرا الى تكريت يحصرون مجاهد الدين بهروز فصانع عنها بمال فعادوا عنه وفيها اجتمع من العساكر السنجرية مع الامير ارغش وحصروا قلعة كردكوه بخراسان وهى للاسماعيلية وضيقوا على أهلها وطال حصرها وعدمت عندهم الاقوات فاصاب أهلها تشنج وكزاز وعجز كثير منهم عن القيام فضلا عن القتال فلما ظهرت امارات الفتح رحل الامير ارغش فقيل انهم حملوا اليه مالا كثيرا واعلاقا نفيسة فرحل عنهم وفيها توفى الامير سليمان ابن مهارش العقيلى امير بنى عقيل وولى الامارة بعده اولاده مع صغر سنهم وطيف بهم فى بغداد رعاية لحق جدهم مهارش فانه هو الذى كان الخليفة القائم بامر الله عنده لما فعل به البساسيرى ما ذكرنا وفيها توفى الفقيه أبو على الحسن بن ابراهيم بن فرهون الشافعى الفارقى ومولده سنة ثلاث وثلاثين واربعمائة وتفقه على أبى عبد الله الكازرونى فلما توفى الكازرونى انحدر الى بغداد وتفقه على أبى اسحق الشيرازى وابى نصر الصباغ وولى القضاء بواسط وكان خيرا فاضلا لايوارى ولا يحابى أحدا فى الحكم وفيها توفى عبد الله بن محمد بن أحمد بن الحسن وأبو محمد بن أبى بكر الفقيه الشافعى تفقه على أبيه وكان يعظ ويكثر فى كلامه من التجانس فمن ذلك قوله أين القدود العالية والخدود الوردية مثلت بها والله العافية والوردية وهما مقبرتان بنهر معلى ومن شعره

الدمع دما يسيل من اجفانى ⊛ ان عشت مع البكى فما اجفانى
سجنى شجنى وهمنى سمانى ⊛ العاذل بالملام قد سمانى
والذكر لهم يزيد فى اشجانى ⊛ والنوح مع الحمام قد أشجانى

وجلسوا معه حصة وشربوا القهوة وتضاحكوا معهم ثم انجر الموكب على الوضع الذى رتبوه فانجر طائفة الدلاة واميرهم المسمى ازون على ومن خلفهم الوالى والمحتسب والاغا والوجاقلية والالداشات المصرية ومن تزيا بزيهم ومن خلفهم طوائف العسكر الرجالة والخيالة والبيكباشيات وارباب المناصب منهم وابراهيم اغا اغات الباب وسليمان بك البواب يذهب ويجيء ويرتب الموكب وكان الباشا قد بيت مع حسن باشا وصالح قوج والكتخدا فقط غدر المصرية وقتلهم واسر بذلك فى صبحها ابراهيم اغا اغات الباب فلما انجر الموكب وفرغ طائفة الدلاة ومن خلفهم من الوجاقلية والالداشات المصرية وانفصلوا من باب العزب فعند ذلك امر صالح قوج بغلق الباب وعرف طائفته بالمراد فالتفتوا ضاربين بالمصرية وقد انحصروا باجمعهم فى المضيق المنحدر الحجر المقطوع فى اعلى باب العزب مسافة ما بين الباب الاعلى الذى يتوصل منه الى رحبة سوق القلعة الى الباب الاسفل وقد اعدوا عدة من العساكر اوقفوهم على علاوى النقر الحجر والحيطان التى به فلما حصل الضرب من الكتانيين اراد الامراء الرجوع القهقرى فلم يمكنهم ذلك لانتظام الخيول فى مضيق النقر واخذهم ضرب البنادق والقرابين من خلفهم ايضا وهم العسكر الواقفون

ضاقت بيعاد منيتى اعطانى * والبين بيد الهموم قد اعطانى

وفيها توفى ابن أبى الصلت الشاعر ومن شعره يذم ثقيلا

لى صديق عجبت كيف استطاعت * هذه الارض والجبال تقله

انا أرعاه مكرما وبقلبى * منه ما يتلف الجبال أقله

هو مثل المشيب اكره رؤيا * ولكن اصونه واجله

وله أيضا

ساد صغار الناس من عصرنا * لا دام من عصر ولا كانا

كالدست مهما ان ينقضى * صار به البيدق فرزانا

وفيها توفى محمد بن على بن عبد الوهاب ابو رشيد الفقيه الشافعى من اهل طبرستان وسمع الحديث أيضا ورواه وكان زاهدا عابدا اقام بالجزيرة وهى جزيرة ابن عمر سنين منفردا يعبد الله سبحانه وتعالى وعاد الى آمل وقبره بها

(ثم دخلت سنة تسع وعشرين وخمسمائة)

(ذكر وفاة الملك طغرل وملك مسعود بلد الجبل)

قد ذكرنا قدوم السلطان مسعود الى بغداد منهزما من اخيه الملك طغرل وان الخليفة اكرمه وحمل اليه ما يحتاج اليه مثله وامره بالمسير الى همذان وجمع العساكر ومنازعة اخيه طغرل فى السلطنة والبلاد ومسعود يعد ويدافع الايام والخليفة يحثه على ذلك ووعده ان يسير معه بنفسه وأمر ان يبرز خيامه الى باب الخليفة وكان قد اتصل الامير البقش السلاحى وغيره من الامراء بالخليفة وطلبوا خدمته فاجابهم وصاروا معه واتفق أن انسانا اخذ فوجد معه ملطفات من طغرل الى هؤلاء الامراء بالاقطاع لهم فلما رأى الخليفة ذلك قبض على أمير منهم اسمه غلبك ونهب ماله فاستشعر غيره من الامراء الذين مع الخليفة فهربوا الى عسكر السلطان مسعود فارسل الخليفة اليه فى اعادتهم اليه فلم يفعل واحتج باشياء فعظم ذلك على الخليفة وحدث بينهما نفرة ووحشة اوجبت تاخره عن المسير معه وارسل اليه يلزمه بالمسير معه امرا جزما فبينما الامر على هذا اذ جاءه الخبر بوفاة اخيه طغرل وكانت وفاته فى المحرم من هذه السنة وكان مولده سنة ثلاث وخمسمائة فى المحرم وكان خيرا عاقلا عادلا قريبا الى الرعية محسنا اليهم وكان قبل موته قد خرج من داره يريد السفر لقتال اخيه مسعود فدعا له الناس فقال ادعوا بالخير للمسلمين ولما توفى ووصل الخبر الى مسعود سار من ساعته نحو همذان واقبلت العساكر جميعها اليه واستوزر شرف الدين أنوشروان بن خالد وكان قد خرج بصحبته هو واهله ووصل مسعود الى همذان واستولى عليها واطاعته البلاد جميعها واهلها

(ذكر قتل شمس الملوك وملك اخيه)

فى هذه السنة رابع عشر ربيع الآخر قتل شمس الملوك اسمعيل بن تاج الملوك بورى ابن طغدكين صاحب دمشق وسبب قتله انه ركب طريقا من الظلم ومصادرات العمال

بالاعالى المراد فضربوا ايضا فاما نظروا ما حل بهم سقط فى ايديهم وارتبكوا فى انفسهم وتحيروا فى امرهم ووقع منهم اشخاص كثيرة فنزلوا عن الخيول واقتحم شاهين بك وسليمان بك البواب وآخرون فى عدة من مماليكهم راجعين الى فوق والرصاص نازل عليهم من كل ناحية ونزعوا ما كان عليهم من الفراوى والثياب الثقيلة ولم يزالوا سائرين وشاهرين سيوفهم حتى وصلوا الى الرحبة الوسطى المواجهة لقاعة الاعمدة وقد سقط أكثرهم وأصيب شاهين بك وسقط الى الارض فقطعوا رأسه وأسرعوا بها الى الباشا ليأخذوا عليها البقشيش وكان الباشا عندما ساروا بالموكب ركب من ديوان السراية وذهب الى البيت الذى به الحريم وهو بيت اسمعيل أفندى الضربخانه وأما سليمان بك البواب فهرب من حلاوة الروح وصعد الى حائط البرج الكبير فتابعوه بالضرب حتى سقط وقطعوا رأسه أيضا وهرب كثير الى بيت طوسون باشا يظن الالتجاء به والاحتماء فيه فقتلوهم وأسرف العسكر فى قتل المصريين وسلب ما عليهم من الثياب ولم يرحموا أحدا وأظهروا كامن حقدهم وضبعوا فيهم وفيمن رافقهم متجملا معهم من اولاد الناس واهالى البلد الذين تزيوا بزيهم لزينة الموكب وهم يصرخون ويستغيثون ومنهم من يقول انا لست جنديا ولا مملوكا وغيرهم

وغيرهم في اعمال البلد وبالغ في العقوبات لاستخراج الاموال وظهر منه بخل زائد
ودناءة نفس بحيث انه لا يأنف من اخذ الشيء الحقير بالعدوان الى غير ذلك من
الاخلاق الدنيئة وكرهه اهله واصحابه ورعيته ثم انه ظهر عنه انه كاتب عماد الدين
زنكي انه يسلم اليه دمشق ويحثه على سرعة الوصول واخلى المدينة من الذخائر والاموال
ونقل الجميع الى صوبه وتابع الرسل الى زنكي يحثه على الوصول اليه ويقول له ان
اهملت المجيء سلمت البلد الى الفرنج فسار زنكي فظهر الخبر بذلك فامتعض اصحاب
ابيه وجده واقلقهم وذكروا الحال لوالدته فساءها واشفقت منه ووعدتهم بالراحة
من هذا الامر ثم انها ارتقبت الفرصة في الخلوة من غلمانه فلما راته على ذلك امرت
غلمانها بقتله فقتل وامرت بالقائه على موضع في الدار ليشاهده غلمانه واصحابه فلما
راوه قتيلا سروا بمصرعه وبالراحة من شره وكان مولده سابع جمادى الآخرة سنة ست
وخمسمائة وقيل كان سبب قتله ان والده كان له صاحب اسمه يوسف بن فيروز وكان
متمكنا منه ما كنا في دولته ثم في دولة شمس الملوك بعده فاتهم بام شمس الملوك ووصل
الخبر اليه بذلك فهم بقتل يوسف فهرب منه الى تدمر وتحصن بها واظهر الطاعة لشمس
الملوك فاراد قتل امه فبلغها الخبر فقتلته خوفا منه والله اعلم ولما قتل ملك بعده اخوه
شهاب الدين محمود بن تاج الملوك وحلف له الناس واستقر له الملك بعده والله اعلم

(ذكر حصر اتابك زنكي دمشق)

في هذه السنة حصر اتابك زنكي دمشق ونازلها اول جمادى الاولى وسببه ما ذكرنا من
رسال شمس الملوك صاحبها اليه واستدعائه ليسلمها اليه فلما وصلت كتبه ورسله
سار اليها فقتل شمس الملوك قبل وصوله ولما عبر الفرات ارسل اليه رسلا في تقرير قواعد
التسليم فراوا الامر قد فات الا انهم اكرموا واحسن اليهم واعيدوا باجمل هيئة وعرفوا
زنكي بقتل شمس الملوك وان القواعد عندهم مستقرة لشهاب الدين والكلمة متفقة
على طاعته فلم يحفل زنكي بهذا الجواب وسار الى دمشق فنازلها واجفل اهل السواد
اليها واجتمعوا فيها على محاربته ونزل اولا شمالها ثم انتقل الى ميدان الحصى وزحف
وقاتل فرأى قوة ظاهرة وشجاعة عظيمة واتفاقا تاما على محاربته وقام معين الدين
انز مملوك جده طغدكين في هذه الحادثة بدمشق قياما مشهودا وظهر من معرفته
بامور الحصار والقتال وكفايته ما لم يروا ما كان سبب تقدمه واستيلائه على الامور
باسرها على ما نذكر ان شاء الله تعالى فبينما هو يحاصرها وصل رسول الخليفة
المسترشد بالله وهو ابو بكر بن بشر الجزري من جزيرة ابن عمر يخلع الاتابك زنكي ويامره
بصلح صاحب دمشق الملك البارسلان محمود الذي مع اتابك زنكي فرحل عنها لليلتين
مضتا من جمادى الاولى من السنة المذكورة

(ذكر قتل حسن بن الحافظ)

وآخر يقول انا لست من قبيلتهم فلم يرقوا الصارخ ولا شاكي ولا مستغيث وتتبعوا
المتشتتين والهرب باذين في
نواحي القلعة وزواياها
والذين فروا ودخلوا في البيوت
والاماكن وقبضوا على من
امسك حيا ولم يمت من
الرصاص او تخلفا عن
الموكب وحال سامح الكتخدا
كاحد بك الكيلارجي ويحيي
بك الالفي وعلى كاشف
الكبير فسلبوا ثيابهم
وجعلوهم الى السجن تحت
مجلس كتخدا بك ثم احضروا
ايضا المشاعلي لرمي اعناقهم
في حوش الديوان واحدا بعد
واحد من ضحوة النهار الى ان
مضى حصة من الليل في
المشاعل حتى امتلأ الحوش
من القتلى ومن مات من
المشاهير المعروفين وانصرع
في طريق القلعة قطعوا
راسه وسحبوا جثته الى باقي
الجثث حتى انهم ربطوا
في رجلي شاهين بك ويديه
حبلا وسحبوه على الارض
مثل الحمار الميت الى حوش
الديوان هذا ما حصل بالقلعة
واما اسفل المدينة فانه عندما
اغلق باب القلعة وسمع من
بالرميلة صوت الرصاص
وقعت الكرشة في الناس
وهرب من كان واقفا بالرميلة
من الاجناد في انتظار الموكب
وكذلك المتفرجون واتصلت
الكرشة باسواق المدينة
فانزعجوا وهرب من كان بالحوانيت لانتظار الفرجة واغلق الناس حوانيتهم

وقد ذكرنا سنة ست وعشرين وخمسمائة ان الحافظ لدين الله صاحب مصر استوزر ابنه حسنا وخطب له بولاية العهد فبقى الى هذه السنة ومات مسموما وسبب ذلك انه كان جريا على سفك الدماء وكان فى نفس الحافظ على الامراء الذين أعانوا أبا على بن الافضل حقد ويريد الانتقام منهم من غير أن يباشر ذلك بنفسه فاستوزر ابنه وأمره بذلك فتغلب على الامر جميعه واستبد به ولم يبق لابيه معه حكم وقتل من الامراء المصريين ومن أعيان البلاد جمعا حتى قيل انه قتل فى ليلة واحدة أربعين أميرا فلما رأى أبوه تغلبه عليه أخرج له خادما من خدم القصر الاكابر فجمع الجموع وحشد من الرجالة خلقا كثيرا وتقدم الى القاهرة ليقاتل حسنا وبخرج جمعهما فارسل له جماعة من خواصه وأصحابه فقاتلوهم فانهزم الخادم وقتل الرجال الذين معه وعبر الباقون الى الجيزة فاستكان الحافظ فصير تحت الحجر ثم ان الباقين من الامراء المصريين اجتمعوا واتفقوا على قتل حسن وارسلوا الى أبيه الحافظ وقالوا له اما انك تسلم ابنك الينا فنقتله او نقتلكما جميعا فاستدعى ولده اليه واحتاط عليه وأرسل الى الامراء بذلك فقالوا لا نرضى الا بقتله فرأى انه ان سلمه اليهم طمعوا فيه وليس الى ابقائه سبيل فاحضر طبيبين كانا له احدهما مسلم والآخر يهودى فقال لليهودى نريد سما نسقيه لهذا الولد ليموت ونخلص من هذه الحادثة فقال أنا لا اعرف غير النقوع وماء الشعير وما شاكل هذا من الادوية فقال انا أريد ما أخلص به من هذه المصيبة فقال له لا أعرف شيئا فاحضر المسلم وأمره بذلك فصنع له شيئا فسقاه الولد فمات لوقته فارسل الحافظ الى الجند يقول لهم انه قد مات فقالوا نريد ان ننظر اليه فاحضر بعضهم عنده فراوه وظنوه قد عمل حيلة فجرحوا أسافل رجليه فلم يجر منها دم فعلموا موته ودفن حسن وأحضر الحافظ الطبيب المسلم وقال له اخرج من عندنا من القصر وجميع مالك من الانعام والجامكية باق عليك وأحضر اليهودى وقال أعلم انك تعرف ما طلبته منك ولكنك عاقل فتقيم فى القصر عندنا وكان حسن سيئ السيرة ظالما جريا على سفك الدماء وأخذ الاموال فهجاه الشعراء فمن ذلك ما قال المعتمد ابن الانصارى صاحب الترسل المشهور

لم تأت يا حسن بين الورى حسنا * ولم تر الحق فى دنيا ولا دين
قتل النفوس بلا جرم ولا سبب * والجور فى أخذ أموال المساكين
لقد جمعت بلا علم ولا أدب * تيه الملوك واخلاق المجانين

وقيل ان الحافظ لما رأى ابنه تغلب على الملك وضع عليه من سقاه السم فمات والله اعلم ولما مات حسن استوزر الحافظ الامير تاج الدولة بهرام وكان نصرانيا فتحكم واستعمل الارمن على الناس فاستذلوا المسلمين وسنذكر أخباره سنة احدى وثلاثين وخمسمائة ان شاء الله تعالى

(ذكر مسير المسترشد الى حرب السلطان مسعود وانهزامه)

فى هذه السنة كان الحرب بين الخليفة المسترشد بالله و بين السلطان مسعود فى شهر رمضان

وليس لاحد علم بما حصل وظنوا ظنونا وعندما تحقق العسكر حصول الواقعة وقتل الامراء انبثوا كالجراد المنتشر الى بيوت الامراء المصريين ومن جاورهم طالبين النهب والغنيمة فوجوها بغتة ونهبوها نهبا ذريعا وهتكوا الحرائر والحريم وسحبوا النساء والجوارى والخوندات والستات وسلبوا ما عليهن من الحلى والجواهر والثياب واظهروا الكامن فى نفوسهم ولم يجدوا مانعا ولا رادعا و بعضهم قبض على يد امراة ليأخذ منها السوار فلم يتمكن من نزعها بسرعة فقطع يد المراة وحل بالناس فى بقية ذلك اليوم من الفزع والخوف وتوقع المكروه ما لا يوصف لان المماليك والاجناد تداخلوا وسكنوا فى جميع الحارات والنواحى وكل امير له دار كبيرة فيها عياله واتباعه ومماليكه وخيوله وجماله وله دار ودار ان صغار فى داخل العطف ونواحى الازهر والمشهد الحسينى يودعون فيها ما يخافون عليه لظنهم بعدها وحمايتها بحرمة الخطة وصونها عند وقوع الحوادث وكثير من كبار العسكر يجاورون لهم فى جميع النواحى و يرمقون احوالهم و يطلعون على أكثر حركاتهم وسكناتهم و يتداخلون فيهم و يعاشرونهم و يسامرونهم بالليل ويظهرون لهم الصداقة والمحبة وقلوبهم محشوة من الحقد عليهم والكراهة لهم بل ولجميع

رمضان وسبب ذلك ان السلطان مسعودا لما سافر من بغداد الى همذان بعد موت
اخيه طغرل وملكها فارقه جماعة من أعيان الامراء منهم يرنقش بازدار وقزل آخر
وسنقر الخمارتكين والى همذان وعبد الرحمن بن طغايرك وغيرهم خائفين منه
مستوحشين ومعهم عدد كثير ومعهم دبيس بن صدقة وأرسلوا الى الخليفة يطلبون منه
الامان ليحضروا فى خدمته فقيل له انها مكيدة لان دبيسا معهم وساروا نحو خوزستان
واتفقوا مع برسق بن برسق فارسل الخليفة اليهم سديد الدولة بن الانبارى بتوقيعات الى
الامراء المذكورين بتطييب نفوسهم والامر بحضورهم وكان الامراء المذكورون قد
عزموا على قبض دبيس والتقرب الى الخليفة بحمله اليه فبلغه ذلك فهرب الى
السلطان مسعود وسار الامراء الى بغداد فى رجب فاكرمهم الخليفة وحمل اليهم الاقامات
والخلع وقطعت خطبة السلطان مسعود من بغداد وبرز الخليفة فى العشرين من رجب
على عزم المسير الى قتال مسعود وأقام فى الشفيعى فعصى عليه بكبه صاحب البصرة
فهرب اليها فراسله وبذل له الامان فلم يعد اليه وتريث الخليفة عن المسير وهؤلاء
الامراء يحسنون له الرحيل ويسهلون عليه الامر ويضعفون عنده أمر السلطان مسعود
فسير مقدمته الى حلوان فنهبوا البلاد وافسدوا ولم ينكر عليهم شيئا ثم سار الخليفة ثامن
شعبان ولحق به فى الطريق الامير برسق بن برسق فبلغت عدتهم سبعة آلاف فارس
وتخلف بالعراق مع اقبال خادم المسترشد بالله ثلاثة آلاف فارس وكان السلطان مسعود
بهمذان فى نحو ألف وخمسمائة فارس وكان أكثر أصحاب الاطراف يكاتبون الخليفة
ويبذلون له الطاعة فتريث فى طريقه فاستصلح السلطان مسعود أكثرهم حتى عادوا
اليه فصار وا نحو خمسة عشر ألف فارس وتسلل جماعة كثيرة من عسكر الخليفة حتى بقى
فى خمسة آلاف وأرسل أتابك زنكى نجدة فلم يلحق وأرسل الملك داود ابن السلطان
محمود وهو باذربيجان الى الخليفة يشير بالميل الى الدينور ليحضر بنفسه وعسكره فلم
يفعل المسترشد وسار حتى بلغ دايمرج وعبى أصحابه فجعل فى الميمنة يرنقش بازدار ونور
الدولة سنقر وقزل آخر وبرسق بن برسق وجعل فى الميسرة جاولى وبرسق شراب سلار
وغلبك الذى كان الخليفة قد قبض عليه وأخرجه من محبسه ولما سمع السلطان مسعود
خبرهم سار اليهم مجدا فواقعهم بدايمرج عاشر رمضان وانحازت ميسرة الخليفة الى
السلطان مسعود فصارت معه واقتتلت ميمنة الخليفة وميسرة السلطان قتالا ضعيفا
ودارت عساكر السلطان حول عساكر الخليفة وهو ثابت لم يتحرك من مكانه وانهزم
عسكره وأخذ هو أسيرا ومعه جمع كثير من أصحابه منهم الوزير شرف الدين على بن طراد
الزينبي وقاضى القضاة وصاحب المخزن ابن طلحة وابن الانبارى والخطباء والفقهاء
والشهود وغيرهم وانزل الخليفة فى خيمة وغنموا ما فى معسكره وكان كثيرا فحمل الوزير
وقاضى القضاة وابن الانبارى وصاحب المخزن وغيرهم من الاكابر الى قلعة سرجهان
وباع الباقون نفوسهم بالثمن دون الطفيف ولم يقتل فى هذه المعركة احد وهذا العجب

ابناء العرب فلما حصلت هذه الحادثة بادروا التفضيل ما مولهم واظهروا ما كان
مخفيا فى صدورهم وخصوصا
من التشفى فى النساء فان
العظيم منهم كان اذا خطب
ادنى امرأة ليتزوج بها فلا
ترضى به وتعافه وتأنف
قربه وان ألح عليها استجارت
بمن يحميها منه والا هربت من
بيتها واختفت شهورا وذلك
بخلاف ما اذا خطبها أسفل
شخص من جنس المماليك
اجابته فى الحال واتفق انه
لما اصطلح الباشا مع الالفية
وطلبوا البيوت ظهر كثير من
النساء المستترات المختفيات
وتنافسن فى زواجهم وعملن
لهم الكساوى وقدمن لهم
التقادم وصرفن عليهم لوازم
البيوت التى تلزم الازواج
لزوجاتهم كل ذلك بمرأى من
الاتراك يحقدونه فى قلوبهم
وفيهم من حمى جاره وصان
دياره ومانع اعلاهم أدناهم
وقليل ماهم وذلك لغرض
ينتفيه وامر يرتجيه فانه
بعد ارتفاع النهب كانوا
يقبضون عليهم من البيوت
فيتولى الذى حماه ودافع
عنه على داره وما فيها وانتهبت
دور كثيرة من المجاورين لهم
أولادور اتباعهم بادنى شبهة
وبغير شبهة اويدخلون بحجة
التفتيش ويقولون عندكم
مملوك اوسمعنا أن عندكم
وديعة لمملوك وبات الناس
واصبحوا على ذلك ونهب فى هذه الحادثة من الاموال والامتعة مالا يقدر قدره ويحصيه الا الله سبحانه وتعالى

مايحكى وعاد السلطان الى همذان وامر فنودى من تبعنا الى همذان من البغادده قتلناه فرجع الناس كلهم على اقبح حال لا يعرفون طريقا وليس معهم مايحملهم وسير السلطان الامير بك آبه المحمودى الى بغداد شحنة فوصلها سلخ رمضان ومعه عبيد فقبضوا جميع أملاك الخليفة وأخذوا غلاتها وثار جماعة من عامة بغداد فكسروا المنبر والشباك ومنعوا من الخطبة وخرجوا من الاسواق يحثون التراب على رؤسهم ويبكون ويصيحون وخرج النساء حاسرات فى الاسواق يلطمن واقتتل أصحاب الشحنة وعامة بغداد فقتل من العامة مايزيد على مائة وخمسين قتيلا وهرب الوالى وحاجب الباب وأما السلطان فانه سار فى شوال من همذان الى مراغة لقتال الملك داود ابن أخيه محمود وكان قد عصى عليه فنزل على فرسخين من مراغة والمسترشد معه فترددت الرسل بين الخليفة وبين السلطان فى الصلح فاستقرت القاعدة على مانذكره ان شاء الله والله الموفق

(ذكر قتل المسترشد بالله وخلافة الراشد بالله)

لما قبض المسترشد بالله أبو منصور بن الفضل بن المستظهر بالله أبى العباس أحمد على ماذكرناه جعله السلطان مسعود فى خيمة ووكل به من يحفظه وقام بما يجب من خدمته وترددت الرسل بينهما فى تقرير قواعد الصلح على مال يؤديه الخليفة وأن لا يعود يجمع العساكر وأن لا يخرج من داره فاجاب السلطان الى ذلك وأركب الخليفة وحمل الغاشية بين يديه ولم يبق الا أن يعود الى بغداد فوصل الخبر ان الامير قزان خوان قد ورد رسولا من السلطان سنجر فتاخر مسير المسترشد لذلك وخرج الناس مع السلطان مسعود الى لقائه وفارق الخليفة بعض من كان موكلا به وكانت خيمته منفردة عن العسكر فقصده أربعة وعشرون رجلا من الباطنية ودخلوا عليه فقتلوه وجرحوه مايزيد على عشرين جراحة ومثلوا به فجدعوا أنفه وأذنيه وتركوه عريانا وقتل معه نفر من أصحابه منهم أبو عبد الله بن سكينة وكان قتله يوم الاحد سابع عشر ذى القعدة على باب مراغة وبقى حتى دفنه أهل مراغة وأما الباطنية فقتل منهم عشرة وقيل بل قتلوا جميعهم والله أعلم وكان عمره لما قتل ثلاثا وأربعين سنة وثلاثة أشهر وكانت خلافته سبع عشرة سنة وستة أشهر وعشرين يوما وأمه أم ولد وكان شهما شجاعا كثير الاقدام بعيد الهمة وأخباره المذكورة تدل على ماذكرناه وكان فصيحا بليغا حسن الخط ولقد رايت خطه فى غاية الجودة ورايت اجوبته على الرقاع من احسن مايكتب وافصحه ولما قتل المسترشد بالله بويع ابنه الراشد بالله ابو جعفر المنصور ولقب الراشد بالله وكان ابوه قد بايع له بولاية العهد فى حياته وجددت له البيعة بعد قتله يوم الاثنين السابع والعشرين من ذى القعدة وكتب السلطان مسعود الى بك آبه الشحنة ببغداد بان يبايع له وحضر الناس البيعة وحضر بيعته احد وعشرون رجلا من اولاد الخلفاء وبايع له الشيخ ابو النجيب ووعظه وبالغ فى الموعظة واما جمال الدولة المسترشدى فكانه كان ببغداد فى طائفة

ونهبت دور كثيرة من ذوى الاعيان الذين ليسوا من الامراء المقصودين ومن المتقيدين بخدمة الباشا مثل ذى الفقار كتخدا المتولى خ ولياء لى بساتين الباشا التى انشاها بشبرا وبيت الامير عثمان أغا الوردانى ومصطفى كاشف المورلى والافندية الكتبة وغيرهم واصبح يوم السبت والنهب والقتل والقبض على المتوارين والمختفين مستمر ويدل البعض على البعض أو يغمز عليه وركب الباشا فى الضحوة ونزل من القلعة وحوله أمراؤه الكبار مشاة وامامه الصفاشية والجاويشية بزينتهم وملابسهم الفاخرة والجميع مشاة ليس فيهم راكب سواه وهم محدقون به وامامه وخلفه عده وافرة والفرح والسرور بقتل المصريين ونهبهم والظفر بهم طافح من وجوههم فكان كلما مر على أرباب الدرك والقلقات والضابطين وقف عليهم ووبخهم على النهب وعدم منعهم لذلك والحال انهم هم الذين كانوا ينهبون أولا ويتبعهم غيرهم فمر على العقادين الرومى والشوائين فخرج اليه شخص من تجار المغاربة يسمى العربى الحلو وصرخ فى وجهه وهو يقول ايش هذا الحال وايش انا علاقة حتى ينهبنا العسكر ونحن ناس فقراء مغاربة متسببون وليسنا مماليك ولا اجناد افوقف اليه وارسل معه نفرا الى داره فوجدوا بها شخصين

من العسكر فلما جرت هذه الحادثة عبر الى الجانب الغربي واصعد الى تكريت وراسل مجاهد الدين بهروز وحالفه وصعد اليه الى القلعة

(ذكر مسير السلطان سنجر الى غزنة وعوده عنها)

في هذه السنة في ذي القعدة سار السلطان سنجر من خراسان الى غزنة وسبب ذلك انه نقل اليه عن صاحبها بهرام شاه انه تغير عن طاعته وانه قد مد يده الى ظلم الرعايا واغتصاب اموالهم وكان السلطان سنجر هو الذي ملك غزنة وقد ذكرناه سنة تسع وخمسمائة فلما سمع هذه الاخبار المزعجة سار الى غزنة لياخذها او يصلحه فلما راى الطريق ابعد ادركهم شتاء شديد البرد كثير الثلج وتعذرت عليهم الاقوات والعلوفات فشكا العسكر الى السلطان ذلك وذكروا ما هم فيه من الضيق وتعذر ما يحتاجون اليه فلم يجب عنه بغير التقدم امامه فلما قارب غزنة ارسل بهرام شاه الى سنجر رسلا يتضرع ويسال الصفح عن جرمه والعفو عن ذنبه فارسل اليه سنجر المقرب جوهرا الخادم وهو اكبر امير عنده ومن جملة اقطاعه مدينة الري في جواب رسالته يجيبه عن العفو عنه ان حضر عنده وعاد الى طاعته فلما وصل الى بهرام شاه اجابه الى ما طلب منه من الطاعة وحمل المال والحضور عنده بنفسه واظهر من الطاعة والانقياد لما يحكم به السلطان سنجر شيئا كثيرا وعاد المقرب جوهر ومعه بهرام شاه الى سنجر فلما قاربه سبق المقرب الى السلطان سنجر واعلمه بوصول بهرام شاه وانه بكرة غد يكون عنده وعاد المقرب الى بهرام شاه ليجيء بين يديه وركب سنجر من الغد في موكبه ليلقاه وتقدم بهرام شاه ومعه المقرب فلما عاين موكب سنجر والشتر على رأسه نكص على عقبيه عائدا فامسك المقرب عنانه وقبح فعله وخوفه عاقبة ذلك فلم يرجع وولى هاربا ولم يصدق بنجاته ظنا منه ان سنجر ياخذه ويملك بلده وتبعه طائفة من اصحابه وخواصه ولم يعرج على غزنة وسار سنجر الى غزنة فدخلها وملكها واحتوى على جميع ما فيها وجبى اموالها وكتب الى بهرام شاه يلومه على ما فعله ويحلف له انه ما اراد به شرا ولا له في بلده مطمع ولا هو ممن تلون صنيعته وتعقب حسنته معه سيئة وما قصده لا صلاحه فاعاد بهرام شاه الجواب يعتذر ويتنصل ويقول ان الخوف منعه من الحضور ولا لوم على من خاف من السلطان وتضرع في عوده الى الاحسان فاجابه سنجر الى ان يعيد عليه بلده وفارق غزنة عائدا الى بلاده فوصل الى بلخ في شوال سنة ثلاثين وخمسمائة واستقر ملك غزنة لبهرام شاه ورجع اليها

(ذكر قتل دبيس بن صدقة بالتاريخ)

في هذه السنة قتل السلطان مسعود دبيس بن صدقة على باب سرداقه بظاهر مدينة خوى امر غلاما ارمنيا بقتله فوقف على رأسه وهو ينكت الارض باصبعه فضرب رقبته وهو لا يشعر وكان ابنه صدقة بالحلة فاجتمع اليه عسكر ابيه ومماليكه وكثر جمعه واستأمن اليه الامير قتلغ تكين وامر السلطان مسعود بك آبه ان ياخذ الحلة فسار بعض عسكره

احدهما تركي والآخر بلدي وهما يلتقطان آخر النهب وما سقط من النهابين فامر بقتلهما فاخذوهما الى باب الخرق وقطعوا رؤسهما ثم انه عطف على جهة الكعكيين فلاقاه من اخبره بان المشايخ مجتمعون ونيتهم الركوب لملاقاته والسلام عليه والتهنئة بالظفر فقال انا اذهب اليهم ولم يزل في سيره حتى دخل الى بيت الشيخ الشرقاوي وجلس عنده ساعة لطيفة وكان قد التجأ الى الشيخ شخصان من الكشاف المصرية فكلمه في شانهما وترجى عنده في اعتاقهما من القتل وان يؤمنهما على انفسهما وقال له لا تفضح شيبتي يا ولدي واقبل شفاعتي واعطهما محرمة الامان فاجابه الى ذلك وقال له شفاعتك مقبولة ولكن نحن لا نعطي محارم وانا اماني بالقول او نكتب ورقة ونرسلها اليك بالامان فاطمان الشيخ لذلك ثم قام الباشا وركب وطلع الى القلعة وارسل ورقة الى الشيخ بطلبهما فقال لهما الشيخ ان الباشا ارسل هذه الورقة يؤمنكما ويطلبكما اليه فقالا وما يفعل بذهابنا اليه فلا شك في انه يقتلنا فقال الشيخ لا يصح ذلك ولا يكون كيف انه ياخذكم من بيتي ويقتلكم بعد ان قبل شفاعتي فذهبا مع الرسول فعندما وصلا الى الحوش وهو مملوء بالقتلى وضرب الرقاب واقع في المحبوسين والمحضرين قبضوا عليهما واودجاني ضمنهم وفي ذلك اليوم نزل طوسون ابن الباشا

الى المدائن واقاموا مدة ينتظرون لحاق بك آبه فلم يسر اليهم جبنا وعجزا عن قصد الحلة لكثرة العسكر بجامع صدقة وبقي صدقة بالحلة الى ان قدم السلطان مسعود الى بغداد سنة احدى وثلاثين وخمسمائة فقصده وأصلح حاله معه ولزم باب السلطان ومثل هذه الحادثة يقع كثيرا وهو قرب موت المتعادين فان دبيسا كان يعادي المسترشد بالله ويكره خلافته ولم يكن يعلم ان السلاطين انما كانوا يبقون عليه ليجعلوه عدة لمقارنة المسترشد فلما زال السبب زال المسبب والله اعلم بذلك

(ذكر حصر عسكر يحيى المهدية)

في هذه السنة سير يحيى بن العزيز بن حماد صاحب بجاية عسكرا فحصروا المهدية وبها صاحبها الحسن بن علي بن تميم بن المعز بن باديس وكان سبب ذلك ان الحسن أحب ميمون بن زيادة أمير طائفة كبيرة من العرب ومال اليه واكثر الانعام عليه فحسده غيره من العرب فساروا الى يحيى بن العزيز باولادهم وجعلوهم رهائن عنده وطلبوا منه أن يرسل معهم عسكرا ليملكوا المهدية فاجابهم الى ذلك وهو متباطئ فاتفق انه وصله كتب من بعض مشايخ المهدية بمثل ذلك فوثق الى ما أتاه وسير عسكرا كثيرا واستعمل عليهم قائدا كبيرا من فقهاء اصحابه يقال له مطرف بن حمدون وكان هذا يحيى بن العزيز هو واباؤه يحضرون المعز بن باديس وأولاده بعده فسارت العساكر الفارس والراجل ومعهم من العرب جمع كثير حتى نزلوا على المهدية وحصروها برا وبحرا وكان مطرف يظهر التقشف والتورع عن الدماء وقال انما أتيت الآن لاتسلم البلد بغير قتال فخاب ظنه فبقي أياما لم يقاتل ثم انهم باشروا فاظهر أهل المهدية عليهم واثروا فيهم وتتابع القتال وفي كل ذلك الظفر لاهل البلد وقتل من الخارجين الجم الغفير وجمع مطرف عسكره برا وبحرا لما يئس من التسليم وقاتل أشد قتال فملكت شوانيه شاطئ البحر وقربوا من السور فاشتد الامر فامر الحسن بفتح الباب وخرج أول الناس وحمل هو ومن معه عليهم وقال انا الحسن فلما سمع من يقاتله ذلك سلموا عليه وانهزموا عنه اجلالا له ثم اخرج الحسن شوانيه تلك الساعة من الميناء فاخذ من تلك الشواني أربع قطع وهرب الباقون ثم وصلت نجدة من رجار الفرنجي صاحب صقلية في البحر في عشرين قطعة فحصرت شواني صاحب بجاية فامرهم الحسن باطلاقها فاطلقوها ثم وصل ميمون بن زيادة في كثير من العرب لنصرة الحسن فلما رأى ذلك مطرف وان النجدات تاتي الحسن في البر والبحر علم انه لا طاقة له بهم فرحل عن المهدية خائبا وأقام رجار الفرنجي مظهرا للحسن انه مهادنه وموافقه وهو مع ذلك يعمر الشواني ويكثر عددها وآلاتها

(ذكر استيلاء الفرنج على جزيرة جربة)

كانت جزيرة جربة من بلاد افريقية قد استوت في كثرة عمارتها وخيراتها غير ان اهلها طغوا فلا يدخلون تحت طاعة سلطان ويعرفون بالفساد وقطع الطريق فخرج

وقتل شخصا من النهابين ايضا فارتفع النهب وانكف العسكر عن ذلك وقت نزول أبيه وشق المدينة ولولا نزول الباشا وابنه في صبح ذلك اليوم لنهب العسكر بقية المدينة وحصل منهم غاية الضرر وأما القبض على الاجناد والمماليك فستمر وكذلك كل من كان يشبههم في الملبس والزي وأكثر من كان يقبض عليهم عساكر حسن باشا الارنؤدي فيكبسون عليهم في الدور والاماكن التي تواروا فيها واستدلوا عليهم فيقبضون على من يقبضون عليه وينهبون من الاماكن ما يمكنهم حمله وثياب النساء والحلي ويسحبون الواحد والاثنين او أكثر بينهم ويأخذون عمائمهم وثيابهم وما في جيوبهم في اثناء الطريق واذا كان كبيرا او اميرا استحى منه طلبوه بالرفق فاذا اظهر لهم قالوا له سيدنا حسن باشا يستدعيك اليه فلا تخش من شيء ويطمئن قليلا ويظن انهم يجيرونه وعلى اي حال لا يسعه الا الاجابة لانه ان امتنع اخذوه قهرا فاذا خرج من الدار استصحبه جماعة منهم وطلع البواقي الى الدار فاخذوا ما قدروا عليه ولحقوا بهم وجرى على المأخوذ ما يجري على امثاله من المأخوذين والبعض توارى والتجأ الى طائفة الدلاة وتزيا بشكلهم ولبس له طرطورا وأجاروه وهرب كثير في ذلك اليوم اليها

اليها جمع من الفرنج أهل صقلية فى اسطول كثير وجمع غفير فيه من مشهورى فرسان الفرنج جماعة فنزلوا بساحتها وأداروا المراكب بجهاتها واجتمع أهلها وقاتلوا قتالا شديدا فوقع بين الفريقين وقعات عظيمة فثبت أهل جربة فقتل منهم بشر كثير فانهزموا وملك الفرنج الجزيرة وغنموا أموالها وسبوا حريمها ونساءها واطفالها وهلك اكثر رجالها ومن بقى منهم أخذوا لانفسهم أمانا من صاحب صقلية وافتكوا أسراهم وسبيهم وحريمهم والله أعلم بذلك

(ذكر ملك الفرنج حصن روطة من بلاد الاندلس)

فى هذه السنة اصطلح المستنصر بالله بن هود والسليطين الفرنجى صاحب طليطلة مدة عشر سنين وكان السليطين قد أدمن غزو بلاد المستنصر وقتالها حتى ضعف صاحبها عن مقاومته لقلة جنوده وكثرة الفرنج فرأى ان يصالحه مدة يستريح فيها هو وجنوده ويستعدون للمعاودة فترددت الرسل بينهم فاستقر الصلح على ان يسلم المستنصر الى السليطين حصن روطة وهو من امنع الحصون وأحصنها فاستقرت القاعدة واصطلحوا وتسلمت منه الفرنج الحصن وفعل المستنصر فعلة لم يفعلها قبله أحد

(ذكر حصر ابن ردمير مدينة افراغة وهزيمته وموته)

وفى هذه السنة حصر ابن ردمير الفرنجى لعنه الله مدينة افراغة من شرق الاندلس وكان الامير تاشفين بن على بن يوسف بمدينة قرطبة أميرا على الاندلس لابيه فجهز الزبير ابن عمرو اللمتونى من قرطبة ومعه الفافارس وسير معه ميرة كثيرة الى افراغة وكان يحيى ابن غانية الامير المشهور أمير مرسية وبلنسية من شرق الاندلس واليه الامر بها للامير المسلمين على بن يوسف فتجهز فى خمسمائة فارس وكان عبد الله بن عياض صاحب مدينة لاردة فتجهز فى مائتى فارس فاجتمعوا وحملوا الميرة وساروا حتى أشرفوا على مدينة افراغة وجعل الزبير الميرة أمامه وابن غانية أمام الميرة وابن عياض أمام ابن غانية وكان شجاعا وكذلك جميع من معه وكان ابن ردمير فى اثنى عشر ألف فارس فاحتقر جميع الواصلين من المسلمين فقال لاصحابه اخرجوا وخذوا هذه الهدية التى أرسلها المسلمون اليكم وأدركه العجب وانفذ قطعة كبيرة من جيشه فلما قربوا من المسلمين حمل عليهم ابن عياض وكسرهم ورد بعضهم على بعض وقتل فيهم والتحم القتال وجاء ابن ردمير بنفسه وعساكره جميعا مدلين بكثرتهم وشجاعتهم فحمل ابن غانية وابن عياض فى صدورهم واشتد الامر بينهم وعظم القتال فكثر القتل فى الفرنج وخرج فى الحال اهل افراغة جميعهم ذكرهم وانثاهم صغيرهم وكبيرهم الى خيام الفرنج فاشتغل الرجال بقتل من وجدوا فى العسكر واشتغل النساء بالنهب وحملوا جميع ما وجدوه هناك الى المدينة من قوت وعدد وآلات وسلاح وغير ذلك وبينما المسلمون والفرنج فى القتال اذ وصل اليهم الزبير فى عسكره فانهزم ابن ردمير وعسكره ولم يسلم منهم الا القليل ولحق ابن ردمير بمدينة سرقسطة فلما رأى ما قتل من اصحابه مات مفجوعا بعد عشرين يوما من

وخرجوا الى قبلى و بعضهم تزيا بزى نساء الفلاحين وخرج فى ضمن الفلاحات اللاتى يبعن الجلة والجبنة وذهبوا فى ضمنهم وفر من نجا منهم الى الشام وغيرها واما كتخدا بك فانه لشدة بغضه فيهم صار لا يرحم منهم احدا فكان كل من احضروه ولو فقيرا هرما من مماليك الامراء الاقدمين يامر بضرب عنقه وارسل اوراقا الى كشاف النواحى والاقاليم بقتل كل من وجدوه بالقرى والبلدان فوردت الرؤس فى ثانى يوم من النواحى فيضعونها بالرميلة وعلى مصطبة السبيل المواجه لباب زويلة وكان كثير من الاجناد بالارياف لتحصيل الفرض التى تعهدوا بدفعها عن فلاحيهم وانقضت اجالتهم وطولبوا بالدفع والفلاحون قصرت ايديهم ولم يقبلوا للملتزمين عذرا فى التاخير فلم يسعهم الا الذهاب بانفسهم لاجل خلاص المطلوب منهم للديوان فعندما وصلت الاوامر الى كشاف الاقاليم بقتل الكائنين بالبلاد بادروا بقتل من يمكنهم قتله ومن بعد عنهم ارسلوا لهم العساكر فى محلاتهم فيدهمونهم على حين غفلة و يقتلونهم وينهبون متاعهم وما جمعوه من المال ويرسلون برؤسهم او يتحيلون على القبض عليهم وقتلهم فصار يصل فى كل يوم العدد من الرؤس من قبلى و بحرى ويضعونها على باب زويلة وباب القلعة ولم يقبلوا شفاعة فى احد ابدا و يعطون الامان للبعض فاذا حضروا قبضوا عليهم وشنقوهم

المزيمة وكان اشد ملوك الفرنج باساً واكثرهم تجرداً لحرب المسلمين واعظمهم صبراً كان ينام على طارقته بغير وطاء وقيل له هلا تسريت من بنات أكابر المسلمين اللاتى سبيت منهم فقال الرجل المحارب ينبغى ان يعاشر الرجال لا النساء وأراح الله منه وكفى المسلمين شره

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة فى شعبان زلزلت الارض بالعراق والموصل وبلاد الجبل وغيرها وكانت لزلزلة شديدة وهلك فيها كثيرا من الناس والله أعلم

(ثم دخلت سنة ثلاثين وخمسمائة)

(ذكر الحرب بين عسكر الراشد وعسكر السلطان)

فى هذه السنة وصل يرنقش الزكوى من عند السلطان مسعود يطالب الخليفة بما كان قد استقر على المسترشد من المال وهو اربعمائة ألف دينار فذكر انه لا شئ عنده وان المال جميعه كان مع المسترشد بالله فنهب ثم بلغ الراشد بالله ان يرنقش يريد الهجم على دار الخلافة وتفتيشها لياخذ المال فجمع العساكر لمنعها وامر عليهم كج ابه واعاد عمارة السور فلما علم يرنقش بذلك اتفق هو وبك ابه شحنة بغداد وهو من امراء السلطان على ان يهجموا على دار الخليفة يوم الجمعة فبلغ ذلك الراشد بالله فاستعد لمنعهم وركب يرنقش ومعه العسكر والامراء البكجية ومحمد بن عكر فى نحو خمسة آلاف فارس ولقيهم عسكر الخليفة فاخرجوا عسكر السلطان الى دار السلطان فساروا الى طريق خراسان ثم انحدر بك ابه الى واسط وسار يرنقش الى البندنيجين ونهبت العامة دار السلطان

(ذكر اجتماع اصحاب الاطراف على حرب مسعود ببغداد وخروجهم عن طاعته)

فى هذه السنة اجتمع كثير من الامراء واصحاب الاطراف على الخروج عن طاعة السلطان مسعود فسار الملك داود ابن السلطان محمود فى عسكر اذربيجان الى بغداد فوصلها فى رابع صفر ونزل بدار السلطان ووصل اتابك عماد الدين زنكى بعده من الموصل ووصل يرنقش بازدار صاحب قزوين وغيرهما والبقش الكبير صاحب اصفهان وصدقة بن دبيس صاحب الحلة ومعه عنتر بن أبى العسكر الجاوانى يدبره ويتمم نقص صباه وابن برسق وابن الاحمديلى وخرج اليهم من عسكر بغداد كج ابه والطرنطاى وغيرهما وجعل الملك داود فى شحنكية بغداد يرنقش بازدار وقبض الخليفة الراشد بالله على ناصح الدولة أبى عبد الله الحسن بن جهير استاذ الدار وهو كان السبب فى ولايته وعلى جمال الدولة اقبال المسترشدى وكان قدم اليه من تكريت وعلى غيرهما من اعيان دولته فتغيرت نيات اصحابه عليه وخافوه فاما جمال الدولة فان اتابك زنكى شفع فيه شفاعة تحتها الزام فاطلق وصار اليه ونزل عنده وخرج موكب الخليفة مع وزيره جلال الدين ابى الرضا بن صدقة الى عماد الدين لتهنئته بالقدوم فاقام الوزير عنده

ثيابهم وقتلوهم والباشا يعلم من كتخداه شدة الكراهة لجنس المماليك ففوض له الامر فيهم حتى انه كان بينه وبين محمد اغا كتخدا الجاويشية سابقا بعض منافرة من مدة سابقة اولسكونه صاهر بعض الالفية وزوجه ابنته وكان غائبا ببلدة يقال لها الفرعونية جارية فى اقطاعه وتعهد بها عليها من الفرضة فذهب اليها بنفسه ليستخلص منها الفرضة والمال الميرى فارسل الكتخدا بك الى كاشف المنوفية قبل الحادث بيوم يامره فيه بامره فارسل اليه طائفة من العسكر دخلوا عليه فى الفجرية وهو يتوضا لصلاة الصبح فقتلوه وقطعوا رأسه وأحضروها الى مصر وكانوا ياتون باشخاص من بقايا البيوت القديمة فيمثلونهم بين يدى الكتخدا فيسألهم فيخبرون عن أنفسهم ونسبتهم فيكذبهم ويامر بهم الى الحبس الاعلى حتى يتبين أمرهم فاما تدركهم الالطاف فينجون بعد معاينة الموت وهذا فى النادر فقتل فى هذه الحادثة أكثر من ألف انسان أمراء وأجناد وكشاف ومماليك ثم صاروا يحملون رممهم على الاخشاب ويرمونهم عند المغسل بالرميلة ثم يرفعونهم ويلقونهم فى حفر من الارض فوق بعضهم البعض لا يميز الامير عن غيره وسلخوا عدة رؤس من رؤس العظماء والقوا جماجمهم المسلوخة على الرمم فى تلك الحفر فكانت هذه الكائنة من أشنع الحوادث التى لم يتفق مثلها ولم ينتج وساله

وساله ان يمنعه من الخليفة فاجابه الى ذلك وعاد الموكب بغير وزير وارسل زنكى من حرس دار الوزير من النهب ثم اصلح حاله مع الخليفة واعاده الى وزارته وكذلك ايضا عبر عليه قاضى القضاة الزينبي وسار معه الى الموصل ثم ان الخليفة جد فى عمارة السور فارسل له الملك داود من قلع ابوابه واخرب قطعة منه فانزعج الناس ببغداد ونقلوا اموالهم الى دار الخلافة وقطعت خطبة السلطان مسعود وخطب للملك داود وجرت الايمان بين الخليفة والملك داود وعماد الدين زنكى وارسل الخليفة الى اتابك زنكى مائتى الف دينار لينفقها ووصل الملك سلجوق شاه الى واسط فدخلها وقبض على الامير بك ابه ونهب ماله وانحدر أتابك زنكى اليه لدفعه عنها واصطلحا وعاد زنكى الى بغداد وعبر الى طريق خراسان وحث على جمع العساكر للقاء السلطان مسعود وسار الملك داود نحو طريق خراسان فنهب العسكر البلاد ووصلت الاخبار بمسير السلطان مسعود الى بغداد وفارق الملك داود واتابك زنكى فعاد اتابك زنكى الى بغداد وفارق الملك داود واظهر له انه يمضى الى مراغة اذا فارق السلطان مسعود همذان فبرز الراشد بالله الى ظاهر بغداد اوّل رمضان وسار الى طريق خراسان ثم عاد بعد ثلاثة ايام ونزل عند جامع السلطان ثم دخل الى بغداد خامس رمضان وارسل الى داود وسائر الامراء يامرهم بالعود الى بغداد فعادوا ونزلوا فى الخيام وعزموا على قتال السلطان مسعود من داخل سور بغداد ووصلت رسل السلطان مسعود يبذل من نفسه الطاعة والموافقة للخليفة والتهديد لمن اجتمع عنده فعرض الخليفة الرسالة عليهم فكلهم رأى قتاله فقال لهم الخليفة وانا ايضا معكم على ذلك

(ذكر ملك شهاب الدين حمص)

فى هذه السنة فى الثانى والعشرين من ربيع الاوّل تسلم شهاب الدين محمود صاحب دمشق مدينة حمص وقلعتها وسبب ذلك ان اصحابها أولاد الامير خير خان بن قراجا والوالى بها من قبلهم ضجروا من كثرة تعرض عسكر عماد الدين زنكى اليها والى اعمالها وتضييقهم على من بها من جندى وعامى فراسلوا شهاب الدين فى ان يسلموها اليه ويعطيهم عوضا عنها تدمر فاجابهم الى ذلك وسار اليها وتسلمها منهم فى التاريخ المذكور وسلم اليهم تدمر واقطع حمص مملوك جده معين الدين انر وجعل فيها نائبا عنه ممن يثق اليه من اعيان اصحابه وعاد عنها الى دمشق فلما رأى عسكر زنكى بحلب وحماة خروج حمص عن أيديهم تابعوا الغارات الى بلدها والنهب له والاستيلاء على كثير منه فجرى بينهم عدة وقائع وأرسل شهاب الدين الى زنكى فى المعنى واستقر الصلح بينهم وكف كل منهم عن صاحبه

(ذكر الفتنة بدمشق)

فى هذه السنة وقعت الفتنة بدمشق بين صاحبها والجند وسبب ذلك ان الحاجب يوسف بن فيروز كان اكبر حاجب عند أبيه وجده ثم انه خاف أباه شمس الملوك وهرب

الالفية الا احمد بك زوج عديلة هانم بنت ابراهيم بك الكبير فانه كان غائبا بناحية بوش وامين بك تسلق من القلعة وهرب الى ناحية الشام وعمر بك ايضا الالفى كان مسافرا فى ذلك اليوم الى الفيوم فقتلوه هنالك وبعثوا برأسه بعد خمسة ايام ومعها نحو الخمسة عشر رأسا وأرسل دبوس اوغلى حاكم المنية خمسة وثلاثين رأسا وحضر من ناحية بحرى غير ذلك كثير *(واما من قتل فى ذلك اليوم ممن له ذكر وبلغنى خبره)* فهم شاهين بك كبير الالفية ويحيى بك ونعمان بك وحسين بك الصغير ومصطفى بك الصغير ومراد بك وعلى بك هؤلاء من الالفية ومن غيرهم احمد بك الكيلارجى ويوسف بك ابو دياب وحسن بك صالح ومرزوق بك ابن ابراهيم بك الكبير وسليمان بك البواب واحمد بك تابعه ورشوان بك وابراهيم بك تابعاه وقاسم بك تابع مراد بك الكبير وسليم بك الدمرجى ورستم بك الشرقاوى ومصطفى بك أيوب ومصطفى بك تابع عثمان بك حسن وعثمان بك ابراهيم وذو الفقار تابع جوجر وهو رجل كبير من الاقدمين البطالين هرب هو ومصطفى بك الجداوى وآخر عند صالح بك السلحدار والتجؤا اليه وطمنهم وارسل بخبرهم فحضر الامر بقطع رؤسهم فاحضر المشاعلى وقطع رؤسهم فى مقعده وأرسلها * ومن الامراء الكشاف الالفية فهم على

كاشف الخازندار وعثمان كاشف الحبشى ويحيى كاشف ومرزوق كاشف وعبد العزيز كاشف ورشوان كاشف
وسليم كاشف طظر وقايد
كاشف وجعفر كاشف وعثمان
كاشف ومحمد كاشف ابو قطية
واحمد كاشف الفلاح واحمد
كاشف صهر محمد اغا وخليل
كاشف وعلى كاشف قيطاس
واحمد كاشف وموسى كاشف
وغير ذلك ممن لم يحضرنى
اسماؤهم وهم كثيرون وختم
الله للجميع بالخير فانه بلغنى
عمن عاينهم بالمحبوس وفى حال
القتل انهم كانوا يقرؤن
القرآن وينطقون بالشهادتين
والاستغفار وبعضهم طلب
ماء وتوضا وصلى ركعتين قبل
ان يرمى عنقه ومن لم يجد ماء
تيمم ولاشتغال أهل المقتولين
بانفسهم وماحصل لهم من
النهب والسلب والتشتيت
عن اوطانهم لم يعوا ولم يسالوا
عن موتاهم غير ام مرزوق بك
ابن ابراهيم بك الكبير فانها
وجدت عليه وجدا عظيما
وطلبته فى القتلى فعرفوا جثته
بعلامة فيه وجمجمته بكونه
كان كريم العين فاخرجوه
وكفنوه ودفنوه فى تربتهم
وذلك بعد مضى يومين من
الحادثة واجتمع عندها
الكثير من اهل المقتولين
ونسائهم واقاموا على ذلك
شهورا (وفى يوم الحادثة)
ارسل محرم بك صهر الباشا
حاكم الجيزة فجمع مال المصرية
باقليم الجيزة فى الربيع من الخيول والجمال والهجن وغيرها فكان شيئا كثيرا (وفى ثامنه) نودى على نساء

فيها

منه الى تدمر فلما كان فى هذه السنة سأل ان يحضر الى دمشق وكان يخاف جماعة المماليك لانه كان اساء اليهم وعاملهم أقبح معاملة فكلهم عليه حنق لاسيما فى الحادثة التى خرج فيها شمس الملوك وقد تقدمت فانه أشار بقتل جماعة برأيه وبقتل سونج بن تاج الملوك فصاروا كلهم أعداء مبغضين فلما طلب الامان والحضور الى دمشق أجيب الى ذلك فانكر جماعة الامراء والمماليك قربه وخافوه ان يفعل بهم مثل فعله الاول فلم يزل يتوصل معهم حتى حلف لهم واستحلفهم وشرط على نفسه انه لا يتولى من الامور شيئا ثم انه جعل يدخل نفسه فى كثير من الامور فاتفق اعداؤه على قتله فبينما هو يسير مع شهاب الدين والى جانبه امير اسمه بزاوش يحادثه اذ ضربه بزاوش بالسيف فقتله فحمل ودفن فى تربة والده بالعقيبة ثم ان بزاوش والمماليك خافوا فلم يدخلوا البلد ونزلوا بظاهره وأرسلوا يطلبون قواعد استطالوا فيها فاجابهم الى البعض فلم يقبلوا منه ثم ساروا الى بعلبك وبها شمس الملوك محمد بن تاج الملوك صاحبها فصاروا معه فالتحق بهم كثير من التركمان وغيرهم وشرعوا فى العيث والفساد واقتضت الحال مراسلتهم وملاطفتهم واجابتهم الى ما طلبوا واستقرت الاحوال على ذلك وحلف كل منهم لصاحبه فعادوا الى ظاهر دمشق ولم يدخلوا البلد وخرج شهاب الدين صاحب دمشق اليهم واجتمع بهم وتجددت الايمان وصار بزاوش مقدم العسكر واليه الحل والعقد وذلك فى شعبان وزال الخلف ودخلوا البلد والله أعلم

(ذكر غزاة العسكر الاتابكى الى بلاد الفرنج)

فى هذه السنة فى شعبان اجتمعت عساكر أتابك زنكى صاحب حلب وحماة مع الامير اسوار نائبه بحلب وقصدوا بلاد الفرنج على حين غفلة منهم وقصدوا أعمال اللاذقية ولم يتمكن أهلها من الانتقال عنها والاحتراز فنهبوا منها ما يزيد عن الوصف وقتلوا وأسروا وفعلوا فى بلاد الفرنج مالم يفعله بهم غيرهم وكان الاسرى سبعة آلاف أسير مابين رجل وامرأة وصبي ومائة الف رأس من الدواب مابين فرس وبغل وحمار وبقر وغنم وأما ماسوى ذلك من الاقمشة والعين والحلى فيخرج عن الحد وأخربوا بلد اللاذقية وماجاورها ولم يسلم منها الا القليل وخرجوا الى شيزر بما معهم من الغنائم سالمين منتصف رجب فامتلأ الشأم من الاسارى والدواب وفرح المسلمون بذلك فرحا عظيما ولم يقدر الفرنج على شئ يفعلونه مقابل هذه الحادثة عجزا منهم ووهنا وضعفا

(ذكر وصول السلطان مسعود الى العراق وتفرق اصحاب الاطراف ومسير الراشد بالله الى الموصل)

قيل لما بلغ السلطان مسعودا اجتماع الملك داود والامراء ببغداد على خلافه وخطب للملك داود ابن اخيه السلطان محمود جمع العساكر وسار الى بغداد فنزل بالملكية فسار بعض العسكر حتى شارفوا عسكره وطاردوهم وكان فى الجماعة زين الدين على امير من امراء اتابك زنكى ثم عادوا ووصل السلطان فنزل على بغداد وحصرها وجميع العساكر

فيها وثار العيارون ببغداد وسائر محالها وافسدوا ونهبوا وقتلوا حتى انه وصل صاحب لاتابك زنكي ومعه كتب فخرجوا عليه واخذوها منه وقتلوه فحضر جماعة من اهل المحال عند الاتابك زنكي واشاروا عليه بنهب المحال الغربية فليس فيها غير عيار ومفسد فامتنع من ذلك ثم ارسل بنهب الحريم الطاهري فاخذ منه من الاموال الشئ الكثير وسبب ذلك ان العيارين فيه واخذوا اموال الناس ونهبت العساكر غير الحريم من المحال وحصرهم السلطان نيفا وخمسين يوما فلم يظفر بهم فعاد الى النهروان عازما على العود الى همذان فوصله طرنطاي صاحب واسط ومعه سفن كثيرة فعاد اليها وعبر فيها الى غربي دجلة واراد العسكر البغدادي منعه فسبقهم الى العبور واختلفت كلمتهم فعاد الملك داود الى بلاده في ذي القعدة وتفرق الامراء وكان عماد الدين زنكي بالجانب الغربي فعبر اليه الخليفة الراشد بالله وسار معه الى الموصل في نفر يسير من اصحابه فلما سمع السلطان مسعود بمفارقة الخليفة وزنكي بغداد سار اليها واستقر بها ومنع اصحابه من الاذى والنهب وكان وصوله منتصف ذي القعدة فسكن الناس واطمانوا بعد الخوف الشديد وامر فجمع القضاة والشهود والفقهاء وعرضوا عليهم اليمين التي حلف بها الراشد بالله لمسعود وفيها بخط يده انى متى جندت أو خرجت أو لقيت أحدا من اصحاب السلطان بالسيف فقد خلعت نفسي من الامر فافتوا بخروجه من الخلافة وقيل غير ذلك وسنذكره في خلافة المقتفي لامر الله وكان الوزير شرف الدين علي بن طراد وصاحب المخزن كمال الدين بن البقشلاني وابن الانباري مع السلطان لانهم عنده مذ اسرهم مع المسترشد بالله فقدحوا في الراشد ووافقهم على ذلك اصحاب المناصب ببغداد الا اليسير لانهم كانوا يخافونه وكان قد قبض بعضهم وصادر بعضا واتفقوا على ذمه فتقدم السلطان بخلعه واقامة من يصلح فخلع وقطعت خطبته في بغداد في ذي القعدة وسائر البلاد وكانت خلافته أحد عشر شهرا واحد عشر يوما وقتله الباطنية على ما نذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر خلافة المقتفي لامر الله)

لما قطعت خطبة الراشد بالله استشار السلطان جماعة من اعيان بغداد منهم الوزير علي بن طراد وصاحب المخزن وغيرهما فيمن يصلح ان يلي الخلافة فقال الوزير احد عمومة الراشد وهو رجل صالح قال من هو وقال من لا قدر ان افصح باسمه لئلا يقتل فتقدم اليهم بعمل محضر في خلع الراشد فعملوا محضرا ذكروا فيه ما ارتكبه من اخذ الاموال واشياء تقدح في الامامة ثم كتبوا فتوى ما تقول العلماء فيمن هذه صفته هل يصلح للامامة أم لا فافتوا ان من هذه صفته لا يصلح ان يكون اماما فلما فرغوا من ذلك حضروا القاضي أبا طاهر بن الكرخي فشهدوا عنده بذلك فحكم بفسقه وخلعه وحكم بعده غيره ولم يكن قاضي القضاة حاضرا فانه كان عند اتابك زنكي بالموصل ثم ان شرف الدين الوزير ذكر للسلطان أبا عبد الله الحسين وقيل محمد بن المستظهر بالله ودينه وعقله

المقتولين بالامان وان يحضرن الى بيوتهن و يسكن فيها مع كونها صارت بلاقع فرجع البعض ومن اللاتي لم يحصل لهن كثير الضرر وبقي البعض في اختفائه وانعم الباشا على خواصه بالبيوت بما فيها فنزلوها وسكنوها والبسوا النساء الخواتم وجددوا الفرش والاواني وغالبها من المنهوبات وانعم ببيت شاهين بك على حسين اغا من اقاربه ولم يحصل به ما حصل بغيره لكونه ملاصقا لبيت طاهر باشا وارسل الباشا طائفة من العسكر جلسوا على بابه واما احمد بك الالفي فانه وصله النذير فانتقل من بوش وذهب عند الامراء القبالي ولما وصلتهم اخبار هذه الحادثة وبلغ ابراهيم بك موت ولده على هذه الصورة اقاموا العزاء على اخوانهم ولبسوا السواد (وفي ثاني يوم الوقعة) حضر احد الكشاف رسولا من عند الامراء القبليين يطلبون العفو من الباشا وان يعطيهم جهة يتعيشون منها فوعده برد الجواب في غير الوقت فاهمله وما ادرى ما تم له (وفيه) قلد الباشا مصطفى بك ابن اخته وجعله كبيرا على طائفة الدلاة وكان احضره من ناحية الشرقية ليذهب الى قبلي واقام بدله في كشوفية الشرقية علي كاشف بن احمد كتخدا من المصرلية (وفي ثامن عشره) عدى مصطفى بك المذكور الى بر الجيزة ايسافر الى قبلي ونصب وطاقه بجري القصر وعدى ايضا الباشا واقام بالقصر وشرع عسكره

وعقده وابن جانبه فحضر السلطان دار الخلافة ومعه الوزير شرف الدين الزينبي وصاحب المخزن ابن البقشلاني وغيرهما وأمر باحضار الامير ابي عبد الله بن المستظهر من المكان الذي يسكن فيه فاحضر وأجلس في المثمنة ودخل السلطان اليه والوزير وتحالفا وقرر الوزير القواعد بينهما وخرج السلطان من عنده وحضر الامراء وأرباب المناصب والقضاة والفقهاء وبايعوا ثامن عشر ذي الحجة ولقب المقتفي لامر الله قيل سبب اللقب انه رأى النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يلي الخلافة بستة أيام وهو يقول له ان هذا الامر يصير اليك فاقتف بي فلقب بذلك ولما استخلف سيرت الكتب الحكمية بخلافته الى سائر الامصار واستوزر شرف الدين علي بن طراد الزينبي فارسل الى الموصل وأحضر قاضي القضاة أبا القاسم علي بن الحسين الزينبي ابن عم الوزير وأعاده الى منصبه وقرر كمال الدين حمزة بن طلحة على منصبه صاحب المخزن وجرت الامور على أحسن نظام وبلغني ان السلطان مسعودا أرسل الى الخليفة المقتفي لامر الله في تقرير اقطاع يكون لخاصته فكان جوابه ان في الدار ثمانين بغلا تنقل الماء من دجلة فلينظر السلطان ما يحتاج اليه من يشرب هذا الماء ويقوم به فتقررت القاعدة على ان يجعل له ما كان للمستظهر بالله فاجاب الى ذلك وقال السلطان لما بلغه قوله لقد جعلنا في الخلافة رجلا عظيما والمقتفي عم الراشد وهو والمسترشد ابنا المستظهر وليا الخلافة وكذلك السفاح والمنصور اخوان وكذلك المهدي والرشيد اخوان وكذلك الواثق والمتوكل اخوان وأما ثلاثة اخوة ولوا الخلافة فالامين والمامون والمعتصم بنو هارون الرشيد والمكتفي والمقتدر والقاهر بنو المعتضد والراضي والمتقي والمطيع بنو المقتدر واما اربعة اخوة ولوها فالوليد وسليمان ويزيد وهشام بنو عبد الملك بن مروان لا يعرف غيرهم وحين استقرت الخلافة للمقتفي أرسل اليه الراشد بالله رسولا من الموصل مع رسول اتابك زنكي وكان كمال الدين محمد بن عبد الله الشهرزوري فاحضر في الديوان وسمعت رسالته وحكى لي والدي عنه قال لما حضرت الديوان قيل لي تبايع أمير المؤمنين فقلت أمير المؤمنين عندنا في الموصل وله في اعناق الخلق بيعة متقدمة وطال الكلام وعدت الى منزلي فلما كان الليل جاءتني امرأة عجوز سرا واجتمعت بي وابلغتني رسالة عن المقتفي لامر الله مضمونها اعتابي على ما قلته واستنزالي عنه فقلت غدا أخدم خدمة يظهر اثرها فلما كان الغد حضرت الى الديوان وقيل لي في معنى البيعة فقلت أنا رجل فقيه قاض ولا يجوز لي ان ابايع الا ان يثبت عندي خلع المتقدم فاحضروا الشهود وشهدوا عندي في الديوان بما أوجب خلعه فقلت هذا ثابت لا كلام فيه ولكن لابد لنا في هذه الدعوى من نصيب لان أمير المؤمنين قد حصل له خلافة الله في أرضه والسلطان فقد استراح ممن كان يقصده ونحن باي شيء نعود فرجع الامر الى الخليفة فامر ان يعطى اتابك زنكي صريفين ودرب هرون وحربى ملكا وهي من خاص الخليفة ويزاد في القابه وقال هذه قاعدة لم يسمع بها لاحد من زعماء الاطراف ان يكون لهم نصيب من خاص الخليفة وكانت بيعة كمال الدين سنة احدى وثلاثين وخمسمائة ولما عاد كمال

(وفيه ايضا) خرج عدة من عسكر الدلاة نحو الخمسمائة نفر الى ناحية قبة العزب الدلاة في التعذية ليلا ونهارا ليسافروا الى بلادهم فاستمروا في قضاء اشغالهم اياما ثم سافروا (وفي يوم الاثنين ثالث عشرينه) ارتحل مصطفى بك وانتقل الى ناحية الشيخ عثمان مسافرا الى قبلي وعدى الباشا راجعا الى مصر (وفيه حضر) ططريان من الروم يبشران بالعفو عن يوسف باشا المنفصل عن الشام وقبل فيه ترجي باشة مصر وشفاعته (وفي يوم الاربعاء خامس عشرينه) احضروا من ناحية قبلي أربعة وستين شخصا واكثرهم من الذين كانوا مستوطنين بالبلاد من بقايا البيوت القديمة السنين العديدة ومحترفين فلما احضروهم الى مصر القديمة أبقوهم الى الليل في محبس ثم اوقدوا المشاعل بساحل البحر وقطعوا رؤسهم ورموا بجثثهم الى البحر واتوا بالرؤس فوضعوها تجاه باب زويلة ليراها الناس كما راوا غيرها

(واستهل شهر ربيع الاول يوم الثلاثاء سنة ١٢٢٦) ٭ وفي يوم الاحد سادسه عمل الباشا لابنه طوسون باشا موكبا عظيما وتهيؤا في ليلتها على اجتماع العسكر في صبحها ونزل هو الى جامع الغوري ليتفرج على الموكب وصحبته حسن باشا واستعد لذلك السيد المحروقي وفرش له بالجامع المذكور فروشا ومراتب ووسائد فمر الموكب وفي اوله

الدين

الدين الشهرزوري سير لي يده المحضر الذي عمل بخلع الراشد فحكم به قاضي القضاة الزينبي بالموصل وكان عند اتابك زنكي

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة عزل السلطان مسعود وزيره شرف الدين انوشروان بن خالد وعاد الى بغداد واقام بداره معزولا ووزر من بعده كمال الدين ابو البركات بن سلمة الدركزيني وهو من خراسان وفيها ثار العيارون ببغداد عند اجتماع العساكر بها وفتكوا في البلد ونهبوا الاموال ظاهرا وكثر الشر فقصد الشحنة شارع دار الرقيق وطلب العيارين فثار عليه اهل المحال الغربية فقاتلهم واحرق الشارع فاحترق فيه خلق كثير ونقل الناس اموالهم الى الحريم الطاهري فدخله الشحنة ونهب منه مالا كثيرا ثم وقعت فتنة ببغداد بين اهل باب الازج وبين اهل المأمونية وقتل بينهم جماعة ثم اصطلحوا وفيها سار قراسنقر في عساكر كثيرة في طلب الملك داود ابن السلطان محمود فاقام السلطان مسعود ببغداد ولم يزل قراسنقر يطلب داود حتى ادركه عند مراغة فالتقيا وتصافا واقتتل العسكران قتالا عظيما فانهزم داود واقام قراسنقر باذربيجان واما داود فانه قصد خوزستان فاجتمع عليه هناك عساكر كثيرة من التركمان وغيرهم فبلغت عدتهم نحو عشرة آلاف فارس فقصد تستر وحاصرها وكان عمه الملك سلجوق شاه ابن السلطان محمد بواسط فارسل الى اخيه السلطان مسعود يستنجده فامده بالعساكر فسار الى داود وهو يحاصر تستر فتصافا فانهزم سلجوق شاه وفيها توفي محمد بن حمويه ابو عبد الله الجويني وهو من مشايخ الصوفية المشهورين وله كرامات كثيرة ورواية الحديث وتوفي ايضا محمد بن عبد الله بن احمد بن حبيب العامري الصوفي مصنف شرح الشهاب وانشد لما احتضر

ها قد مددت يدي اليك فردها * بالعفو لا بشماتة الاعداء

وتوفي ايضا ابو عبد الله محمد بن الفضل بن احمد الفراوي الصاعدي راوي صحيح مسلم عن عبد الغافر الفارسي وطريقه اليوم اعلى الطرق واليه الرحلة من الشرق والغرب وكان فقيها مناظرا ظريفا يخدم الغرباء بنفسه وكان يقال الفراوي ألف راوي رحمه الله ورضي عنه

(ثم دخلت سنة احدى وثلاثين وخمسمائة)

(ذكر تفرق العساكر عن السلطان مسعود)

في هذه السنة في المحرم اذن السلطان مسعود للعساكر التي عنده ببغداد بالعود الى بلادهم لما بلغه ان الراشد بالله قد فارق اتابك زنكي من الموصل فانه كان يمسك العساكر عنده خوفا ان ينحدر به الى العراق فيملكه عليه فلما اراد ان ياذن للامير صدقة بن دبيس صاحب الحلة زوجه ابنته فمضى عسكره وقدم على السلطان مسعود جماعة من الامراء الذين حاربوه مع الملك داود منهم البقش السلاحي وبرسق بن برسق صاحب تستر وسنقر الخمارتكين شحنة همذان فرضي عنهم وامنهم وولى البقش شحنكية بغداد

طائفة الدلاة فلما فرغوا رموا بعشرة مدافع كبار على عربيات وعربيتين محملان هوين قنابر وخلفهم طوائف العسكر الرجالة ارنؤد واتراك وسجمان وهم كثيرون مختلطون من غير ترتيب مدة طويلة ثم كبارهم وكبرانا بطوائفهم ثم الوالي والمحتسب واغات مستحفظان ثم طوائف صاحب الموكب وجنائبه وكذا هجنه ثم الجاويشية والسعاة والملازمون ثم طوسون باشا وخلفه اتباعه واغواته ثم الكتخدا وهو محمد كتخدا المعروف بالبرديسي وهو الذي كان كتخدا الالفي وصحبته الخازندار وخلفهم النوبة التركية ولما انقضى امر الموكب دعاه المحروقي الى منزله فنزل معه من باب السر الذي بالجامع المعروف بالغوري وصحبته حسن باشا وتوجهوا الى بيت المحروقي وتغدى عنده هو واتباعه وخواصيه واحضر له آلات الطرب واستمر هناك الى آخر النهار في حظ وكيف وقدم له المحروقي تقادم هدية ثم ركب عائدا الى محله (وفي يوم الاثنين رابع عشره) نزل الباشا الى ترعة الفرعونية للاهتمام بسدها ونقل الاحجار في المراكب مستمر فاقام عند السد اربع ليال وذهب الى الاسكندرية عند ما اتته الاخبار بورود مراكب الانكليز لاجل مشترى الغلال فذهب ليبيع عليهم الغلال التي جمعها فباع عليهم كل اردب بمائة قرش رومي عنها اربعة آلاف فضة واكثر واجتهد في بناء اسوار الاسكندرية

فسف الناس وظلمهم وكان السلطان مسعود بعد تفرق العساكر عنه قد بقى معه ألف فارس وتزوّج الخليفة فاطمة أخت السلطان مسعود فى رجب والصداق مائة ألف دينار وكان الوكيل فى قبول النكاح وزير الخليفة على بن طراد الزينبي والوكيل عن السلطان وزيره الزركزينى ووثق السلطان حيث صار الخليفة وصدقة بن دبيس بن صدقة صهريه وحيث سار الراشد بالله من عند زنكى الاتابك والله أعلم

❁(ذكر عزل بهرام عن وزارة الحافظ ووزارة رضوان)❁

فى هذه السنة فى جمادى الاولى هرب تاج الدولة بهرام وزير الحافظ لدين الله العلوى صاحب مصر وكان قد استوزر بعد قتل ابنه حسن سنة تسع وعشرين وخمسمائة وكان نصرانيا أرمنيا فتمكن فى البلاد واستعمل الارمن وعزل المسلمين واساء السيرة فيهم واهانهم هو والارمن الذين ولاهم وطمعوا فيهم فلم يكن فى اهل مصر من انف من ذلك الا رضوان بن الريحينى فانه لما ساءه ذلك واقلقه جمع جمعا كثيرا وقصد القاهرة فسمع به بهرام فهرب الى الصعيد من غير حرب ولا قتال وقصد مدينة اسوان فمنعه واليها من الدخول اليها وقاتله فقتل السودان من الارمن كثيرا فلما لم يقدر على الدخول الى اسوان أرسل الى الحافظ يطلب الامان فامنه فعاد الى القاهرة فسجن بالقصر فبقى مدة ثم ترهب وخرج من الحبس واما رضوان فانه وزر للحافظ ولقب بالملك الافضل وهو أول وزير للمصريين لقب بالملك ثم فسد ما بينه وبين الحافظ فعمل الحافظ فى اخراجه فثار الناس عليه منتصف شوال فى سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة وهرب من داره وتركها فنهب الناس منها ما لا يحد ولا يحصى وركب الحافظ فسكن الناس ونقل ما بقى فى دار رضوان الى قصره واما رضوان فسار يريد الشام يستنجد الاتراك ويستنصرهم فارسل اليه الحافظ الامير ابن مصال ليرده بالامان والعهد انه لا يؤذيه فرجع الى القاهرة فحبسه الحافظ عنده فى القصر وقيل انه توجه الى الشام وهو الصحيح وقصد صرخد فوصل اليها فى ذى القعدة ونزل على صاحبها أمين الدولة كمشتكين فاكرمه وعظمه واقام عنده ثم سار الى مصر سنة اربع وثلاثين وخمسمائة ومعه عسكر فقاتل المصريين عند باب النصر وهزمهم وقتل منهم جماعة كثيرة واقام ثلاثة أيام فتفرق عنه كثير ممن معه فعزم على العود الى الشام فارسل اليه الحافظ الامير ابن مصال فرده وحبسه عنده فى القصر وجمع بينه وبين عياله واهله فاقام فى القصر الى سنة ثلاث واربعين فنقب الحبس وخرج منه وقد اعدت له خيل فهرب عليها وعبر النيل الى الجيزة فحشد وجمع المغاربة وغيرهم وعاد الى القاهرة فقاتل المصريين عند جامع ابن طولون وهزمهم ودخل القاهرة فنزل عند جامع الاقمر فارسل الى الحافظ يطلب منه مالا ليفرقه على عادتهم فانهم كانوا اذا وزروا وزيرا ارسلوا اليه عشرين الف دينار ليفرقها فارسل الحافظ عشرين الف دينار فقسمها وكثر عليه الناس وطلب زيادة فارسل اليه عشرين الف دينار ففرقها فتفرق الناس وخفوا

وجدد بها أبراجا وحصونا وارسل فطلب البنائين والصناع فجمعوهم من كل ناحية وطالت غيبته هناك واقامته لتتميم أغراضه وامن مشايخ عربان أولاد على المستولين على البحيرة وتحيل عليهم فلما حضروا اليه قبض عليهم وقرر عليهم اموالا عظيمة ثم خلع عليهم وعوقهم وارسل العساكر فنهبت نجوعهم وسبوا نساءهم واولادهم ومواشيهم واما كتخدا ابك فانه بمصر يقرر الفرض على البلاد هو والكتبة حسب أوامر مخدومه ونظموا كيفية أخرى وهى أنهم جمعوا الميرى والمضاف والفائظ والرزق ايراد أربع سنوات وكتبوا بها مراسيم بنصف المقرر ليقبض فى دفعتين وبعد أن تقرر النصف الاول ويحصل منه ما تحصل ويبقى الباقى مع النصف الآخر ويطلب من اربابه ولابد لا مسامحة فى شئ منه ومن تكفل بما تقرر على حصته والزم نفسه بدفعه وكتب على نفسه وثيقة لاجل طولب به حتى قبل حلول الاجل لاحتياج المهمات فتتوجه عليه الحوالات بيد العساكر فينزلون بداره ويلازمونها ويضيقون انفاسه ويكلفونه ما لا يطيق فلا يجد ملجا ولا خلاصا الا باحد الشيئين اما الدفع باى وجه كان واما ينزل عن حصته بالفراغ للديوان ولا يبقى بيده ما يتقوت به هو وعياله ويصبح فقير الاملاك شيأ ان لم يكن له ايراد من جهة أخرى

منه فاذا الصوت قد وقع وخرج اليه جمع كثير من السودان وضعهم الحافظ عليه فحملوا على غلمانه فقاتلوهم فقام يركب فقدم اليه بعض أصحابه فرسا ليركبه فلما اراد ركوبه ضرب الرجل رأسه بالسيف فقتله وحمل راسه الى الحافظ فارسله الى زوجته فوضع في حجرها فالقت به وقالت هكذا يكون الرجال ولم يستوزر الحافظ احدا وباشر الامور بنفسه الى ان مات

(ذكر فتح المسلمين حصن وادى ابن الاحمر من الفرنج)

وفى هذه السنة فى رجب سار عسكر دمشق مع مقدمهم الامير بزاوش الى طرابلس الشام فاجتمع معه كثير من الغزاة المتطوعة والتركمان أيضا خلق كثير فلما سمع القمص صاحبها بقربهم من ولايته سار اليهم فى جموعه وحشوده فقاتلهم وانهزم الفرنج وعادوا الى طرابلس فى صورة سيئة قد قتلت فرسانهم وشجعانهم فلما عادوا نهب المسلمون من أعمالهم أكثرها وحصروا حصن وادى ابن الاحمر وضيقوا عليه فملكوه عنوة ونهبوا ما فيه وقتلوا المقاتلة وسبوا الحريم والذرية وأسروا الرجال فاشتروا أنفسهم بمال جزيل وعاد المسلمون الى دمشق سالمين والله أعلم

(ذكر حصار زنكى مدينة حمص)

فى هذه السنة فى شعبان سار اتابك زنكى الى مدينة حمص وقدم اليها حاجبه صلاح الدين محمد الباغيسيانى وهو أكبر أمير معه وكان ذا مكر وحيل أرسله ليتوصل مع من فيها ليسلموها اليه فوصل اليها وفيها معين الدين أنز وهو الوالى عليها والحاكم فيها وهو أيضا أكبر أمير بدمشق وحمص اقطاعه كما سبق ذكره فلم ينفذ فيه مكره فوصل حينئذ زنكى اليها وحصرها وعاود مراسلة أنز فى التسليم غير مرة تارة بالوعد وتارة بالوعيد واحتج بانها ملك صاحبه شهاب الدين وانها بيده أمانة ولا يسلمها الا عن غلبة فاقام عليها الى العشرين من شوال ورحل عنها من غير بلوغ غرض الى بعرين فحصرها وكان منه ومن الفرنج ما نذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر ملك زنكى قلعة بعرين وهزيمة الفرنج)

وفى هذه السنة فى شوال سار اتابك زنكى من حمص كما ذكرناه وحصر قلعة بعرين وهى للفرنج تقارب مدينة حماة وهى من أمنع الحصون وأحصنها فلما نزل عليها قاتلها وزحف اليها فجمع الفرنج فارسهم وراجلهم وساروا فى قضهم وقضيضهم وملوكهم وقمامصتهم وكنودهم الى أتابك زنكى ليرحلوه عن بعرين فلم يرحل وصبر لهم الى ان وصلوا اليه فلقيهم وقاتلهم أشد قتال رآه الناس وصبر الفريقان ثم أجلت الوقعة عن هزيمة الفرنج واخذتهم سيوف المسلمين من كل جانب واحتمى ملوكهم بحصن بعرين لقربه منهم فحصرهم المسلمون ومنع اتابك زنكى عنهم كل شئ حتى الاخبار فكان من به منهم لا يعلم شيئا من أخبار بلادهم لشدة ضبط الطرق وهيبته على جنوده

(واستهل شهر ربيع الثانى سنة ١٢٢٦) والكتخدا يتنوع فى استجلاب الاموال ويتحيل فى استخراجها بانواع من الحيل فمنها انه يرسل الى أهل حرفة من الحرف ويأمرهم ببيع بضاعتهم بنصف ثمنها ويظهر انه يريد الشفقة والرأفة بالناس ويرخص لهم فى اسعار المبيعات وان أرباب الحرف تعدوا الحدود فى غلاء الاسعار فيجتمع اهل الحرفة ويضجون ويأتون بدفاترهم وبيان رأس مالهم وما ينضاف اليه من غلو جزئيات ثلاث البضاعة وما استحدث عليها من الجمارك والمكوس وغلو الاجر فى البحر والبر فلا يستمع لقولهم ولا يقبل لهم عذرا ويأمر بهم الى الحبس فعند ذلك يطلبون الخلاص ويصالحون على انفسهم بقدر من المال يدفعونه ويوزعون ذلك على افرادهم فيما بينهم ثم يزيدون فى سعر ثلاث البضاعة ليعوضوا اغراماتهم من الناس معتذرين بتلك الغرامة وما حل بهم من الخسارة ثم تستمر الزيادة على الدوام واظن استمرار الغرامة ايضا فجمع بهذه الكيفية اموالا عظيمة وهى فى الحقيقة سلب اموال الناس من الاغنياء والفقراء (وفى اواخره) حضر الباشا من الاسكندرية على حين غفلة فبات بقصر شبرا ثم حضر الى بيت الازبكية فاقام به يومين ثم طلع الى القلعة (وفيه وصلت) عساكر كثيرة من الارنؤد والاتراك حتى غصت بهم المدينة فلا يكاد المار

ويداخل الازقة والعطف وذلك خلاف الذين اقرهم وابقاهم فى الاسكندرية

يقع بصره الا عليهم امام وخلف ومن هو بالجهات والاقاليم القبلية والبحرية وما يعلم جنود بك الاهو (وفيه) اهتم الباشا بتشهيل العرضى اهتماما زائدا وفرض على البلاد جمالا واتبانا وغلالا

(واستهل شهر جمادى الأولى سنة ١٢٢٦)

فيه ورد قاصد من الديار الرومية وعلى يده بشارة بانه ولد للسلطان مولودة أنثى فعملوا لها شنكا وهى مدافع تضرب من ابراج القلعة فى الاوقات الخمسة ثلاثة ايام (وفيه) فرضوا فرضة بغال على مياسير الناس واهل الحرف بغلة وبغلتين وثلاثة والذى لم يكن عنده بغلة تلزم بالشراء اوانه يدفع ثمنها كيسا عشرون الف فضة (وفيه) انقطع الوارد من الديار الحجازية وغلا سعر البن حتى وصل الى مائتين وسبعين نصف فضة كل رطل وقل وجوده من الاسواق والدكاكين فلا يوجد الامع المشقة وصنع الناس القهوة من انواع الحبوب المحمصة كالشعير والقمح والفول وبزر الماقول وغيره مخلوطا مع البن وبغير خلط

(واستهل شهر جمادى الثانية سنة ١٢٢٦)

فى عشرينه خرج الباشا الى البركة وطلب الجمال وقوافل العرب وشهل طائفة من العسكر للسفر الى السويس فاهتموا بالدخول والخروج من المدينة وطفقوا يخطفون (ذكر

ثم ان القسوس والرهبان دخلوا بلاد الروم وبلاد الفرنج وما والاهما من بلاد النصرانية مستنفرين على المسلمين واعلموهم ان زنكى ان اخذ قلعة بعرين ومن فيها من الفرنج ملك جميع بلادهم فى أسرع وقت لعدم الحامى عنها وان المسلمين ليس لهم نية الا قصد البيت المقدس فحينئذ اجتمعت النصرانية وساروا على الصعب والذلول وقصدوا الشام مع ملك الروم وكان منهم ما نذكره واما زنكى فانه جد فى قتال الفرنج فصبروا وقلت عليهم الميرة والذخيرة فانهم كانوا غير مستعدين ولم يكونوا يعتقدون ان احدا يقدر عليهم بل كانوا يتوقعون ملك باقى البلاد بالشام فلما قلت الذخيرة اكلوا دوابهم واذعنوا بالتسليم ليؤمنهم ويتركهم يعودون الى بلادهم فلم يجبهم الى ذلك فلما سمع بقرب ملك الروم من الشام واجتماعه بمن بقى من الفرنج اعطى لمن فى الحصن الامان وقرر عليهم تسليم الحصن ومن المال خمسين الف دينار يحملونها اليه فاجابوه الى ذلك فخرجوا وسلموا اليه فلما فارقوه بلغهم اجتماع من اجتمع بسببهم فندموا على التسليم حيث لا ينفعهم الندم وكان لا يصلهم شئ من الاخبار البتة فلهذا سلموه وكان زنكى فى مدة مقامه عليهم فتح المعرة وكفرطاب من الفرنج فكان اهلها واهل سائر الولايات التى بينها وبين حلب وحماة مع اهل بعرين فى الخزى لان الحرب بينهم قائمة على ساق والنهب والقتل لا يزال بينهم فلما ملكها امن الناس وعمرت البلاد وعظم دخلها وكان فتحا مبينا ومن رآه علم صحة قولى ومن أحسن الاعمال ما عمله زنكى مع اهل المعرة فان الفرنج لما ملكوها كانوا قد اخذوا املاكهم فلما فتحها زنكى الآن حضر من بقى من اهلها ومعهم اعقاب من هلك وطلبوا املاكهم فطلب منهم كتبها فقالوا ان الفرنج اخذوا كل ما لنا والكتب التى للاملاك فيها فقال اطلبوا دفاتر حلب وكل من عليه خراج على ملك يسلم اليه ففعلوا ذلك واعاده لى الناس املاكهم وهذا من أحسن الافعال واعدلها

(ذكر خروج ملك الروم من بلاده الى الشام)

قد تقدم ان الفرنج ارسلوا الى ملك القسطنطينية يستصرخون به ويعرفونه ما فعله زنكى فيهم ويحرضونه على لحاق البلاد قبل ان تملك ولا ينفعه حينئذ المجئ فتجهز وسار مجدا فابتدأ وركب البحر وسار الى مدينة انطاكية وهى له على ساحل البحر فارسى فيها واقام ينتظر وصول المراكب التى فيها اثقاله وسلاحه فلما وصلت سار عنها الى مدينة نيقية فحصرها وان اصحابها صالحوه على مال يؤدونه اليه وقيل بل ملكها وسار عنها الى مدينة اذنة ومدينة المصيصة وهما بيد ابن ليون الارمنى صاحب قلاع الدروب فحصرهما وملكهما ورحل الى عين زربة فحصرها وملكها عنوة وملك تل حمدون وحمل اهله الى جزيرة قبرس وعبر مينا الاسكندرية وخرج الى الشام فحصر مدينة انطاكية فى ذى القعدة وضيق على اهلها وبها صاحبها الفرنجى ريمند فترددت الرسل اليهم ومشوا بينهم فتصالحا ورحل عنها الى بغراس ودخل منها الى بلد ابن ليون الارمنى فبذل له ابن ليون أموالا كثيرة ودخل فى طاعته والله اعلم

٭(ذكر عدة حوادث)٭

فى هذه السنة رابع عشرين فى ايار ظهر بالشام سحاب اسود واظلمت له الدنيا وصار الجو كالليل المظلم ثم طلع بعد ذلك سحاب احمر كانه النار اضاءت له الدنيا وهبت ريح عاصفة القت كثيرا من الشجر وكان اشد ذلك بحوران ودمشق وجاء بعده مطر شديد وبرد كبار وفيها عاد مؤيد الدين ابو الفوارس المسيب على بن الحسين المعروف بابن الصوفى من صرخد الى دمشق وكان قد اخرج هو واهله من دمشق الى صرخد فبقوا فيها الى الآن وعادوا وولى ابو الفوارس الرياسة بدمشق وحكم فيها حكما ماضيا وكان ذا رياسة عظيمة ومروأة ظاهرة وفيها كثرت الامراض ببغداد وكثر الموت فجاة باصفهان وهمذان وفيها سار اتابك زنكى الى دقوقا فحصرها وملكها بعد ان قاتل على قلعتها قتالا شديدا وفيها توفى ابو سعيد احمد بن محمد بن ثابت الخجندى رئيس الشافعية باصفهان وتفقه على والده ودرس بالنظامية باصفهان وتوفى ابو القاسم هبة الله بن احمد بن عمر الحريرى ومولده يوم عاشوراء سنة خمس وثلاثين واربعمائة وهو آخر من روى عن ابى الحسن زوج الحرة وقد روى الخطيب ابو بكر بن ثابت عن زوج الحرة ايضا وكانت وفاة الخطيب سنة ثلاث وستين واربعمائة

٭(ثم دخلت سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة)٭

٭(ذكر ملك اتابك زنكى حمص وغيرها من عمل دمشق)٭

وفى هذه السنة فى المحرم وصل اتابك زنكى الى حماة وسار منها الى بقاع بعلبك فملك حصن المجدل وكان لصاحب دمشق وراسله مستحفظ بانياس واطاعه وهو ايضا لصاحب دمشق وسار الى حمص فحصرها وأدام قتالها فلما نازل ملك الروم حلب رحل عنها الى سلمية فلما انجلت حادثة الروم على ما ذكرناه عاود منازلة حمص وارسل الى شهاب الدين صاحب دمشق يخطب اليه أمه ليتزوجها واسمها زمردخاتون ابنة جاولى وهى التى قتلت ابنها شمس الملوك وهى التى بنت المدرسة بظاهر دمشق المطلة على وادى شقرا ونهر بردى فتزوجها وتسلم حمص مع قلعتها وحملت الخاتون اليه فى رمضان وانما حمله على التزوج بها مارأى من تحكمها فى دمشق فظن انه يملك البلد بالاتصال اليها فلما تزوجها خاب امله ولم يحصل على شئ فاعرض عنها

٭(ذكر وصول ملك الروم الى الشام وملكه بزاعة وما فعله بالمسلمين)٭

قد ذكرنا سنة احدى وثلاثين وخمسمائة خروج ملك الروم من بلاده وشغله بالفرنج وابن ليون فلما دخلت هذه السنة وصل الى الشام وخافه الناس خوفا عظيما وقصد بزاعة فحصرها وهى مدينة لطيفة على ستة فراسخ من حلب فمضى جماعة من اعيان حلب الى أتابك زنكى وهو يحاصر حمص فاستغاثوا به واستنصروه فسير معهم كثيرا من العساكر فدخلوا الى حلب ليمنعوها من الروم ان حصروها ثم ان ملك الروم قاتل بزاعة

الحمير والبغال والجمال وكل ماصادفوه من الدواب ومن وجدوه راكبا ولو من وجهاء الناس أنزلوه عن دابته وركبوها فانقبض الناس وانكمش غالبهم عن الركوب لمصالحهم واخفوا حميرهم وبغالهم واقام الباشا ثلاثة أيام جهة البركة ثم ركب الى السويس (وفيه) وردت مراكب وداوات وفيها البن وذلك باستدعاء الباشا لها من ناحية جدة واليمن لاجل حمل العساكر واللوازم وانحل سعر البن قليلا

٭(واستهل شهر رجب سنة ١٢٢٦)٭

فى ثانى عشرينه يوم الاثنين الموافق لسابع مسرى القبطى أوفى النيل اذرعه وكسر السد فى صبحها يوم الثلاثاء بحضرة كتخدا بك والباشا غائب بالسويس

٭(واستهل شهر شعبان سنة ١٢٢٦)٭

فى ثانيه سافر ديوان افندى بمن بقى من العساكر البحرية وفى يوم الثلاثاء ثامنه حضر الباشا من السويس وشرع فى تشهيل العساكر البرية (وفى خامس عشره) خرج الباشا الى العادلية واجتهد فى تشهيل سفر العساكر البرية اجتهادا كبيرا وجمع من أهل كل حرفة طائفة وكذلك من أهل كل صنعة والذى يعجز عن السفر يخرج عنه بدلا وتعين من الفقهاء للسفر الشيخ محمد المهدى من الشافعية ومن الحنفية السيد احمد الطحطاوى وشيخ حنبلى وصل من ناحية الشام وكانوا

رسموا باحضار السيد حسن كريت المالكى ٢٦ من رشيد والشيخ على خفاجى من دمياط فحضرا واعتذرا فاعفيا من السفر ورجعا الى بلديهما

(وفى هذا الشهر ظهر نجم له ذنب فى جهة الشمال) بين بنات نعش الصغرى وبين منار بنات نعش الكبرى وراسه جهة المغرب وذنبه صاعد الى جهة المشرق وله شعاع مستطيل فى مقدار الرمح واستمر يظهر فى كل ليلة والناس ينظرون اليه ويتحدثون به ويسالون الفلكيين عنه ويبحثون عن دلالته وعن الملاحم المصنفة فى ذوات الاذناب واستمر ظهوره قريبا من ثلاثة اشهر واضمحل بعض جرمه ومشى الى ناحية الجنوب وقرب من النسر الطائر

(واستهل شهر رمضان بيوم الاربعاء سنة ١٢٢٦) وفى يوم الخميس تاسعه ارتحل العسكر من الحصوة ونزلوا ببركة الحج (وفى يوم الاحد ثانى عشره) ارتحلوا من البركة فكان مدة مكث العرضى من يوم خروج الموكب الى يوم ارتحالهم من البركة قريبا من ستة اشهر ونصف والناس فى امر مريج فى كل شئ (وفيه) خرج السيد محمد المحروقى ليسافر صحبة الركب وخرج فى موكب جليل لانه هو المشار اليه فى رياسة الركب ولوازمه واحتياجاته وامور العربان ومشايخها واوصى الباشا ولده طوسون باشا امير العسكر بان الخطيب

ونصب عليها منجنيقات وضيق على من بها فملكها بالامان فى الخامس والعشرين من رجب ثم غدر باهلها فقتل منهم واسر وسبى وكان عدة من جرح فيها من اهلها خمسة آلاف وثمانمائة نفس وتنصر قاضيها وجماعة من اهلها نحو اربعمائة نفس واقام الروم بعد ملكها عشرة ايام يتطلبون من اختفى فقيل لهم ان جمعا كثيرا من اهل هذه الناحية قد نزلوا المغارات فدخنوا عليهم وهلكوا فى المغار ثم رحلوا الى حلب من الغد فى خيلهم ورجلهم فخرج اليهم أحداث حلب فقاتلهم قتالا شديدا فقتل من الروم وجرح خلق كثير وقتل بطريق جليل القدر عندهم وعادوا خاسرين واقاموا ثلاثة ايام فلم يروا فيها طمعا فرحلوا الى قلعة الاثارب فخاف من فيها من المسلمين فهربوا عنها تاسع شعبان فملكها الروم وتركوا فيها سبايا بزاعة والاسرى ومعهم جمع من الروم يحفظونهم ويحمون القلعة وساروا فلما سمع الامير اسوار بحلب ذلك رحل فيمن عنده من العسكر الى الاثارب فاوقع بمن فيها من الروم فقتلهم وخلص الاسرى والسبي وعادوا الى حلب واما عماد الدين زنكى فانه فارق حمص وسار الى سلمية فنازلها وعبر ثقله الفرات الى الرقة وأقام جريدة ليتبع الروم ويقطع عنهم الميرة واما الروم فانهم قصدوا قلعة شيزر فانها من امنع الحصون وانما حصروها لانها لم تكن لزنكى فلا يكون له فى حفظها اهتمام وانما كانت للامير ابى العساكر سلطان بن على بن مقلد بن نصر بن منقذ الكنانى فنازلوها وحصروها ونصبوا عليها ثمانية عشر منجنيقا فارسل صاحبها الى زنكى يستنجده فسار اليه فنزل على نهر العاصى بالقرب منها بينها وبين حماة وكان يركب كل يوم ويسير الى شيزر هو وعساكره ويقفون بحيث يراهم الروم ويرسل السرايا فتاخذ من ظفرت به منهم ثم انه ارسل الى ملك الروم يقول له انكم قد تحصنتم منى بهذه الجبال فانزلوا منها الى الصحراء حتى نلتقى فان ظفرت بكم ارحت المسلمين منكم وان ظفرتم استرحتم واخذتم شيزر وغيرها ولم يكن له بهم قوة وانما كان يرهبهم بهذا القول واشباهه فاشار فرنج الشام على ملك الروم بمصافته وهونوا امره عليه فلم يفعل وقال اتظنون ان ليس له من العسكر الا ما ترون انما هو يريد ان تلقوه فيجيئه من نجدات المسلمين ما لا حد له وكان زنكى يرسل ايضا الى ملك الروم يوهمه بان فرنج الشام خائفون منه فلو فارق مكانه تخلفوا عنه ويرسل الى فرنج الشام يخوفهم من ملك الروم ويقول لهم ان ملك بالشام حصنا واحدا ملك بلادكم جميعا فاستشعر كل من صاحبه فرحل ملك الروم عنها فى رمضان وكان مقامه عليها اربعين يوما وترك المجانيق وآلات الحصار بحالها فسار اتابك زنكى يتبع ساقة العسكر فظفر بكثير ممن تخلف منهم واخذ جميع ما تركوه ولما كان الفرنج على بزاعة ارسل زنكى القاضى كمال الدين أبا الفضل محمد بن عبد الله ابن القاسم الشهرزورى الى السلطان مسعود يستنجده ويطلب العساكر فمضى الى بغداد وانهى الحال الى السلطان وعرفه عاقبة الاهمال وانه ليس بينه وبين الروم الا ان يملكوا حلب وينحدروا مع الفرات الى بغداد فلم يجد عنده حركة فوضع انسانا من اصحابه يوم جمعة فمضى الى جامع القصر ومعه جماعة من رنود العجم وامرهم ان يثوروا بهم اذا طلع

الخطيب المنبر ويصيح ويصيحون معه واسلاماه وادين محمداه ويشق ثيابه ويرمي عمامته
من راسه ويخرج الى دار السلطان والناس معه يستغيثون كذلك ووضع انسانا آخر
يفعل بجامع السلطان مثله فلما صعد الخطيب المنبر قام ذلك الرجل ولطم راسه والقى
عمامته وشق ثوبه وأولئك معه وصاحوا فبكى الناس وتركوا الصلاة ولعنوا
السلطان وساروا من الجامع يتبعون الشيخ الى دار السلطان يستغيثون ويبكون فخاف
السلطان فقال أحضروا الي ابن الشهرزوري فاحضر فقال كمال الدين فقد خفت منه مما
رايت فلما دخلت قال لي اي فتنة أثرت فقلت مافعلت شيئا انما كنت في بيتي وانما
الناس يغارون للدين والاسلام ويخافون عاقبة هذه التواني فقال اخرج الى الناس
ففرقهم عنا واحضر غدا واختر من العسكر ماتريد ففرقت الناس وعرفتهم ماامر به
من تجهيز العساكر وحضرت الغد الى الديوان فجهزوا الى طائفة عظيمة من الجيش
فارسلت الى نصير الدين بالموصل اعرفه ذلك واخوفه من العسكر ان طرقوا البلاد فانهم
يملكونها فاعاد الجواب يقول البلاد لاشك ماخوذة فلأن ياخذها المسلمون خير من أن
ياخذها الكافرون فشرعنا في التحميل واذا قد وصلني كتاب اتابك زنكي من الشام
يخبر برحيل ملك الروم ويامرني بان لااستصحب من العسكر احدا فعرفت السلطان ذلك
فقال العسكر قد تجهزت ولابد من الغزاة الى الشام فاعد الجهد وبذل الحزم له ولاصحابه
حتى عاد العسكر ولما عاد ملك الروم عن شيزر مدح الشعراء اتابك زنكي واكثروا
فمن ذلك ماقاله المسلم بن الخضر بن قسيم الحموي من جملة قصيدة اولها

بعزمك ايها الملك العظيم * تذل لك الصعاب وتستقيم

ومن جملتها هذه الابيات

ألم تر ان كلب الروم لما * تبين انه الملك الرحيم
فجاء فطبق الفلوات خيلا * كأن الجحفل الليل البهيم
وقد نزل الزمان على رضاه * ودان لخطبه الخطب العظيم
فحين رميته بك في خميس * تيقن ان ذلك لا يدوم
وابصر في المفاضة منك جيشا * فاحرب لا يسير ولا يقيم
كأنك في العجاج شهاب نور * توقد وهو شيطان رجيم
أراد بقاء مهجته فولى * وليس سوى الحمام له حميم

وهي قصيدة طويلة ومن عجيب مايحكى ان ملك الروم لما عزم على حصر شيزر سمع من
بها ذلك فقال الامير مرشد بن علي صاحبها وهو ينسخ مصحفا اللهم بحق من انزلته عليه
ان قضيت بمجيء ملك الروم فاقبضني اليك فتوفي بعد ايام

(ذكر الحرب بين السلطان مسعود والملك داود ومن معه من الامراء)

لما فارق الراشد بالله اتابك زنكي من الموصل سار نحو اذربيجان فوصل مراغة وكان
الامير منكبرس صاحب فارس ونائبه بخوزستان الامير بوزابة والامير عبد الرحمن

لا يفعل شيئا من الاشياء الا بمشورته واطلاعه ولا ينفذ امرا من الامور الا بعد مراجعته
(وفيه) وردت الاخبار بان
العساكر البحرية ملكوا ينبع
البحر ونهبوا ما كان فيه من
ودائع التجار وذلك انه كان
بمرساة الينبع عدة مراكب
وداوات والشريف غالب أمير
مكة يكاتب الباشا ويراسله
ويظهر له النصح والصداقة
وخلوص المودة والباشا
ايضا يراسله ويكاتبه وارسل
له السيد سلامة النجاري
والسيد محمد الملا الترجمان
المحروقي بمراسلات وجوابات
مرارا عديدة فكانا هما
السفيرين بينهما وايضا
الشريف في كل كتابة مع كل
مرسل يعاهد الباشا ويعاقده
ويواعده بنصر عساكره متى
وصلت وينافق للطرفين
الذي هو العثماني والوهابي
ويداهنهما اما الوهابي فلخوفه
منه وعدم قدرته عليه فيظهر
له الموافقة والامتثال وانه
معه على العهود التي عاهده
عليها من ترك الظلم واجتناب
البدع ونحو ذلك ويميل باطنا
للعثمانيين لكونه على
طريقتهم ومذاهبهم وتعاقد
مع الباشا انه متى وصلت
عساكره قام بنصرتهم وساعدهم
بكليته وجميع همته وارسل
الى المراكب الكائنة بمرساة
الينبع بان ينقلوا ما فيها من
مال التجار وغيرهم ويودعوه
قلعة الينبع تحت يد وزيره
وترك معه نحو الخمسمائة من عسكره واخذ المراكب فاوسقها من بضائعه وبهاره وبنه وارسلها الى السويس لتباع

طغايرك خلجان والملك داود ابن السلطان محمود مستشعرين من السلطان مسعود خائفين منه فتجمعوا ووافقوا الراشد على الاجتماع لتكون ايديهم واحدة ويردوه الى الخلافة فاجابهم الى ذلك الا انه لم يجتمع معهم ووصل الخبر الى السلطان مسعود وهو ببغداد باجتماعهم فسار عنها الى شعبان نحوهم فالتقوا ببنجن كشت فاقتتلوا فهزمهم السلطان مسعود وأخذ الامير منكبرس أسيرا فقتل بين يديه صبرا وتفرق عسكر مسعود فى النهب واتباع المنهزمين وكان بوزابة وعبد الرحمن طغايرك على نشز من الارض فرأيا السلطان مسعودا وقد تفرق عسكره عنه فحملا عليه وهو فى قلة فلم يثبت لهما وانهزم وقبض بوزابة على جماعة من الامراء منهم صدقة بن دبيس صاحب الحلة ومنهم ولد اتابك قراسنقر صاحب اذربيجان وعنتر بن ابى العسكر وغيرهم وتركهم عنده فلما بلغه قتل صاحبه منكبرس قتلهم اجمعين وصار العسكران منهزمين وكان هذا من اعجب الاتفاق وقصد السلطان مسعود اذربيجان وقصد الملك داود همذان ووصل الراشد بعد الوقعة فاختلفت آراء الجماعة فبعضهم اشار بقصد العراق والتغلب عليه وبعضهم اشار باتباع السلطان مسعود للفراغ منه فان ما بعده يهون عليهم وكان بوزابة اكبر الجماعة فلم ير ذلك وكان غرضه المسير الى بلاد فارس واخذها بعد قتل صاحبها منكبرس قبل ان يمتنع من بها عليه فبطل عليهم ما كانوا فيه وسار اليها فملكها وصارت له مع خوزستان وسار سلجوق شاه ابن السلطان محمد الى بغداد ليملكها فخرج اليه البقش الشحنة بها ونظر الخادم امير الحاج وقاتلوه وكان عاجزا مستضعفا ولما قتل صدقة بن دبيس اقر السلطان مسعود الحلة على اخيه محمد ابن دبيس وجعل معه مهلهل بن أبى العسكر أخا عنتر المقتول يدبره ولما كان البقش شحنة ببغداد يقاتل سلجوق شاه ثار العيارون ببغداد ونهبوا الاموال وقتلوا الرجال وزاد أمرهم حتى كانوا يقصدون أرباب الاموال ظاهرا ويأخذون منهم ما يريدون ويحملون الامتعة على رؤس الحمالين فلما عاد الشحنة قتل منهم وصلب وغلت الاسعار وكثر الظلم منه وأخذ المستورين بحجة العيارين فخلا الناس عن بغداد الى الموصل وغيرها من البلاد

(ذكر قتل الراشد بالله)

لما وصل الراشد بالله الى همذان وبها الملك داود وبوزابة ومن معهما من الامراء والعساكر على ما تقدم ذكره ثم سار الى خوزستان مع الملك داود ومعهما خوارزم شاه فقاربا الجزيرة فسار السلطان مسعود ليمنعهم عن العراق فعاد الملك داود الى فارس وعاد خوارزم شاه الى بلاده بقى الراشد وحده فلما أيس من عساكر العجم سار الى أصفهان فلما كان الخامس والعشرون من رمضان وثب عليه نفر من الخراسانية الذين كانوا فى خدمته فقتلوه وهو يريد القيلولة وكان فى أعقاب مرض برئ منه ودفن بظاهر اصفهان بشهرستان فركب من معه فقتلوا الباطنية ولما وصل الخبر الى بغداد جلسوا للعزاء به

بعضر ثم توسق بمهمات العسكر البحرية فلما وصلت مراكب العساكر البحرية والقت مراسيها قبالة الينبع احتاجوا الى الماء فلم يسعفوهم بالماء فطلع طائفة من العسكر الى البر فى طلب عين الماء فمانعهم من عندها مرابط فقاتلوهم وطردوهم ومنعوهم عن الماء وفى حال رجوعهم رموا عليهم من القلعة المدافع والرصاص والحال ان الامر مبهم على الفريقين فعند ذلك استعدت العساكر لطاربة من بالقلعة واحتاطوا بها وضربوا عليها القنابر والمدافع وركبوا على سورها سلالم وصعدوا عليها وتسلقوا على سور القلعة من غير مبالاة بالرصاص النازل عليهم من الكائنين بالقلعة فملكوا القلعة وقتلوا من كان بها ولم ينج منهم الا الوزير ومعه ستة أنفار خرجوا هاربين على الخيول ونهبوا كل ما كان بالينبع من الودائع والاموال والاقمشة والبن وسبوا النساء والبنات الكائنات بالبندر واخذوهن اسرى ويبيعوهن على بعضهم البعض ووصل المبشرون بذلك فى عشرينه فضربوا لذلك مدافع من القلعة كثيرة وعملوا شنكا وطافت المبشرون على بيوت الاعيان ليأخذوا منهم البقاشيش وأرسلوا بتلك البشارة شخصا معينا كبيرا الى اسلامبول يبشرون أهل الدولة وسلطان الاسلام وكان ذلك أول فتح حصل

(واستهل شهر شوال بيوم الجمعة سنة ١٢٢٦)

في

فى بيت النوبة يوما واحدا وكان أبيض أشقر حسن اللون مليح الصورة مهيبا شديد القوة والبطش قال أبو بكر الصولى الناس يقولون ان كل سادس يقوم بامر الناس من أول الاسلام لابد من أن يخلع وربما قتل قال فتاملت ذلك فرأيته كما قيل فان أول من قام بامر هذه الامة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ابو بكر وعمر وعثمان وعلى والحسن رضى الله عنهم فخلع ثم معاوية ويزيد ابنه ومعاوية بن يزيد ومروان وعبد الملك بن مروان وعبد الله بن الزبير فخلع ثم عبد الملك وأخوه سليمان وعمر بن عبد العزيز ويزيد وهشام ابنا عبد الملك والوليد بن يزيد بن عبد الملك فخلع وقتل ثم لم ينتظم امر بنى أمية ثم ولى السفاح والمنصور والمهدى والهادى والرشيد والامين فخلع وقتل والمامون والمعتصم والواثق والمتوكل والمنتصر والمستعين فخلع وقتل والمعتز والمهتدى والمعتمد والمعتضد والمكتفى والمقتدر فخلع ثم رد ثم قتل ثم القاهر والراضى والمتقى والمستكفى والمطيع والطائع فخلع ثم القادر والقائم والمقتدى والمستظهر والمسترشد والراشد فخلع وقتل قلت وفى هذا نظر لان البيعة لابن الزبير كانت قبل البيعة لعبد الملك ابن مروان وكونه جعله بعده لا وجه له والصولى انما ذكر الى أيام المطيع لله ومن بعده ذكره غيره

(ذكر حال ابن بكران العيار)

فى هذه السنة فى ذى الحجة عظم امر ابن بكران العيار ببغداد والعراق وكثرت اتباعه وصار يركب ظاهرا فى جمع من المفسدين وخافه الشريف أبو الكرم الوالى ببغداد فامر ابا القاسم ابن اخيه حامى باب الازج ان يشتد عليه ويلبس سراويل فتوة منه ليأمن شره وكان ابن بكران يكثر المقام بالسوادة ومعه رفيق له يعرف بابن البزاز فانتهى أمرهما الى انهما ارادا أن يضربا باسمهما سكة فى الانبار فارسل الشحنة والوزير شرف الدين الزينبي الى الوالى ابى الكرم وقالا اما ان تقتل ابن بكران واما ان نقتلك فاحضر ابن أخيه وعرفه ماجرى وقال له اما ان تختارنى ونفسك واما ان تختار ابن بكران فقال انا أقتله وكان لابن بكران عادة يجىء فى بعض الليالى الى ابن اخى أبى الكرم فيقيم فى داره ويشرب عنده فلما جاء على عادته وشرب اخذ ابو القاسم سلاحه ووثب به فقتله وأراح الناس من شره ثم أخذ بعده بيسير رفيقه ابن البزاز وصلب وقتل معه جماعة من الحرامية فسكن الناس واطمانوا وهدأت الفتنة

(ذكر قتل الوزير الدركزينى ووزارة الخازن)

فى هذه السنة قبض السلطان مسعود على وزيره العماد أبى البركات بن سلمة الدركزينى واستوزر بعده كمال الدين محمد بن الحسين الخازن وكان الكمال شهما شجاعا عادلا نافذ الحكم حسن السيرة ازال المكوس ورفع المظالم وكان يقيم مؤنة السلطان ووظائفه وجمع له خزائن كثيرة وكشف اشياء كثير كانت مستورة يخان فيها ويسرق فثقل على المتصرفين وارباب الاعمال فاوقعوا بينه وبين الامراء لاسيما قراسنقر صاحب

وكان حقه ان يكون بيوم السبت لان الهلال لم يكن موجود الليلة الجمعة ولم يره ليلة السبت الا النادر من الناس وكان قوسه ليلة السبت عشر درجات (وفى سادس عشره) وصلت هجانة ومكاتبات من عساكر البر يخبرون بوصولهم الى بندر المويلح فى اليوم السابع من الشهر وكان العيد عندهم بمغاير شعيب يوم السبت (وفيه) خرجت تجريدة لتسافر الى قبلى لمحاربة من بقى من الامراء المصريين بناحية ابريم

(واستهل شهر ذى القعدة بيوم الاحد سنة ١٢٢٦)

فيه وصلت حجاج مغاربة فى عدة مراكب على ظهر البحر وتلف منهم نحو ثلاثة مراكب وحضر بعدهم بايام الركب الطرابلسى ونزل بساحل بولاق (وفى سادسه) حضر أيضا الركب الفاسى وفيهم ابن سلطان الغرب مولاى ابراهيم ابن مولاى سليمان فاعتنى الباشا بشانه وأرسل كتخدا بك لملاقاته وقدم له تقادم وأعدوا له منزل على كاشف بالقرب من بيت المحروقى لينزل فيه وتقيد بخدمته الوقيدس حسن المحروقى ووشاشيم لمطبخه وكلف طعامه فلما عدى طلع الى القلعة وقابل الباشا ونزل الى المنزل الذى أعده له وامامه قواسة أتراك وطرادون وأشخاص أتراك يضربون على طبلات وامامه جميع الاغاوات مشاة ويأمرون الناس الجالسين بالحوانيت بالقيام له على أقدامهم فاقام ثم

اذربيجان فانه فارق السلطان وارسل يقول اما ان تنفذ الى الوزير والا اخذنا سلطانا آخر فاشار من حضر من الامراء بقتله وحذروه فتنة لا تتلافى فقتله على كره منه وارسل رأسه الى قراسنقر فرضى وكانت وزارته سبعة اشهر وكان قتله سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة ووزر بعده ابو العز طاهر بن محمد البروجردى وزير قراسنقر ولقب عز الملك وضاقت الامور على السلطان مسعود واستقطع الامراء البلاد بغير اختياره ولم يبق له شئ من البلاد البتة الا اسم السلطنة لا غير

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة ملك حسام الدين تمرتاش ايلغازى صاحب ماردين قلعة الهتاخ من بلاد ديار بكر اخذها من بعض بنى مروان الذين كانوا ملوك ديار بكر جميعها وهذا آخر من بقى فسبحان الحى الدائم الذى لا يزول ملكه ولا يتطرق اليه النقص ولا التغيير وفيها انقطعت كسوة الكعبة لما ذكرناه من الاختلاف فقام بكسوتها رامشت التاجر الفارسى كساها من الثياب الفاخرة بكل ما وجد اليه سبيل فبلغ ثمن الكسوة ثمانية عشر ألف دينار مصرية وهو من التجار المسافرين الى الهند كثير المال وفيها توفيت زبيدة خاتون ابنة السلطان بركيارق زوج السلطان مسعود وتزوج بعدها سفرى ابنة دبيس بن صدقة فى جمادى الاولى وتزوج ابنة قاورت وهو من البيت السلجقى الا انه كان لا يزال يعاقر الخمر ليلا ونهارا فلهذا اسقط اسمه وذكره وفيها قتل السلطان مسعود ابن البقش السلاحى شحنة بغداد وكان قد ظلم الناس وعسفهم وفعل ما لم يفعله غيره من الظلم فقبض عليه وسيره الى تكريت فسجنه بها عند مجاهد الدين بهروز ثم امر بقتله فلما ارادوا قتله القى بنفسه فى دجلة فغرق فاخذ رأسه وحمل الى السلطان وجعل السلطان شحنة العراق مجاهد الدين بهروز فعمل اعمالا صالحة منها انه عمل مسناة النهروان واشباهها وكان حسن السيرة كثير الاحسان وفيها درس الشيخ ابو منصور بن الرزاز بالنظامية ببغداد وفيها أرسل الخليفة الى اتابك زنكى فى اطلاق قاضى القضاة الزينبى فاطلق وانحدر الى بغداد فخلع عليه الخليفة واقره على منصبه وفيها كان بخراسان غلاء شديد طالت مدته وعظم امره حتى اكل الناس الكلاب والسنانير وغيرهما من الدواب وتفرق اكثر اهل البلاد من الجوع وفيها توفى طغان ارسلان صاحب بدليس وارزن من ديار بكر وولى بعده ابنه فرتى واستقام له الامر وفيها فى شهر صفر جاءت زلزلة عظيمة بالشام والجزيرة وديار بكر والموصل والعراق وغيرها من البلاد فخربت كثيرا منها وهلك تحت الهدم عالم كثير وفيها توفى احمد بن محمد بن ابى بكر بن ابى الفتح الدينورى الفقيه الحنبلى ببغداد وكان ينشد كثيرا هذه الابيات

تمنيت ان تمسى فقيها مناظرا * بغير عناء والجنون فنون
وليس اكتساب المال دون مشقة * تلقيتها فالعلم كيف يكون

وفيها توفى محمد بن عبد الملك بن عمر ابو الحسن الكرخى ومولده سنة ثمان وخمسين

أيام حتى قضى أشغاله وفى تلك المدة تفد اليه وتروح رسل الباشا وأرسل له هدية وذخيرة من كل صنف سكر وعسل وسمن ودقيق وبقسماط وأشياء أخر وبارود وأعطى له الف بندقية لضرب الرصاص وبرز فى عاشره وسافر وافى ثانى عشره (وفى يوم الخميس تاسع عشره) وصلت هجانة على ايديهم مكاتبات خطابا الى الباشا وغيره وفيهم الخبر بان العسكر البرى اجتمع مع العسكر البحرى واخذوا ينبع البر من غير حرب وان العربان اتت اليهم افواجا وقابلوا طوسون باشا وكساهم وخلع عليهم ثم انقطعت الاخبار

(واستهل شهر ذى الحجة سنة ١٢٢٦)

فى منتصفه وصلت هجانة ومعهم رؤس قتلى ومكاتبات مؤرخة فى منتصف شهر القعدة مضمونها انهم وصلوا الى ينبع البر فى حادى عشرين شوال واجتمع هنالك العسكران البرى والبحرى وانهم ملكوا قرية ابن جبارة من الوهابية وتسمى قرية السويق وفر ابن جبارة هاربا وحضرت عربان كثيرة وقابلوا ابن الباشا وانهم مقيمون وقت تاريخه فى منزلة الينبع منتظرين وصول الذخيرة وعاق المراكب ريح الشتاء المخالف وانه ورد عليهم خبر ليلة اربعة عشر شهره بان جماعة من كبار الوهابية حضروا بنحو سبعة آلاف خيال وفيهم عبد الله بن مسعود وعثمان المضايفى ومعهم مشاة وقصدوا ينبع والعرضى على ... وار بعمائة

وار بعمائة وكان فقيها محدثا سمع الحديث ببلخ واصفهان وهمذان وغيرها وفى شعبان منها توفى القاضى أبو العلاء صاعد بن الحسين بن اسمعيل بن صاعد وهو ابن عم القاضى ابى سعيد وولى القضاء بنيسابور بعد ابى سعيد

(ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة) *

*(ذكر الحرب بين السلطان سنجر وخوارزم شاه) *

فى هذه السنة فى المحرم سار السلطان سنجر الى خوارزم شاه وهو ابن ملكشاه محاربا لخوارزم شاه اتسز بن محمد وسبب ذلك ان سنجر بلغه ان اتسز يحدث نفسه بالامتناع عليه وترك الخدمة له وان هذا الامر قد ظهر على كثير من اصحابه وامرائه فاوجب ذلك قصده واخذ خوارزم شاه فجمع عساكره وتوجه نحوه فلما قرب من خوارزم شاه فى عساكره خرج خوارزم شاه اليه فى عساكره فلقيه مقابلا وعبى كل واحد منهما عساكره واصحابه فاقتتلوا فلم يكن للخوارزمية قوة بالسلطان فلم يثبتوا وولوا منهزمين وقتل منهم خلق كثير ومن جملة القتلى ولد لخوارزم شاه فحزن عليه ابوه حزنا عظيما ووجد وجدا شديدا وملك سنجر خوارزم واقطعها غياث الدين سليمان شاه ولد اخيه محمد ورتب له وزيرا واتابكا وحاجبا وقرر قواعده وعاد الى مرو فى جمادى الآخرة من هذه السنة فلما فارق خوارزم عائدا انتهز خوارزم شاه الفرصة فرجع اليها وكان اهلها يكرهون العسكر السنجرى ويؤثرون عودة خوارزم شاه فلما عاد أعانوه على ملك البلد ففارقها سليمان شاه واختلفا بعد الاتفاق ففعل خوارزم شاه فى خراسان سنة ست وثلاثين وخمسمائة ما نذكره ان شاء الله

*(ذكر قتل محمود صاحب دمشق وملك اخيه محمد) *

فى هذه السنة فى شوال قتل شهاب الدين محمود بن تاج الملوك بورى بن طغدكين صاحب دمشق على فراشه غيلة قتله ثلاثة من غلمانه هم خواصه وأقرب الناس اليه فى خلوته وجلوته وكانوا ينامون عنده فقتلوه وخرجوا من القلعة وهربوا فقبض احدهم واخذ الآخران فصلبا وكتب معين الدين انز من دمشق الى اخيه جمال الدين محمد بن بورى صاحب بعلبك وهو بها بصورة الحال واستدعاه ليملك بعد اخيه فحضر فى اسرع وقت فلما دخل البلد جلس للعزاء باخيه وحلف له الجند واعيان الرعية وسكن الناس وفوض امر دولته الى معين الدين انز مملوك جده وزاد فى علو مرتبته وصار هو الجملة والتفصيل واقطعه بعلبك وزوجه بامه وكان انز خيرا عاقلا حسن السيرة فجرت الامور عنده على احسن نظام

*(ذكر ملك زنكى بعلبك) *

فى هذه السنة فى ذى القعدة سار عماد الدين اتابك زنكى بن آقسنقر الى بعلبك فحصرها ثم ملكها وسبب ذلك ان محمودا صاحب دمشق لما قتل كانت والدته زمرد خاتون عند

حين غفلة فخرج اليهم شديد شيخ الحويطات ومعه طوائفه وولاة وعساكر فوافاهم ١٣ قبل شروق الشمس ووقع بينهم القتال والوهابية يقولون هاه يا مشركون وانجلت الحرب عن هزيمة الوهابية وغنموا منهم نحو سبعين هجينا من الهجن الجياد محملة ادوات وكانت الحرب بينهم مقدار ساعتين هذا ملخص ما ذكره فى الاجوبة التى حضرت (وفى يوم الجمعة خامس عشرينه) وصلت قافلة من السويس وحضر فيها جاويش باشا وصحبته مكاتبات وحضر ايضا السيد احمد الطحطاوى والشيخ الحنبلى واخبروا ان العرضى ارتحل من ينبع البر فى سابع عشر ذى القعدة ووصلوا الى منزلة الصفراء والجديدة ونصبوا عرضيهم وخيامهم ووطاقاتهم بالقرب من الجبال فوجدوا هنالك متاريس واحجارا فحاربوا على اول متراس حتى اخذوه ثم اخذوا متراسا آخر وصعدت العساكر الى تلال الجبال فهالهم كثرة الجيش وسارت الخيالة فى مضيق الجبال هذا والحرب قائمة فى اعلى الجبال يوما وليلة الى بعد الظهيرة من يوم الاربعاء ثالث عشرى القعدة فما يشعر الفلانيون الا والعساكر الذين فى الاعالى هابطون منهزمون فانهزموا جميعا وولوا الادبار وطلبوا جميعا الفرار وتركوا خيامهم واحمالهم واثقالهم وطفقوا ينهبون ويخطفون ما خف عليهم من امتعة رؤسائهم فكان القوى منهم ياخذ

أتابك زنكي بحلب قد تزوجها فوجدت لقتل ولدها وجدا شديدا وحزنت عليه وارسلت الى زنكي وهو بديار الجزيرة تعرفه الحادثة وتطلب منه ان يقصد دمشق ويطلب بثار ولدها فلما وقف على هذه الرسالة بادر في الحال من غير توقف ولا تريث وسار مجدا ليجعل ذلك طريقا الى ملك البلد وعبر الفرات عازما على قصد دمشق فاحتاط من بها واستعدوا واستكثروا من الذخائر ولم يتركوا شيئا مما يحتاجون اليه الا وبذلوا الجهد في تحصيله واقاموا ينتظرون وصوله اليهم فتركهم وسار الى بعلبك وقيل كان السبب في ملكها انها كانت لمعين الدين انز كما ذكرناه وكان له جارية يهواها فلما تزوج ام جمال الدين سيرها الى بعلبك فلما سار زنكي الى الشام عازما على قصد دمشق سير الى انز يبذل له البذول العظيمة ليسلم اليه دمشق فلم يفعل وسار اتابك الى بعلبك فوصل اليها في العشرين من ذي الحجة في السنة فنازلها في عساكره وضيق عليها وجد في محاربتها ونصب عليها من المنجنيقات أربعة عشر عددا ترمي ليلا ونهارا فاشرف من بها على الهلاك وطلبوا الامان وسلموا اليه المدينة وبقيت القلعة وبها جماعة من الشجعان شجعان الاتراك فقاتلهم فلما أيسوا من معين ونصير طلبوا الامان فامنهم فسلموا اليه القلعة فلما نزلوا منها وملكها غدر بهم وامر بصلبهم فصلبوا ولم ينج منهم الا القليل فاستقبح الناس ذلك من فعله واستعظموه وخافه غيرهم وحذروه لاسيما أهل دمشق فقالوا لو ملكنا لفعل بنا مثل فعله بهؤلاء فازدادوا نفورا وجدوا في محاربته ولما ملك زنكي بعلبك اخذ الجارية التي كانت لمعين الدين انز بها فتزوجها بحلب فلم تزل بها الى ان قتل فسيرها ابنه نور الدين محمود الى معين الدين انز وهي كانت اعظم الاسباب في المودة بين نور الدين وبين انز والله اعلم

(ذكر استيلاء قراسنقر على بلاد فارس وعوده عنها)

وفي هذه السنة جمع اتابك قراسنقر صاحب اذربيجان عساكر كثيرة وسار طالبا بثار ابيه الذي قتله بوزابة في المصاف المقدم ذكره فلما قارب السلطان مسعودا ارسل اليه يطلب منه قتل وزيره الكمال فقتله كما ذكرناه فلما قتل سار قراسنقر الى بلاد فارس فلما قاربها تحصن بوزابة منه في القلعة البيضاء ووطئ قراسنقر البلاد وتصرف فيها وليس له دافع ولا مانع الا انه لم يمكنه المقام وملك المدن التي في فارس فسلم البلاد الى الملك سلجوق شاه ابن السلطان محمود وقال له هذه البلاد لك فاملك الباقي وعاد الى اذربيجان فنزل حينئذ بوزابة من القلعة سنة اربع وثلاثين وهزم سلجوق شاه وملك البلاد واسر سلجوق شاه وسجن في قلعة بفارس

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة في صفر توفي الوزير شرف الدين انوشروان بن خالد معزولا ببغداد وحضر جنازته وزير الخليفة فمن دونه ودفن في داره ثم نقل الى الكوفة فدفن في مشهد امير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وكان فيه تشيع وهو كان السبب في عمل

المقامات

متاع رفيقه الضعيف ويأخذ دابته ويركبها او بمقاتلة واخذ دابته وساروا طالبين الوصول الى السفائن بساحل البريك لانهم كانوا اعدوا عدة مراكب بساحل البريك من باب الاحتياط ووقع في قلوبهم الرعب واعتقدوا ان القوم في اثرهم والحال انه لم يتبعهم احد لانهم لا يذهبون خلف المدبر ولو تبعوهم ما بقي منهم شخص واحد فكانوا يصرخون على القطائر فتاتي اليهم القطيرة وهي لا تسع الا القليل فيتكاثرون ويتزاحمون على النزول فيها فيصعد منهم الجماعة ويمنعون البواقي من اخوانهم فان لم يمتنعوا مانعوهم بالبنادق والرصاص حتى كانوا من شدة حرصهم وخوفهم واستعجالهم على النزول في القطائر يخوضون في البحر الى رقابهم وكانما العفاريت في اثرهم تريد خطفهم وكثير من العسكر والخدم لما شاهدوا الازدحام على اسكلة البريك ذهبوا مشاة الى ينبع البحر ووقع التشتت في الدواب والاحمال والخلائق من الخدم وغيرهم ورجع طوسون باشا الى ينبع البحر بعد ان تغيب يوما عن معسكره حتى انهم ظنوا فقده ورجع ايضا المحروقي وديوان افندي واستقروا بالينبع وترك المحروقي خيامه بما فيها فنزل بها طائفة من العسكر المنهزمين وهم على جهد من التعب والجوع فوجدوا بها المآكل والحلاوات وأنواع الملبسات والكعك المصنوع بالعجمية والسكر المكرر والشربيات

المقامات الحريرية وكان رجلا عاقلا شهما دينا خيرا وزر للخليفة المسترشد وللسلطان محمود وللسلطان مسعود وكان يستقيل من الوزارة فيجاب الى ذلك ثم يخطب اليها فيجيب كارها وفيها قدم السلطان مسعود بغداد فى ربيع الاول وكان الزمان شتاء وصار يشتى بالعراق ويصيف بالجبال ولما قدمها أزال المكوس وكتب الالواح بازالتها ووضعت على أبواب الجوامع والاسواق وتقدم ان لا ينزل جندى فى دار عامى من اهل بغداد الا باذن فكثر الدعاء له والثناء عليه وكان السبب فى ذلك الكمال الخازن وزير السلطان وفيها فى صفر كانت زلازل كثيرة هائلة بالشام والجزيرة وكثير من البلاد وكان اشدها بالشام وكانت متوالية عشر ليال كل ليلة عشر دفعات فخرب كثير من البلاد ولاسيما حلب فان أهلها لما كثرت عليهم فارقوا البلاد والبيوت وخرجوا الى الصحراء وعدوا فى ليلة واحدة جاءتهم ثمانين مرة ولم تزل بالشام تتعاهدهم من رابع صفر الى تاسع عشره وكان معها صوت وهزة شديدة وفيها أغار الفرنج على اعمال بانياس فسار عسكر دمشق فى اثرهم فلم يدركوهم فعادوا وفيها توفى أبو القاسم طاهر بن طاهر الشحامى النيسابورى بها ومولده سنة ست واربعين واربعمائة وكان اماما فى الحديث مكثرا عالى الاسناد وتوفى عبد الله بن احمد بن عبد القاهر بن محمد ابن يوسف أبو القاسم بن ابى الحسين البغدادى بها ومولده سنة اثنتين وخمسين واربعمائة وعبد العزيز بن عثمان بن ابراهيم بن محمد الاسدى البخارى كان قاضى بخارا وكان من الفقهاء أولاد الائمة حسن السيرة وتوفى محمد بن شجاع بن أبى بكر بن على ابن ابراهيم اللفتوانى الاصفهانى باصفهان فى جمادى الآخرة ومولده سنة ست وتسعين واربعمائة وسمع الحديث الكثير باصفهان وبغداد وغيرهما

(ثم دخلت سنة اربع وثلاثين وخمسمائة)

(ذكر حصار اتابك زنكى دمشق)

فى هذه السنة حصر أتابك زنكى دمشق مرتين فاما المرة الاولى فانه سار اليها فى ربيع الاول من بعلبك بعد الفراغ من أمرها وتقرير قواعدها واصلاح ماتشعث منها بالحصار فنزل بالبقاع وأرسل الى جمال الدين محمد صاحبها يبذل اليه بلدا يقترحه ليسلم اليه دمشق فلم يجبه الى ذلك فرحل وقصد دمشق فنزل على داريا ثالث عشر ربيع الاول فالتقت الطلائع واقتتلوا وكان الظفر لعسكر زنكى وعاد الدمشقيون منهزمين فقتل كثير منهم ثم تقدم زنكى الى الموصل فنزل هناك ولقيه جمع كثير من جند دمشق واحداثها ورجالة الغوطة فقاتلوه فانهزم الدمشقيون واخذهم السيف فقتل فيهم واكثر واسر كذلك ومن سلم عاد جريحا واشرف البلد ذلك اليوم على الاخذ وان يملك لكن عاد زنكى وامسك عنه عشرة أيام وتابع الرسل الى صاحب دمشق وبذل له بعلبك وحمص وغيرهما مما يختاره من البلاد فمال الى ان يسلم وامتنع غيره من أصحابه من ذلك

والخشكنانكات والمربيات وانواع الشرابات فوقعوا عليها اكلا ونهبا ولما تحققوا أن العرب لم تتبعهم ولم تات فى اثرهم أقاموا على ذلك يومين حتى استوفوا أغراضهم وشبعت بطونهم وارتاحت أبدانهم ثم لحقوا باخوانهم فكانوا هم أثبت القوم وأعقلهم ولو كان على غير قصد منهم فكان مدة أقامة المعسكر والعرضى بينبع البحر أربعة وعشرين يوما واما الخيالة فانهم اجتمعوا وساروا راجعين الى المويلح وقد أجهدهم التعب وعدم الذخيرة والعليق حتى حكوا انهم كانوا قبيل الواقعة يعلقون على الجمل بنصف قدح قمح مسوس وكانت علائقهم فى كل يوم أربعمائة وخمسين اردبا واما المحروقى فان كبار العسكر قامت عليه واسمعوه الكلام القبيح وكادوا يقتلونه فنزل فى سفينة وخلص منهم وحضر من ناحية القصير وحضر الكثير من اتباعه وخدمه متفرقين الى مصر فاما الذين ذهبوا الى المويلح فهم تامر كاشف وحسين بك دالى باشا وآخرون فاقاموا هناك فى انتظار اذن الباشا فى رجوعهم الى مصر أو عدم رجوعهم واما صالح أغا قوج فانه عندما نزل السفينة كر راجعا الى القصير واستقل برأيه لانه يرى فى نفسه العظمة وانه الاحق بالرياسة ويسفه رأى المحروقى وطوسون باشا ويقول هؤلاء الصغار كيف يصلحون لتدبير الحروب ويصرح بمثل هذا الكلام وازيد منه وكان هو

وخوفوه عاقبة فعله وان يفعل ويغدر كما فعل باهل بعلبك فلما لم يسلموا اليه عاد القتال والزحف ثم ان جمال الدين محمدا صاحب دمشق مرض ومات ثامن شعبان وطمع زنكى حينئذ فى البلد وزحف اليه زحفا شديدا ظنا منه انه ربما يقع بين المقدمين الامراء خلاف فيبلغ به الغرض وكان ما امله بعيدا فلما مات جمال الدين ولى بعده مجير الدين ابق ولده وتولى ترتيب دولته معين الدين انز فلم يظهر لموت ابيه اثر مع ان عدوهم على باب المدينة فلما رأى انز ان زنكى لا يفارقهم ولا يزول عن حصرهم راسل الفرنج واستدعاهم الى نصرته وان يتفقوا على دفع زنكى عن دمشق وبذل لهم بذولا وان يحصر بانياس ويأخذها ويسلمها اليهم وخوفهم من زنكى ان ملك دمشق فعلموا صحة قوله وعلموا انه ان ملكها لا يبقى لهم معه بالشام مقام وان الفرنج اجتمعوا وعزموا على المسير الى دمشق ليجتمعوا مع صاحبها وعسكرها على قتال زنكى فحين علم زنكى بذلك سار الى حوران خامس رمضان عازما على قتال الفرنج قبل ان يجتمعوا بالدمشقيين فلما سمع الفرنج خبره لم يفارقوا بلادهم فلما رآهم كذلك عاد الى حصر دمشق ونزل بعذرا شماليها سادس شوال فاحرق عدة قرى من المرج والغوطة ورحل عائدا الى بلاده ووصل الفرنج الى دمشق واجتمعوا بصاحبها وقد رحل زنكى فعادوا فسار معين الدين انز الى بانياس فى عسكر دمشق وهى فى طاعة زنكى كما تقدم ذكره ليحصرها ويسلمها الى الفرنج وكان واليها قد سار قبل ذلك منها بجمعه الى مدينة صور للاغارة على بلادها فصادفه صاحب انطاكية وهو قاصد الى دمشق نجدة لصاحبها على زنكى فاقتتلا فانهزم المسلمون واخذوا الى بانياس فقتل ونجا من سلم منهم الى بانياس وجمعوا معهم كثيرا من البقاع وغيرها وحفظوا القلعة فنازلها معين الدين فقاتلهم وضيق عليهم ومعه طائفة من الفرنج فاخذها وسلمها الى الفرنج واما الحصر الثانى لدمشق فان اتابك لما سمع الخبر بحصر بانياس عاد الى بعلبك ليدفع عنها من يحصرها فاقام هناك فلما عاد عسكر دمشق بعد ان ملكوها وسلموها الى الفرنج فرق اتابك زنكى عسكره على الاغارة على حوران واعمال دمشق وسار هو جريدة مع خواصه فنازل دمشق سحرا ولم يعلم به احد من اهلها فلما اصبح الناس ورأوا عسكره خافوا وارتج البلد واجتمع العسكر والعامة على السور وفتحت الابواب وخرج الجند والرجالة فقاتلوه فلم يمكن زنكى عسكره من الاقدام فى القتال لان عامة عسكره كانوا قد تفرقوا فى البلاد والنهب والتخريب وانما قصد دمشق لئلا يخرج منها عسكر الى عسكره وهم متفرقون فلما اقتتلوا ذلك اليوم قتل بينهم جماعة ثم احجم زنكى عنهم وعاد الى خيامه ورحل الى مرج راهط واقام ينتظر عودة عسكره فعادوا اليه وقد ملؤا ايديهم من الغنائم لانهم طرقوا البلاد واهلها غافلون فلما اجتمعوا عنده رحل بهم عائدا الى بلادهم

(ذكر ملك زنكى شهرزور واعمالها)

فى هذه السنة ملك اتابك زنكى شهرزور واعمالها وما يجاورها من الحصون وكانت

اول منهزم وعلم كل ذلك الباشا بمكاتبات ولده طوسون فحقد فى نفسه وتمم ذلك بسرعة رجوعه الى القصير ولم ينتظر اذنا فى الرجوع او المكث ولما حصل ذلك لم يتزلزل الباشا واستمر على همته فى تجهيزه عساكر اخرى وبرزوا الى خارج البلدة وفرض على البلاد جمالا ذكرانا من اصل الغرائم والفرض فى المستقبل وكذلك فرض غلالا فكان المفروض على اقليم الشرقية خاصة اثنى عشر الف اردب بعناية على كاشف قابله الله بما يستحق وانقضت السنة بحوادثها التى منها هذه الحادثة واظنها طويلة الذيل (ومنها) ان النيل هبط قبل الصليب بايام قليلة بعد ان بلغ فى الزيادة مبلغا عظيما حتى غرق الزرع الصيفى والدراوى ولما انحسر عن الارض زرعوا البرسيم والوقت صائف والحرارة مستجنة فى الارض فتولدت فيه الدودة واكلت الذى زرع فبذروه ثانيا فاكلته ايضا وفحش امر الدودة جدا فى الزرع البدرى وخصوصا باقليم الجيزة والقليوبية والمنوفية بل وباقى الاقاليم (ومنها) ان الباشا احدث ديوانا ورتبوه ببيت البكرى القديم بالازبكية واظهر ان هذا الديوان لمحاسبة ما يتعلق به من البلاد ومحاسباتها والقصد الباطنى غير ذلك وقيد به ابراهيم كتخدا الرزاز والشيخ احمد يوسف كاتب حسين افندى الروزنامجى وما انضم

دبيد

بيد قبجاق بن ارسلان تاش التركماني وكان حكمه نافذا على قاصي التركمان ودانيهم وكلمته لا تخالف يرون طاعته فرضا فتحامى الملوك قصده ولم يتعرض والولاية لانها منيعة كثيرة المضايق فعظم شانه وازداد جمعه واتاه التركمان من كل فج عميق فلما كان هذه السنة سير اليه اتابك زنكي عسكرا فجمع اصحابه ولقيهم فتصافوا واقتتلوا فانهزم قبجاق واستبيح عسكره وسار الجيش الاتابكي في اعقابهم فحصروا الحصون والقلاع فملكوها جميعها وبذلوا الامان لقبجاق فصار اليهم وانخرط في سلك العساكر ولم يزل هو وبنوه في خدمة البيت على احسن قضية الى بعد سنة ستمائة بقليل وفارقوها

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة جرى بين امير المؤمنين المقتفي لامر الله وبين الوزير شرف الدين علي بن طراد الزينبي منافرة وسببها ان الوزير كان يعترض الخليفة في كل ما يامر به فنفر الخليفة من ذلك فغضب الوزير ثم خاف فقصد دار السلطان في سمرية وقت الظهر ودخل اليها واحتمى بها فارسل اليه الخليفة في العود الى منصبه فامتنع وكانت الكتب تصدر باسمه واستنيب قاضي القضاة الزينبي وهو ابن عم الوزير وارسل الخليفة الى دار السلطان رسلا في معنى الوزير فارخص له السلطان في عزله فحينئذ اسقط اسمه من الكتب واقام بدار السلطان ثم عزل الزينبي من النيابة وناب سديد الدولة بن الانباري وفيها قتل المقرب جوهر وهو من خدم السلطان سنجر وكان قد حكم في دولته جميعها ومن جملة اقطاعه الري ومن مماليكه عباس صاحب الري وكان سائر عسكر السلطان سنجر يخدمونه ويقفون ببابه وكان قتله بيد الباطنية وقف له جماعة منهم بزي النساء واستغاثوا به فوقف يسمع كلامهم فقتلوه فلما قتل جمع صاحبه عباس العساكر وقصد الباطنية فقتل منهم واكثر وفعل بهم ما لم يفعله غيره ولم يزل يغزوهم ويقتل فيهم ويخرب بلادهم الى ان مات وفيها زلزلت كنجة وغيرها من اعمال اذربيجان واران الا ان اشدها كان بكنجة فخرب منها الكثير وهلك عالم لا يحصون كثرة قيل كان الهلكى مائتي الف وثلاثين الفا وكان من جملة الهلكى ابنان لقراسنقر صاحب البلاد وتهدمت قلعة هناك لمجاهد الدين بهروز وذهب له فيها من الذخائر والاموال شيء عظيم وفيها شرع مجاهد الدين بهروز في عمل النهر وانات سكر تعقبها يرد الماء الى مجراه الاول وحفر مجرى الماء القديم وخرق اليه مجراه تاخذ من ديالى ثم استحال بعد ذلك وجرى الماء ناحية من السكر وبقي السكر في البر لا ينتفع به احد ولم يتعرض احد الى رده الى مجراه عند السكر الى وقتنا هذا وفيها انقطع الغيث ببغداد والعراق ولم يجئ غير مرة واحدة في اذار ثم انقطع ووقع الغلاء وعدمت الاقوات وفيها في جمادى الآخرة دخل الخليفة بفاطمة خاتون بنت السلطان مسعود وكان يوم حملها الى دار الخليفة يوما مشهودا واغلقت بغداد عشرة ايام وزينت وتزوج السلطان مسعود بابنة الخليفة وفيها في ربيع الاول توفي القاضي ابو الفضل يحيى ابن قاضي دمشق المعروف بالزكي

(ثم دخلت سنة خمس وثلاثين وخمسمائة)

اليهم من الكتبة المسلمين دون الاقباط ليحرروا به قوائم المصروف والمضاف والبراني فكانوا يجلسون لذلك كل يوم ماعدا يوم الجمعة ثم تطرق الحال لسور بلاد الباشا وهو ان الكثير من الفلاحين لما سمعوا بذلك أتوا من كل ناحية الى مصر وكتبوا عرضحالات الى كتخدا بك وللباشا يتظلمون من استاذيهم ويذكرون انهم يزيدون عليهم زيادات في قوائم المصروف ويشددون عليهم في طلب الفرض او بواقيها فيدفعهم الباشا او الكتخدا الى ذلك الديوان المحدث لينظر في امورهم ويصحبهم معين تركي مباشر ياتي بالملتزم ايضا والفلاحين والشاهد والصراف وقوائم المصروف لاجل المحاققة فعند ذلك يتعنت ابراهيم كتخدا في القوائم ويطلب قوائم السنين الماضية المختومة ونحو ذلك ولما فشا هذا الامر واشيع في البلدان اتت طوائف الفلاحين افواجا الى هذا الديوان يطلبون الملتزمين ويخاصمونهم ويكلفونهم فيكونون امرا مهولا وغاية في الزحام والعياط والشباط وكذلك رفعوا المعلم منصور ومن معه من الكتبة من مباشرة ديوان ابنه ابراهيم بك الدفتردار وقيدوا بدلهم السيد محمد غانم الرشيدي ومحمد افندي سليم ومن انضم اليهم واظهر الباشا انه يفعل ذلك لما علمه من خيانة الاقباط والقصد الخفي خلاف ذلك وهو الاستيلاء

(ذكر مسير جهاردانكي الى العراق وما كان منه)

فى هذه السنة امر السلطان مسعود الامير اسمعيل المعروف بجهاردانكي والبقش كون خر بالمسير الى خوزستان وفارس واخذهما من بوزابة واطلق لهم نفقة على بغداد فساراقين معهما الى بغداد فمنعهم مجاهد الدين بهروز عن دخولها فلم يقبلوا منه فارسل الى المعابر فخسفها وغرقها وجد فى عمارة السور وسد باب الظفرية وباب كلواذى واغلق باقى الابواب وعلق عليها السلاسل وضرب الخيام للمقاتلة فلما علما بذلك عبرا بصرصر وقصدا الحلة فمنعاهما فقصدا واسط فخرج اليهم الامير طرنطاى وتقاتلوا فانهزم طرنطاى ودخلوا واسطا فنهبوها ونهبوا بلد فرسان والنعمانية ولقيهم طرنطاى الى حماد بن أبى الخير صاحب البطيحة ووافقهم عسكر البصرة وفارق اسمعيل والبقش عسكرهما وصارا مع طرنطاى فضعف أولئك فصار الى تستر واستشفع اسمعيل الى السلطان فعفا عنه

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة وصل رسول من السلطان سنجر ومعه بردة النبى صلى الله عليه وسلم والقضيب وكانا قد أخذا من المسترشد فاعادهما الآن الى المقتفى وفى هذه السنة توفى اتابك قراسنقر صاحب اذربيجان وارانية بمدينة اردبيل وكان مرضه السل وطال به وكان من مماليك الملك طغرل وسلمت اذربيجان وارانية الى الامير جاولى الطغرلى وكان قراسنقر عظم محله على سلطانه وخافه السلطان وفيها كان بين اتابك زنكى وبين داود سقمان بن ارتق صاحب حصن كيفا حرب شديد وانهزم داود وملك زنكى من بلاده قلعة بهمرد وأدركه الشتاء فعاد الى الموصل وفيها ملك الاسمعيلية حصن مصياف بالشام وكان واليه مملوكا لبنى منقذ أصحاب شيزر فاحتالوا عليه ومكروا به حتى صعدوا اليه وقتلوه وملكوا الحصن وهو بايديهم الى الآن وفيها توفى سديد الدولة بن الانبارى واستوزر الخليفة بعده نظام الدين أبا نصر محمد بن محمد بن جبير وكان قبل ذلك استاذ الدار وفيها توفى برنقش بازدار صاحب قزوين وفيها فى رجب ظفر ابن الدانشمند صاحب ملطية وغيرها من تلك النواحى بجمع من الروم فقتلهم وغنم مامعهم وفيها فى رمضان سارت طائفة من الفرنج فخرج اليهم العسكر الذى بعسقلان فقاتلهم فظفر المسلمون وقتلوا من الفرنج كثيرا فعادوا منهزمين وفيها بنيت المدرسة الكمالية ببغداد بناها كمال الدين أبو الفتوح بن طلحة صاحب المخزن ولما فرغت درس فيها الشيخ ابو الحسن بن الخل وحضره أرباب المناصب وسائر الفقهاء وفيها فى رجب مات القاضى أبو بكر بن محمد بن عبد الباقى الانصارى قاضى المارستان عن نيف وسبعين سنة وله الاسناد والعوالى بالحديث وكان عالما بالمنطق والحساب والهيئة وغيرها من علوم الاوائل وهو آخر من حدث فى الدنيا عن اسحق البرمكى والقاضى أبى بكر الطبرى وأبى طالب العشارى وأبى محمد الجوهرى وغيرهم وتوفى الامام الحافظ ابو القاسم اسمعيل

ابن

والاسعوا اذا الكلام والجزئى و قطع منفعة الغير ولو قليلا فيضرب هذا بهذا والناس اعداء بعضهم لبعض وقلوبهم متنافرة فيغرى هذا بذلك وذلك بهذا ومن الناس من سمى هذا الديوان ديوان الفتنة (ومنها) الزيادة الفاحشة فى صرف المعاملة والنقص فى وزنها وعيارها وذلك ان حضرة الباشا ابقى دار الضرب على ذمته وجعل خاله ناظرا عليها وقرر لنفسه عليها فى كل شهر خمسمائة كيس بعد أن كان شهريتها ايام نظارة المحروقى خمسين كيسا فى كل شهر ونقصوا وزن القروش نحو النصف عن القرش المعتاد وزادوا فى خلطه حتى لا يكون فيه مقدار ربعه من الفضة الخالصة ويصرف بأربعين نصفا وكذلك المحبوب نقصوا من عياره ووزنه ولما كان الناس يتساهلون فى صرف المحبوب والريال الفرانسه ويقبضونها فى خلاص الحقوق من المماطلين والمفلسين وفى المبيعات الكاسدة بالزيادة لضيق المعايش حتى وصل صرف الريال الى مائتين وخمسين نصفا والمحبوب الى مائتين وثمانين ثم زاد الحال فى التساهل فى الناس بالزيادة أيضا عن ذلك فينادى الحاكم بمنع الزيادة ويمشى الحال أياما قليلة ويعود لما كان أو أزيد فتحصل المناداة أيضا ويعاقبونها بالتشديد والتنكيل عن يفعل ذلك و يقبض عليه أعوان الحاكم ويحبس ويضرب ويغرمونه

ابن محمد بن الفضل الاصفهانى عشر ذى الحجة ومولده سنة تسع وخمسين وله التصانيف المشهورة وتوفى يوسف بن أيوب بن يوسف بن الحسين بن يعقوب الهمذانى من أهل بوزنجرد وسكن مرو وتفقه على أبى اسحق الشيرازى وروى الحديث واشتغل بالرياضات والمجاهدات ووعظ ببغداد فقام اليه متفقه يقال له ابن السقاء وساله وآذاه فى السؤال فقال اسكت انى أشم منك ريح الكفر فسار الرجل الى بلد الروم وتنصر وفيها مات أبو القاسم على بن أفلح الشاعر المشهور

(ثم دخلت سنة ست وثلاثين وخمسمائة)

(ذكر انهزام السلطان سنجر من الاتراك الخطا وملكهم ماوراء النهر)

ثم ذكر أصحاب التواريخ فى هذه الحادثة أقاويل نحن نذكرها جميعها للخروج من اختلافها وعهدتها فنقول فى هذه السنة فى المحرم وقيل فى صفر انهزم السلطان سنجر من الترك الكفار وسبب ذلك ان سنجر كان قتل ابنا لخوارزم شاه اتسز بن محمد كما ذكرناه قبل فبعث خوارزم شاه الى الخطا وهم بماوراء النهر يطمعهم فى البلاد ويروج عليهم أمرها وحثهم على قصد مملكة السلطان سنجر فساروا فى ثلثمائة الف فارس وسار اليهم سنجر فى عساكره فالتقوا بماوراء النهر واقتتلوا أشد قتال وانهزم سنجر وعساكره وقتل منهم مائة الف قتيل منهم اثناعشر ألفا كلهم صاحب عمامة وأربعة آلاف امرأة واسرت زوجة السلطان سنجر وتم السلطان منهزما الى ترمذ وسار منها الى بلخ ولما انهزم سنجر قصد خوارزم شاه مدينة مرو فدخلها مراغمة للسلطان سنجر وقتل بها وقبض على أبى الفضل الكرمانى الفقيه الحنفى وعلى جماعة من الفقهاء وغيرهم من أعيان البلد ولم يزل السلطان سنجر مسعودا الى وقتناهذا لم تنهزم له راية ولما تمت عليه هذه الهزيمة أرسل الى السلطان مسعود وأذن له فى التصرف فى الرى وما يجرى معها على قاعدة ابيه السلطان محمد وامره ان يكون مقيما فيها بعساكره بحيث ان دعت حاجة استدعاه لاجل هذه الهزيمة فوصل عباس صاحب الرى الى بغداد بعساكره وخدم السلطان مسعودا خدمة عظيمة وسار السلطان الى الرى امتثالا لامر عمه سنجر وقيل ان بلاد تركستان وهى كاشغر وبلاد بلاساغون وختن وطراز وغيرها مما يجاورها من بلاد ماوراء النهر كانت بيد الملوك الخانية الاتراك وهم مسلمون من نسل افراسياب التركى الا انهم مختلفون وكان سبب اسلام جده شبق قراخاقان انه راى فى منامه كأن رجلا نزل من السماء فقال بالتركية ما معناه اسلم تسلم فى الدنيا والآخرة فاسلم فى منامه واصبح فاظهر اسلامه فلما مات قام مقامه ابنه موسى بن شبق ولم يزل الملك بتلك الناحية فى اولاده الى ارسلان خان بن محمد بن سليمان بن داود بغراخان بن ابراهيم الملقب بطيغاج خان بن ايلك الملقب بنصر ارسلان بن على بن موسى بن شبق فخرج على قدرخان فانتزع الملك منه فقتل سنجر قدرخان كما ذكرناه سنة اربع وتسعين واربعمائة واعاد الملك الى ارسلان خان وثبت قدمه وخرج خوارج فاستصرخ السلطان سنجر فنصره واعاده

والامر لله وحده (واما من مات فى هذه السنة ممن له ذكر) فلم يمت من مشاهير الفقهاء من له شهرة ولا ذكر (واما الامراء

غرامة وزيساً مثلو ابه وخرموا أنفه وصلبوه على حانوته وعلقوا الريال فى انفه وردعا لغيره وفى اثناء ذلك اذا بالمناداة بان يكون صرف الريال بمائتين وسبعين والمحبوب بثلثمائة وعشرة فاستمع وتعجب من هذه الاحكام الغريبة التى لم يطرق سمع سامع مثلها هذا مع عدم الفضة العديدة فى ايدى الناس فيدور الشخص بالقرش وهو ينادى على صرفه بنقص أربعة انصاف نصف يوم حتى يصرفه بقطع افرنجية منها ما هو باثنى عشر أو خمسة وعشرين أو خمسة فقط أو يشترى من يريد الصرف شيئا من الزيات أو الخضرى أو الجزار ويبقى عنده الكسور الباقية بعده بغلاقها فيعود اليه مرارا حتى يحصل عنده غلاقها وليس هو فقط بل أمثاله كثير وسبب شحة الفضة العددية انه يضرب منها كل يوم بالضربخانه ألوف مؤلفة يأخذها التجار بزيادة مائة نصف فى كل ألف يرسلونها الى بلاد الشام والروم ويعوضون بدلها فى الضربخانه القرانسه والذهب لانها تصرف فى تلك البلاد باقل مما تصرف به فى مصر وزاد الحال بعد هذا التاريخ حتى استقر على صرف الالف مائتين وتقرر ذلك فى حساب الميرى فيدفع الصارف ثلاثين قرشا منها الف ومائتان ويأخذ الفافقط والقرانسه والمحبوب بحسابه المتعارف بذلك الحساب

فقد تقدم ذكرهم) وما وقع لهم ومقتلهم اجمالا فاغنى عن التكرار فالله يرحمنا اجمعين

(ثم دخلت سنة سبع وعشرين ومائتين وألف)

وما تجدد بها من الحوادث فكان ابتداء المحرم بالرؤية يوم الخميس فى عاشره وصل كثير من كبار العسكر الذين تخلفوا بالمويلح فحضر منهم حسين بك دالى باشا وغيره فوصلوا الى قبة النصر جهة العادلية ودخلت عساكرهم المدينة شيئا فشيئا وهم فى اسوأ حال من الجوع وتغير الالوان وكآبة المنظر والسحن ودوابهم وجمالهم فى غاية العى ويدخلون الى المدينة فى كل يوم ثم دخل أكابرهم الى بيوتهم وقد سخط عليهم الباشا ومنع أن لا ياتيه منهم أحد ولا يراه وكانهم كانوا قادرين على النصرة والغلبة وفرطوا فى ذلك ويلومهم على الانهزام والرجوع وطفقوا يتهم بعضهم البعض فى الانهزام فتقول الخيالة سبب هزيمتنا القرابة وتقول القرابة بالعكس ولقد قال لى بعض أكابرهم من الذين يدعون الصلاح والتورع أين لنا بالنصر وأكثر عساكرنا على غير الملة وفيهم من لا يتدين بدين ولا ينتحل مذهبا وصحبتنا صناديق المسكرات ولا يسمع فى عرضينا أذان ولا تقام به فريضة ولا يخطر فى بالهم ولا خاطرهم شعائر الدين والقوم اذا دخل الوقت أذن المؤذنون وينتظمون صفوفا خلف امام واحد بخشوع وخضوع واذا حان وقت الصلاة والحرب قائمة أذن المؤذن وصلوا صلاة الخوف فتتقدم طائفة

الى ملكه وكان من جنده نوع من الاتراك يقال لهم القارغلية والاتراك الغزية الذين نهبوا خراسان على ما نذكره ان شاء الله وهم نوعان نوع يقال لهم اجق واميرهم طوطى ابن دادبيك وقوم يقال لهم برق واميرهم يقال له قرغوت بن عبد الحميد فحسن الشريف الاشرف بن محمد بن ابى شجاع العلوى السمرقندى لولد ارسلان خان المعروف بنصر خان طلب الملك من ابيه واطمعه فسمع محمد بن خان الخبر فقتل الابن والشريف الاشرف وجرت بين ارسلان خان وبين جنده القارغلية وحشة دعتهما الى العصيان عليه وانتزاع الملك منه فعاودوا الاستعانة بالسلطان سنجر فعبر جيحون بعساكره سنة اربع وعشرين وخمسمائة وكان بينهما مصاهرة فوصل الى سمرقند وهرب القارغلية من بين يديه واتفق ان السلطان سنجر خرج الى الصيد فراى خيالة فقبض عليهم فقررهم فاقروا ان ارسلان خان وضعهم على قتله فعاد الى سمرقند فحصر ارسلان خان بالقلعة فلكها واخذه اسيرا وسيره الى بلخ فمات بها وقيل بل غدر به سنجر واستضعفه فملك البلد منه فاشاع عنه ذلك فلما ملك سمرقند استعمل عليها بعده قلج طمغاج ابا المعالى الحسن بن على بن عبد المؤمن المعروف بحسن تكين وكان من اعيان بيت الخانية الا انه الان ارسلان خان اطرحه فلما ولى سمرقند وكان هذا حسن ابن اخت سنجر لم تطل ايامه فمات عن قليل فاقام سنجر مقامه الملك محمود بن ارسلان خان محمد بن سليمان ابن داود بغراخان وهو ابن الذى اخذ منه سنجر سمرقند وكان هذا محمود ابن اخت سنجر وكان قبل ذلك سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة قد وصل الاعور وهو كوخان الصينى الى حدود كاشغر فى عدد كثير لا يعلمهم الا الله فاستعد له صاحب كاشغر وهو الخان احمد ابن الحسن وجمع جنوده فخرج اليه والتقوا فاقتتلوا وانهزم الاعور الصينى وقتل كثير من اصحابه ثم انه مات فقام مقامه كوخان الصينى وهو بلسان الصين لقب لاعظم ملوكهم وخان لقب لملوك الترك فمعناه اعظم الملوك وكان يلبس لبسة ملوكهم من المقنعة والخمار وكان مانويا ولما خرج من الصين الى تركستان انضاف اليه الاتراك الخطا وكانوا قد خرجوا قبله من الصين وهم فى خدمة الخانية اصحاب تركستان وكان ارسلان خان محمد بن سليمان يسير على ستة عشر الف خركاه ومنزلهم على الدروب التى بينه وبين الصين يمنعون احدا من الملوك ان يتطرق الى بلاده وكان لهم على ذلك جرايات واقطاعات فاتفق انه وجد عليهم فى بعض السنين فمنعهم عن نسائهم لئلا يتوالدوا فعظم عليهم ولم يعرفوا وجها يقصدونه وتحيروا فاتفق ان اجتاز بهم قفل عظيم فيه الاموال الكثيرة والامتعة النفيسة فاخذوه واحضروا التجار وقالوا لهم ان كنتم تريدون اموالكم فعرفونا بلدا كثيرة المرعى فسيحا يسعنا ويسع اموالنا فاتفق راى التجار على بلد بلاساغون فوصفوه لهم فاعادوا اليهم اموالهم واخذوا الموكلين الذين كانوا بهم لمنعهم عن نسائهم وكتفوهم واخذوا نساءهم وساروا الى بلاساغون وكان ارسلان خان يغزوهم ويكثر جهادهم فخافوه خوفا عظيما فلما طال ذلك عليهم وخرج كوخان الصينى انضافوا اليه ايضا فعظم شأنهم وتضاعف جمعهم وملكوا بلاد تركستان وكانوا اذا

ماملكوا المدينة لايغيرون على اهلها شيئا بل ياخذون من كل بيت دينارا من اهل البلاد وغيرها من القرى واما المزدرعات وغير ذلك فلاهلها وكل من اطاعهم من الملوك شدفى وسطه شبه لوح فضة فتلك علامة من اطاعهم ثم ساروا الى بلاد ماوراء النهر فاستقبلهم الخاقان محمود بن محمد من حدود خجندة فى رمضان سنة احدى وثلاثين وخمسمائة واقتتلوا فانهزم الخاقان محمود بن محمد وعاد الى سمرقند فعظم الخطب على اهلها واشتد الخوف والحزن وانتظروا البلاء صباحا ومساء وكذلك اهل بخارا وغيرهما من بلاد ماوراء النهر وارسل الخاقان محمود الى السلطان سنجر يستمده وينهى اليه مالقى المسلمون ويحثه على نصرتهم فجمع العساكر فاجتمع عنده ملوك خراسان صاحب سجستان والغور وملك غزنة وملك مازندران وغيرهم فاجتمع اليه اكثر من مائة الف فارس وبقى العرض ستة اشهر وسار سنجر الى لقاء الترك فعبروا الى ماوراء النهر فى ذى الحجة سنة خمس وثلاثين وخمسمائة فشكا اليه محمود بن محمد خان من الاتراك القارغلية فقصدهم سنجر فالتجؤا الى كوخان الصينى ومن معه من الكفار واقام سنجر بسمرقند فكتب اليه كوخان كتابا يتضمن الشفاعة فى الاتراك القارغلية ويطلب منه أن يعفو عنهم فلم يشفعه فيهم وكتب اليه يدعوه الى الاسلام ويهدده ان لم يجب اليه ويتوعده بكثرة عساكره ووصفهم وبالغ فى قتالهم بانواع السلاح حتى قال وانهم يشقون الشعر بسهامهم فلم يرض هذا الكتاب وزير السلطان طاهر بن فخر الملك بن نظام الملك فلم يصغ اليه وسير الكتاب فلما قرئ الكتاب على كوخان امر بنتف لحية الرسول واعطاه برة وكلفه شق شعرة من لحيته فلم يقدر يفعل ذلك فقال كيف يشق غيرك شعرة بسهم وانت عاجز عن شقها بابرة واستعد كوخان للحرب وعنده جنود الترك والصين والخطا وغيرهم وقصد السلطان سنجر فالتقى العسكران وكانا كالبحرين العظيمين بموضع يقال له قطوان وطاف بهم كوخان حتى الجاهم الى واد يقال له درغم وكان على ميمنة سنجر الامير قماج وعلى ميسرته ملك سجستان والابطال وراءهم فاقتتلوا خامس صفر سنة ست وثلاثين وخمسمائة وكانت الاتراك القارغلية الذين هربوا من سنجر من أشد الناس قتالا ولم يكن ذلك اليوم من عسكر السلطان سنجر احسن قتالا من صاحب سجستان فاجلت الحرب عن هزيمة المسلمين فقتل منهم مالا يحصى من كثرتهم واشتمل وادى درغم على عشرة آلاف من القتلى والجرحى ومضى السلطان سنجر منهزما واسر صاحب سجستان والامير قماج وزوجة السلطان سنجر وهى ابنة ارسلان خان فاطلقهم والحسام عمر بن عبد العزيز بن مازة البخارى الفقيه الحنفى المشهور ولم يكن فى الاسلام وقعة أعظم من هذه ولا أكثر من قتل فيها بخراسان واستقرت دولة الخطا والترك الكفار بما وراء النهر وبقى كوخان الى رجب من سنة سبع وثلاثين وخمسمائة فمات فيه وكان جميلا حسن الصورة لايلبس الا الحرير الصينى له هيبة عظيمة على أصحابه ولم يسلط أميرا على اقطاع بل كان يعطيهم من عنده ويقول متى أخذوا الاقطاع ظلموا وكان لايقدم أميرا على اكثر من مائة فارس حتى لايقدر

للحرب وتتاخر الاخرى للصلاة وعسكرنا يتعجبون من ذلك لانهم لم يسمعوا به فضلا عن رؤيته وينادون فى معسكرهم هلموا الى حرب المشركين الحلقين الذقون المستبيحين الزنا واللواط الشاربين الخمور التاركين للصلاة الآكلين الربا القاتلين الانفس المستحلين المحرمات وكشفوا عن كثير من قتلى العسكر فوجدوهم غلفا غير مختونين ولما وصلوا بدرا واستولوا عليها وعلى القرى والخيوف وبها اخيار الناس وبها أهل العلم والصلحاء نهبوهم وأخذوا نساءهم وبناتهم وأولادهم وكتبهم فكانوا يفعلون فيهم ويبيعونهم من بعضهم لبعض ويقولون هؤلاء الكفار الخوارج حتى اتفق ان بعض أهل بدر الصلحاء طلب من بعض العسكر زوجته فقال له حتى تبيت معى هذه الليلة وأعطيها لك من الغد (وفيه) خرج العسكر المجرد الى السويس وكبيرهم بونابارته الخازندار ليذهب لمحافظة الينبع صحبة طوسون باشا (وفيه) وصل جماعة من الانكليز وصحبتهم هدية الى الباشا وفيها طيور ببغا هندية خضر الالوان وملونة وربالات فرانسه نقود معباة فى براميل وحديد وآلات وحيثهم وحضورهم فى طلب أخذ الغلال وفى كل يوم تساق المراكب المشحونة بالغلال الى بحرى وكلما وردت مراكب سيرت الى بحرى حتى شحت الغلال وغلاسعرها وارتفعت من السواحل والرقع ولا يكاد يباع الاما دون الويبة وكان سعر الاردب من اربعمائة نصف

على العصيان عليه وكان ينهى أصحابه عن الظلم وينهى عن السكر ويعاقب عليه ولا ينهى عن الزنا ولا يقبحه ومات بعده ابنة له فلم تطل مدتها حتى ماتت فملك بعدها امها زوجة كوخان وابنه محمد وبقي ما وراء النهر بيد الخطا الى ان اخذه منهم علاء الدين محمد خوارزم شاه سنة اثنتي عشرة وستمائة على ما نذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر ما فعله خوارزم شاه بخراسان)

قد ذكرنا قبل قصد السلطان سنجر خوارزم واخذها من خوارزم شاه اتسز وعوده اليها وقتل ولد خوارزم شاه وانه هو الذي راسل الخطا واطمعهم في بلاد الاسلام فلما لقيهم السلطان سنجر وعاد منهزما سار خوارزم شاه الى خراسان فقصد سرخس في ربيع الاول من السنة فلما وصل اليها لقي الامام ابا محمد الزيادي وكان قد جمع بين الزهد والعلم فاكرمه خوارزم شاه اكراما عظيما ورحل من هناك الى مرو الشاهجان فقصده الامام احمد الباخرزي وشفع في اهل مرو وسال ان لا يتعرض اليهم احد من العسكر فاجابه الى ذلك ونزل بظاهر البلد واستدعى ابا الفضل الكرماني الفقيه واعيان اهلها فثار عامة مرو وقتلوا بعض اهل خوارزم شاه واخرجوا اصحابه من البلد واغلقوا ابوابه واستعدوا للامتناع فقاتلهم خوارزم شاه ودخل مدينة مرو سابع عشر ربيع الاول من السنة وقتل كثيرا من اهلها وممن قتل ابراهيم المروزي الفقيه الشافعي وعلي بن محمد بن ارسلان وكان ذا فنون كثيرة من العلم وقتل الشريف علي بن اسحق الموسوي كان راس فتنة ومقدم شر وقتل كثيرا من اعيان اهلها وعاد الى خوارزم واستصحب معه علماء كثيرا من اهلها منهم ابو الفضل الكرماني وابو منصور العبادي والقاضي الحسين بن محمد الارسابندي وأبو محمد الخرقي الفيلسوف وغيرهم ثم سار في شوال من السنة الى نيسابور فخرج اليه جماعة من فقهائها وعلمائها وزهادها وسالوه أن لا يفعل باهل نيسابور ما فعل باهل مرو فاجابهم الى ذلك لكنه استقصى في البحث عن أموال أصحاب السلطان فاخذها وقطع خطبة السلطان سنجر اول ذي القعدة وخطب له فلما ترك الخطيب ذكر السلطان سنجر وذكر خوارزم شاه صاح الناس وثاروا وكادت الفتنة تثور والشر يعود جديدا وانما منع الناس ذووا الرأي والعقل نظرا الى العاقبة فقطعت الى أول المحرم سنة سبع وثلاثين فاعيدت خطبة السلطان سنجر ثم سير خوارزم شاه جيشا الى أعمال بيهق فاقاموا بها يقاتلون أهلها خمسة أيام ثم سار عنها ذلك الجيش ينهبون البلاد وعملوا بخراسان اعمالا عظيمة ومنع السلطان من مقاتلة أتسز خوارزم شاه لاجل قوة الخطا بما وراء النهر ومجاورتهم وملك خوارزم شاه هذه البلاد وغيرها من خراسان

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة ملك اتابك زنكي بن آقسنقر مدينة الحديثة ونقل من كان بها من آل مهراش الى الموصل ورتب أصحابه فيها وفيها ايضا خطب لزنكي بمدينة آمد وصار

صاحبها

الى الف ومائتين والفول كذلك وربما كان سعره ازيد من القمح لقلته فانه هاف زرعه في هذه السنة ولم يحصل من رميوا الانحو التقاوي وحصل للناس في هذه الايام شدة بسبب ذلك ثم بعد قليل وردت غلال وانحلت الاسعار وتواجدت الغلال بالسواحل والرقع (وفي منتصفه) حضر رجل نصراني من جبل الدروز وتوصل الى الباشا وعرفه انه يحسن الصناعة بدار الضرب ويوفر عليه كثيرا من المصاريف وانها بانحو الخمسمائة صانع وأن يقوم بالعمل باربعين شخصا لاغير وانه يصنع آلات وعدد الضرب القروش وغيرها ولا تحتاج الى وقود نيران ولا كثير من العمل فصدق الباشا قوله وأمر بان يفرد له مكان ويضم اليه ما يحتاجه من الرجال والحدادين والصناع ليعمل اصناعته العدد والآلات التي يحتاجها وشرع في أشغاله واستمر على ذلك شهورا (وفيه) التفت الباشا الى خدمة الضربخانه وأفنديتها وطمعت نفسه في مصادرتهم وأخذ الاموال لما يرى عليهم من التجمل في الملابس والمراكب لان من طبعه داء الحسد والشره والطمع والتطلع لما في أيدي الناس وارزاقهم فكان ينظر اليهم ويرمقهم وهم يغدون ويروحون الى الضربخانه هم وأولادهم راكبون البغال والرهوانات المجملة وحولهم الخدم والاتباع فيسال عنهم ويستخبر

صاحبها في طاعته وكان قبل ذلك موافقا لداود على قتال زنكي فلما رأى قوة زنكي صار معه وفيها عزل مجاهد الدين بهروز عن شحنكية بغداد ووليها قزل امير اخور وهو من مماليك السلطان محمود وكان له بروجرد والبصرة فاضيف اليه شحنكية بغداد ثم وصل السلطان الى بغداد فرأى من تبسط العيارين وفسادهم ما ساءه فاعاد بهروز الى الشحنكية فتاب كثير منهم ولم ينتفع الناس بذلك لان ولد الوزير واخا امرأة السلطان كانا يقاسمان العيارين فلم يقدر بهروز على منعهم وفيها تولى عبد الرحمن طغايرك حجبة السلطان واستولى على المملكة وعزل الامير تتر الطغرلي عنها وآل امره الى ان مشى في ركاب عبد الرحمن وفيها توفي ابراهيم السهاوي مقدم الاسماعيلية فاخرجه ولد عباس صاحب الري في تابوته وفيها حج كمال الدين بن طلحة صاحب المخزن وعاد وقد لبس ثياب الصوفية وتخلى عن جميع ما كان عليه واقام في داره مرعي الجانب محروس القاعدة وفيها وصل السلطان الى بغداد وكان الوزير الزينبي بدار السلطان كما ذكرناه فسأل السلطان ان يشفع فيه ليرده الخليفة الى داره فارسل السلطان وزيره الى دار الخلافة ومعه الوزير شرف الدين الزينبي وشفع ان يعود الى داره فاذن له في ذلك واعاد اخاه الى نقابة النقباء فلزم الوزير داره ولم يخرج منها الا الى الجامع وفيها اغار عسكر اتابك زنكي من حلب على بلاد الفرنج فنهبوا واحرقوا وظفروا بسرية الفرنج فقتلوا فيهم واكثروا فكان عدة القتلى سبعمائة رجل وفيها افسد بنو خفاجة بالعراق فسير السلطان مسعود سرية اليهم من العسكر فنهبوا حلتهم وقتلوا من ظفروا به منهم وعادوا سالمين وفيها سير رجار الفرنجي صاحب صقلية اسطولا الى اطراف افريقية فاخذوا مراكب سيرت من مصر الى الحسن صاحب افريقية وغدر بالحسن ثم راسله الحسن وجدد الهدنة لاجل حمل الغلات من صقلية الى افريقية لان الغلاء كان فيها شديدا والموت كثيرا وفيها توفي ابو القاسم عبد الوهاب بن عبد الواحد الحنبلي الدمشقي وكان عالما وفيها توفي ضياء الدين ابو سعيد الكفرتوثي وزير اتابك زنكي وكان حسن السيرة في وزارته كريما رئيسا وفيها توفي ابو محمد بن طاوس امام الجامع بدمشق في المحرم وكان رجلا صالحا فاضلا وفيها توفي ابو القاسم اسمعيل بن احمد بن عمر بن ابي الاشعث المعروف بابن السمرقندي ولد بدمشق سنة اربع وخمسين واربعمائة وكان مكثرا من الحديث عالي الرواية

(ثم دخلت سنة سبع وثلاثين وخمسمائة)

(ذكر ملك عماد الدين اتابك زنكي قلعة اشب وغيرها من الهكارية)

في هذه السنة ارسل اتابك زنكي جيشا الى قلعة اشب وكانت اعظم حصون الاكراد الهكارية واوثقها وبها اموالهم واهلهم فحصروها وضيقوا على من بها فملكوها فامر باخرابها وبناء القلعة المعروفة بالعمادية عوضا عنها وكانت هذه القلعة العمادية حصنا عظيما من حصونهم خربوه لكبره لانه كبير جدا وكانوا يعجزون عن حفظه فخربت

الخدم فسأل عنه فقيل له ان هذا البواب الذي يغلق باب الضربخانه بعد خروج الناس منها ويفتحه لهم في الصباح فسأل عن مرتبه في كل يوم فعرفوه ان له في كل يوم قرشين لا غير فقال ان هذا المرتب له لا يكفي خدمه الذين هم حوله فكيف بصرف داره وعليق دوابه وجميع لوازمه مما ينفقه ويحتاجه في تجملاته وملابسه وملابس اهله وعياله ان هؤلاء الناس كلهم سراق وكل ما هم فيه من السرقة والاختلاس ولابد من اخراج الاموال التي اختلسوها وجمعوها وتناجى في ذلك مع المعلم غالي وقرنائه ثم طلب اولا اسمعيل افندي ليلا وهو الافندي الكبير وقال له عرفني خيانة فلان النصراني وفلان اليهودي المورد فقال لا اعلم على احد منهم خيانة وهذا شئ يدخل بالميزان ويخرج بالميزان ثم صرفه واحضر النصراني وقال له عرفني بخيانة اسمعيل افندي واولاده والمداد وابراهيم افندي الخضراوي الختام وغيره فلم يزد على ما قاله اسمعيل افندي ثم احضر الحاج سالم الجواهرجي وهدده فلم يزد على قول الجماعة شيئا فقال الجميع شركاء بعضهم البعض ومتفقون على خياناتي

ثم امر بحبس الحاج سالم واحضر شخصا آخر من الجواهرجية يسمى صالح الدنف والبسه فروة وجعله

الآن أشب وعمرت العمادية وانما سميت العمادية نسبة الى لقبه وكان نصير الدين جقر نائبه بالموصل قد فتح أكثر القلاع الجبلية

(ذكر حصر الفرنج طرابلس الغرب)

وفي هذه السنة سارت مراكب الفرنج من صقلية الى طرابلس الغرب فحصروها وسبب ذلك ان أهلها في أيام الامير الحسن صاحب أفريقية لم يدخلوا أبدا في طاعته ولم يزالوا مخالفين مشاققين له قد قدموا عليهم من بني مطروح مشايخ يدبرون أمرهم فلما رآهم ملك صقلية كذلك جهز اليهم جيشا في البحر فوصلوا اليهم تاسع ذي الحجة فنازلوا البلد وقاتلوه وعلقوا الكلاليب في سوره ونقبوه فلما كان الغد وصل جماعة من العرب نجدة لاهل البلد فقوي أهل طرابلس بهم فخرجوا الى الاسطول فحملوا عليهم حملة منكرة فانهزموا هزيمة فاحشة وقتل منهم خلق كثير ولحق الباقون بالاسطول وتركوا الاسلحة والاثقال والدواب والآلات فنهبها العرب وأهل البلد ورجع الفرنج الى صقلية فجهزوا أسلحتهم وتجهزوا الى المغرب فوصلوا الى جيجل فلما رآهم أهل البلد هربوا الى البراري والجبال فدخلها الفرنج وسبوا من أدركوا فيها وهدموها وأحرقوها وأخربوا القصر الذي بناه يحيى بن العزيز بن حماد للنزهة ثم عادوا

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة خرج حسن أمير الامراء على السلطان سنجر بخراسان وفيها توفي محمد بن دانشمند صاحب ملطية والثغور واستولى على بلاده الملك مسعود بن قلج أرسلان صاحب قونية وهو من السلجوقية وفيها خرج من الروم عسكر كثير الى الشام فحصروا الفرنج بانطاكية فخرج صاحبها واجتمع بملك الروم وأصلح حاله معه وعاد الى مدينته ومات في رمضان من هذه السنة ثم ان ملك الروم بعد أن صالح صاحب انطاكية سار الى طرابلس فحصرها ثم سار عنها وفيها قبض السلطان مسعود على الامير ترشك وهو من خواص الخليفة وممن ربي عنده وفي داره فساء ذلك الخليفة ثم أطلقه السلطان حفظا لقلب الخليفة وفيها كان بمصر وباء عظيم فهلك منه أكثر البلاد

(ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة)

(ذكر صلح الشهيد السلطان مسعود وأتابك زنكي)

في هذه السنة وصل السلطان مسعود الى بغداد على عادته في كل سنة وجمع العساكر وتجهز لقصد أتابك زنكي وكان حقد عليه حقدا شديدا وسبب ذلك ان أصحاب الاطراف الخارجين على السلطان مسعود كانوا يخرجون عليه على ما تقدم ذكره فكان ينسب ذلك الى أتابك زنكي ويقول هو الذي سعى فيه وأشار به لعلمه انهم كلهم كانوا يصدرون عن رأيه فكان أتابك زنكي لاشك يفعل ذلك لئلا يخلو السلطان فيتمكن منه ومن غيره فلما تفرغ السلطان هذه السنة جمع العساكر ليسير الى بلاده فسير أتابك يستعطفه ويستميله فأرسل اليه السلطان أبا عبد الله بن الانباري في تقرير

في خدمة الحاج سالم ثم ركب الباشا الى بيت ٤٢ الازبكية وطلب اسمعيل افندي ليلا هو واولاده فاحضروهم بجماعة من العسكر في صورة هائلة وهددهم بالقتل وأمر باحضار المشاعل فاحضروه وأوقدوا المشاعل وسعت المتكلمون في العفو عنهم من القتل وقرروا عليهم مبلغا عظيما من الاكياس التزموا بدفعها خوفا من القتل ففرضوا على الحاج سالم بمفرده سبعمائة وخمسين كيسا وعلى ابراهيم المذاد مائتي كيس وعلى أحمد أفندي الوزان مائتي كيس وعلى أولاد الشيخ السحيمي مائتي كيس لان لهم بها آلات ختم ووظائف يستغلون أجرتها وأخذ الجماعة في تحصيل ما فرض عليهم فشرعوا في بيع أمتعتهم وجهات ايرادهم ورهنوا وتداينوا بالربا وحولت عليهم الحوالات لطف الله بنا وبهم

(واستهل شهر صفر الخير بيوم الجمعة سنة ١٢٢٧)

في سابعه يوم الخميس حضر السيد محمد المحروقي الى مصر ووصل من طريق القصير ثم ركب بحر النيل ولم يحضر الشيخ المهدي بل تخلف عنه بقنا وقوص لبعض اغراضه (وفيه) ألبس الباشا صالح اغا السلحدار خلعة وجعله سر عسكر التجريدة المتوجهة على طريق البر الى الحجاز وكذلك ألبس باقي الكشاف (وفي يوم الاحد) عاشره ورد قابجي وعلى يده مرسوم ببشارة بمولود ولد للسلطان محمود وتسمى بمراد وصحبته ايضا مقرر للباشا على ولاية مصر فضربوا مدافع

القواعد فاستقرت القاعدة على مائة ألف دينار يحملها الى السلطان ليعود عنه فحمل عشرين ألف دينار اكثرها عروض ثم تنقلت الاحوال بالسلطان الى أن احتاج الى مداراة اتابك وأطلق له الباقى استمالة له وحفظا لقلبه وقعود السلطان عنه كان سببه حصانة بلاده وكثرة عساكره وأمواله ومن جيد الرأى مافعله الشهيد فى هذه الحادثة فانه كان ولده الاكبر سيف الدين غازى لا يزال عند السلطان سفرا وحضرا فارسل الى ولده فارسل اليه ثانية وارسل اليه نائبه بها نصير الدين جقر فيقول له امنعه عن الدخول الى الموصل والوصول اليه فهرب غازى وبلغ الخبر والده فارسل اليه يأمره بالعودة الى السلطان ولم يجتمع به وارسل معه رسولا الى السلطان يقول له ان ولدى هرب خوفا من السلطان لما رأى تغيره على وقد اعدته الى الخدمة ولم اجتمع به فانه مملوكك والبلاد لك فحل ذلك من السلطان محلا عظيما

(ذكر ملك اتابك بعض ديار بكر)

وفى هذه السنة سار اتابك زنكى الى ديار بكر ففتح منها عدة بلاد وحصون فمن ذلك مدينة طنزة ومن ذلك مدينة اسعرد ومدينة حيزان وحصن الدوق وحصن مطليس وحصن باتسية وحصن ذى القرنين وغير ذلك مما لم يبلغ غيره هذه الاماكن وأخذ أيضا من بلد ماردين مما هو بيد الفرنج جملين والموزر وتل موزر وغيرها من حصون جوسلين ورتب امور الجميع وخلى فيها من الاجناد من يحفظها وقصد مدينة آمد وحانى فحصرهما واقام بتلك الناحية مصلحا لما فتحه ومحاصرا لما لم يفتحه

(ذكر امر العيارين ببغداد)

وفى هذه السنة زاد أمر العيارين وكثر الامر منهم من الطلب بسبب ابن الوزير وابن قاورت أخى زوجة السلطان لانهما كان لهما نصيب من الذى يأخذه العيارون وكان النائب فى شحنكية بغداد مملوكا اسمه ايلدكز وكان صارما مقداما ظالما فحمله الاقدام الى ان حضر عند السلطان فقال له السلطان ان السياسة قاصرة والناس قد هلكوا فقال يا سلطان العالم اذا كان عقيد العيارين ولد وزيرك واخا امرأتك فاى قدرة لى على المفسدين وشرح له الحال فقال له الساعة تخرج وتكبس عليهما اين كانا وتصلبهما فان فعلت والا صلبتك فاخذ خاتمه وخرج فكبس على ابن الوزير فلم يجده فاخذ من كان عنده وكبس على ابن قاورت فاخذه وصلبه فاصبح الناس وهرب ابن الوزير وشاع الامر ورؤى ابن قاورت مصلوبا فهرب اكثر العيارين وقبض على من اقام وكفى الناس شرهم

(ذكر حصر سنجر خوارزم وصلحه مع خوارزم شاه)

قد ذكرنا سنة اثنتين وثلاثين مسير سنجر الى خوارزم وملكه لها وعود اتسز خوارزم شاه اليها وأخذها وما كان منه بخراسان بعد ذلك فلما كان فى هذه السنة سار السلطان سنجر الى خوارزم شاه فجمع خوارزم شاه عساكره وتحصن بالمدينة ولم يخرج منها للقتال

لورودة وطلع الى القلعة فى موكب وقرئت المراسيم وعملوا شنكا ومدافع تضرب فى الاوقات الخمسة سبعة أيام من القلعة والازبكية وبولاق والجيزة *(واستهل شهر ربيع الاول سنة ١٢٢٧)* فيه حضر ابراهيم بك ابن الباشا من الجهة القبلية (وفى منتصفه) حضر احمد اغا لاظ الذى كان امير ابقنا وقوص وباقى الكشاف بعد ان راكوا جميع البلاد القبلية والاراضى وفرضوا عليها الاموال على كل فدان سبعة ريالات وهو شئ كثير جدا واحصوا جميع الرزق الاحباسية المرصدة على المساجد والبر والصدقة بالصعيد ومصر فبلغت ستمائة الف فدان واشاعوا بانهم يطلقون للمرصد على المساجد خاصة نصف المفروض وهو ثلاثة ريال ونصف فضجت اصحاب الرزق وحضر الكثير منهم يستغيثون بالمشايخ فركبوا الى الباشا وتكلموا معه فى شان ذلك وقالوا له هذا يترتب عليه خراب المساجد فقال واين المساجد العامرة الذى لم يرض بذلك يرفع يده وأنا اعمر المساجد المتخربة وارتب لها ما يكفيها ولم يفد كلامهم فائدة فنزلوا الى بيوتهم (وفى اواخره) انتقل السيد محمد كرم النقيب من دمياط الى طندتا وسكن بها (وسبب ذلك انه لما طالت اقامته بدمياط وهو ينتظر الفرج وقد ابطأ عليه وهو ينتقل من المكان الذى هو فيه الى مكان آخر على شاطئ البحر وتشاغل بعمارة مكان انشاه هناك واكثر من ملازمون له فلم يزل حتى وورد عليه صديق افندى قاضى العسكر فكلمه

بان يشفع له عند الباشا في انتقاله الى طندتا ففعل واجاب الباشا الى ذلك *(واستهل شهر ربيع الآخر سنة ١٢٢٧)*

في رابعه وصل الحجاج المغاربة ووصل ايضا مولاي ابراهيم ابن السلطان سليمان سلطان الغرب وسبب تاخرهم الى هذا الوقت انهم أتوا من طريق الشام وهلك الكثير من فقرائهم المشاة واخبروا انهم قضوا مناسكهم وحجوا وزاروا المدينة واكرمهم الوهابية اكراما زائدا وذهبوا ورجعوا من غير طريق العسكر (وفي عاشره) حضر تامر كاشف ومحو بك وعبد الله اغا وهم الذين كانوا حضروا الى المويلح بعد الهزيمة فاقاموا به مدة ثم ذهبوا الى ينبع البحر عند طوسون باشا ثم حضروا في هذه الايام باستدعاء الباشا وكان محو بك في مركب من مراكب الباشا الكبار التي انشاها فانكسر على شعب وهلك من عسكره اشخاص ونجا هو بمن بقي معه واخبروا عنه انه كان اول من تقدم في الحرب وحسين بك فقتل من عسكرهما الكثير من دون البقية الذين استعجلوا الفرار (وفيه) خرجت اوراق الفرضة على نسق العام الاول عن اربع سنوات مال وفائظ ومضاف وبراني ورزق واوسية واستقر طلبها في دفعة واحدة ويؤخذ من اصل حسابها الغلال من الاجران بحساب ثمانية ريال كل اردب ويجمع غلال كل اقليم في نواحي عينوها

لعلمه انه لا يقوى لسنجر وكان القتال يجري بين الفريقين من وراء السور فاتفق في يوم من بعض الايام ان هجم امير من امراء سنجر اسمه سنقر على البلد من الجانب الغربي فلم يبق غير ملكه قهرا وعنوة وكان منقال التاجي هجم من الشرق فانهزم منقال من البلد وبقي سنقر وحده في البلد فقوي عليه خوارزم شاه اتسز فاخرجه من البلد وبقي سنجر وحده واشتد في حفظه فلما رأى السلطان قوة البلد وامتناعه عزم على العود الى مرو ولم يمكنه من غير قاعدة تستقر بينهما فاتفق ان خوارزم شاه أرسل رسلا يبذل المال والطاعة والخدمة ويعود الى ما كان عليه من الانقياد فاجابه الى ذلك واصطلحا وعاد سنجر الى مرو واقام خوارزم شاه بخوارزم

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة سير اتابك زنكي عسكرا الى مدينة عانة من اعمال الفرات فملكوها وفيها في المحرم توفي ابو البركات عبد الوهاب بن المبارك بن احمد الانماطي الحافظ ببغداد ومولده سنة اثنتين وستين واربعمائة وفيها توفي ابو الفتوح محمد بن الفضل ابن محمد الاسفرايني الواعظ من اهل اسفراين من خراسان واقام مدة ببغداد يعظ وسار الى خراسان فلما مات حضر الغزنوي عزاءه ببغداد وبكى واكثر فقال بعض اصحاب ابي الفتوح للغزنوي كلاما اغلظ له فيه فلما قام الغزنوي لامه بعض تلامذته على حضور العزاء وكثرة البكاء وقال له كنت مهاجرا لهذا الرجل فلما مات حضرت عزاءه واكثرت البكاء واظهرت الحزن قال كنت ابكي على نفسي كان يقال فلان وفلان فمن يعدم النظير ايقن بالرحيل وانشد هذه الابيات

ذهب المبرد وانقضت ايامه * وسينقضي بعد المبرد ثعلب
بيت من الآداب اصبح نصفه * خربا وباق نصفه فسيخرب
فتزودوا من ثعلب فبمثل ما * شرب المبرد عن قليل يشرب
اوصيكم ان تكتبوا انفاسه * ان كانت الانفاس مما يكتب

وفيها توفي الوزير شرف الدين علي بن طراد الزينبي في رمضان معزولا ودفن بداره بباب الازج ثم نقل الى الحربية وفيها توفي ابو القاسم محمود بن عمر الزمخشري النحوي المفسر وزمخشر احدى قرى خوارزم

(ثم دخلت سنة تسع وثلاثين وخمسمائة)

(ذكر فتح الرها وغيرها من البلاد الجزرية)

في هذه السنة سادس جمادى الآخرة فتح اتابك عماد الدين زنكي بن آقسنقر مدينة الرها من الفرنج وفتح غيرها من حصونهم بالجزيرة ايضا وكان ضررهم قد عم بلاد الجزيرة وشرهم قد استطار فيها ووصلت غاراتهم الى ادانيها واقاصيها وبلغت آمد ونصيبين ورأس العين والرقة وكانت مملكتهم بهذه الديار من قريب ماردين الى الفرات مثل الرها وسروج والبيرة وسن ابن عطية وحملين والموزر والقرادي وغير ذلك وكانت هذه

الاعمال

الاعمال مع غيرها مما هو غرب الفرات لجوسلين وكان صاحب رأى الفرنج والمقدم على عساكرهم لما هو عليه من الشجاعة والمكر وكان اتابك يعلم انه متى قصد حصرها اجتمع فيها من الفرنج من يمنعها فيتعذر عليه ملكها لما هى عليه من الحصانة فاشتغل بديار بكر ليوهم الفرنج انه غير متفرغ الى قصد بلادهم فلما رأوه انه غير قادر على ترك الارتقية وغيرهم من ملوك ديار بكر حيث انه محارب لهم اطمانوا وفارق جوسلين الرها وعبر الفرات الى بلاد الغربية فجاءت عيون اتابك اليه فاخبروه الخبر فنادى فى العسكر بالرحيل وان لا يتخلف عن الرها احد من غد يومه وجمع الامراء عنده وقال قدموا الطعام وقال لا ياكل معى على مائدتى هذه الامن يطعن غدا معى بباب الرها فلم يتقدم اليه غير امير واحد وصبى لا يعرف لما يعلمون من اقدامه وشجاعته وان احدا لا يقدر على مساواته فى الحرب فقال الامير لذلك الصبى ما انت فى هذا المقام فقال اتابك دعه فوالله انى ارى وجها لا يتخلف عنى وسار والعساكر معه ووصل الى الرها وكان هو اول من حمل على الفرنج وحمل ذلك الصبى وحمل فارس من خيالة الفرنج على اتابك عرضا فاعترضه ذلك الامير فطعنه فقتله وسلم الشهيد ونازل البلد وقاتله ثمانية وعشرين يوما فزحف اليه عدة دفعات وقدم النقابين فنقبوا سور البلد ولج فى قتاله خوفا من اجتماع الفرنج والمسير اليه واستنقاذ البلد منه فسقطت البدنة التى نقبها النقابون وأخذ البلد عنوة وقهرا وحصر قلعته فملكها أيضا ونهب الناس الاموال وسبوا الذرية وقتلوا الرجال فلما رأى اتابك البلد اعجبه ورأى ان تخريب مثله لا يجوز فى السياسة فامر فنودى فى العساكر برد ما أخذوه من الرجال والنساء والاطفال الى بيوتهم واعادة ما غنموه من اثاثهم وامتعتهم فردوا الجميع عن آخره لم يفقد منه شئ الا الشاذ النادر الذى اخذ وفارق من اخذه العسكر فعاد البلد على حاله الاول وجعل فيه عسكرا يحفظه وتسلم مدينة سروج وسائر الاماكن التى كانت بيد الفرنج شرقى الفرات ما عدا البيرة فانها حصينة منيعة وعلى شاطئ الفرات فسار اليها وحصرها وكانوا قد اكثروا ميرتها ورجالها فبقى على حصارها الى ان رحل عنها على ما نذكره ان شاء الله تعالى (حكى) أن بعض الحكماء بالانساب والتواريخ قال كان صاحب جزيرة صقلية قد ارسل سرية فى البحر الى طرابلس الغرب وتلك الاعمال فنهبوا وقتلوا وكان بصقلية انسان من العلماء المسلمين وهو من أهل الصلاح وكان صاحب صقلية يكرمه ويحترمه ويرجع الى قوله ويقدمه على من عنده من القسوس والرهبان وكان اهل ولايته يقولون انه مسلم بهذا السبب ففى بعض الايام كان جالسا فى منظرة تشرف على البحر واذ قد أقبل مركب لطيف واخبره من فيه ان عسكره دخل بلاد الاسلام وغنموا وقتلوا وظفروا وكان المسلم الى جانبه وقد اغفى فقال له الملك يا فلان أما تسمع ما يقولون قال لا قال انهم يخبرون بكذا وكذا أين كان محمد عن تلك البلاد وأهلها فقال له كان غاب عنهم وشهد فتح الرها وقد فتحها المسلمون الآن فضحك منه من كان هناك من الفرنج فقال الملك لا تضحكوا فوالله ما يقول الا الحق فبعد أيام وصلت الاخبار من

تساق الى الاسكندرية وتباع على الافرنج فنقصت الغلال وغلا سعرها مع كون الفلاح لا يقدر على رفع غلته المتحصلة له من زراعة ارضه التى غرم عليها المغارم بطول السنة بل تؤخذ منه قهرا مع الاجحاف فى الثمن والكيل بحيث يكال الاردب اردبا ونصفا ثم يلزمونه باجرة حملها للمحل المعد لذلك ويلزم ايضا باجرة الكيال وعوائد المباشرين لذلك من الاعوان وخدمة الكشوفية واجرة المعادى وبعض البلاد يطلق له الاذن بدفع المطلوب بالثمن والبعض النصف غلال والنصف الآخر دراهم حسب رسم المعلم غالى واوامره واذنه فانه هو المرخص فى الامر والنهى فيبيع المأذون له غلته باقصى قيمة برأى من المسكين الآخر الذى لم تسعده الاقدار وحضر الكثير من الفلاحين وازدحموا بباب المعلم غالى وتركوا بلادهم وتعطلوا عن الدراس (وفى) ليلة الاثنين خامس عشره ذهب الباشا الى قصر شبرا وسافر تلك الليلة الى ثغر الاسكندرية ورجع ابنه ابراهيم بك الى الجهة القبلية وكذلك احمد اغا لاظ لتحرير وقبض الاموال (وفيه) ورد الخبر بان العسكر بقبلى ذهبوا خلف الامراء القبليين الفارين الى خلف ابريم وضيقوا عليهم الطرق وماتت خيولهم وجمالهم وتفرق عنهم خدمهم واضمحل حالهم وحضر عدة من مماليكهم واجنادهم الى ناحية اسوان بامان من الاتراك فقبضوا عليهم

فرنج الشام بفتحها * وحكى لي جماعة من أهل الدين والصلاح ان انسانا صالحا رأى الشهيد في النوم فقال له ما فعل الله بك قال غفر لي بفتح الرها

* (ذكر قتل نصير الدين جقر وولاية زين الدين علي كوجك قلعة الموصل) *

في هذه السنة في ذي القعدة قتل نصير الدين جقر نائب اتابك زنكي بالموصل والاعمال جميعها التي شرق الفرات وسبب قتله ان الملك الب ارسلان المعروف بالخفاجي ولد السلطان محمود كان عند اتابك الشهيد وكان يظهر للخلفاء والسلطان مسعود واصحابه بالاطراف ان هذه البلاد لهذا الملك وأنا نائبه فيها وكان ينتظر وفاة السلطان مسعود ليخطب له بالسلطنة ويملك البلاد باسمه وكان هذا الملك بالموصل هذه السنة ونصير الدين يقصده كل يوم ليقوم بخدمته ان عرضت له فحسن له بعض المفسدين طلب الملك وقال له ان قتلت نصير الدين ملكت الموصل وغيرها من البلاد ولا يبقى مع اتابك زنكي فارس واحد فوقع هذا منه موقعا حسنا وظنه صدقا فلما دخل نصير الدين اليه وثب عليه من عنده من اجناد اتابك ومماليكه فقتلوه وألقوا برأسه الى أصحابه ظنا منهم ان اصحابه يتفرقون ويخرج الملك ويملك البلد وكان الامر خلاف ما ظنوه فان اصحابه واصحاب اتابك الذين في خدمته لما رأوا رأسه قاتلوا من بالدار مع الملك واجتمع معهم الخلق الكثير وكانت دولة اتابك مملوءة بالرجال والاجناد ذوي الرأي والتجربة ثم دخل اليه القاضي تاج الدين يحيى بن الشهرزوري ولم يزل به يخدعه وكان فيما قال له لما رآه منزعجا يا مولانا لم تحرد من هذا الكلب هذا واستاذه مماليكك والحمد لله الذي أراحنا منه ومن صاحبه على يدك وما الذي يقعدك في هذه الدار قم لتصعد القلعة وتاخذ الاموال والسلاح وتملك البلد وتجمع الجند وليس دون الموصل مانع فقام معه وأصعده القلعة فلما قاربها اراد من بها من النقيب والاجناد القتال فتقدم اليهم القاضي تاج الدين وقال لهم افتحوا الباب وتسلموه وافعلوا به ما اردتم ثم فتح الباب ودخل الملك والقاضي اليها ومعهما من اعان على قتل نصير الدين فحبسوا ونزل القاضي وبلغ الخبر اتابك زنكي وهو يحاصر قلعة البيرة وقد اشرف على ملكها فخاف ان تختلف البلاد الشرقية بعد قتل نصير الدين ففارق البيرة وارسل زين الدين علي بن بكتكين الى قلعة الموصل واليا على ما كان نصير الدين يتولاه

* (ذكر عدة حوادث) *

في هذه السنة قبض السلطان مسعود على وزيره البروجردي ووزر بعده المرزبان بن عبيد الله ابن نصر الاصفهاني وسلم اليه البروجردي فاستخرج امواله ومات مقبوضا وفيها كان اتابك عماد الدين زنكي يحاصر البيرة وهي للفرنج شرق الفرات بعد ملك الرها وهي من امنع الحصون وضيق عليها وقارب ان يفتحها فجاءه خبر قتل نصير الدين نائبه بالموصل فرحل عنها وارسل نائبا الى الموصل واقام ينتظر الخبر فخاف من بالبيرة من الفرنج ان يعود اليهم وكانوا يخافونه خوفا شديدا فارسلوا الى نجم الدين صاحب

ماردين

وقتلوهم عن آخرهم وفعلوا قبل ذلك بغيرهم كذلك (وفي اواخره) سافر عدة من عسكر المغاربة الى الينبع ووصل جملة كبيرة من عسكر الاروام الى الاسكندرية فصرف عليهم الباشا علائف وحضروا الى مصر وانتظموا في سلك من بها وبعين منهم للسفر من ينبع (وفيه) وقعت حادثة بخط الجامع الازهر وهو انه من مدة سابقة من قبل العام الماضي كان يقع بالخطة ونواحيها من الدور والحوانيت سرقات وضياع امتعة وتكرر ذلك حتى ضج الناس وكثر لغطهم وضاع تخمينهم فمن قائل انه مسترعيات يدخلون من نواحي السور ويتفرقون في الخطة ويفعلون ما يفعلون ومنهم من يقول ان ذلك فعل طائفة من العسكر الذين يقال لهم الحيطة في بلادهم الى غير ذلك ثم في تاريخه سرق من بيت امراة رومية صندوق ومتاع فاتهمت أشخاصا من العميان المجاورين بزاويتهم تجاه مدرسة الجوهرية الملاصقة للازهر فقبض عليهم الاغا وقررهم فانكروا وقالوا اسنا سارقين وانما سمعنا فلانا سموه وهو محمد بن ابي القاسم الدرقاوي المغربي المنفصل عن مشيخة رواق المغاربة ومعه أخوته وآخرون ونعرفه بصوته وهم يتذاكرون في ذلك ونحن نسمعهم فلما تحققوا ذلك وشاع بين الناس والاشياخ ذهب بعضهم الى ابي القاسم وخاطبوه وكلموه سرا وخوفوه من

ماردين وسلموها له فملكها المسلمون وفيها اخرج اسطول الفرنج من صقلية الى ساحل
افريقية والغرب ففتحوا مدينة برشك وقتلوا أهلها وسبوا حريمهم وباعوه بصقلية على
المسلمين وفيها توفي تاشفين بن علي بن يوسف صاحب المغرب وكانت ولايته تزيد على
أربع سنين وولي بعده أخوه وضعف أمر الملثمين وقوي عبد المؤمن وقد ذكرنا ذلك
سنة أربع عشرة وخمسمائة وفيها في شوال ظهر كوكب عظيم له ذنب من جانب المشرق
وبقي الى نصف ذي القعدة ثم غاب ثم طلع من جانب الغرب فقيل هو هو وقيل بل غيره
وفيها كانت فتنة عظيمة بين الامير هاشم بن فليتة بن القاسم العلوي الحسني أمير مكة
والامير نظر الخادم أمير الحاج فنهب اصحاب هاشم الحجاج وهم في المسجد يطوفون
ويصلون ولم يرقبوا فيهم الا ولا ذمة وفيها في ذي الحجة توفي عبد الله أحمد بن محمد بن
عبد الله بن حمدويه أبو المعالي المروزي بمرو وسافر الكثير وسمع الحديث الكثير وبنى
بمرو رباطا ووقف فيه كتبا كثيرة وكان كثير الصدقة والعبادة وتوفي محمد بن عبد الملك
ابن حسن بن ابراهيم بن خيرون أبو منصور المقري في رجب ومولده في رجب سنة أربع
وخمسين وأربعمائة وهو آخر من روى عن الجوهري بالاجازة وفي ذي الحجة منها توفي
أبو منصور سعيد بن محمد بن عمر المعروف بابن الرزاز مدرس النظامية ببغداد ومولده
سنة اثنتين وستين وأربعمائة وتفقه على الغزالي والشامي ودفن في تربة الشيخ أبي
اسحق

(ثم دخلت سنة اربعين وخمسمائة)

(ذكر اتفاق بوزابة وعباس على منازعة السلطان)

في هذه السنة سار بوزابة صاحب فارس وخوزستان وعساكره الى قاشان ومعه الملك
محمد ابن السلطان محمود ووصل اليهما الملك سليمان شاه ابن السلطان محمد واجتمع
بوزابة والامير عباس صاحب الري واتفقا على الخروج عن طاعة السلطان مسعود
وملكا كثيرا من بلاده ووصل الخبر اليه وهو ببغداد ومعه الامير عبد الرحمن طغايرك
وهو أمير حاجب حاكم في الدولة وكان ميله اليهما فسار السلطان في رمضان عن بغداد
ونزل بها الامير مهلهل ونظر وجماعة من غلمان بهروز وسار السلطان وعبد الرحمن معه
فتقارب العسكران ولم يبق الا المصاف فلحق سليمان شاه بأخيه مسعود وشرع
عبد الرحمن في تقرير الصلح على القاعدة التي أرادوها واضيف الى عبد الرحمن ولاية
اذربيجان وارانية الى ما بيده وصار أبو الفتح بن دارست وزير السلطان مسعود وهو
وزير بوزابة فصار السلطان معهم تحت الحجر وارسلوا بك ارسلان بن بلنكري المعروف
بخاص بك وهو ملازم السلطان وتربيته وصار في خدمته عبد الرحمن ايحقن دمه وصار
الجماعة في خدمة السلطان بالصورة لا بالمعنى والله اعلم

(ذكر استيلاء علي بن دبيس بن صدقة على الحلة)

في هذه السنة سار علي بن دبيس الى الحلة هاربا فملكها وكان سبب ذلك ان السلطان

العاقبة وكان المذكور جعل نفسه مريضا ومنقطعا في داره فغالطهم فقالوا نحن قصدنا بخطابك القسم على اهل
الخرقة المنتسبين الى الازهر
في العمل بالشريعة واخذ
العلم أو ما علمت ما قد جرى في
العام السابق من حادثة الزغل
وغير ذلك فلم يزالوا به حتى
وعدهم انه يتكلم مع
اولاده ويفحصون على ذلك
بنباهتهم ونجابتهم (وفي
اليوم الثالث) وقيل الثاني
ارسل ابو القاسم المذكور
فاحضر السيد احمد الذي
يقال له جندي المطبخ وابن
اخيه وهما اللذان يتعاطيان
الحسبة والاحكام بخط الازهر
ويتكلمان على الباعة
والخضرية والجزارين الكائنين
بالخطة فلما حضرا عنده
عاهدهما وحلفهما بان يسترا
عليه وعلى اولاده ولا يفضحاهم
ويبعدا عنهم هذه القضية
واخبرهما بان ولده لم يزل
يتفحص بفطانته حتى عرف
السارق ووجد بعض الامتعة
ثم فتح خزانة بمجلسه واخرج
منها امتعة فسألوه عن الصندوق
فقال هو باق عند من هو
عنده ولا يمكن احضاره في
النهار فاذا كان آخر الليل
انتظروا ولدي محمدا هذا عند
جامع الفاكهاني بالعقادين
الرومي وهو يأتيكم بالصندوق
مع سارقه فاقبضوا عليه
واتركوا اولادي ولا تذكروهم
ولا تتعرضوا لهم فقالوا له
كذلك وحضر الجندي وابن اخيه في الوقت الذي وعدهم به وصحبتهما اشخاص من اتباع الشرطة ووقفوا

لما اراد الرحيل من بغداد اشار عليه مهلهل ان يحبس علي بن دبيس بقلعة تكريت فعلم ذلك فهرب في جماعة يسيرة نحو خمسة عشر فمضى الى الازبر وجمع بني اسد وغيرهم وسار الى الحلة وبها أخوه محمد بن دبيس فقاتله فانهزم محمد وملك علي الحلة واستهان السلطان امره اولا فاستفحل وضم اليه جمعا من غلمانه وغلمان أبيه واهل بيته وعساكرهم وكثر جمعهم فسار اليه مهلهل فيمن معه في بغداد من العسكر وضربوا معه مصافا فكسرهم وعادوا منهزمين الى بغداد وكان أهلها يتعصبون لعلي بن دبيس وكانوا يصيحون اذا رأوا مهلهلا و بعض أصحابه ياعلي كله وكثر ذلك منهم بحيث امتنع مهلهل من الركوب ومد علي يده في اقطاع الامراء بالحلة وتصرف فيها وصار شحنة بغداد ومن فيها على وجل منه وجمع الخليفة جماعة وجعلهم على السور لحفظه وراسل عليا فاعاد بانني العبد المطيع مهما رسم لي فعلت فسكن الناس ووصلت الاخبار بعد ذلك ان السلطان مسعودا تفرق خصومه عنه فازداد سكون الناس لذلك

(ذكر عدة حوادث)

حج بالناس هذه السنة قايماز الارجواني صاحب أمير الحاج نظر واحتج نظر بأن بركه ذهب في كسرة الحلة وان بينه وبين أمير مكة من الحروب ما لا يمكنه معه الحج وفيها اتصل بالخليفة عن أخيه أبي طالب ما كرهه فضيق عليه واحتاط على غيره من أقاربه وفيها ملك الفرنج لعنهم الله مدينة شنترين وباجة وماردة وأشبونة وسائر المعاقل المجاورة لها من بلاد الاندلس وكانت للمسلمين فاختلفوا فطمع العدو وأخذ هذه المدن وقوي بها قوة تمكن وتيقن ملك بلاد الاسلام بالاندلس خيب الله ظنه وكان ما نذكره وفيها سار أسطول الفرنج من صقلية ففتحوا جزيرة قرقنة من أفريقية فقتلوا رجالها وسبوا حريمهم فارسل الحسن صاحب افريقية الى رجار ملك صقلية يذكره بالعهود التي بينهم فاعتذر بانهم غير مطيعين له وفي هذه السنة توفي مجاهد الدين بهروز الغياثي وكان حاكما بالعراق نيفا وثلاثين سنة وبرنقش الزكوي صاحب اصفهان وكان أيضا شحنة بالعراق وهو خادم أرمني لبعض التجار وتوفي الامير ايلدكز شحنة بغداد والشيخ أبو منصور موهوب ابن أحمد بن الخضر الجواليقي اللغوي ومولده في ذي الحجة سنة خمس وستين واربعمائة واخذ اللغة عن أبي زكريا التبريزي وكان يؤم بالمقتفي أمير المؤمنين وتوفي أحمد بن محمد ابن الحسن بن علي بن أحمد بن سليمان أبو سعيد بن أبي الفضل الاصفهاني ومولده سنة ثلاث وستين واربعمائة وروى الحديث الكثير وكان على سيرة السلف كثير الاتباع للسنة رحمة الله عليه

(ثم دخلت سنة احدى واربعين وخمسمائة)

(ذكر ملك الفرنج طرابلس الغرب)

في هذه السنة ملك الفرنج لعنهم الله طرابلس الغرب وسبب ذلك ان رجار ملك صقلية جهز اسطولا كثيرا وسيره الى طرابلس فاحاطوا بها برا وبحرا ثالث المحرم فخرج اليهم أهلها

في انتظاره عند جامع الفاكهاني فحضر اليهم وصحبته شخص صرماتي فقال لهم مكانكم حتى نأتيكم ثم طلعا الى ربع بعطفة الاغاتيين ورجعا في الحال بالصندوق حامله الصرماتي على راسه فقبضوا على ذلك الصرماتي واخذوه بالصندوق الى بيت الاغا فعاقبوه بالضرب وهو يقول انا لست وحدي وشركائي ابن ابي القاسم واخواه وآخر يسمى شلاطة وابن عبد الرحيم الجميع خمسة أشخاص فذهب الاغا واخبر كتخدا بك فامره بطلب اولاد أبي القاسم فارسل اليه ورقة بطلبهم فاجابه بان أولاده حاضرون عنده بالازهر من طلبة العلم وليسوا بسارقين فبالاختصار أخذهم الاغا وأحضر ذلك الصرماتي معهم لاجل المحاققة فلم يزل يذكر لابن أبي القاسم ما كانوا عليه في سرحاتهم القديمة والجديدة ويقول له أما كنا كذا وكذا وفعلنا ماهو كذا في ليلة كذا واقتسمنا ماهو كذا وكذا ويقيم عليه أدلة وقرائن وأمارات ويقول له أنت رئيسنا وكبيرنا في ذلك كله ولا نمشي الى ناحية ولا سرحة الا باشارتك فعند ذلك لم يسع ابن أبي القاسم الانكار واقر واعترف هو واخوته وحبسوا سوية وأما شلاطة ورفيقه فانهما تغيبا وهربا واختفيا وشاعت القضية في المدينة وكثر القال والقيل في أهل الازهر ونواحيه وتذكروا قضية الدراهم الزغل التي ظهرت قبل تاريخه وتذكروا

أهلها وأنشبوا القتال فدامت الحرب بينهم ثلاثة أيام فلما كان اليوم الثالث سمع الفرنج بالمدينة ضجة عظيمة وخلت الاسوار من المقاتلة وسبب ذلك ان أهل طرابلس كانوا قبل وصول الفرنج بأيام يسيرة قد اختلفوا فاخرج طائفة منهم بنى مطروح وقدموا عليهم رجلا من الملثمين قدم يريد الحج ومعه جماعة فولوه امرهم فلما نازلهم الفرنج أعادت الطائفة الاخرى بنى مطروح فوقع الحرب بين الطائفتين وخلت الاسوار فانتهز الفرنج الفرصة ونصبوا السلالم وطلعوا على السور واشتد القتال فملكت الفرنج المدينة عنوة وقهرا بالسيف فسفكوا دماء أهلها وسبوا نساءهم واخذوا أموالهم وهرب من قدر على الهرب والتجأ الى البربر والعرب فنودى بالامان فى كافة الناس فرجع كل من فر منها واقام الفرنج ستة أشهر حتى حصنوا اسوارها وحفروا خنادقها ولما عادوا اخذوا رهائن أهلها ومعهم بنو مطروح والملثم ثم اعادوا رهائنهم وولوا عليها رجلا من بنى مطروح واخذوا رهائنه وحده واستقامت أمور المدينة والزم أهل صقلية والسفن والروم بالسفر اليها فعمرت سريعا

(ذكر حصر زنكى حصن جعبر وفنك)

وفى هذه السنة سار أتابك زنكى الى حصن جعبر وهو مطل على الفرات وكان بيد سالم بن مالك العقيلى سلمه السلطان ملكشاه الى أبيه لما اخذ منه حلب وقد ذكرناه فحصره وسير جيشا الى قلعة فنك وهى تجاور جزيرة ابن عمر بينهما فرسخان فحصرها ايضا وصاحبها حينئذ الامير حسام الدين الكردى البشنوى وكان سبب ذلك انه كان لا يريد ان يكون فى وسط بلاده ما هو ملك غيره حزما واحتياطا فنازل قلعة جعبر وحصرها وقاتله من بها فلما طال عليه ذلك ارسل الى صاحبها مع الامير حسان المنبجى لمودة كانت بينهما فى معنى تسليمها وقال له تضمن عنى الاقطاع الكثير والمال الجزيل فان اجاب الى التسليم والا فقل له والله لاقيمن عليك الى ان املكها عنوة ثم لا ابقى عليك ومن الذى يمنعك منى فصعد اليه حسان وادى اليه الرسالة ووعده وبذل له ما قيل له فامتنع من التسليم فقال له حسان فهو يقول لك من يمنعك منى فقال يمنعنى منه الذى منعك من الامير بلك فعاد حسان واخبر الشهيد بامتناعه ولم يذكر له هذا فقتل اتابك بعد ايام وكانت قصة حسان مع بلك ابن أخى ايلغازى ان حسانا كان صاحب منبج فحصره بلك وضيق عليه فبينما هو كذلك فى بعض الايام يقاتله جاءه سهم لا يعرف من رماه فقتله وخلص حسان من الحصر وقد تقدم ذكره وكان هذا القول من الاتفاق الحسن ولما قتل اتابك زنكى رحل العسكر الذين كانوا يحاصرون قلعة فنك عنها وهى بيد عقاب صاحبها الى الآن وسمعتهم يذكرون انهم لهم بها نحو ثلثمائة سنة ولهم مقصد حسن وفيهم وفاء وعصبية يأخذون بيد كل من يلتجئ اليهم ويقصدهم ولا يسلمونه الى طالبه كائنا من كان قريبا ام غريبا

(ذكر قتل أتابك عماد الدين زنكى وشىء من سيرته)

أقوالا أخر واجتمع كثير من الذين سرق لهم فنهم رجل يبيع السمن أخذ من مخزنه عدة مواعين سمن وصينية القطاطرى التى يعمل عليها الكنافة وأمتعة وفرش وجدت فى ثلاثة اماكن وخاتم ياقوت ذكر وانه يبيع بجملة دنانير وعقد لؤلؤ وغير ذلك واستمروا أياما والناس يذهبون الى الاغاوية كرون ما سرق لهم ويسألهم فيقرون بأشياء دون أشياء ويذكرون ضياع أشياء تصرفوا فيها وباعوها وأكلوا بثمنها ثم اتفق الحال على المرافعة فى المحكمة الكبيرة فذهبوا بالجميع واجتمع العالم الكثير من الناس وأصحاب السرقات وغيرهم نساء ورجالا وادعوا على هؤلاء الاشخاص المقبوض عليهم فاحضروا بعض ما ادعوا به عليهم وقالوا أخذنا ولم يقولوا سرقنا وبرأ محمد بن أبى القاسم أخويه وقال انهما لم يكونا معنا فى شىء من هذا وحصل الاختلاف فى ثبوت القطع بلفظ أخذنا وقد حضرت دعوى أخرى مثل هذه على رجل صباغ ثم ان القاضى كتب اعلاما للكتخدا بك بصورة الواقع وفوض الامر اليه فامر بهم الى بولاق وانزلوهم عند القبطان وصحبتهم أبوهم ابو القاسم فاقاموا أياما ثم ان كتخدا بك أمر بقطع أيدى الثلاثة وهم محمد بن ابى القاسم الدرقاوى ورفيقه الصرمانى والصباغ الذى ثبتت عليه السرقة فى الحادثة الاخرى فقطعوا أيدى الثلاثة فى بيت

في هذه السنة لخمس مضين من ربيع الآخر قتل أتابك الشهيد عماد الدين زنكي بن آقسنقر صاحب الموصل والشام وهو يحاصر قلعة جعبر على ما ذكرناه قتله جماعة من مماليكه ليلا غيلة وهربوا الى قلعة جعبر فصاحوا على من بها من أهلها ان العسكر يأمنونهم بقتله واظهروا الفرح فدخل اصحابه اليه فادركوه وبه رمق (حدثني والدي) عن بعض خواصه قال دخلت اليه في الحال وهو حي فحين رآني ظن أني اريد قتله فاشار الي باصبعه السبابة يستعطفني فوقعت من هيبته فقلت يا مولاي من فعل هذا فلم يقدر على الكلام وفاضت نفسه رحمه الله قال وكان حسن الصورة اسمر اللون مليح العينين قد وخطه الشيب وكان قد زاد عمره على ستين سنة لانه كان لما قتل والده صغيرا كما ذكرناه قبل ولما قتل دفن بالرقة وكان شديد الهيبة على عسكره ورعيته عظيم السياسة لا يقدر القوي على ظلم الضعيف وكانت البلاد قبل ان يملكها خرابا من الظلم وتنقل الولاة ومجاورة الفرنج فعمرها وامتلأت اهلا وسكانا (حكى لي والدي) قال رأيت الموصل واكثرها خراب بحيث يقف الانسان قريب محلة الطبالين ويرى الجامع العتيق والعرصة ودار السلطان ليس بين ذلك عمارة قط وكان الانسان لا يقدر على المشي الى الجامع العتيق الا ومعه من يحميه لبعده عن العمارة وهو الآن في وسط العمارة وليس في هذه البقاع المذكورة كلها ارض براح قال وحدثني ايضا انه وصل الى الجزيرة في الشتاء فدخل الامير عز الدين الدبيسي وهو من اكابر امرائه ومن جملة اقطاعه مدينة دقوقا ونزل في دار انسان يهودي فاستغاث اليهودي الى اتابك وانهى حاله اليه فنظر الى الدبيسي فتأخر ودخل البلد واخرج بركه وخيامه قال فلقد رأيت غلمانه ينصبون خيامه في الوحل وقد جعلوا على الارض تبنا يقيهم الطين وخرج فنزلها وكانت سياسته الى هذا الحد وكانت الموصل من اقل بلاد الله فاكهة فصارت في ايامه وما بعدها من اكثر البلاد فواكه ورياحين وغير ذلك وكان ايضا شديد الغيرة ولا سيما على نساء الاجناد وكان يقول ان لم تحفظ نساء الاجناد والا فسدن لكثرة غيبة ازواجهن في الاسفار وكان اشجع خلق الله أما قبل ان يملك فيكفيه انه حضر مع الامير مودود صاحب الموصل مدينة طبرية وهي للفرنج فوصلت طعنته باب البلد واثرت فيه وحمل أيضا على قلعة عقر الحميدية وهي على جبل عال فوصلت طعنته الى سورها الى اشياء اخر واما بعد الملك فقد كان الاعداء محدقين ببلاده وكلهم يقصدها ويريد اخذها وهو لا يقنع بحفظها حتى انه لا ينقضي عليه عام حتى يفتح من بلادهم فقد كان الخليفة المسترشد بالله مجاوره في ناحية تكريت وقصد الموصل وحصرها ثم الى جانبه من ناحية شهرزور وتلك الناحية السلطان مسعود ثم ابن سقمان صاحب خلاط ثم داود بن سقمان صاحب حصن كيفا ثم صاحب آمد وماردين ثم الفرنج من مجاورة ماردين الى دمشق ثم اصحاب دمشق فهذه الولايات قد اختلطت بولايته من كل جهاتها فهو يقصد هذا مرة وهذا مرة ويأخذ من هذا ويصانع هذا الى ان ملك من كل من يليه طرفا من بلاده وقد اتينا على أخباره في كتاب الباهر في تاريخ دولته ودولة اولاده فليطلب من هناك

القبطان ثم انزلوهم في مركب وصحبتهم أبوهم أبو القاسم وولداه الآخران اللذان لم تقطع أيديهما وسفروهم الى الاسكندرية وذلك في منتصف شهر جمادى الاولى من السنة

* (واستهل شهر جمادى الثانية بيوم الخميس سنة ١٢٢٧) *

فيه حضر الثلاثة أشخاص المقطوعين الايدي وذلك انهم لما وصلوا الى الاسكندرية وكان الباشا هناك تشفع فيهم المتشفعون عنده قائلين انه جرى عليهم الحد بالقطع فلا حاجة الى نفيهم وتغريبهم فامر بنفي أبي القاسم وولديه الصغيرين الى أبي قير ورجع ولده الآخر مع رفيقه الصرماتي والصباغ الى مصر فحضروا اليها وذهبوا الى دورهم وأما ابن أبي القاسم فذهب الى داره وسلم على والدته ونزل الى السوق يطوف على أصحابه ويسلم عليهم وهو يتألم مما حصل في نفسه ولا يظهر ذلك لشدة وقاحته وجودة صفعه وغلاظة وجهه بل يظهر التجلد وعدم المبالاة بما وقع له من التنكيل وكسوف البال ومر في السوق والاطفال حوله وخلفه وأمامه يتفرجون عليه ويقولون انظروا الحرامي وهو لا يبالي بهم ولا يلتفت اليهم حتى قيل انه ذهب الى مسجد خرب بالباطنية ودعا اليه غلاما يهواه بناحية الدرب الاحمر فجلس معه حصة من النهار ثم فارقه وذهب الى داره واشتد به الالم لان الذي باشر قطع يده لم يحسن القطع فمات في اليوم

الثالث (وفي هذا الشهر) وماقبله وردت عساكر كثيرة من الاتراك وعينوا للسفر وخرجوا الى مخيم العرضي خارج بابي النصر والفتوح فكانوا يخرجون مساء ويدخلون في الصباح ويقع منهم مايقع من اخذ الدواب وخطف بعض النساء والاولاد كعادتهم (وفي ليلة الخميس) ثاني عشرينه حضر الباشا من الاسكندرية ليلا وصحبته حسن باشا الى القصر بشبرا وطلع في صبحها الى القلعة وضربوا لقدومه مدافع من الابراج فكان مدة غيبته في هذه المدة شهرين وسبعة ايام واجتهد فيها في عمارة سور المدينة وابراجها وحصنها تحصينا عظيما وجعل بها جبخانات وبارودا ومدافع وآلات حرب ولم تزل العمارة مستمرة بعد خروجه منها على الرسم الذي رسمه لهم واخذ جميع ماورد عليه من مراكب التجار من البضائع على ذمته ثم باعه للمتسببين بما احب من الثمن وورد من ناحية بلاد الافرنج كثير من البن الافرنجي وحبه اخضر وجرمه اكبر من حب البن اليمني الذي ياتي الى مصر في مراكب الحجاز اخذه في جملة ما اخذ في معاوضة الغلال ورماه على باعة البن بمصر بثلاثة وعشرين فرانسه القنطار والتجار يبيعونه بالزيادة ويخلطونه مع البن اليمني وفي ابتداء وروده كان يباع رخيصا لانه دون البن اليمني في الطعم واللذة في شربه وتعاطيه وبينهما فرق ظاهر يدركه صاحب الكيف البتة

هناك

(ذكر ملك ولديه سيف الدين غازي ونور الدين محمود)

لما قتل اتابك زنكي اخذ نور الدين محمود ولده خاتمه من يده وكان حاضرا معه وسار الى حلب فملكها وكان حينئذ يتولى ديوان زنكي ويحكم في دولته من اصحاب العمائم جمال الدين محمد بن علي وهو المنفرد بالحكم ومعه امير حاجب صلاح الدين محمد الباغيسياني فاتفقا على حفظ الدولة وكان مع الشهيد اتابك الملك الب ارسلان ابن السلطان محمود فركب ذلك اليوم واجتمعت العساكر اليه وحضر عنده جمال الدين وصلاح الدين وحسنا له الاشتغال بالشرب والمغنيات والجواري وادخلاه الرقة فبقي بها اياما لا يظهر ثم سار الى ماكسين فدخلها واقام بها اياما وجمال الدين يحلف الامراء لسيف الدين غازي ابن أتابك زنكي ويسيرهم الى الموصل ثم سار من ماكسين الى سنجار وكان سيف الدين قد وصل الى الموصل فلما وصلوا الى سنجار ارسل جمال الدين الى الدزدارية وله يرسل الى ولد السلطان يقول له اني مملوكك ولكن نبغي الموصل فان ملكتها سلمت اليك سنجار فسار الى الموصل فاخذه جمال الدين وقصد به مدينة بلد وقد بقي معه من العسكر القليل فاشار عليه بعبور دجلة فعبرها الى الشرق في نفر يسير وكان سيف الدين غازي بمدينة شهرزور وهي اقطاعه فارسل اليه زين الدين علي نائب ابيه بالموصل يستدعيه الى الموصل فحضر قبل وصول الملك فلما علم جمال الدين بوصول سيف الدين الى الموصل ارسل اليه يعرفه قلة من معه فارسل اليه بعض عسكره فقبضه وحبس في قلعة الموصل واستقر ملك سيف الدين البلاد وبقي اخوه نور الدين بحلب وهي له وسار اليه صلاح الدين الباغيسياني مدبرا امره والقائم بدولته وحفظها وقد استقصينا شرح هذه الحادثة في التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية

(ذكر عصيان الرها)

لما قتل أتابك كان جوسلين الفرنجي الذي كان صاحب الرها في ولايته وهي تل باشر وما يجاورها فراسل أهل الرها وعامتهم من الارمن وحملهم على العصيان والامتناع من المسلمين وتسليم البلد اليه فاجابوه الى ذلك وواعدهم يوما يصل اليهم فيه وسار في عساكره الى الرها وملك البلد وامتنعت القلعة عليه بمن فيها من المسلمين فقاتلهم فبلغ الخبر الى نور الدين محمود بن زنكي وهو بحلب فسار مجدا اليها في عسكره فلما قاربها خرج جوسلين هاربا عائدا الى بلده ودخل نور الدين المدينة ونهبها حينئذ وسبى اهلها وفي هذه الدفعة نهبت وخلت من اهلها ولم يبق بها منهم الا القليل وكثير من الناس يظن انها نهبت لما فتحها الشهيد وليس كذلك وبلغ الخبر الى سيف الدين غازي بعصيان الرها فسير العساكر اليها فسبقه الملك نور الدين الى البلد واستباحه وهم في الطريق فعادوا ومن اعجب مايحكى ان زين الدين علي الذي كان نائب الشهيد واولاده بقلعة الموصل جاءه هدية أرسلها اليه نور الدين من هذا الفتح وفي الجملة

جارية فلما دخل اليها وخرج من عندها وقد اغتسل قال لمن عنده تعلمون ماجرى لى في يومنا هذا قالوا لا قال لما فتحنا الرها مع الشهيد وقع في يدى من السبي جارية رائعة اعجبنى حسنها ومال قلبي اليها فلم يكن بأسرع من ان امر الشهيد فنودى برد السبي والمال المنهوب وكان مهيبا مخوفا فرددتها وقلبي متعلق بها فلما كان الآن جاءتنى هدية نور الدين وفيها عدة جوار فيها تلك الجارية فوطئتها خوفا ان تقع مثل تلك الردة

(ذكر استيلاء عبد المؤمن على جزيرة الاندلس)

في هذه السنة سير عبد المؤمن بن على جيشا الى جزيرة الاندلس فملكوا ما فيها من بلاد الاسلام وسبب ذلك ان عبد المؤمن لما كان يحاصر مراكش جاءه اليه جماعة من اعيان الاندلس منهم أبو جعفر أحمد بن محمد بن حمدين ومعهم مكتوب يتضمن بيعة اهل البلاد التى هم فيها لعبد المؤمن ودخولهم في زمرة أصحابه الموحدين واقامتهم لامره فقبل عبد المؤمن ذلك منهم وشكرهم عليه وطيب قلوبهم وطلب منهم النصرة وطلبوا منه النصرة على الفرنج فجهز جيشا كثيفا وسيره معهم وعمر اسطولا وسيره في البحر فسار الاسطول الى الاندلس وقصدوا مدينة اشبيلية وصعدوا في نهرها وبها جيش من الملثمين فحصروها برا وبحرا وملكوها عنوة وقتل فيها جماعة من الناس فسكنوا واستولت العساكر على البلاد وكان لعبد المؤمن من بها

(ذكر قتل عبد الرحمن طغايرك وعباس صاحب الرى)

في هذه السنة قتل السلطان مسعود امير حاجب دولته عبد الرحمن طغايرك وهو صاحب خلخال وبعض اذربيجان والحاكم في دولة السلطان وليس للسلطان معه حكم وكان سبب قتله ان السلطان لما ضيق عليه عبد الرحمن وبقى معه شبه الاسير ليس له في البلاد حكم حتى ان عبد الرحمن قصد غلاما كان للسلطان وهو بك ارسلان المعروف بابن خاص بك بن بلنكرى وقد رباه السلطان وقربه فابعده عنه وصار لا يراه وكان في خاص بك عقل وتدبير وجودة قريحة وتوصل لما يريده بعقله فجمع عبد الرحمن العساكر وخاص بك فيهم وقد استقر بينه وبين السلطان مسعود ان يقتل عبد الرحمن فاستدعى خاص بك جماعة ممن يثق بهم وتحدث معهم في ذلك فكل منهم خاف الاقدام عليه الا رجلا اسمه زنكى وكان جاندارا فانه بذل من نفسه ان يبدأه بالقتل ووافق خاص بك على القيام في الامر جماعة من الامراء فبينما عبد الرحمن في موكبه ضربه زنكى الجاندار بمقرعة حديد كانت في يده على رأسه فسقط الى الارض فاجهز عليه خاص بك واعانه على حمايه زنكى والقائمين معه من كان واطاه على ذلك من الامراء وكان قتله بظاهر جنزة وبلغ الخبر الى السلطان مسعود وهو ببغداد ومعه الامير عباس صاحب الرى وعسكره اكثر من عسكر السلطان فانكر ذلك وامتعض منه فداراه السلطان ولطف به واستدعى الامير البقش كون خر وتتر وهو امير الحجف وتتر الذى كان حاجبا فلما قوى بهما احضر عباسا اليه في داره فلما دخل اليه منع اصحابه من الدخول معه وعدلوا به الى

(وفيه وصل) مرسوم صحبة قابجى من الديار الرومية مضمونه وكالة دار السعادة باسم كتخدا بك وعزل عثمان اغا الوكيل تابع سعيد أغا فعمل الباشا ديوانا يوم الاحد وقرئ المرسوم وخلع على كتخدا بك خلعة الوكالة وخلعة اخرى باستمراره في الكتخدائية على عادته وركب في موكب الى داره فلما استقر في ذلك ارسل في ثاني يوم فاحضر الكتبة من بيت عثمان اغا وامرهم بعمل حسابه من ابتداء سنة ١٢٢١ لغاية تاريخه فشرعوا في ذلك واصبح عثمان اغا المذكور مسلوب النعمة بالنسبة لما كان فيه ويطالب بما دخل في طرفه وانتزعت منه بلاد الوكالة وتعلقات الحرمين واوقافهما وغير ذلك (وفي يوم الخميس غايته) وصل صالح قوج ومحو بك وسليمان اغا وخليل اغا من ناحية الينبع على طريق القصير من الجهة القبلية وذهبوا الى دورهم

(واستهل شهر رجب بيوم الجمعة سنة ١٢٢٧)

في ثالثه طلع الجماعة الواصلون الى القلعة وسلموا على الباشا وخاطره منحرف منهم ومتكدر عليهم لانه طلبهم للحضور مجردين بدون عساكرهم ليتشاور معهم فحضروا بحملة عساكرهم وقد كان ثبت عنده انهم هم الذين كانوا اسببا للهزيمة لمخالفتهم على ابنه واضطراب رايهم وتقصيرهم في نفقات العساكر ومبادرتهم للهرب والهزيمة عند اللقاء ونزولهم بخاصتهم الى

جرة

حجرة وقالوا له اخلع الزردية فقال ان لى مع السلطان ايمانا وعهودا فلكموه وخرج له غلمان أعدوا لذلك فحينئذ تشهد وخلع الزردية والقاها وضربوه بالسيوف واحتزوا راسه والقوه الى اصحابه ثم ألقوا جسده ونهب رحله وانزعج البلد لذلك وكان عباس من غلمان السلطان محمود حسن السيرة عادلا فى رعيته كثير الجهاد للباطنية قتل منهم خلقا كثيرا وبنى من رؤسهم منارة بالرى وحصر قلعة ألموت ودخل الى قرية من قراهم فالقى فيها النار فاحرق كل من فيها من رجل وامرأة وصبى وغير ذلك وقتل بالجانب الغربى فارسلت ابنته فحملته الى الرى فدفنته هناك وكان مقتله فى ذى القعدة ومن الاتفاق العجيب ان العبادى كان يعظ يوما فحضره عباس فاسمع بعض اهل المجلس ورمى بنفسه نحو الامير عباس فضربه اصحابه ومنعوه خوفا عليه لانه كان شديد الاحتراس من الباطنية لا يزال لابس الزردية لا تفارقه الغلمان الاجلاد فقال له العبادى كم هذا الاحتراز والله لئن قضى عليك بامر لتحلن انت بيدك ازرار الزردية فينفذ القضاء فيك وكان والله كما قال وقد كان السلطان استوزر ابن دارست وزير بوزابة كارها على ما تقدم ذكره فعزله الآن لانه اختار العزل والعود الى صاحبه بوزابة فلما عزله قرر معه ان يصلح له بوزابة ويزيل ما عنده من الاشمئزاز بسبب قتل عبد الرحمن وعباس فسار الوزير وهو لا يعتقد النجاة فوصل الى بوزابة وكان ما نذكره

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة حبس السلطان مسعود اخاه سليمان شاه بقلعة تكريت وفيها توفى الامير جاولى الطغرلى صاحب ارانية وبعض اذربيجان وكان قد تحرك للعصيان وكان موته فجاءة مدقوسا فنزف دما فمات وتوفى شيخ الشيوخ صدر الدين اسمعيل بن أبى سعيد الصوفى مات ببغداد ودفن بظاهر رباط الدورى بباب البصرة ومولده سنة اربع وستين واربعمائة وقام فى منصبه ولده عبد الرحيم وفيها توفى مسعود بن بلال شحنة بغداد وسار السلطان عنها وفيها كان بالعراق جراد كثير أمحل اكثر البلاد وفيها ورد العبادى الواعظ رسولا من السلطان سنجر الى الخليفة ووعظ ببغداد وكان له قبول بها وحضر مجلسه السلطان مسعود فمن دونه واما العامة فانهم كانوا يتركون أشغالهم لحضورهم مجلسه والمسابقة اليه وفيها بعد قتل الشهيد زنكى بن آقسنقر قصد صاحب دمشق حصن بعلبك وحصره وكان به نجم الدين أيوب بن شاذى فخاف ان اولاد زنكى لا يمكنهم انجاده بالعاجل فصالحه وسلم القلعة اليه واخذ منه اقطاعا ومالا وملكه عشر قرى من بلاد دمشق وانتقل أيوب الى دمشق فسكنها واقام بها وفى هذه السنة فى ربيع الآخر توفى عبد الله بن على بن احمد المقرى ابن بنت الشيخ أبى منصور ومولده فى شعبان سنة اربع وستين واربعمائة وكان مقرئا نحويا محدثا وله تصانيف فى القرآت

(ثم دخلت سنة اثنتين واربعين وخمسمائة)

(ذكر قتل بوزابة)

المراكب وما حصل بينهم وبين ابنه طوسون باشا من المكالمات فلم يزل الواقفين فى بيوتهم ببولاق ومصر والامر بينهم وبين الباشا على السكوت نحو العشرين يوما وامرهم فى ارتجاج واضطراب وعساكرهم مجتمعة حولهم ثم ان الباشا امر بقطع خرجهم وعلائفهم فعند ذلك تحققوا منه المقاطعة (وفى رابع عشرينه) ارسل اليهم علائفهم المنكسرة وقدرها الف وثمانمائة كيس جميعها ريالات فرانسة وامر بحملها على الجمال ووجه اليهم بالسفر فشرعوا فى بيع بلادهم وتعلقاتهم وضاق ذرعهم وتكدر طبعهم الى الغاية وعسر عليهم مفارقة ارض مصر وما صاروا فيه من التنعم والرفاهية والسيادة والامارة والتصرف فى الاحكام والمساكن العظيمة والزوجات والسرارى والخدم والعبيد والجوارى فان الاقل منهم له البيتان والثلاثة من بيوت الامراء ونسائهم اللاتى قتلت ازواجهن على أيديهم وظنوا ان البلاد صفت لهم حتى ان النساء المترفهات ذوات البيوت والايرادات والالتزامات صرن يعرضن انفسهن عليهم ليحتمين فيهم بعد ان كن يعفنهم ويانفن من ذكرهم فضلا عن قربهم (وفيه) ورد اغا قابجى من دار السلطنة وعلى يده مرسوم بالبشارة بولد ولد للسلطان فعملوا ديوانا يوم الاحد رابع عشرينه وطلع الاغا المذكور فى موكب الى القلعة وقرئ ذلك المرسوم وصحبته الامراء وضربوا

شنكو مدافع واستمروا على ذلك ثلاثة ايام في وقت كل أذان كايام الاعياد (وفي يوم الثلاثاء) مات احمد
بك وهو من عظماء الارنؤد
واركانهم وكان عند ما بلغه
قطع خرج المذكورين ارسل
الى الباشا يقول له اقطع خرجي
واعطني علوفة عساكري
وأسافر مع اخواني فمنعه
الباشا واظهر الرافة به فتغير
طبعه وزاد قهره وتمرض
جسمه فارسل اليه الباشا
حكيمه فسقاه شربة وفصده
فمات من ليلته فخرجوا
بجنازته من بولاق ودفنوه
بالقرافة الصغرى وخرج
امامه صالح اغا وسليمان اغا
وطاهر اغا وهم راكبون
امامه وطوائف الارنؤد عدد
كبير مشاة حوله

*(واستهل شهر شعبان بيوم
الاحد سنة ١٢٢٧)*

في رابعه يوم الاربعاء الموافق
لسابع مسرى القبطي اوفى
النيل المبارك اذرعه ونزل
الباشا في صبح يوم الخميس
في جم غفير وعدة وافرة من
العساكر وكسر السد بحضرته
وحضرة القاضي وجرى الماء
في الخليج ومنع المراكب من
دخولها الخليج (وفي منتصفه)
سافر سليمان اغا ومحو بك
بعد ان قضوا اشغالهم وباعوا
تعلقاتهم وقبضوا علائقهم
(وفي يوم الخميس تاسع عشره)
سافر صالح اغا قوج وصحبته
نحو الماشين ممن اختارهم
من عساكره الارنؤدية وتفرق عنه الباقون وانضموا الى حسن باشا واخيه عابدين بك وغيرهما (وفي يوم والحسين

لما اتصل بالامير بوزابة قتل عباس جمع عساكره من فارس وخوزستان وسار الى
اصفهان فحصرها وسير عسكرا آخر الى همذان وعسكرا ثالثا الى قلعة الماهكي من بلد
اللحف فاما عسكره بالماهكي فانه سار اليهم الامير البقش كون خر فدفعهم عن اعماله
وكانت اقطاعه ثم ان بوزابة سار عن اصفهان يطلب السلطان مسعودا فراسله
السلطان في الصلح فلم يجب اليه وسار مجدا فالتقيا بمرج قراتكين واصطفا فاقتتل
العسكران فانهزم منه السلطان مسعود وميسرته واقتتل القلبان أشد قتال واعظمه
صبر فيه الفريقان وصار الحرب بينهما فسقط بوزابة عن فرسه بسهم أصابه وقيل بل
عثر به الفرس فاخذ أسيرا وحمل الى السلطان فقتل بين يديه وانهزم أصحابه لما أخذ
هو اسيرا وبلغت هزيمة العسكر السلطاني من الميمنة والميسرة الى همذان وخراسان
وقتل من الفريقين خلق كثير وكان هذا الحرب من أعظم الحروب الكائنة بين
الاعاجم

(ذكر طاعة أهل قابس للفرنج وغلبة المسلمين عليها)

كان صاحب مدينة قابس قبل هذه السنة انسان اسمه رشيد فتوفي وخلف اولادا فعمد
مولى له اسمه يوسف الى ولده الصغير واسمه محمد فولاه الامر واخرج ولده الكبير معمرا
واستولى يوسف على البلد وحكم على محمد لصغر سنه وجرى منه أشياء من التعرض الى
حرم سيده والعهدة على ناقله وكان من جملتهن امرأة من بني قرة فارسلت الى اخوتها
تشكو اليهم ما هي فيه فجاء اخوتها الاخذها فمنعهم منها وقال هذه حرمة مولاي ولم يسلمها
فسار بنو قرة ومعمر بن رشيد الى الحسن صاحب افريقية وشكوا اليه ما يفعل يوسف
فكاتبه الحسن في ذلك فلم يجبه وقال لئن لم يكف الحسن عني والا سلمت قابس الى
صاحب صقلية فجهز الحسن العسكر اليه فلما سمع يوسف بذلك ارسل الى رجار الفرنجي
صاحب صقلية وبذل له الطاعة وقال له اريد منك خلعة وعهدا بولاية قابس لاكون
نائبا عنك كما فعلت مع بني مطروح أصحاب طرابلس فسير اليه رجار الخلعة والعهد
فلبسها وقرئ العهد بمجمع الناس فجد حينئذ الحسن في تجهيز العسكر الى قابس فساروا
اليها ونازلوها وحصروها فثار أهل البلد بيوسف لما اعتمده من طاعة الفرنج وسلموا
البلد الى عسكر الحسن وتحصن يوسف في القصر فقاتلوه حتى فتحوه واخذ يوسف أسيرا
فتولى عذابه معمر بن رشيد وبنو قرة فقطعوا ذكره وجعلوه في فيه وعذب بانواع
العذاب وولي معمر قابس مكان أخيه واخذ بنو قرة أختهم وهرب عيسى أخو يوسف
وولد يوسف وقصدوا رجار صاحب صقلية فاستجاروا به وشكوا اليه ما القوا من الحسن
فغضب لذلك وكان ما نذكره سنة ثلاث واربعين وخمسمائة من فتح المهدية ان شاء الله
تعالى وهذا الذي كان من يوسف والله أعلم

(ذكر حادثة ينبغي ان يحتاط العاقل من مثلها)

كان هذا يوسف صاحب قابس قد ارسل رسولا الى رجار صاحب صقلية فاجتمع هو

والحسين رسول صاحب المهدية عنده فجرى بين الرسولين مناظرة فذكر رسول يوسف الحسن ومانال منه وذمه ثم انهما عادا في وقت واحد وركبا البحر كل واحد منهما في مركبه فارسل رسول الحسن رقعة على جناح طائر يخبره بما كان من رسول يوسف فسير الحسن جماعة من أصحابه في البحر فاخذوا رسول يوسف واحضروه عند الحسن فسبه وقال ملكت الفرنج بلاد الاسلام وطولت لسانك بذمي ثم أركبه جملا وعلى رأسه جلاجل وطيف به في البلاد ونودي عليه هذا جزاء من سعى ان يملك الفرنج بلاد المسلمين فلما توسط المهدية ثار به العامة فقتلوه بالحجارة

(ذكر ملك الفرنج المرية وغيرها من الاندلس)

في هذه السنة في جمادى الاولى حصر الفرنج مدينة المرية من الاندلس وضيقوا عليها برا وبحرا فملكوها عنوة واكثروا القتل بها والنهب وملكوا أيضا مدينة شاشة وولاية جيان وكلها بالاندلس ثم استعادها المسلمون بعد ذلك منهم على ما نذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر ملك نور الدين محمود بن زنكي عدة مواضع من بلاد الفرنج)

في هذه السنة دخل نور الدين محمود بن زنكي صاحب حلب بلاد الفرنج ففتح منه مدينة ارتاح بالسيف ونهبها وحصر مابولة وبصرفوت وكفرلاثا وكان الفرنج بعد قتل والده زنكي قد طمعوا وظنوا انهم بعده يستردون ما اخذه فلما رأوا من نور الدين هذا الجد في اول أمره علموا ان ما أملوه بعيد وخاب ظنهم وأملهم

(ذكر اخذ الحلة من على بن دبيس وعوده اليها)

في هذه السنة كثر فساد أصحاب على بن دبيس بالحلة وما جاورها وكثرت الشكاوى منه فاقطع السلطان مسعود الحلة سلاركرد فسار اليها من همذان ومعه عسكر وانضاف اليه جماعة من عسكر بغداد وقصدوا الحلة فجمع على عسكره وحشد والتقى العسكران بمطير اباذ فانهزم على وملك سلاركرد الحلة واحتاط على أهل على ورجعت العساكر واقام هو بالحلة ومماليكه واصحابه وسار على بن دبيس فلحق بالبقش كون خر وكان باقطاعه في اللحف متحيزا على السلطان فاستنجده فسار معه الى واسط واتفق هو والطرنطاي وقصدوا الحلة فاستنقذوها من سلاركرد في ذي الحجة وفارقها سلاركرد وعاد الى بغداد

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة في جمادى الاولى خطب للمستنجد بالله يوسف بن المقتفي لامر الله بولاية العهد وفيها ولى عون الدين يحيى بن هبيرة كتابة ديوان الزمام ببغداد وولى زعيم الدين يحيى بن جعفر المخزن وفيها في ربيع الاول مات ابو القاسم طاهر بن سعيد بن ابي سعيد بن ابي الخير الميهني شيخ رباط البسطامي ببغداد وفي ربيع الآخر توفيت فاطمة خاتون بنت السلطان محمد زوجة المقتفي لامر الله وفي رجب منها مات أبو الحسن محمد بن

الجمعة) برزت خيام الباشا الى خارج باب النصر وعزم على الخروج والسفر بنفسه الى الحجاز وقد اطمأن خاطره عند ما سافر الجماعة المذكورون لانه لما قطع خرجهم ورواتبهم وامرهم بالسفر جعلوا عساكرهم اليهم وخيولهم واخذوا الدور والبيوت ببولاق وسكنوها وصارت لهم صورة هائلة وكثرت القالة وتخوف الباشا منهم وتحذرونه على خاصته وسفاشيته وغيرهم بالملازمة والمبيت بالقلعة وغير ذلك (وفي يوم السبت حادي عشرينه) اجتمعت العساكر والخيل الموكب من باكر النهار فكان اولهم طوائف الدلاة ثم العساكر واكابرهم وحسن باشا واخوه عابدين بك وهو ماش على اقدامه في طوائفه امام الباشا ثم الباشا وكتخدا بك واغواتهم الصقلية وطوائفهم وخلفهم الطبلخانات وعند ركوبه من القلعة ضربوا عدة مدافع فكان مدة مرورهم نحو خمس ساعات وجروا امام الموكب ثمانية عشر مدفعا وثلاث قنابر

(واستهل شهر رمضان بيوم الاثنين سنة ١٢٢٧)

في رابع عشرينه وردت هجانة مبشرون باستيلاء الاتراك على عقبة الصفراء والجديدة من غير حرب بل بالمخادعة والمصالحة مع العرب وتدبير شريف مكة ولم يجدوا بها احدا من الوهابيين فعند ماوصلت هذه البشارة ضربوا مدافع كثيرة ثلاث ليال من القلعة وظهر فيهم الفرح والسرور (وفي ثالث الليلة

المظفر بن علي ابن المسلمة ابن رئيس الرؤساء ومولده سنة أربع وثمانين وكان قد تصوف وجعل داره التي في القصر رباطا للصوفية وفيها سار سيف الدين غازي بن زنكي الى قلعة دارا فملكها وغيرها من بلد ماردين ثم سار الى ماردين وحصرها وخرب بلدها ونهبه وكان سبب ذلك ان أتابك زنكي لما قتل تطاول صاحب ماردين وصاحب الحصن الى ما كان قد فتحه من بلادهما فاخذاه فلما ملك سيف الدين وتمكن سار الى ماردين وحصرها وفعل ببلدها الافاعيل العظيمة فلما رأى صاحبها وهو حينئذ حسام الدين تمرتاش ما يفعل في بلاده قال كنا نشكو من أتابك الشهيد وأين ايامه لقد كانت اعيادا قد حصرنا غير مرة فلم يأخذ هو ولا احد من عسكره مخلاة تبن بغير ثمن ولا تعدى هو وعسكره حاصل السلطان وارى هذا ينهب البلاد ويخربها ثم راسله وصالحه وزوجه ابنته ورحل سيف الدين عنه وعاد الى الموصل وجهزت ابنة حسام الدين وسيرت اليه فوصلت وهو مريض قد اشفى على الموت فلم يدخل بها وبقيت عنده الى ان توفي وملك قطب الدين مودود فتزوجها على ما نذكره ان شاء الله تعالى وفيها اشتد الغلاء بافريقية ودامت ايامه فان اوله كان سنة سبع وثلاثين وخمسمائة وعظم الامر على اهل البلاد حتى اكل بعضهم بعضا وقصد أهل البوادي المدن من الجوع فاغلقها اهلها دونهم وتبعه وباء وموت كثير حتى خلت البلاد وكان اهل البيت لا يبقى منهم أحد وسار كثير منهم الى صقلية في طلب القوت ولقوا أمرا عظيما

❊(ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة)❊

❊(ذكر ملك الفرنج مدينة المهدية بافريقية)❊

قد ذكرنا سنة احدى وأربعين وخمسمائة مسير أهل يوسف صاحب قابس الى رجار ملك صقلية واستغاثتهم به فغضب لذلك وكان بينه وبين الحسن بن علي بن يحيى بن تميم ابن المعز بن باديس الصنهاجي صاحب افريقية صلح وعهود الى مدة سنتين وعلم انه فاته فتح البلاد في هذه الشدة التي أصابتهم وكانت الشدة دوام الغلاء في جميع المغرب من سنة سبع وثلاثين الى هذه السنة وكان اشد ذلك منه سنة اثنتين واربعين فان الناس فارقوا البلاد والقرى ودخل أكثرهم الى مدينة صقلية واكل الناس بعضهم بعضا وكثر الموت في الناس فاغتنم رجار هذه السنة فعمر الاسطول واكثر منه فبلغ نحو مائتين وخمسين شينيا مملوأة رجالا وسلاحا وقوتا وسار الاسطول عن صقلية ووصل الى جزيرة قوصرة وهي ما بين المهدية وصقلية فصادفوا بها مركبا وصل من المهدية فاخذ أهله واحضروا بين يدي جرجي مقدم الاسطول فسألهم عن حال افريقية ووجد في المركب قفص حمام فسألهم هل ارسلوا منها شيئا فحلفوا بالله انهم لم يرسلوا شيئا فامر الرجل الذي كان الحمام صحبته ان يكتب بخطه اننا لما وصلنا جزيرة قوصرة وجدنا بها مراكب من صقلية فسألناهم عن الاسطول المخذول فذكروا انه اقلع الى جزائر القسطنطينية واطلق الحمام فوصل الى المهدية فسر الامير الحسن والناس واراد جرجي بذلك ان يصل بغتة ثم سار

حضر احمد اغا لاظ حاكم قنا ونواحيها وكان من خبره انه لما وصلت اليه الجماعة الذين سافروا في الشهر الماضي وهم صالح اغا وسليمان اغا ومحو بك ومن معهم واجتمعوا على المذكور بثوا شكواهم واسروا نجواهم واضمروا في نفوسهم انهم اذا وصلوا الى مصر ووجدوا الباشا منحرفا منهم او امرهم بالخروج والعود الى الحجاز امتنعوا عليه وخالفوه وان قطع خرجهم واعطاهم علائفهم بارزوه ونابذوه وحاربوه واتفق احمد اغا المذكور معهم على ذلك وانه متى حصل هذا المذكور ارسلوا اليه فياتيهم على الفور بعسكره وجنده وينضم اليه الكثير من المقيمين بمصر من طوائف الارنؤد كعابدين بك وحسن باشا وغيرهم بعساكرهم لاتحاد الجنسية فلما حصل وصول المذكورين وقطع الباشا رواتبهم وخرجهم واعطاهم علائفهم المنكسرة وامرهم بالسفر ارسلوا الاحمد اغا لاظ المذكور بالحضور بحكم اتفاقهم معه فتقاعس واحب ان يبدي لنفسه عذرا في شقاقه مع الباشا فارسل اليه مكتوبا يقول له فيه ان كنت قطعت خرج اخواني وعزمت على سفرهم من مصر واخراجهم منها فاقطع ايضا خرجي ودعني اسافر معهم فاخفى الباشا تلك المكاتبة واخر عود الرسول ويقال له الجا... بما اضمروه فيما بينهم حتى اعطى للمذكورين علائفهم على الكامل ودفع لصالح اغا كل

وقد

وقدر وصولهم الى المهدية وقت السحر ليحيط بها قبل ان يخرج اهلها فلو تم له ذلك لم يسلم منهم احد فقدر الله تعالى أن ارسل عليهم ريحا هائلة فلم يقدروا على السير الا بالمقاذيف فطلع النهار ثانى صفر من هذه السنة قبل وصولهم فرآهم الناس فلما راى جرجى ذلك وان الخديعة فاتته ارسل الى الامير الحسن يقول انما جئت بهذا الاسطول طالبا بثار محمد بن رشيد صاحب قابس ورده اليها واما انت فبيننا وبينك عهود وميثاق الى مدة ونريد منك عسكرا يكون معنا فجمع الحسن الناس من الفقهاء والاعيان وشاورهم فقالوا نقاتل عدونا فان بلدنا حصين فقال اخاف ان ينزل الى البر ويحصرنا برا وبحرا ويحول بيننا وبين الميرة وليس عندنا ما يقوتنا شهرا فنؤخذ قهرا وانا ارى سلامة المسلمين من الاسر والقتل خيرا من الملك وقد طلب منى عسكرا الى قابس فان فعلت فما يحل لى معونة الكفار على المسلمين وان امتنعت يقول انتقض ما بيننا من الصلح وليس يريد الا ان يثبطنا حتى يحول بيننا وبين البر وليس لنا بقتاله طاقة والراى ان نخرج بالاهل والولد وننزل من البلد فمن اراد ان يفعل كفعلنا فليبادر معنا وامر فى الحال بالرحيل واخذ معه من حضره وما خف حمله وخرج الناس على وجوههم باهليهم واولادهم وما خف من اموالهم واثاثهم ومن الناس من اختفى عند النصارى وفى الكنائس وبقى الاسطول فى البحر تمنعه الريح من الوصول الى المهدية الى ثلثى النهار فلم يبق فى البلد من عزم على الخروج احد فوصل الفرنج ودخلوا البلد بغير مانع ولا دافع ودخل جرجى القصر فوجده على حاله لم يأخذ الحسن منه الا ما خف من ذخائر الملوك وفيه جماعة من حظاياه ورأى الخزائن مملوأة من الذخائر النفيسة وكل شئ غريب يقل وجود مثله فختم عليه وجمع سرارى الحسن من قصره وكان عدة من ملك منهم من زيرى بن مناد الى الحسن تسعة ملوك ومدة ولايتهم مائة سنة وثمانين سنة من احدى وستين وثلثمائة الى سنة ثلاث واربعين وخمسمائة وكان بعض القواد قد ارسله الحسن الى رجار برسالة فاخذ لنفسه واهله منه امانا فلم يخرج معهم ولما ملك المدينة نهبت مقدار ساعتين ونودى بالامان فخرج من كان مستخفيا واصبح جرجى من الغد فارسل الى من قرب من العرب فدخلوا اليه فاحسن اليهم واعطاهم اموالا جزيلة وارسل من جند المهدية الذين تخلفوا بها جماعة ومعهم امان لاهل المهدية الذين خرجوا منها ودواب يحملون عليها الاطفال والنساء وكانوا قد اشرفوا على الهلاك من الجوع ولهم بالمهدية خبايا وودائع فلما وصل اليهم الامان رجعوا فلم يمض غير جمعة حتى رجع اكثر اهل البلد واما الحسن فانه سار باهله واولاده وكانوا اثنى عشر ولدا ذكرا غير الاناث وخواص خدمه قاصدا الى محرز بن زياد وهو بالمعلقة فلقيه فى طريقه امير من العرب يسمى حسن بن ثعلب فطلب منه مالا انكسر له فى ديوانه فلم يمكن الحسن اخراج مال لئلا يؤخذ فسلم اليه ولده يحيى رهينة وسار فوصل فى اليوم الثانى الى محرز وكان الحسن قد فضله على جميع العرب واحسن اليه ووصله بكثير من المال فلقيه محرز لقاء جميلا وتوجع لما حل به فاقام عنده شهورا والحسن كاره للاقامة فاراد المسير الى ديار مصر الى

عاما طلبه واده حتى انه كان انشاء مسجدا بساحل بولاق بجوار داره وبنى له منارة ظريفة واشترى له عقارا وأمكنة وقفها على مصالح ذلك المسجد وشعائره فدفع له الباشا جميع ما صرفه عليه وثمن العقار وغيره ولم يترك لهم مطالبة يحتجون بها فى التاخير واعطى الكثير من دواتهم لحسن باشا وعابدين بك أخيه فخالوا عنهم وفارقهم الكثير من عسكرهم وانضموا الى اجناسهم المقيمين عند حسن باشا واخيه فرتبوا لهم العلائف معهم واكثرهم مستوطنون ومتزوجون بل ومتناسلون ويصعب عليهم مفارقة الوطن وما صاروا فيه من التنعم ولا يهون بمطلق الحيوان استبدال النعيم بالجحيم ويعلمون عاقبة ما هم صائرون اليه لانه فيما بلغنا ان من سافر منهم الى بلاده قبض عليه حاكمها واخذ منه ما معه من المال الذى جمعه من مصر وما معه من المتاع واودعه السجن ويفرض عليه قدرا فلا يطلقه حتى يقوم بدفعه على ظن ان يكون اودع شيئا عند غيره فيشترى نفسه به او يشتريه اقاربه او يرسل الى مصر مراسلة لعشيرته واقاربه فتاخذهم عليه الغيرة فيرسلون له ما فرض عليه ويفتدونه والا فيموت بالسجن او يطلق مجردا ويرجع الى حالته التى كان عليها فى السابق من الخدم الممتهنة والاحتطاب من الجبل والتكسب بالصنائع الدنيئة ببيع الاسقاط والكروش

الخليفة الحافظ العلوى واشترى مركبا لسفره فسمع جرجى الفرنجى فجهز شوانى لياخذه فعاد الحسن عن ذلك وعزم على المسير الى عبد المؤمن بالمغرب فارسل كبار اولاده يحيى وتميما وعليا الى يحيى بن العزيز وهو من بنى حماد وهما اولاد عم يستاذنه فى الوصول اليه ويجدد العهد به والمسير من عنده الى عبد المؤمن فاذن له يحيى فسار اليه فلما وصل لم يجتمع به يحيى وسيره الى جزيرة بنى مزغنان هو واولاده ووكل به من يمنعهم من التصرف فبقوا كذلك الى ان ملك عبد المؤمن بجاية سنة سبع واربعين فحضر عنده وقد ذكرنا حاله هناك ولما استقر جرجى بالمهدية سير اسطولا بعد اسبوع الى مدينة سفاقس وسير اسطولا آخر الى مدينة سوسة فاما سوسة فان اهلها لما سمعوا اخبار المهدية وكان واليها على بن الحسن الامير فخرج الى ابيه وخرج الناس لخروجه فدخلها الفرنج بلا قتال ثانى عشر صفر واما سفاقس فان اهلها اتاهم كثير من العرب فامتنعوا بهم فقاتلهم الفرنج فخرج اليهم اهل البلد فاظهر الفرنج الهزيمة وتبعهم الناس حتى ابعدوا عن البلد ثم عطفوا عليهم فانهزم قوم الى البلد وقوم الى البرية وقتل منهم جماعة ودخل الفرنج البلد فملكوه بعد قتال شديد وقتلى كثيرة واسر من بقى من الرجال وسبى الحريم وذلك فى الثالث والعشرين من صفر ثم نودى بالامان فعاد اهلها اليها وافتكوا حرمهم واولادهم ورفق بهم وباهل سوسة والمهدية وبعد ذلك وصلت كتب من رجار لجميع اهل افريقية بالامان والمواعيد الحسنة ولما استقرت احوال البلاد سار جرجى فى اسطول الى قلعة اقليبية وهى قلعة حصينة فلما وصل اليها سمعت به العرب فاجتمعوا اليها ونزل اليهم الفرنج فاقتتلوا فانهزم الفرنج وقتل منهم خلق كثير فرجعوا خاسرين الى المهدية وصار للفرنج من طرابلس الغرب الى قريب تونس ومن المغرب الى دون القيروان والله أعلم

(ذكر حصر الفرنج دمشق وما فعل سيف الدين غازى بن زنكى)

فى هذه السنة سار ملك الالمان من بلاده فى خلق كثير وجمع عظيم من الفرنج عازما على قصد بلاد الاسلام وهو لا يشك فى ملكها بايسر قتال لكثرة جموعه وتوفر امواله وعدده فلما وصل الى الشام قصده من به من الفرنج وخدموه وامتثلوا امره ونهيه فامرهم بالمسير معه الى دمشق ليحصرها ويملكها بزعمه فساروا معه ونازلوها وحصروها وكان صاحبها مجير الدين ابق بن محمد بن بورى بن طغدكين وليس له من الامر شئ وانما الحكم فى البلد لمعين الدين انز مملوك جده طغدكين وهو الذى اقام مجير الدين وكان معين الدين عاقلا عادلا خيرا حسن السيرة فجمع العساكر وحفظ البلد واقام الفرنج يحاصرونهم ثم انهم زحفوا سادس ربيع الاول بفارسهم وراجلهم فخرج اليهم أهل البلد والعسكر فقاتلوهم وصبروا لهم وفيمن خرج للقتال الفقيه حجة الدين يوسف بن ذى باس الفندلاوى المغربى وكان شيخا كبيرا فقيها صالحا فلما رآه معين الدين وهو راجل قصده وسلم عليه وقال له يا شيخ أنت معذور لكبر سنك ونحن نقوم بالذب عن المسلمين وساله أن يعود فلم يفعل

والمؤاجر فى حمل الامتعة ونحو ذلك فلذلك يختارون الاقامة ويتركون مخاديمهم خصوصا والخسة من طباعهم هذا والباشا يستحث صالح اغا ورفقاءه فى الرحيل حيث لم يبق له عذر فى التاخير فعندما نزلوا فى المراكب وانحدروا فى النيل احضر الباشا الكخيا المذكور وهو عبارة عن الافندى المخصوص بكتابة سره وايراده ومصرفه واعطاه جواب الرسالة مضمونها تطمينه وتامينه ويذكر له انه صعب عليه وتاثر من طلبه المقاطعة وطلبه المفارقة وعدد له اسباب انحرافه عن صالح اغا ورفقائه وما استوجبوه ما حصل لهم من الاخراج والابعاد واما هو فلم يحصل منه ما يوجب ذلك وانه باق على ما يعهده من المودة والمحبة فان كان ولابد من قصده وسفره فهو لا يمنعه من ذلك فياتى بجميع اتباعه ويتوجه بالسلامة اينما شاء والاولى ان يصرف عن نفسه هذا الهاجس فليحضر فى القنجة فى قلة ويترك وطاقه واتباعه ليواجهه ويتحدث معه فى مشورته وانتظام اموره التى لا يحملها هذا الكتاب ويعود الى محل ولايته وحكمه مكرما فراج عليه ذلك التمويه وركن الى زخرف القول وظن ان الباشا لا يصله بمكروه ولا يواجهه بقبيح من القول فضلا عن الفعل لانه كان عظيما فيهم ومن الرؤساء المعدودين صاحب همة وشهامة واقدام جسورا فى الحروب

وقال

وقال له قد بعت واشترى منى فوالله لا أقلته ولا استقلته يعنى قول الله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة وتقدم فقاتل الفرنج حتى قتل عند النيرب نحو نصف فرسخ عن دمشق وقوى الفرنج وضعف المسلمون فتقدم ملك الالمان حتى نزل بالميدان الاخضر فايقن الناس بانه يملك البلد وكان معين الدين قد ارسل الى سيف الدين غازى بن اتابك زنكى يدعوه الى نصرة المسلمين وكف العدو عنهم فجمع عساكره وسار الى الشام واستصحب معه أخاه نور الدين محمودا من حلب فنزلوا بمدينة حمص وارسل الى معين الدين يقول له قد حضرت ومعى كل من يحمل السلاح من بلادى فاريد ان يكون نوابى بمدينة دمشق لاحضر والقى الفرنج فان انهزمت دخلت انا وعسكرى البلد واحتمينا به وان ظفرنا فالبلد لكم لا انازعكم فيه فارسل الى الفرنج يتهددهم ان لم يرحلوا عن البلد فكف الفرنج عن القتال خوفا من كثرة الجراح وربما اضطروا الى قتال سيف الدين فابقوا على نفوسهم فقوى اهل البلد على حفظه واستراحوا من ملازمة الحرب وارسل معين الدين الى الفرنج الغرباء يقول لهم ان ملك المشرق قد حضر فان رحلتم والا سلمت البلد اليه وحينئذ تندمون وارسل الى فرنج الشام يقول لهم باى عقل تساعدون هؤلاء علينا وانتم تعلمون انهم ان ملكوا دمشق أخذوا ما بايديكم من البلاد الساحلية واما انا فان رأيت الضعف عن حفظ البلد سلمته الى سيف الدين وانتم تعلمون انه ان ملك دمشق لا يبقى لكم معه مقام فى الشام فاجابوه الى التخلى عن ملك الالمان وبذل لهم تسليم حصن بانياس اليهم واجتمع الساحلية بملك الالمان وخوفوه من سيف الدين وكثرة عساكره وتتابع الامداد اليه وانه ربما أخذ دمشق وتضعف عن مقاومته ولم يزالوا به حتى رحل عن البلد وتسلموا قلعة بانياس وعاد الفرنج الالمانية الى بلادهم وهى بوراء القسطنطينية وكفى الله المؤمنين شرهم وقد ذكر الحافظ أبو القاسم بن عساكر فى تاريخ دمشق ان بعض العلماء حكى له انه راى الفندلاوى فى المنام فقال له ما فعل الله بك واين أنت فقال غفر لى وانا فى جنات عدن على سرر متقابلين

(ذكر ملك نور الدين محمد بن زنكى حصن العريمة)

لما سار الفرنج عن دمشق رحل نور الدين الى حصن العريمة وهو للفرنج فملكه وسبب ذلك ان ملك الالمان لما خرج الى الشام كان معه ولد الفنش صاحب طليطلة وهو من اولاد كابر ملوك الفرنج وكان جده هو الذى اخذ طرابلس الشام من المسلمين فاخذ حصن العريمة وملكه واظهر انه يريد اخذ طرابلس من القمص فارسل القمص الى نور الدين محمود وقد اجتمع هو ومعين الدين انز ببعلبك يقول له ولمعين الدين ليقصدا حصن العريمة ويملكاه من ولد الفنش فسارا اليه مجدين فى عساكرهما وارسلا الى سيف الدين وهو بحمص يستنجدانه فامدهما بعسكر كثير مع الامير عز الدين ابى بكر الدبيسى صاحب جزيرة ابن عمر وغيرها فنازلوا الحصن وحصروه وبه ابن الفنش وامتنع به

والخطوب وهو الذى مهد البلاد القبلية واخلاها من الاجناد المصرية فلما خلت الديار منهم واستقر هو بقنا وقوص وهو مطلق التصرف وصالح اغا قوج بالاسيوطية ثم ان الباشا وجه صالح اغا الى الحجاز وقلد ابنه ابراهيم باشا ولاية الصعيد فكان يناقض عليه احمد اغا المذكور فى افعاله ويمانعه التعدى على اطيان الناس وارزاق الاوقاف والمساجد ويحل عقد ابراماته فيرسل الى أبيه بالاخبار فيحقد ذلك فى نفسه ويظهر خلافه ويتغافل واحمد أغا المذكور على جليته وخلوص نيته فلما وصلته الرسالة اعتقد صدقه وبادر بالحضور فى قلة من أتباعه حسب اشارته وطلع الى القلعة ليلة السبت وهى ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان فعبر عند الباشا وسلم عليه فحادثه وعاتبه ونقم عليه أشياء وهو يجاوبه ويراده حتى ظهر عليه الغيظ فقام كتخدا بك وابراهيم أغا فاخذاه وخرجا من عند الباشا ودخلا الى مجلس ابراهيم اغا وجلسوا يتحدثون وصار الكتخدا وابراهيم اغا يلطفان معه القول واشارا عليه بان يستمر معهما الى وقت السحور وسكون حدة الباشا فيدخلون اليه ويتسحرون معه فاجابهم الى رأيهم وامر من كان بصحبته من العسكر وهم نحو الخمسين بالنزول الى محلهم فامتنع كبيرهم وقال لا نذهب ونتركك وحيدا فقال الكتخدا وما الذى يصيبه وهو همشرى ومن

بلدى وان أصيب بشئ كنت انا قبله فعند ذلك نزلوا وفارقوه وبقى عنده من لا يستغنى عنه فى الخدمة فعند ذلك أتاه من يستدعيه الى الباشا فلما كان خارج المجلس قبضوا عليه واخذوا سيفه وسلاحه ونزلوا به الى تحت سلم الركوب وأشعل الضوى المشعل وأداروا كتافه ووموا رقبته ورفعوه فى الحال وغسلوه وكفنوه ودفنوه وذلك فى سادس ساعة من الليل واصبح الخبر شائعا فى المدينة واحضر الباشا الجاو وطولب بالتعريف عن أمواله وودائعه وعين فى الحال باشجاويش ليذهب الى قنا ويختم على داره ويضبط ماله من الغلال والاموال وطلبت الودائع ممن هى عنده التى استدلوا عليها بالاوراق فظهر له ودائع فى عدة أماكن وصناديق مال وغير ذلك ولم يتعرض لمنزله ولا لحريمه

(واستهل شهر شوال بيوم الاربعاء سنة ١٢٢٧)

فى رابعه يوم السبت قدم قابجى من اسلامبول وعلى يده مقرر للباشا بولاية مصر على السنة الجديدة ومعه فروة لخصوص الباشا فلما وصل الى بولاق فنزل كتخدا بك لملاقاته فركب فى موكب جليل وخلفه النوبة التركية وشق من وسط البلد وصعد الى القلعة وحضر الاشياخ وأكابرد ولته وقرئ المرسوم بحضرة الجميع فلما انقضى الديوان ضربوا عدة مدافع من القلعة (وفيه) البس شيخ السادات ابن أخيه سيدى احمد خلعة وتاجا وجعله وكيلا

فزحف المسلمون اليه غير مرة وتقدم اليه النقابون فنقبوا السور فاستسلم حينئذ من به من الفرنج فملكه المسلمون واخذوا كل من به من فارس وراجل وصبي وامرأة وفيهم ابن الفنش واخربوا الحصن وعادوا الى سيف الدين وكان مثل ابن الفنش كما قيل خرجت النعامة تطلب قرنين فعادت بغير اذنين

(ذكر الخلف بين السلطان مسعود وجماعة من الامراء ووصولهم الى بغداد وما كان منهم بالعراق)

فى هذه السنة فارق السلطان مسعود جماعة من اكابر الامراء وهم من اذربيجان ايلدكز المسعودى صاحب كنجة وارانية وقيصر ومن الجبل البقش كون خر وتتر الحاجب وهو مسعودى ايضا وطرنطاى المحمودى شحنة واسط والد كين وقرقوب وابن طغايرك وكان سبب ذلك ميل السلطان الى خاص بك واطراحه لهم فخافوا ان يفعل بهم مثل فعله بعبد الرحمن وعباس وبوزابة ففارقوه وساروا نحو العراق فلما بلغوا حلوان خاف الناس ببغداد وعمال العراق وغلت الاسعار وتقدم الامام المقتفى لامر الله باصلاح السور وترميمه وارسل الخليفة اليهم بالعبادى الواعظ فلم يرجعوا الى قوله ووصلوا الى بغداد فى ربيع الآخر والملك محمد ابن السلطان محمود معهم ونزلوا بالجانب الشرقى وفارق مسعود بلال شحنة بغداد البلد وخاف من الخليفة وسار الى تكريت وكانت له فعظم الامر على اهل بغداد ووصل اليهم على بن دبيس صاحب الحلة فنزل بالجانب الغربى فجند الخليفة اجنادا يحتمى بهم ووقع القتال بين الامراء وبين عامة بغداد ومن بها من العساكر واقتتلوا عدة دفعات ففى بعض الايام انهزم الامراء الاعاجم من عامة بغداد مكرا وخديعة وتبعهم العامة فلما ابعدوا عادوا عليهم وصار بعض العسكر من ورائهم ووضعوا السيف فقتل من العامة خلق كثير ولم يبقوا على صغير ولا كبير وفتكوا فيهم فاصيب أهل بغداد بما لم يصابوا بمثله وكثر القتلى والجرحى واسر منهم خلق كثير فقتل البعض وشهر البعض ودفن الناس من عرفوا ومن لم يعرف ترك طريحا بالصحراء وتفرق العسكر فى المحال الغربية فاخذوا من اهلها الاموال الكثيرة ونهبوا بلد دجيل وغيره واخذوا النساء والولدان ثم ان الامراء اجتمعوا ونزلوا مقابل التاج وقبلوا الارض واعتذروا وترددت الرسل بينهم وبين الخليفة الى آخر النهار وعادوا الى خيامهم ورحلوا الى النهروان فنهبوا البلاد وافسدوا فيها وعاد مسعود بلال شحنة بغداد من تكريت الى بغداد ثم ان هؤلاء الامراء تفرقوا وفارقوا العراق وتوفى الامير قيصر باذربيجان هذا كله والسلطان مسعود مقيم ببلد الجبل والرسل بينه وبين عمه السلطان سنجر متصلة وكان السلطان سنجر قد ارسل اليه يلومه على تقديم خاص بك ويامره بابعاده ويتهدده بانه ان لم يفعل يقصده ويزيله عن السلطنة وهو يغالط ولا يفعل فسار السلطان سنجر الى الرى فلما علم السلطان مسعود بوصوله سار اليه وترضاه واستنزله عما فى نفسه فسكن وكان اجتماعهما سنة اربع واربعين على ما نذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر انهزام الفرنج بيغرى)

فى هذه السنة هزم نور الدين محمود بن زنكى الفرنج بمكان اسمه يغرى من ارض الشام وكانوا قد تجمعوا ليقصدوا اعمال حلب ليغيروا عليها فعلم نور الدين فسار اليهم فى عسكره فالتقوا بيغرى واقتتلوا قتالا شديدا اجلت المعركة عن انهزام الفرنج وقتل كثير منهم وأسر جماعة من مقدميهم ولم ينج من ذلك الجمع الا القليل وارسل من الغنيمة والاسارى الى اخيه سيف الدين والى الخليفة ببغداد والى السلطان مسعود وغيرهم وفى هذه الوقعة يقول ابن القيسرانى فى قصيدته التى اولها

يا ليت ان الصد مصدود * او لا فليت النوم مردود

ومنها ما هو فى ذكر نور الدين

وكيف لا يثنى على عيشنا الـ * محمود والسلطان محمود

وصارم الاسلام لا ينثنى * الا وشلو الكفر مقدود

مكارم لم تك موجودة * الا ونور الدين موجود

وكم له من وقعة يومها * عند ملوك الكفر مشهود

(ذكر ملك الغورية غزنة وعودهم عنها)

فى هذه السنة قصد سورى بن الحسين ملك الغور مدينة غزنة فملكها وسبب ذلك ان اخاه ملك الغورية قبله محمد بن الحسين كان قد صاهر بهرام شاه مسعود بن ابراهيم صاحب غزنة وهو من بيت سبكتكين فعظم شانه بالمصاهرة وعلت همته فجمع جموعا كثيرة وسار الى غزنة ليملكها وقيل انما سار اليها مظهرا الخدمة والزيارة وهو يريد المكر والغدر فعلم به بهرام شاه فاخذه وسجنه ثم قتله فعظم قتله على الغورية ولم يمكنهم الاخذ بثاره ولما قتل ملك بعده اخوه سام بن الحسين فمات بالجدرى وملك بعده أخوه الملك سورى بن الحسين بلاد الغور والله أعلم وقوى أمره وتمكن فى ملكه فجمع عسكره من الفارس والراجل وسار الى غزنة طالبا بثار أخيه المقتول وقاصدا ملك غزنة فلما وصل اليها ملكها فى جمادى الاولى سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة وفارقها بهرام شاه الى بلاد الهند وجمع جموعا كثيرة وعاد الى غزنة وعلى مقدمته السلار الحسين وابراهيم العلوى امير هندوستان وكان عسكر غزنة الذين اقاموا مع سورى بن الحسين الغورى قد خدموه وقلوبهم مع بهرام شاه وانما هم بظواهرهم مع سورى فلما التقى سورى وبهرام شاه رجع عسكر غزنة الى بهرام شاه وصاروا معه وسلموا اليه سورى ملك الغورية وملك بهرام شاه غزنة فى المحرم سنة أربع واربعين وصلب الملك سورى مع السيد الماهيانى فى المحرم ايضا من السنة وكان سورى أحد الاجواد له الكرم الغزير والمروأة العظيمة حتى انه كان يرمى الدراهم فى المقاليع الى الفقراء لتقع بيد من تقع ومن يتفق له ثم عاود الغورية وملكوها وخربوها وقد ذكرناه سنة سبع واربعين وذكرنا هناك ابتداء دولة الغورية لانهم فى ذلك الوقت عظم محلهم وفارقوا الجبال وقصدوا خراسان

عنه فى نقابة الاشراف واركبه فرسا بعباءة ومشى امامه ايضا الجاويشية المختصين بنقيب الاشراف وامره بان يذهب الى الباشا ويقابله ليخلع عليه وارسل صحبته محمد افندى فقال مبارك واشار اليه محمد افندى بان يخلع عليه فروة فقال الباشا ان عمه جعله نائبا عنه ووكيلا فلا بس له عندى تلبيس لانه لم يتقلدها بالاصالة من عندى فقام ونزل من غير شئ الى داره بجوار المشهد الحسينى (وفى يوم الخميس ثالث عشرينه) سافر مصطفى بك دالى باشا بجميع الدلاة وغيرهم من العسكر الى الحجاز وحصل للناس فى هذا الشهر عدة كربات * منها وهو اعظمها عدم وجود الماء العذب وذلك فى وقت النيل وجريان الخليج من وسط المدينة حتى كاد الناس يموتون عطشا وذلك بسبب اخذهم الجمال للسخرة والرجال لخدمة العسكر المسافرين وغلوهم عن القرب التى تشترى لنقل الماء فان الباشا اخذ جميع القرب الموجودة بالوكالة عند الخليلية وما كان بغيرها ايضا حتى ارسل الى القدس والخليل فاحضر جميع ما كان بهما وبلغت الغاية فى غلو الاثمان حتى بيعت القربة الواحدة التى كان ثمنها مائة وخمسين نصفا بالف وخمسمائة نصف ويأخذون ايضا الجمال التى تنقل الماء بالروايا الى الاسبلة والصهاريج وغيرهما من الخليج فامتنع الجميع من السراح والخروج واحتاج العسكر ايضا الى الماء فوقفوا

وعلا شانهم وفى بعض الخلف كما ذكرناه والله أعلم

(ذكر ملك الفرنج مدنا من الاندلس)

فى هذه السنة ملك الفرنج بالاندلس مدينة طرطوشة وملكوا معها جميع قلاعها وحصون لاردة وافراغة ولم يبق للمسلمين فى تلك الجهات شئ الا واستولى الفرنج على جميعه لاختلاف المسلمين بينهم وبقى بايديهم الى الآن

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة توفى ابو بكر المبارك بن الكامل بن أبى غالب البغدادى المعروف أبوه بالخفاف سمع الحديث الكثير وكان مفيد بغداد وفيها غلت الاسعار بالعراق وتعذرت الاقوات بسبب العسكر الوارد وقدم اهل السواد الى بغداد منهزمين قد أخذت أموالهم وهلكوا جوعا وعريا وكذلك أيضا كان الغلاء فى أكثر بلاد خراسان وبلاد الجبل واصفهان وديار فارس والجزيرة والشام واما المغرب فكان اشد غلاء بسبب انقطاع الغيث ودخول العدو اليها وفيها توفى ابراهيم بن نبهان الرقى ومولده سنة تسع وخمسين وأربعمائة وصحب الغزالى والشاشى وروى الجمع بين الصحيحين للحميدى عن مصنفه وفيها فى ذى القعدة توفى الامام ابو الفضل الكرمانى الفقيه الحنفى امام خراسان

(ثم دخلت سنة اربع واربعين وخمسمائة)

(ذكر وفاة سيف الدين غازى بن اتابك زنكى وبعض سيرته وملك اخيه قطب الدين)

فى هذه السنة توفى سيف الدين غازى بن اتابك زنكى صاحب الموصل بها بمرض حاد ولما اشتد مرضه أرسل الى بغداد واستدعى أوحد الزمان فحضر عنده فرأى شدة مرضه فعالجه فلم ينجع فيه الدواء وتوفى أواخر جمادى الآخرة وكانت ولايته ثلاث سنين وشهرا وعشرين يوما وكان حسن الصورة والشباب وكانت ولادته سنة خمسمائة ودفن بالمدرسة التى بناها بالموصل وخلف ولدا ذكرا فرباه عمه نور الدين محمود واحسن تربيته وزوجه ابنة أخيه قطب الدين مودود فلم تطل أيامه وتوفى فى عنفوان شبابه فانقرض عقب سيف الدين وكان كريما شجاعا عاقلا وكان يصنع كل يوم لعسكره طعاما كثيرا بكرة وعشية فاما الذى بكرة فيكون مائة رأس غنم جيدة وهو أول من حمل على رأسه السنجق وأمر الاجناد أن لا يركبوا الا بالسيف فى أوساطهم والدبوس تحت أركبهم فلما فعل ذلك اقتدى به أصحاب الاطراف وبنى المدرسة الاتابكية العتيقة بالموصل وهى من أحسن المدارس ووقفها على الفقهاء الحنفية والشافعية وبنى رباطا للصوفية بالموصل أيضا على باب المشرعة ولم تطل ايامه ليفعل ما فى نفسه من الخير وكان عظيم الهمة ومن جملة كرمه انه قصده شهاب الدين الحيص بيص وامتدحه بقصيدته التى أولها

بالطرق يرصدون مرور السقائين اوغيرهم من الفقراء والذين ينقلون الماء بالبلاليص والجرار على رؤسهم فيوجد على كل موردة من الموارد عدة من العسكر وهم واقفون بالاسلحة ينتظرون من يستقى من السقائين أوغيرهم فكان الخدم والنساء والفقراء والبنات والصبيان ينقلون بطول النهار والليل بالاوعية الكبيرة والصغيرة على رؤسهم بمقدار ما يكفيهم للشرب وبيعت القربة الواحدة بخمسة عشر نصف فضة وأكثر وشح وجود اللحم وغلا فى الثمن زيادة على غلو سعره المستمر حتى بيع بثمانية عشر نصف فضة كل رطل هذا ان وجد والجاموسى الجفيط باربعة عشر وطلبوا للسفر طائفة من القبانية ومن الخبازين ومن ارباب الصنائع والحرف وشددوا عليهم الطلب فى أواخر الشهر فتغيبوا وهربوا فسمرت بيوتهم وحوانيتهم وكذلك الخبازون والفرانون بالطوابين والافران حتى عدم الخبز من الاسواق ولم يجد أصحاب البيوت فرنا يخبزون فيه عجينهم فمن الناس القادر على الوقود من يخبز عجينه فى داره أو عند جاره الذى يكون عنده فرن او عند بعض الفرانين الذى تكون فرنه مداخل عطفة مستورة خفية أو ليلا من الخوف من العسس والمرصدين لهم وكذلك عدم وجود التبن بسبب رصد العسكر فى الطرق لاخذ ما يأتى به الفلاحون الام

الام يراك الجد فى زى شاعر * وقد نحلت شوقا فروع المنابر

فوصله بالف دينار عين سوى الخلع وغيرها ولما توفى سيف الدين غازى كان أخوه قطب الدين مقيما بالموصل فاتفق جمال الدين الوزير وزين الدين على أمير الجيش على تمليكه فاحضروه واستحلفوه وحلفوا له واركبوه الى دار السلطنة وزين الدين فى ركابه واطاعه جميع بلاد اخيه سيف الدين كالموصل والجزيرة ولما ملك تزوج الخاتون ابنة حسام الدين تمرتاش التى كان قد تزوجها اخوه سيف الدين وتوفى قبل الدخول بها وهى أم أولاد قطب الدين سيف الدين وعز الدين وغيرهما من أولاده

(ذكر استيلاء نور الدين على سنجار)

لما ملك قطب الدين مودود الموصل بعد أخيه سيف الدين غازى كان أخوه الاكبر نور الدين محمود بالشام وله حلب وحماة فكاتبه جماعة من الامراء وطلبوه وفيهم كاتبه المقدم عبد الملك والد شمس الدين محمد وكان حينئذ مستحفظ السنجار فارسل اليه يستدعيه ليتسلم سنجار فسار جريدة فى سبعين فارسا من امراء دولته فوصل الى ماكسين فى نفر يسير قد سبق أصحابه وكان يوما شديد المطر فلم يعرفهم الذى يحفظ الباب فاخبر الشحنة ان نفرا من التركمان المجتدين قد دخلوا البلد فلم يستتم كلامه حتى دخل نور الدين الدار على الشحنة فقام اليه وقبل يده ولحق به باقى اصحابه ثم سار الى سنجار فوصلها وليس معه غير ركابى وسلاحدار ونزل بظاهر البلد وارسل الى المقدم يعلمه بوصوله فرآه الرسول وقد سار الى الموصل وترك ولده شمس الدين محمدا بالقلعة فاعلمه بمسير والده الى الموصل واقام من لحق أباه بالطريق فاعلمه بوصول نور الدين فعاد الى سنجار فسلمها اليه فدخلها نور الدين وارسل الى فخر الدين قرا ارسلان صاحب الحصن يستدعيه اليه لمودة كانت بينهما فوصل اليه فى عسكره فلما سمع أتابك قطب الدين وجمال الدين وزين الدين بالموصل بذلك جمعوا عساكرهم وساروا نحو سنجار فوصلوا الى تل يعفر وترددت الرسل بينهم بعد ان كانوا عازمين على قصده بسنجار فقال لهم جمال الدين ليس من الراى محاقته وقتاله فاننا نحن قد عظمنا محله عند السلطان وما هو بصدده من الغزاة وجعلنا انفسنا دونه وهو يظهر للفرنج تعظيمنا وانه يتبعنا ولا يزال يقول لهم ان كنتم كما يجب والا سلمت البلاد لصاحب الموصل وحينئذ يفعل بكم ويصنع فاذا لقيناه فان هزمناه طمع السلطان فينا ويقول هذا الذى كانوا يعظمونه ويحتمون به أضعف منهم وقد هزموه وان هو هزمنا طمع فيه الفرنج ويقولون ان الذين كان يحتمى بهم اضعف منه وقد هزمهم وبالجملة فهو ابن اتابك واشار بالصلح وسار هو اليه فاصطلح وسلم سنجار الى اخيه قطب الدين وسلم مدينة حمص والرحبة بارض الشام اليه وبقى الشام له وديار الجزيرة لاخيه واتفقوا وعاد نور الدين الى حلب واخذ معه ما كان قد ادخره ابوه عماد الدين اتابك فيها من الخزائن وكانت كثيرة جدا

(ذكر وفاة الحافظ وولاية الظافر ووزارة ابن السلار)

من الارياف فيخطفونه قبل وصوله الى المدينة وحصل بسبب هذه الاحوال المذكورة شبكات ومشاجرات وضرب وقتل وتجريح أبدان ولولا خوف العسكر من الباشا وشدته عليهم حتى بالقتل اذا وصلت الشكوى اليه لحصل أكثر من ذلك

(واستهل شهر ذى القعدة بيوم الجمعة سنة ١٢٢٧)

فى سابعه يوم الخميس سافر الباشا مجانا الى السويس وصحبته حسن باشا (وفى يوم الجمعة خامس عشره) وصل مبشرون من ناحية الحجاز وهم أتراك على الهجن والخبر عنهم ان عساكرهم وصلوا الى المدينة المنورة ونزلوا بفنائها (وفى يوم الاحد سابع عشره) رجع الباشا من ناحية السويس الى مصر (وفيه) وردت أخبار طائفة الفرنساوية وقنصلهم المقيمين بمصر بان بونابارته وعساكر الفرنساوية زحفوا فى جمع عظيم على بلاد المسكوب ووقع بينهم حروب عظيمة فكانت الهزيمة على المسكوب وانكسروا كسرة قوية وكتبوا بذلك أوراقا والصقوها بحيطان دوائرهم وحاراتهم ولما حضر الباشا طلع اليه القنصل وأخبره بتلك الاخبار وأطلعه على الكتب الواردة من بلادهم (وفى ليلة الثلاثاء) عدى الباشا الى بر الجيزة وأمر بخروج العساكر الى البر الغربى وعدى أيضا كتخدا بك وذلك بسبب ان عربان أولاد على نزلوا بناحية الفيوم بجمع عظيم وأكلوا

الزروقات فخرج اليهم حسن اغا الشماشرجي فوزن نفسه معهم فرأى انه لايقاومهم لكثرتهم فحضر الى مصر
وأخبر الباشا وتحرك الباشا
للخروج اليهم ثم بعقيبه أرسل
لهم وخادعهم فحضر اليه
عظماؤهم فاخذ منهم رهائن
وخلع عليهم وكساهم
وأعطاهم مراحاتهم وعين لهم
جهات وشرط عليهم ان
لايتعدوها ثم رجع وعدى الى
برمصر في ليلة الخميس
حادي عشرينه (وفي سادس
عشرينه) نهب العرب القافلة
القادمة من السويس بحمل
بضائع التجار وغيرهم وقتلوا
العسكر الذين بصحبتهم
وخفارتهم وأخذوا الجمال
باحمالها وذهبوا بها الناحية
الوادي والجمال المذكورة
على ملك الباشا واتباعه لانهم
صيروا لهم جمالا واعدوها لحمل
البضائع ويأخذون أجرتها
لانفسهم بدلا عن جمال العرب
وذلك من جملة الامور التي
احتكروها طمعا وحسدا في
كل شئ ولم ينج من الجمال الا
البعض الذين سبقوهم وهم
بكتخدا بك فحنق لذلك الباشا
وأرسل في الحال مراسلات
الى سليمان باشا محافظ عكا
يعلمه بذلك ويلزمه باحضارها
و يتوعده ان ضاع منها عقال
بعير والذي ذهب بالمراسلة
ابراهيم أفندي المهردار
*(واستهل شهر ذي الحجة بيوم
السبت سنة ١٢٢٧)* في عاشره يوم الاضحى وردت هجانة من ناحية الحجاز وعلى يدهم البشائر بالاستيلاء على

في هذه السنة في جمادى الآخرة توفي الحافظ لدين الله عبد المجيد ابن الامير أبي القاسم ابن المستنصر بالله العلوي صاحب مصر وكانت خلافته عشرين سنة الاخمسة أشهر وعمره نحوا من سبع وسبعين سنة ولم يزل في جميعها محكوما عليه يحكم عليه وزراؤه حتى انه جعل ابنه حسنا وزيرا وولي عهده فحكم عليه واستبد بالامر دونه وقتل كثيرا من أمراء دولته وصادر كثيرا فلما رأى الحافظ ذلك سقاه سما فمات وقد ذكرناه ولم يل الامر من العلويين بمصر من أبوه غير خليفة غير الحافظ والعاضد وسيرد ذكر نسب العاضد وولي الخلافة بعده ابنه الظافر بامر الله أبو منصور اسمعيل بن عبد المجيد الحافظ واستوزر ابن مصال فبقي أربعين يوما يدبر الامور فقصده العادل بن السلار من ثغر الاسكندرية ونازعه في الوزارة وكان ابن مصال قد خرج من القاهرة في طلب بعض المفسدين من السودان فخالفه العادل بالقاهرة وصار وزيرا وسير عباس بن أبي الفتوح بن يحيى بن تميم بن المعز بن باديس الصنهاجي في عسكر وهو ربيب العادل الى ابن مصال فظفر به وقتله وعاد الى القاهرة واستقر العادل وتمكن ولم يكن للخليفة معه حكم وأما سبب وصول عباس الى مصر فان جده يحيى اخرج ابا الفتوح من المهدية فلما توفي يحيى وولي بعده بلاد افريقية ابنه علي بن يحيى بن تميم بن يحيى صاحب افريقية اخرج اخاه ابا الفتوح والد عباس من افريقية سنة تسع وخمسمائة فسار الى الديار المصرية ومعه زوجته بلارة ابنة القاسم بن تميم بن المعز بن باديس وولده عباس هذا وهو صغير يرضع ونزل أبو الفتوح بالاسكندرية فاكرم واقام بها مدة يسيرة وتوفي وتزوجت بعده امرأته بلارة بالعادل بن السلار وشب العباس وتقدم عند الظافر حتى ولي الوزارة بعد العادل فان العادل قتل في المحرم سنة ثمان واربعين قيل وضع ربيبه عباس من قتله فلما قتل ولي الوزارة بعده وتمكن منها وكان جلدا حازما ومع هذا ففي ايامه اخذ الفرنج عسقلان واشتد وهن الدولة بذلك وفي ايامه اخذ نور الدين محمود دمشق من مجير الدين ابق وصار الامر بعد هذا الى ان اخذت مصر منهم على ما نذكره بعد ان شاء الله تعالى

(ذكر عود جماعة من الامراء الى العراق)

في هذه السنة في رجب عاد البقش كون خر والطرنطاي وابن دبيس ومعهم ملكشاه ابن السلطان محمود الى العراق وراسلوا الخليفة في الخطبة لملكشاه فلم يلتفت اليهم وجمع العساكر وحصن بغداد وارسل الى السلطان مسعود يعرفه بالحال فوعده بالوصول الى بغداد فلم يحضر وكان سبب ذلك ما ذكرناه من وصول عمه السلطان سنجر الى الري في معنى خاص بك فلما وصل الى الري سار اليه السلطان مسعود ولقيه واسترضاه فرضي عنه فلما علم البقش بمراسلة الخليفة الى مسعود نهب النهروان وقبض على الامير علي بن دبيس في رمضان فلما علم الطرنطاي بذلك هرب الى النعمانية ووصل السلطان مسعود الى بغداد منتصف شوال ورحل البقش كون خر من النهروان واطلق

على

على بن دبيس فلما وصل السلطان الى بغداد قصده على والقى بنفسه بين يديه واعتذر فرضى عنه وذكر بعض المؤرخين هذه الحادثة سنة اربع واربعين وذكر ايضا مثلها سنة ثلاث واربعين فظنهما حادثتين وانا اظنها واحدة ولكننا تبعناه في ذلك ونبهنا عليه

(ذكر قتل البرنس صاحب انطاكية وهزيمة الفرنج)

في هذه السنة غزا نور الدين محمود بن زنكي بلاد الفرنج من ناحية انطاكية وقصد حصن حارم وهو للفرنج فحصره وخرب ربضه ونهب سواده ثم رحل الى حصن انب فحصره ايضا فاجتمعت الفرنج مع البرنس صاحب انطاكية وحارم وتلك الاعمال وساروا الى نور الدين ليرحلوه عن انب فلقيهم واقتتلوا قتالا عظيما وباشر نور الدين القتال ذلك اليوم فانهزم الفرنج اقبح هزيمة وقتل منهم جمع كثير واسر امثلهم وكان ممن قتل البرنس صاحب انطاكية وكان عاتيا من عتاة الفرنج وعظيما من عظمائهم ولما قتل البرنس ملك بعده ابنه بيمند وهو طفل فتزوجت امه ببرنس آخر ليدبر البلد الى ان يكبر ابنها واقام معها بانطاكية ثم ان نور الدين غزاهم غزوة اخرى فاجتمعوا ولقوه فهزمهم وقتل فيهم واسر وكان فيمن اسر البرنس الثاني زوج ام بيمند فتمكن حينئذ بيمند بانطاكية واكثر الشعراء مديح نور الدين وتهنئته بهذا الظفر فان قتل البرنس كان عظيما عند الطائفتين وممن قال فيه القيسراني الكاتب في القصيدة المشهورة التي اولها

هذى العزائم لا ما تدعى القضب * وذى المكارم لا ماقالت الكتب
وهذه الهمم اللاتى متى خطبت * تعثرت خلفها الاشعار والخطب
صافحت يا ابن عماد الدين ذروتها * براحة للمساعى دونها تعب
مازال جدك يبنى كل شاهقة * حتى بنى قبة اوتادها الشهب
أغرت سيوفك بالافرنج راجفة * فؤاد رومية الكبرى لها يجب
ضربت كبشهم منها بقاصمة * أودى بها الصلب وانحطت بها الصلب
طهرت أرض الاعادى من دمائهم * طهارة كل سيف عندها جنب

(ذكر الخلف بين صاحب صقلية وملك الروم)

في هذه السنة اختلف رجار الفرنجي صاحب صقلية وملك القسطنطينية وجرى بينهما حروب كثيرة ودامت عدة سنين فاشتغل بعضهم ببعض عن المسلمين ولولا ذلك لملك رجار جميع بلاد افريقية وكان القتال بينهم برا وبحرا والظفر في جميع ذلك لصاحب صقلية حتى ان أسطوله في بعض السنين وصل الى مدينة القسطنطينية ودخل فم الميناء واخذ عدة شواني من الروم واسر جماعة منهم ورمى الفرنج طاقات قصر الملك بالنشاب وكان الذي يفعل هذا بالروم والمسلمين جرجي وزير صاحب صقلية فمرض عدة امراض منها البواسير والحصاة ومات سنة ست واربعين وخمسمائة فسكنت الفتنة واستراح الناس من شره وفساده ولم يكن عند صاحب صقلية من يقوم مقامه بعده

(ذكر عدة حوادث)

قلعة المدينة المنورة ونزول المتولي بها على حكمهم وان القاصد الذي اتت بشائره وصل الى السويس وصحبته مفاتيح المدينة فحصل للباشا بذلك سرور عظيم وضربوا مدافع وشنكا بعد مدافع العيد وانتشرت المبشرون على بيوت الاعيان لاجل اخذ البقاشيش (وفي يوم الثلاثاء حادي عشره) وصل القادمون الى العادلية فعملوا لقدومهم شنكا عظيما وضربوا مدافع كثيرة من القلعة وبولاق والجيزة وخارج قبة العزب حيث العرضي المعد للسفر وايضا ضربوا بنادق كثيرة متتابعة من جميع الجهات حتى من اسطحة البيوت الساكنين بها واستمر ذلك اكثر من ساعتين فلكيتين فكان شيئا مهولا مزعجا واشيع في الناس دخول الواصلين في موكب واختلفت رواياتهم وخرج الباشا الى ناحية العادلية فاصطف الناس على مساطب الدكاكين والسقائف للفرجة فلما كان قريب الغروب دخل طائفة من العسكر وصحبتهم بعض أشخاص راكبين على الهجن وفي يد احدهم كيس اخضر وبيد الآخر كيس احمر بداخلهما المكاتبات والمفاتيح وعاد الباشا من ليلته وصعد الى القلعة هذا والمدافع والشنك يعمل في كل وقت من الاوقات الخمسة وفي الليل وفي صبح يوم الاربعاء شق الاغا والوالي واغات التبديل

فى هذه السنة زلزلت الارض زلزلة عظيمة فقيل ان جبلا مقابل حلوان ساخ فى الارض وفيها ولى أبو المظفر يحيى بن هبيرة وزارة الخليفة المقتفى لامر الله وكان قبل ذلك صاحب ديوان الزمام وظهر له كفاية عظيمة عند نزول العساكر بظاهر بغداد وحسن قيام فى ردهم فرغب الخليفة فيه فاستوزره يوم الاربعاء رابع ربيع الآخر سنة اربع واربعين وكان القمر على تربيع زحل فقيل له لو أخرت لبس الخلعة لهذه التربيعات فقال واى سعادة اكبر من وزارة الخليفة ولبسها ذلك اليوم وفيها فى المحرم توفى قاضى القضاة على بن الحسين الزينبي وولى القضاء عماد الدين ابو الحسن على بن أحمد الدامغانى وفيها فى المحرم رخصت الاسعار بالعراق وكثرت الخيرات وخرج اهل السواد الى قراهم وفيها توفى الامير نظر امير الحاج وكان قد سار بالحاج الى الحلة فمرض واشتد مرضه واستخلف على الحاج قايماز الارجوانى وعاد الى بغداد مريضا فتوفى فى ذى القعدة وكان خصيا عاقلا خيرا له معروف كثير وصدقات وافرة وفيها توفى احمد بن نظام الملك الذى كان وزير السلطان محمد والمسترشد بالله وفيها توفى على بن رافع بن خليفة الشيبانى وهو من اعيان خراسان وله مائة وسبع سنين شمسية ومات الامام مسعود الصوابى فى المحرم بها وفيها توفى معين الدين أنز نائب أبق صاحب دمشق وهو كان الحاكم والامر اليه وكان ابق صورة اميرا معنى تحتها وفيها توفى القاضى أحمد بن محمد بن الحسين الارجانى أبو بكر قاضى تستر وله شعر حسن فمنه قوله

ولما بلوت الناس اطلب عندهم * اخا ثقة عند اعتراض الشدائد
تطلعت فى حالى رخاء وشدة * وناديت فى الاحياء هل من مساعد
فلم أر فيما ساءنى غير شامت * ولم أر فيما سرنى غير حاسد
تمتعتما يا ناظرى بنظرة * واوردتما قلبى أمر الموارد
اعينى كفا عن فؤادى فانه * من البغى سعى اثنين فى قتل واحد

وفيها توفى أبو عبد الله عيسى بن هبة الله بن عيسى البزاز وكان ظريفا وله شعر حسن كتب اليه صديق له رقعة وزاد فى خطابه فاجابه

قد زدتنى فى الخطاب حتى * خشيت نقصا من الزياده
فاجعل خطابى خطاب مثلى * ولا تغير على عاده *

●(ثم دخلت سنة خمس واربعين وخمسمائة)●

●(ذكر أخذ العرب الحجاج)●

فى هذه السنة رابع عشر المحرم خرج العرب زعب ومن انضم اليهم على الحجاج بالغرابى بين مكة والمدينة فاخذوهم ولم يسلم منهم الا القليل وكان سبب ذلك ان نظر أمير الحاج لما عاد من الحلة على ما ذكرناه وصار على الحاج قايماز الارجوانى وكان حدثا غرا فسار بهم الى مكة فلما رأى أمير مكة قايماز استصغره وطمع فى الحاج وتلطف قايماز الحال معه الى ان عادوا فلما سار عن مكة سمع باجتماع العرب فقال للحاج من المصلحة انا لا نمضى

واما مهم المناداة على الناس بتزيين الاسواق وما فيها من الحوانيت والدور ووقود القناديل والتعاليق ويسهرون ثلاث ليال بايامها اولها يوم الخميس وآخرها يوم السبت الذى هو خامس عشره واخرجوا وطاقات وخياما الى خارج بابى النصر والفتوح وخرج الباشا فى ثانى يوم الى ناحية العادلية وهو ليلة يوم الزينة وعملوا حراقات ونفوطا وسواريخ ومدافع من كل ناحية مدة ايام الزينة وكتبت البشائر الى جميع النواحى وانعم الباشا بامريات ومناصب على عشرين شخصا من خواصه وعين لطيف بك اغات المفتاح للتوجه الى دار السلطنة بالبشائر والمفاتيح صحبته وسافر فى صبح يوم الزينة على طريق البر وتعين خلافه ايضا للسفر بالبشائر الى البلاد الرومية والشامية والاسا كل الاسلامية مثل بلاد الانضول والرومنلى ورودس وسلانيك وازمير وكريت وغيرها (وفى اواخره) وردت الاخبار المترادفة بوقوع الطاعون الكثير باسلامبول فاشار الحكماء على الباشا بعمل كورنتينه بالاسكندرية على قاعدة اصطلاح الافرنج ببلادهم فلا يدعون احدا من المسافرين الواردين فى المراكب من الديار الرومية يصعد الى البر الا بعد مضى اربعين يوما من وروده واذا مات بالمركب احد فى اثناء المدة استانفوا الاربعين (وفيه) وشى بعض اليهود على الخواجا سالم الجواهرجي المباشر لايراد

الى المدينة فضج الحجاج وتهددوه بالشكوى منه الى السلطان سنجر وقال لهم فاعطوا العرب مالا نستكفى به شرهم فامتنعوا من ذلك فسار بهم الى الغرابى وهو منزل يخرج اليه من مضيق جبلين فوقفوا على فم مضيق وقاتلهم قايماز ومن معه فلما رأى عجزه أخذ لنفسه امانا وظفروا بالحجاج وغنموا اموالهم وجميع ما معهم وتفرق الناس فى البر وهلك منهم خلق كثير لا يحصون كثرة ولم يسلم الا القليل فوصل بعضهم الى المدينة وتحملوا منها الى البلاد وأقام بعضهم مع العرب حتى توصل الى البلاد ثم ان الله تعالى اقتص للحاج من زعب فلم يزالوا فى نقص وذلة ولقد رايت شابا منهم بالمدينة سنة ست وسبعين وخمسمائة وجرى بينى وبينه مفاوضة قلت له فيها انى والله كنت اميل اليك حتى سمعت انك من زعب فنفرت وخفت شرك فقال لم فقلت بسبب أخذ كم الحاج فقال لى انا لم ادرك ذلك الوقت وكيف رأيت الله صنع بنا والله ما افلحنا ولا انجحنا قل العدد وطمع العدو فينا

(ذكر فتح حصن فاميا)

فى هذه السنة فتح نور الدين محمود بن الشهيد زنكى حصن فاميا من الفرنج وهو مجاور شيزر وحماة على تل عال من أحصن القلاع وأمنعها فسار نور الدين اليه وحصره وبه الفرنج وقاتلهم وضيق على من بها منهم فاجتمع من بالشام من الفرنج وساروا نحوه ليرحلوه عنهم فلم يصلوا الا وقد ملكه وملأه ذخائر وسلاحا ورجالا وجميع ما يحتاج اليه فلما بلغه مسير الفرنج اليه رحل عنه وقد فرغ من امر الحصن وسار اليهم يطلبهم فحين رأوا ان الحصن قد ملك وقوة عزم نور الدين على لقائهم عدلوا عن طريقه ودخلوا بلادهم وراسلوه فى المهادنة وعاد سالما مظفرا ومدحه الشعراء وذكروا هذا الفتح فمن ذلك قول ابن الرومى من قصيدة أولها

اسنى الممالك ما أطلت منارها * وجعلت مرهفة الدمار دثارها
واحق من ملك البلاد واهلها * رؤف تكنف عدله اقطارها

ومنها فى وصف الحصن

ادركت ثارك فى البغاة وكنت يا * مختارامة أحمد مختارها
ضاهت نجومك فوقها وطالما * باتت تنافثها النجوم شرارها
عادية الزمن المبير سعالها * منك المغيرة فاستردمعارها
امست مع الشعرى العبور واصبحت * شعراء تستقلى الفحول شوارها

وهى طويلة

(ذكر حصر الفرنج قرطبة ورحيلهم عنها)

فى هذه السنة سار السليطين وهو الاذفونش وهو ملك طليطلة واعمالها وهو من ملوك الجلالقة نوع من الفرنج فى اربعين الف فارس الى مدينة قرطبة فحصرها وهى فى ضعف وغلاء فبلغ الخبر الى عبد المؤمن وهو بمراكش فجهز عسكرا كثيرا وجهز

الذهب والفضة الى الضربخانه وانعزل عنها كما ذكر فى وسط السنة وذلك عند ورود الرجل النصرانى الدرزى الشامى بانه كان فى أيام مباشرته للايراد يضرب لنفسه دنانير خارجة عن حساب الميرى خاصة به فامر الباشا باثبات ذلك وتحقيقه فحصل كلام كثير والحاج سالم يجحد ذلك وينكره فقال له أيوب تابعك الذى كان ينزل آخر النهار بالخرج على حماره فى كل يوم بحجة الانصاف العددية التى يفرقها على الصيارف بالمدينة وأكثر ما فى الخرج خاص بك فاحضروا أيوب المذكور وطلبوه للشهادة فقال لا اشهد الا بما اعلم ولم يحصل هذا مطلقا ولا يجوز لى ولا يخلصنى من الله ان أتهم الرجل بالباطل فقال اليهودى هذا رفيقه وصاحبه وخادمه ولا يمكنه انه يخبر ويقر الا اذا خوف وعوقب واذا ثبت قولى فانه يطلع عليه ستة آلاف كيس فلما سمع الباشا قول اليهودى ستة آلاف كيس أمر بحبس الحاج سالم ثم احضروا اخوته والحاج أيوب وسجنوهم وضربوهم والباشا يطلب ستة آلاف كيس كما قال اليهودى واستمروا على ذلك أياما وذلك الحبس عند قراعلى بحواريث الحريم بالازبكية وسبب خصومة شمعون اليهودى مع الحاج سالم انهم احتجوا على اليهودى باشياء وقرروا عليه غرامة أيضا فطلب من الحاج سالم المساعدة وقال له ساعدنى كما ساعدتك فى غرامتك فقال الحاج سالم انك لم تساعدنى بمال من عندك بل هو من حسابى

معك فقال اليهودي ألست كنت اداري عليك فيما تفعله واتسع الكلام بينهما وحضرة الباشا واعوانه مترقبون لحادث
يستخرجون به الاموال باى
وجه كان ويتقولون ويوقعون
بين هذا وهذا والناس اعداء
لبعضهم البعض تحسبهم جميعا
وقلوبهم شتى ثم ان السيد محمدا
المحروقي خاطب الباشا في شان
الحاج سالم وحلف له ان
الغرامة الاولى تاخر عليه منها
ثلثمائة كيس استدانها من
الاوربيين ودفعها وهي باقية
عليه الى الآن ومطلوبة منه
وذلك بعد ان باع املاكه
وحصة التزامه فاذا كان ولابد
من تغريمه ثانيا فانا نمهل
أصحاب الديون ونقوم بدفع
الثلثمائة كيس المطلوبة
للداينين وندفعها للخزينة
فاجابه لذلك وأمر بالافراج عن
الحاج سالم واخوته ومن معه
فدفعوا القرا على المتولي سجنهم
وعقوبتهم واتباعه سبعة
أكياس (وفيه) اشتد الامر
على اسمعيل افندي أمين
عيار الضربخانه واولاده
بالطلب من أرباب الحوالات
مثل دالي باشاوخلافه وضيق
العسكر المعينون عليهم
منافسهم ولازموا دورهم ولم
يجدوا شافعا ولا دافعا ولا
رافعا فباعوا أملاكهم
وعقاراتهم وفراشهم ومصاغ
حريمهم واوانيهم وملابسهم
وكان الباشا أخذ من اسمعيل
افندي المذكور داره التي بالقاهرة عند ما انتقل الى القلعة فامر باخلائها ففعل ونزل الى

فنح

مقدمهم اباز كريا يحيى بن يرموز ونفذهم الى قرطبة فلما قربوا منها فلم يقدروا ان يلقوا عسكر السليطين في الوطاء وارادوا الاجتماع باهل قرطبة ليمنعوها الخطر العاقبة بعد القتال فسلكوا الجبال الوعرة والمضايق المتشعبة فساروا نحو خمسة وعشرين يوما في الوعر في مسافة اربعة أيام في السهل فوصلوا الى الجبل المطل على قرطبة فلما رآهم السليطين وتحقق أمرهم رحل عن قرطبة وكان فيها القائد أبو الغمر السائب من ولد القائد بن غلبون وهو من ابطال اهل الاندلس وامرائها فلما رحل الفرنج خرج منها لوقته وصعد الى ابن يرموز وقال له انزلوا عاجلا وادخلوا البلد ففعلوا وباتوا فيها فلما أصبحوا من الغد رأوا عسكر السليطين على رأس الجبل الذي كان فيه عسكر عبد المؤمن فقال لهم أبو الغمر هذا الذي خفته عليكم لاني علمت ان السليطين ما اقام الا طالبا لكم فان من الموضع الذي كان فيه طريق سهلة ولو لحقكم هناك نال مراده منكم ومن قرطبة فلما رأى السليطين انهم قد فاتوه علم انه لم يبق له طمع في قرطبة فرحل عائدا الى بلاده وكان حصره لقرطبة ثلاثة اشهر والله اعلم

(ذكر ملك الغورية هراة)

في هذه السنة سار ملك الغور الحسن بن الحسين من بلاد الغور الى هراة فحصرها وكان اهلها قد كاتبوه وطلبوا أن يسلموها اليه هربا من ملك الاتراك لهم وزوال هيبة السلطنة عنهم فامتنع اهل هراة عليه ثلاثة ايام ثم خرجوا اليه وسلموا البلد واطاعوه فاحسن اليهم وافاض عليهم النعم وغمرهم بالعدل واظهر طاعة السلطان سنجر والقيام على الوفاء له والانقياد اليه

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة أمر علاء الدين محمود بن مسعود الغالب على امر طريثيث اقامة الخطبة للخليفة وابس السواد ففعل الخطيب ذلك فثار به عمه واقاربه ومن وافقهم وقاتلوه وكسروا المنبر وقتلوا الخطيب وكان فعل علاء الدين هذا لان اباه كان مسلما فلما تغلب الاسماعيلية على طريثيث اظهر موافقتهم وابطن اعتقاد الشريعة وكان يناظر على مذهب الشافعي وازداد تقدما بطريثيث وجرت امورها بارادته فلما حضره الموت اوصى ان يغسله فقيه شافعي واوصى الى ابنه علاء الدين ان امكنه ان يعيد فيها اظهار شريعة الاسلام فعل فلما رأى من نفسه قوة فعله فلم يتم له وفيها كثر المرض بالعراق لاسيما ببغداد وكثر الموت أيضا فيها ففارقها السلطان مسعود وفيها توفي الامير علي بن دبيس بن صدقة صاحب الحلة باسداباذ واتهم طبيبه محمد بن صالح بالمواطاة عليه فمات الطبيب بعده بقريب وفيها استوزر عبد المؤمن صاحب بلاد المغرب اباجعفر بن ابي أحمد الاندلسي وكان ماسورا عنده فوصف له بالعقل وجودة الكتابة فاخرجه من الحبس واستوزره وهو أول وزير كان للموحدين وفي هذه السنة في المحرم جلس يوسف الدمشقي مدرسا في النظامية ببغداد وكان جلوسه بغير امر الخليفة

فمنع يوم الجمعة من دخول الجامع فصلى فى جامع السلطان ومنع من التدريس فتقدم السلطان مسعود الى الشيخ أبى النجيب بان يدرس فيها فامتنع بغير امر الخليفة فاستخرج السلطان اذن الخليفة فى ذلك فدرس منتصف المحرم من السنة وفيها توفى أبو عبد الله محمد ابن على بن مهران الفقيه الشافعى تفقه على الهراسى وولى قضاء نصيبين ثم ترك القضاء وتزهد فاقام بجزيرة ابن عمر ثم انتقل الى جبل بيلد الحصن فى زاوية وكان له كرامات ظاهرة وفيها مات الحسن بن ذى النون بن أبى القاسم بن أبى الحسن الاسعردى ابو المفاخر النيسابورى سمع الحديث الكثير وكان فقيها اديبا دائم الاشتغال يعظ الناس وكان مما ينشد

مات الكرام وولوا وانقضوا ومضوا * ومات من بعدهم تلك الكرامات
وخلفونى فى قوم ذوى سفه * لو ابصروا طيف ضيف فى الكرى ماتوا

(ثم دخلت سنة ست واربعين وخمسمائة)

(ذكر انهزام نور الدين من جوسلين واسر جوسلين بعد ذلك)

فى هذه السنة جمع نور الدين محمود عسكره وسار الى بلاد جوسلين الفرنجى وهى شمال حلب منها تل باشر وعين تاب واعزاز وغيرها وعزم على محاصرتها واخذها وكان جوسلين لعنه الله فارس الفرنج غير مدافع قد جمع الشجاعة والرأى فلما علم بذلك جمع الفرنج فاكثر وسار نحو نور الدين فالتقوا واقتتلوا فانهزم المسلمون وقتل منهم واسر جمع كثير وكان فى جملة من اسر سلاحدار نور الدين فاخذه جوسلين ومعه سلاح نور الدين فسيره الى الملك مسعود بن قلج أرسلان صاحب قونية واقصرا وقال له هذا سلاح زوج ابنتك وسيأتيك بعده ما اعظم منه فلما علم نور الدين الحال عظم عليه ذلك وعمل الحيلة على جوسلين وهجر الراحة لياخذ بثاره واحضر جماعة من امراء التركمان وبذل لهم الرغائب ان هم ظفروا بجوسلين وسلموه اليه اما قتيلا أو اسيرا لانه علم انه متى قصده بنفسه احتمى بجموعه وحصونه فجعل التركمان عليه العيون فخرج متصيدا فلحقت به طائفة منهم وظفروا به فصانعهم على مال يؤديه اليهم فاجابوه الى اطلاقه اذا حضر المال فارسل فى احضاره فمضى بعضهم الى أبى بكر بن الداية نائب نور الدين بحلب فاعلمه الحال فسير عسكرا معه فكبسوا اولئك التركمان وجوسلين معهم فاخذوه اسيرا واحضروه عنده وكان أسره من أعظم الفتوح لانه كان شيطانا عاتيا شديدا على المسلمين قاسى القلب وأصيبت النصرانية كافة باسره ولما أسر سار نور الدين الى قلاعه فملكها وهى تل باشر وعين تاب واعزاز وتل خالد وقورس والراوندان وبرج الرصاص وحصن البارة وكفرسود وكفرلاثا ودلوك ومرعش ونهر الجوز وغير ذلك من أعماله فى مدة يسيرة نذكر تفصيلها وكان نور الدين كلما فتح منها حصنا نقل اليه من كل ما يحتاج اليه الحصون خوفا من نكبة تلحق المسلمين من الفرنج فتكون بلادهم غير محتاجة الى ما يمنعها من العدو ومدحه الشعراء فممن قال فيه القيسرانى من قصيدة فى ذكر جوسلين

دار بحارة الروم بالقرب من دار ابنه محمد افندى فاتخذ الباشا دار اسمعيل افندى دار الحريمه واسكنهم بها لانها دار عظيمة جليلة عمرها المذكور وصرف عليها فى الايام الخالية اموالا جمة فلما استولى عليها الباشا اسكن بها حريمه وجواريه وسراريه ولما قرر عليه غرامته اسقط عنه منها عشرين كيسا لاغير وجعلها فى ثمن داره المذكورة وذلك لا يقوم بثمن رخامها فقط فلما اشتد الحال باسمعيل افندى اشار عليه بعض المتشفعين بان يكتب له عرضحال ويطلع به الى الباشا صحبة المعلم غالى كبير الاقباط المباشرين ففعل ودخل معه المعلم غالى الى الباشا فعندما رآه مقبلا صحبة المذكور اشار اليه بالرجوع ولم يدعه يتكلم فرجع بقهره ونزل الى داره فمرض وتوفى بعد أيام الى رحمة الله تعالى ومات قبله ولده حسن أفندى وبقى جميع الطلب على ولده محمد افندى فحصل له مشقة زائدة وباع اثاث بيته واوانيه وكتبه التى اقتناها وحصلها بالشراء والاستكتاب فباعها بابخس الاثمان على الصحافين وغيرهم وطال عليه الحال وانقضت مواعيد المداينين له فطالبوه وكربوه فتداين من غيرهم بالربا والزيادة وهكذا والله يحسن لنا وله العاقبة (وفيه) قدم الى الاسكندرية غليون من بلاد الانكليز فيه بضائع واشيا للباشا ومنها خمسون الف كيس نقود واثمن غلال وخيول ياخذونها من مصر

كما أهدت الاقدار للقمص اسره * وأسعد قرن من حواه لك الاسر
طغى وبغى عدوا على غلوائه * فاوبقه الكفران عدوا هوا لكفر
وامست عزاز كاسمها بك عزة * تشق على المسرين لوانها وكر
فسر وامالك الدنيا ضياء وبهجة * فبالافق الداجى الى ذا السنى فقر
كانى بهذا العزم لا فل حده * واقصاه بالاقصى وقد قضى الامر
وقد أصبح البيت المقدس طاهرا * وليس سوى جارى الدماء له طهر

(ذكر حصر غرناطة والمرية من بلاد الاندلس)

فى هذه السنة سير عبد المؤمن جيشا كثيفا نحو عشرين ألف فارس الى الاندلس مع أبى حفص عمر بن يحيى الهنتاتى وسير معهم نساءهم فكن يسرن مفردات عليهن البرانس السود ليس معهن غير الخدم ومتى قرب منهن رجل ضرب بالسياط فلما قطعوا الخليج ساروا الى غرناطة وبها جمع من المرابطين فحصروها وعسكروا وضيقوا عليها فجاء اليه احمد بن ملحان صاحب مدينة وادى آش واعمالها بجماعته ووحدوا وصاروا معه وأتاه ابراهيم بن همشك صهر ابن مردنيش صاحب جيان وأصحابه ووحدوا وصاروا أيضا معه فكثر جيشه وحرضوه على المسارعة الى ابن مردنيش ملك بلاد شرق الاندلس ليبغته بالحصار قبل أن يتجهز فلما سمع ابن مردنيش ذلك خاف على نفسه فارسل الى ملك برشلونة من بلاد الفرنج يخبره ويستنجده ويحثه على الوصول اليه فسار اليه الفرنجى فى عشرة آلاف فارس وسار عسكر عبد المؤمن فوصلوا الى حمة بلقوارة وبينها وبين مرسية التى هى مقر ابن مردنيش مرحلة فسمعوا بوصول الفرنج فرجع وحصر مدينة المرية وهى للفرنج عدة شهور فاشتد الغلاء فى العسكر وعدمت الاقوات فرحلوا منها وعادوا الى اشبيلية فاقاموا بها

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة فى ربيع الآخر توفى العبادى الواعظ واسمه المظفر بن اردشير بخوزستان وكان الخليفة المقتفى لامر الله قد سيره فى رسالة الى الملك محمد ابن السلطان محمود ليصلح بينه وبين بدر الحواثرى فتوفى هناك وجلس ولده ببغداد للعزاء واقيم بحاجب من الديوان العزيز وكان ابنه يجلس ويعظ ويذكر والده ويبكى هو والناس كافة ونقل العبادى الى بغداد ودفن بالشونيزى ومولده سنة احدى وتسعين واربعمائة وسمع الحديث من أبى بكر الهروى وزاهر الشحامى وغيرهما وفيها انفجر بثق النهروان الذى اعمره بهروز بكثرة الزيادة فى تامرا واهمال أمرها حتى عظم ذلك وتضرر به الناس وفيها سار الامير قيماز فى طائفة من عسكر السلطان سنجر الى طريثيث بخراسان واغار على بلاد الاسماعيلية فنهب وسبى وخرب وأحرق المساكن وفعل بهم افاعيل عظيمة وعاد سالما

(ثم دخلت سنة سبع وأربعين وخمسمائة)

الى بلادهم فطفقوا يطلبون لهم الخيول من أربابها فيقيسون طولها وعرضها وقوائمها بالاشبار فان وجدوا ما يوافق غرضهم ومطلوبهم فى القياس والقيافة أخذوه ولو باغلى ثمن والا تركوه (وفيه) ايضا ارسل الباشا لجميع كشاف الوجه القبلى بحجز جميع الغلال والحجر عليها لطرفه فلا يدعون احدا يبيع ولا يشترى شيئا منها ولا يسافر بشئ منها فى مركب مطلقا ثم طلبوا ما عند اهل البلاد من الغلال حتى ما هو مدخر فى دورهم للقوت فاخذوه ايضا ثم زادوا فى الامر حتى صاروا يكبسون الدور ويأخذون ما يجدون من الغلال قل او كثر ولا يدفعون له مقابل يقولون لهم نحسب لكم ثمنه من مال السنة القابلة ويشحنون بذلك جميع مراكب الباشا التى استعدها واعدها لنقل الغلال ثم يسيرون بها الى بحرى فتنقل الى مراكب الافرنج بحساب مائة قرش من كل اردب وانقضت السنة ولم تنقض حوادثها بل استمر ما حدث بها كالتى قبلها وزيادة (فمنها) ما احاط به علمنا وذكرنا بعضه ومنها ما لم يحط به علمنا او احاط ونسيناه بحدوث غيره قبل التثبت ومنها ان الباشا عمل ترسخانه عظيمة بساحل بولاق واتخذ عدة مراكب بالاسكندرية بخصوص جلب الاخشاب المتنوعة وكذلك الحطب الرومى من اماكنها على ذمته ويبيعه على الحطابين باحد عليهم من الثمن ويحمل فى المراكب المختصة به باجرة محددة (ذكر

(ذكر ملك عبد المؤمن بجاية وملك بنى حماد)

فى هذه السنة سار عبد المؤمن بن على الى بجايه وملكها وملك جميع ممالك بنى حماد وكان لما اراد قصدها سار من مراكش الى سبتة سنة ست واربعين فاقام بها مدة يعمل الاسطول ويجمع العساكر القريبة منه وأما ما هو على طريقه الى بجاية من البلاد فكتب اليهم ليتجهزوا ويكونوا على الحركة اى وقت طلبهم والناس يظنون انه يريد العبور الى الاندلس فارسل فى قطع السابلة عن بلاد الشرق والمغرب برا وبحرا وسار من سبتة فى صفر سنة سبع واربعين فاسرع السير وطوى المراحل والعساكر تلقاه فى طريقه فلم يشعر اهل بجاية الا وهو فى اعمالها وكان ملكها يحيى بن العزيز بن حماد آخر ملوك بنى حماد وكان مولعا بالصيد واللهو ولا ينظر فى شئ من امور مملكته قد حكم فيها بنو حمدون فلما اتصل الخبر بميمون بن حمدون جمع العسكر وسار عن بجاية نحو عبد المؤمن فلقيهم مقدمته وهى تزيد على عشرين الف فارس فانهزم اهل بجاية من غير قتال ودخلت مقدمة عبد المؤمن بجاية قبل وصول عبد المؤمن بيومين وتفرق جميع عسكر يحيى بن العزيز وهربوا برا وبحرا وتحصن يحيى بقلعة قسطنطينية الهواء وهرب اخواه الحرث وعبد الله الى صقلية ودخل عبد المؤمن بجاية وملك جميع بلاد ابن العزيز بغير قتال ثم ان يحيى نزل الى عبد المؤمن بالامان فامنه وكان يحيى قد فرح لما اخذت البلاد افريقية من الحسن بن على فرحا ظاهرا عليه فكان يذمه ويذكر معايبه فلم تطل المدة حتى اخذت بلاده ووصل الحسن بن على الى عبد المؤمن فى جزائر بنى مزغنان وقد ذكرنا سنة ثلاث واربعين سبب مصيره اليها واجتمعا عنده فارسل عبد المؤمن يحيى ابن العزيز الى بلاد المغرب واقام بها واجرى عليه شيئا كثيرا واما الحسن بن على فانه احسن اليه والزمه صحبته واعلى مرتبته فلزمه الى ان فتح عبد المؤمن المهدية فجعله فيها وامر واليها ان يقتدى برأيه ويرجع الى قوله ولما فتح عبد المؤمن بجاية لم يتعرض الى مال اهلها ولا غيره وسبب ذلك ان بنى حمدون استامنوا فوفى لهم بامانه

(ذكر ظفر عبد المؤمن بصنهاجة)

لما ملك عبد المؤمن بجاية تجمعت صنهاجة فى امم لا يحصيها الا الله تعالى وتقدم عليهم رجل اسمه ابو قصبة واجتمع معهم من كتامة ولواتة وغيرها خلق كثير وقصدوا حرب عبد المؤمن فارسل اليهم جيشا كثيرا ومقدمهم ابو سعيد يخلف وهو من الخمسين فالتقوا فى عرض الجبل شرقى بجاية فانهزم ابو قصبة وقتل اكثر من معه ونهبت اموالهم وسبيت نساؤهم وذراريهم ولما فرغوا من صنهاجة ساروا الى قلعة بنى حماد وهى من احصن القلاع واعلاها لاترام على رأس جبل شاهق لا يكاد الطرف يحققها لعلوها ولكن القدر اذا جاء لا يمنع منه معقل ولا جيوش فلما راى اهلها عساكر الموحدين هربوا منها فى رؤس الجبال وملكت القلعة واخذ جميع ما فيها من مال وغيره وحمل الى عبد المؤمن فقسمه بين اصحابه

ايضا وياتى الى ديوان الكمرك ببولاق فيؤخذ كركه اى مكسه وهو راجع اليه ٧١ ايضا الى ان استقر سعر القنطار الواحد من الحطب بثلثمائة وخمسة عشر نصف فضة واجرة حمله من بولاق الى مصر ثلاثة عشر نصف فضة واجرة تكسيره مثل ذلك فيكون مجموع ذلك ثلثمائة واربعين نصف فضة القنطار وقد اشتريناه قبل استيلاء هذه الدولة بثلاثين نصفا واجرة حمله فى المركب عشرة انصاف واجرته من بولاق الى مصر ثلاثة انصاف وتكسيره كذلك فيكون مجموع ذلك ستة واربعين نصفا وكذلك فعل فى انواع الاخشاب المكسنة والحديد والرصاص والقصدير وجميع المجلوبات واستمر يمشى فى المراكب الكبار والصغار التى تسرح فى النيل من قبلى الى بحرى ومن بحرى الى قبلى ولا يبطل الانشاء والاعمال والعمل على الدوام وكل ذلك على ذمته ومرمتها وعمارتها ولوازمها وملاحوها باجرتهم على طرفه لا بالضمان كما كان فى السابق ولهم قومة ومباشرون متقيدون بذلك الليل والنهار (ومنها) وهى من الحوادث الغريبة التى لم يتفق فى هذه الاعصار مثلها ان فى اواخر ربيع الآخر احترق بحر النيل وجف بحر بولاق وكثرت فيه الرمال وعلت فوق بعضها حتى صارت مثل التلول وانحسر الماء حتى كان الناس يمشون الى قريب انبابة بمداساتهم

(ذكر وفاة السلطان مسعود وملك ملكشاه محمد بن محمود)

في هذه السنة اول رجب توفي السلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه بهمذان وكان مرضه حمى حادة نحو اسبوع وكان مولده سنة اثنتين وخمسمائة في ذي القعدة ومات معه سعادة البيت السلجوقي فلم يقم له بعده راية يعتد بها ولا يلتفت اليها

فما كان قيس هلكه هلك واحد * ولكنه بنيان قوم تهدما

وكان رحمه الله حسن الاخلاق كثير المزاح والانبساط مع الناس فمن ذلك ان اتابك زنكي صاحب الموصل ارسل اليه القاضي كمال الدين محمد بن عبد الله بن القاسم الشهرزوري في رسالة فوصل اليه وأقام معه في العسكر فوقف يوما على خيمة الوزير حتى قارب اذان المغرب فعاد الى خيمته فاذن المغرب وهو في الطريق فرأى انسانا فقيها في خيمة فنزل اليه فصلى معه المغرب ثم ساله كمال الدين من اين هو فقال انا قاضي مدينة كذا فقال له كمال الدين القضاة ثلاثة قاضيان في النار وهو انا وانت وقاض في الجنة وهو من لم يعرف ابواب هؤلاء الظلمة ولا يراهم فلما كان الغد ارسل السلطان واحضر كمال الدين اليه فلما دخل عليه ورآه ضحك وقال القضاة ثلاثة فقال كمال الدين نعم يا مولانا فقال والله صدقت ما اسعد من لا يرانا ولا نراه ثم امر ان تقضى حاجته واعاده من يومه وكان كريما عفيفا عن الاموال التي للرعايا حسن السيرة فيهم من اصلح السلاطين سيرة والينهم عريكة سهل الاخلاق لطيفا فمن ذلك انه اجتاز يوما في بعض اطراف بغداد فسمع امرأة تقول لاخرى انظري الى السلطان فوقف وقال حتى تجيء هذه الست تنظر الينا وله فضائل كثيرة ومناقب جمة وكان عهد الى ملكشاه ابن اخيه السلطان محمود فلما توفي خطب له الامير خاص بك ورتب الامور وقررها بين يديه واذعن له جميع العسكر بالطاعة ولما وصل الخبر الى بغداد بموت السلطان مسعود هرب الشحنة بها وهو مسعود بلال الى تكريت واستظهر الخليفة المقتفي لامر الله على داره ودور اصحاب السلطان ببغداد واخذ كل ما لهم فيها وكل من كان عنده وديعة لاحدهم احضرها بالديوان وجمع الخليفة الرجال والعساكر واكثر التجنيد وتقدم باراقة الخمور من مساكن اصحاب السلطان ووجد في دار مسعود بلال شحنة بغداد كثير من الخمر فاريق ولم يكن الناس يظنون انه شرب الخمر لبعد الحج وقبض على المؤيد الالوسي الشاعر وعلى الحيص بيص الشاعر ثم اطلق الحيص بيص واعيد عليه ما اخذ منه ثم ان السلطان ملكشاه سير سلار كرد في عسكر الى الحلة فدخلها فسار اليه مسعود بلال شحنة بغداد واظهر له الاتفاق معه فلما اجتمعا قبض عليه مسعود بلال وغرقه واستبد بالحلة فلما علم الخليفة ذلك جهز العساكر اليها مع عون الدين بن هبيرة فسار اليه فلما قاربوا الحلة عبر مسعود بلال الفرات اليهم وقاتلهم فانهزم من عسكر الخليفة ونادى اهل الحلة بشعار الخليفة فلم يدخلها وتمت الهزيمة عليه وعلى اصحابه فعاد الى تكريت وملك عسكر الخليفة الحلة وسير الوزير عسكرا الى الكوفة وعسكرا الى واسط فملكوهما ثم ان عساكر

السلطان

وكذلك بحر مصر القديمة بقي مخاضا وفقدت أهل القاهرة الماء الحلو واشتد بالناس العطش بسبب ذلك وبسبب تسخير السقائين ونادى الاغا والوالي على ان يكون حمل القربة للمكان البعيد باثني عشر نصف فضة واستهل شهر بشنس القبطي فزاد النيل في أوله في ليلة واحدة نحو ذراع ثم كان يزيد في كل يوم وليلة مثل دفعات أواخر أبيب ومسرى وجرى بحر بولاق ومصر القديمة وغطى الرمال وسارت فيه المراكب الكبار منحدرة ومقلعة وغرقت المقاثي مثل البطيخ والخيار والعبد اللاوي وما كان مزروعا بالسواحل وهو شيء كثير جدا واستمرت الزيادة نحو عشرين يوما حتى تغير وابيض وكاد يحمر ودخل الناس من ذلك وهم عظيم من هذه الزيادة التي في غير وقتها حتى اعتقدوا انه يوفي أذرع الوفاء قبل نزول النقطة ولم يعهد مثل ذلك وكان ذلك رحمة من الله بعبيده الفقراء العطاش ثم اني طالعت في تاريخ الحافظ المقريزي المسمى بالسلوك في دول الملوك فذكر مثل هذه النادرة في سنة ثمان وثلاثين وثمانمائة ولما ترادفت هذه الزيادات خرج الوالي الى قنطرة السد وجمع الفعلة للعمل في سد فم الخليج ونادى على ترح الخليج وتنظيفه وكسح اوساخه وقطع ارضه ثم وقفت الزيادة

السلطان وصلت الى واسط ففارقها عسكر الخليفة فلما سمع الخليفة ذلك تجهز بنفسه وسار عن بغداد الى واسط ففارقها العسكر السلطاني وملكها الخليفة وسار منها الى الحلة ثم عاد الى بغداد فوصلها تاسع عشر ذي القعدة وكانت غيبته خمسة وعشرين يوما ثم ان خاص بك بن بلنكري قبض على الملك ملكشاه الذي خطب له بالسلطنة بعد مسعود وارسل الى اخيه الملك محمد سنة ثمان واربعين وهو بخوزستان يستدعيه وكان قصده أن يحضر عنده فيقبضه ويخطب لنفسه بالسلطنة فسار الملك محمد اليه فلما وصل اجلسه على تخت السلطنة اوائل صفر وخطب له بالسلطنة وخدمه وبالغ في خدمته وحمل له هدايا عظيمة جليلة المقدار ثم انه دخل الى الملك محمد ثاني يوم وصوله فقتله محمد وقتل معه زنكي الجاندار والقى برأسهما فتفرق اصحابهما ولم ينتطح فيهما عنزان وكان ايدغدي التركماني المعروف بشملة مع خاص بك فنهاه عن الدخول الى الملك محمد فلم ينته فقتل ونجا شملة فنهب جشير الملك محمد ومضى طالبا خوزستان واخذ محمد من موال خاص بك شيئا كثيرا واستقر محمد في السلطنة وتمكن وبقي خاص بك ملقى حتى اكلته الكلاب وكان صبيا تركمانيا اتصل بالسلطان مسعود فتقدم على سائر الامراء ثم كان هذا خاتمة امره

(ذكر الحرب بين نور الدين محمود وبين الفرنج)

في هذه السنة تجمعت الفرنج وحشدت الفارس والراجل وساروا نحو نور الدين وهو ببلاد جوسلين ليمنعوه عن ملكها فوصلوا اليه وهو بدلوك فلما قربوا منه رجع اليهم ولقيهم وجرى المصاف بينهم عند دلوك واقتتلوا اشد قتال رآه الناس وصبر الفريقان ثم انهزم الفرنج وقتل منهم وأسر كثير وعاد نور الدين الى دلوك فملكها واستولى عليها ومما قيل في ذلك

اعدت بعصرك هذا الانيق * فتوح النبي وأعصارها
فواطات يا حبذا أحدبها * واسمرت من بدرا بدارها
وكان مهاجرها تابعيك * وانصار رأيك انصارها
فجددت اسلام سلمانها * وعمر جدك عمارها
ومايوم انب الاكذا * لئن طال بالنوع اشبارها
صدمت عزيمتها صدمة * أذابت مع الماء احجارها
وفي تل باشر باشرتهم * بزحف تسور اسوارها
وان دالكتهم دلوك فقد * شددت فصدقت اخبارها

(ذكر الحرب بين سنجر والغورية)

في هذه السنة كان بين السلطان سنجر وبين الغورية حرب وكانت دولتهم أول ما قد ظهرت واول من ملك منهم رجل اسمه الحسين بن الحسن ملك جبال الغور ومدينة

بل نقص قليلا وزاد في اوان الزيادة على العادة واوفى أذرعه في ايامه المعتادة وسبحان الفعال (ومنها) شحة الغلال وخلو السواحل منها فلا يجد الناس الاما بقي بايدي فلاحي الجهات البحرية القريبة فيحملونه على الحمير الى العرصات والرقع ويبيعونه على الناس كل أردب باربعة وعشرين قرشا خلاف المكس والمكاف واستقر مكس الاردب الواحد اربعة وثلاثين نصف فضة واجرته اذا كان من طريق البحر من المنوفية أو نحوها مائة نصف واقل واكثر واجرته من بولاق الى مصر خمسة وعشرون نصفا (ومنها) انه لما انتظم له ملك بلاد الصعيد ولم يبق له فيه منازع وقلد امارته لابنه ابراهيم باشا ورسم بان يضبط جميع أطيان بلاد الصعيد حتى الرزق الاحباسية المرصدة على المساجد والخيرات الكائنة بمصر وغيرها واوقاف سلاطين مصر المتقدمين وخيراتهم ومساجدهم ومكاتبهم وصهاريجهم ووظائف المدرسين والمقرئين وغير ذلك ففعل ذلك وراك الاراضي باسرها وشاع انه جعل على كل فدان من اراضي الرزق والاوقاف ثلاثة ريالات لاغير وعلى باقي فدادين الاطيان ثمانية ريالات خلاف النباري وهو مزارع الذرة فجعل على كل عود من عيدان القطوة

فيروز كوه وهى تقارب اعمال غزنة وقوى أمره وتلقب بعلاء الدين وتعرض الى اعمال
ثم جمع جيشا وقصد هراة محاصرا لها فنهب عسكره ناب واوبة ومار باذ من هراة الرود
وسار الى بلخ وحصرها فقاتله الامير قماج ومعه جمع من الغز فغدر به وصار من جموع
الغورى فملك بلخ فلما سمع السلطان سنجر بذلك سار اليه ليمنعه فلقيه علاء الدين
واقتتلوا فانهزم الغورية واسر علاء الدين وقتل من الغورية خلق كثير لاسيما
الرجالة واحضر السلطان سنجر علاء الدين بين يديه وقال له يا حسين لو ظفرت بى ما كنت
تفعل فاخرج له قيد فضة وقال كنت اقيدك بهذا واحملك الى فيروز كوه فخلع عليه
سنجر ورده الى فيروز كوه فبقى بها مدة ثم انه قصد غزنة وملكها حينئذ بهرام شاه بن
مسعود بن محمود بن سبكتكين فلم يثبت بها بين يدى علاء الدين بل فارقها الى مدينة
كرمان وهى مدينة بين غزنة والهند وسكانها قوم يقال لهم ابغان وليست هذه بالولاية
المعروفة بكرمان فلما فارق بهرام شاه غزنة ملكها علاء الدين الغورى واحسن
السيرة فى اهلها واستعمل عليهم اخاه سيف الدين واجلسه على تخت المملكة وخطب
لنفسه ولاخيه سيف الدين بعده ثم عاد علاء الدين الى بلد الغور وامر اخاه أن يخلع على
اعيان البلد خلعا نفيسة ويصلهم بصلات سنية ففعل ذلك واحسن اليهم فلما جاء الشتاء
ووقع الثلج وعلم اهل غزنة ان الطريق قد انقطع اليهم فكاتبوا بهرام شاه الذى كان
صاحبها واستدعوه اليهم فسار نحوهم فى عسكره فلما قارب البلد ثار اهله على سيف
الدين فاخذوه بغير قتال وكان العلويون هم الذين تولوا أسره وانهزم الذين كانوا معه
فمنهم من نجا ومنهم من اخذ ثم انهم سودوا وجه سيف الدين واركبوه بقرة واطافوا
به البلد ثم صلبوه وقالوا فيه اشعارا يهجونه وغنوا بها حتى النساء فلما بلغ الخبر الى اخيه
علاء الدين الحسين قال شعرا معناه ان لم اقلع غزنة فى مرة واحدة فلست الحسين ابن
الحسين ثم توفى بهرام شاه وملك بعده ابنه خسروشاه وتجهز علاء الدين الحسين وسار
الى غزنة سنة خمسين وخمسمائة فلما بلغ الخبر الى خسروشاه سار عنها الى لهاوور
وملكها علاء الدين ونهبها ثلاثة ايام واخذ العلويين الذين اسروا اخاه فالقاهم من رؤس
الجبال وخرب المحلة التى صلب فيها واخذ النساء اللواتى قيل عنهن انهن كن يغنين بهجاء
اخيه والغورية فادخلهن حماما ومنعهن من الخروج حتى متن فيه واقام بغزنة
حتى اصلحها ثم عاد الى فيروز كوه ونقل معه من اهل غزنة خلقا كثيرا وحملهم المخالى
مملوأة ترابا فبنى به قلعة فى فيروز كوه وهى موجودة الى الآن وتلقب بالسلطان المعظم
وحمل الجتر على عادة السلاطين السلجوقية وقد تقدم سنة ثلاث واربعين وخمسمائة
من اخبارهم وفيه مخالفة لهذا فى بعض الامر وكلا سمعناه ورأيناه فى مصنفاتهم فلهذا
ذكرنا الامرين واقام الحسين على ذلك مدة واستعمل ابنى اخيه وهما غياث الدين
وشهاب الدين

(ذكر ملك غياث الدين وشهاب الدين الغوريين)

بسبعة قروش بالاث فرضي أصحاب الرزق والاطيان بهذا التنظيم وظنوا استمراره فان الكثير من المرتزقة ما كان يحصل له
من مزارعي رزقته مقدار
ما يحصل له على هذا الحساب
(ومنها) انه رسم له بالحجر على
جميع حصص الالتزام فلم
يبق لارباب الحصص شيئا الا مانذر
وهو شيء قليل جدا واحتج في
ذلك باستيلاء الامراء المصريين
عليها عندما خرجوا من مصر
واقاموا بالبلاد القبلية
فوضعوا أيديهم على ذلك
وانه حاربهم وطردهم وقتلهم
وورث ما كان بايديهم بحق
او باطل وسموه المضبوط واما
ما كان بايدي اربابه ايام استيلاء
المصريين وهم الملتزمون
القاطنون بالبلاد القبلية او
بمصر ممن يراعي جانبه فانه اذا
عرض حاله وطلب اذنا في
التصرف واخبر بانه كان
مفروجا عنه أيام استيلاء
المصريين واثبت ذلك
بالكشف من الروزنامه
وغيرها فاما ان يؤذن له في
التصرف أو يقال له نعوضك
بدلها من البلاد البحرية
ويسوف ويتمادى الايام أو
يحيل ذلك على ابنه ابراهيم
باشا ويقول أنا لا علاقة لي في
البلاد القبلية والامر فيها
لابراهيم باشا واذا ذهب لابراهيم
باشا يقول له أنا أعطيك
الفائظ فان رضي أعطاه شيئا
نزرا ووعده بالاعطاء وان لم
يرض قال له هات لي اذنا من افندينا وكل منهما امام بمحل أو مسافر أو احدهما حاضر

لما

لما قوى امر عمهما علاء الدين الحسين بن الحسين استعمل العمال والامراء على البلاد وكان ابنا أخيه وهما غياث الدين ابو الفتح محمد بن سام وشهاب الدين ابو المظفر محمد بن سام ممن استعمل على بلد من بلاد الغور اسمه سنجة وكان غياث الدين يلقب حينئذ شمس الدين ويلقب الآخر شهاب الدين فلما استعملهما احسنا السيرة فى عملهما وعدلا وبذلا الاموال فمال الناس اليهما وانتشر ذكرهما فسعى بهما من يحسدهما الى عمهما علاء الدين وقال انهما يريدان الوثوب بك وقتلك والاستيلاء على الملك فارسل عمهما يستدعيهما اليه فامتنعا وكانا قد علما الخبر فلما امتنعا جهز اليهما عسكرا مع قائد يسمى خروش الغورى فلما التقوا انهزم خروش ومن معه وأسر هو وابقيا عليه واحسنا اليه وخلعا عليه واظهرا عصيان عمهما وقطعا خطبته فتوجه اليهما علاء الدين وسارا هما ايضا اليه فالتقوا واقتتلوا قتالا شديدا فانهزم علاء الدين واخذ اسيرا وانهزم عسكره فنادى فيهم ابنا اخيه بالامان فاحضرا عمهما واجلساه على التخت ووقفا فى خدمته فبكى علاء الدين وقال هذان صبيان قد فعلا ما لو قدرت عليه منهما لم افعله واحضر القاضى فى الحال وزوج غياث الدين بنته وجعله ولى عهده وبقى كذلك الى ان مات فلما توفى ملك غياث الدين بعده وخطب لنفسه فى الغور وغزنة بالملك وبقى كذلك الى ان ملك الغز غزنة بعد موت علاء الدين طمعوا فيها بموته وبقيت بايديهم خمس عشرة سنة يصبون على اهلها العذاب ويتابعون الظلم كعادتهم فى كل بلدة ملكوها ولو انهم لما ملكوا أحسنوا السيرة فى الرعايا لدام ملكهم فلم يزل الغز بغزنة هذه المدة وغياث الدين يقوى أمره ويحسن السيرة والناس يميلون اليه ويقصدونه محبة له

(ذكر ملك غياث الدين غزنة وما جاورها من البلاد)

لما قوى امر غياث الدين جهز جيشا كثيفا مع أخيه شهاب الدين الى غزنة فيه أصناف الغورية والخلج والخراسانية فساروا اليها فلقيهم الغز وقاتلوهم فانهزم الغورية وثبت شهاب الدين فيمن ثبت معه على صاحب علمهم فقتله وأخذ العلم وتركه على حاله فتراجع الغز ولم يكونوا علموا بما كان من شهاب الدين فجاؤا يطلبون علمهم فكلما جاء اليه طائفة قتلهم فاتى على اكثرهم ودخل غزنة وتسلمها واحسن السيرة فى أهلها وأفاض العدل وسار من غزنة الى كرمان وشنوران فملكهما ثم تعدى الى ماء السند وعمل على العبور الى بلد الهند وقصد لهاوور وبها يومئذ خسروشاه بن بهرام شاه المقدم ذكر والده فلما سمع خسروشاه بذلك سار فيمن معه الى ماء السند فمنعه من العبور فرجع عنه وقصد فرشابور فملكها وما يليها من جبال الهند واعمال الافغان والله أعلم

(ذكر ملك شهاب الدين لهاوور)

لما ملك شهاب الدين جبال الهند قوى امره وجنانه وعظمت هيبته فى قلوب الناس واحبوه لحسن سيرته فلما خرج الشتاء واقبل الربيع من سنة تسع وسبعين وخمسمائة سار نحو لهاوور فى جمع عظيم وحشد كثير من خراسان والغور وغيرها فعبر الى لهاوور

والآخر غائب فيصير صاحب الحاجة كالجملة المعترضة بين الشارط والمشروط وأمثال ذلك كثير (ومنها) الاستيلاء على جميع مزارع الارز بالبحر الغربي والشرقي ورتب لهم مباشرين وكتابا يصرفون عليهم من الكلف والتقاوى والبهائم ويؤخذ ذلك جميعه من حساب الفرض التى قررها على النواحي وعند استغلال الارز يرفعونها بايديهم ويسعرونها بما يريدونه ويستوفون المصاريف ومعاليم القومة والمباشرين المعينين لهم وان فضل بعد ذلك شئ أعطوه للمزارع أو أخذوه منه واعطوه ورقة يحاسب بها فى المستقبل وفرض على كل دائرة من دوائر الارز خمسة أكياس فى كل سنة خلاف المقرر القديم وعلى كل عود ثلاثة أكياس فاذا كان وقت الحصاد وزنوه شعيرا على أصحاب الدوائر والمناشر حتى اذا صلح وابيض حسبوا كلفه من أصل المقرر عليهم فان زاد لهم شئ اعطوهم به ورقة وحاسبوا بها من قابل وابطل تعامل المزارعين مع التجار الذين كانوا معتادين بالصرف عليهم واستقر الحال الى ان صار جميعه أصلا وفرعا لديوان الباشا ويباع الموجود على ذمته لاهل الاقاليم المتسببين وغيرهم وهو عن كل اردب مائة قرش بل وزيادة وللافرنج وبلاد الروم والشام بما لا ادرى (ومنها) أنه حصل بين عبد الله اغا بكتاش الترجمان وبين النصراني الدرزي منافسة وهو الذى حضر

وحصرها وارسل الى صاحبها خسروشاه والى اهلها يتهددهم ان منعوه واعلمهم انه لايزول حتى يملك البلد ويذل لخسروشاه الامان على نفسه واهله وماله ومن الاقطاع ما اراد وان يزوج ابنته بابن خسروشاه على ان يطأ بساطه ويخطب لاخيه فامتنع عليه وأقام شهاب الدين محاصرا له مضيقا عليه فلما رأى أهل البلد والعسكر ذلك ضعفت نياتهم فى نصرة صاحبهم فخذلوه فارسل لما رأى ذلك قاضى البلد والخطيب يطلبون له الامان فاجابه شهاب الدين الى ذلك وحلف له وخرج اليه ودخل الغورية الى المدينة وبقى كذلك شهرين مكرما عند شهاب الدين فورد رسول من غياث الدين الى شهاب الدين يامره بانفاذ خسروشاه اليه

(ذكر انقراض دولة سبكتكين)

لما انفذ غياث الدين الى اخيه شهاب الدين يطلب انفاذ خسروشاه اليه امره شهاب الدين بالتجهز والمسير فقال انا لا اعرف اخاك ولا الى حديث الا معك ولا يمين الا فى عنقك فمناه وطيب قلبه وجهزه وسيره وسير معه ولده واصحب بهما جيشا يحفظونهما فسارا كارهين فلما بلغا فرشابور خرج اهلها اليهما يبكون ويدعون لهما فزجرهم الموكلون بهما وقالوا سلطانا يزور سلطانا آخر لاى شئ تبكون وضربوهم فعادوا وخرج ولد خطيبها الى خسروشاه متوجعا له قال فلما دخلت عليه اعلمته رسالة أبى وقلت انه قد اعتزل الخطابة ولا حاجة بى الى خدمة غيركم فقال لى سلم عليه واعطانى فرجية فوطا ومصلى من عمل الصوفية وقال هذه تذكرة ابيك عند ابى فسلمها اليه وقل له درمع الدهر كيفما دار وانشد بلسان فصيح

وليس كعهد الدار يا ام مالك ● ولكن احاطت بالرقاب السلاسل

قال فانصرفت الى ابى وعرفته الحال فبكى وقال قد ايقن الرجل بالهلاك ثم رحلوا فلما بلغوا بلد الغور لم يجتمع بهما غياث الدين بل امر بهما فرفعا الى بعض القلاع فكان آخر العهد بهما وهو آخر ملوك آل سبكتكين وكان ابتداء دولتهم سنة ست وستين وثلثمائة فتكون مدة ولايتهم مائتى سنة وثلاث عشرة سنة تقريبا وكان ملوكهم من أحسن الملوك سيرة ولا سيما جدهم محمود فان آثاره فى الجهاد معروفة وأعماله للآخرة مشهورة

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم ● قوم بآبائهم أو مجدهم قعدوا

فتبارك الذى لا يزول ملكه ولا تغيره الدهور فاف لهذه الدنيا الدنية تفعل هذا بابنائها نسال الله تعالى ان يكشف عن قلوبنا حتى نراها بعين الحقيقة وان يقبل بنا اليه وان يشغلنا به عما سواه انه على كل شئ قدير هكذا ذكر بعض فضلاء خراسان أن خسروشاه آخر ملوك آل سبكتكين وقد ذكر غيره انه توفى فى الملك وملك بعده ابنه ملكشاه وسنذكره فى سنة تسع وخمسين وخمسمائة وبالجملة فابتداء دولة الغورية عندى فيها

من جبل الدروز يسمى الياس واجتمع بمصر على من اوصله الى الباشا وهو بكتاش وخلافه وعرفوه عن صناعته وانه يعمل آلات باسهل مما يصنعه صناع الضربخانه ويوفر على الباشا كذا وكذا من الاموال التى تذهب فى الدواليب والكلف وما ياخذه المباشرون من المكاسب لانفسهم وافرد له بقعة خاصة به بجانب الضربخانه وامر بحضور ما يطلبه اليه من الحديد والصناع واستمر على ذلك شهورا ولما تمم الآلة صنع قروشا وضربها ناقصة فى الوزن والعيار وجعل كتابتها على نسق القروش الرومية ووزن القرش درهمان وربع وفيه من الفضة الخالصة الربع بل اقل والثلاثة ارباع نحاس وكان المرتب فى الاموال من النحاس فى كل يوم قنطارين فضوعف الى ستة قناطير حتى غلا سعر النحاس والاوانى المتخذة منه فبلغ سعر الرطل النحاس المستعمل مائة واربعين نصف فضة بعد ان كان سعره فى الازمان السابقة أربعة عشر نصفا والقراضة سبعة أنصاف أو اقل ثم زاد الطلب للضربخانه الى عشرة قناطير فى كل يوم والمباشر لذلك كله بكتاش افندى ثم ان بكتاش افندى المذكور انحرف على ذلك الدرزى وذلك باغراء المعاير وحصل بينهما مناقشة بين يدى الباشا والمعلم غالى بينهم وانحط الامر فى ذلك المجلس على منع الدرزى من مباشرة العمل ورتب

له الباشا اربعة اكياس لمصرفه في كل شهر ومنعوا ايضا من كان معه من نصارى الشوام من الطلوع الى الضربخانة

خلف لو ينكشف الحق فاصلحه ان شاء الله تعالى

(ذكر الخطبة لغياث الدين بالسلطنة)

لما استقر ملكهم بلهاوور واتسعت مملكتهم وكثرت عساكرهم وأموالهم كتب غياث الدين الى اخيه شهاب الدين باقامة الخطبة له بالسلطنة وتلقب بالقاب السلاطين كان لقبه شمس الدين فتلقب غياث الدين والدنيا معين الاسلام قسيم امير المؤمنين ولقب أخاه بعز الدين ففعل شهاب الدين ذلك وخطب له بالسلطنة

(ذكر ملك غياث الدين هراة وغيرها من خراسان)

لما فرغ شهاب الدين من اصلاح امر لهاوور وتقرير قواعدها سار الى اخيه غياث الدين فلما اجتمع به استقر رأيهما على المسير الى خراسان وقصد مدينة هراة ومحاصرتها فسارا في العسكر الكثيرة اليها وكان بها جماعة من الاتراك السنجرية فنازلا البلد وحصراه وضيقا على من به فاستسلموا اليهما وراسلوا يطلبون الامان منهما فاجاباهم الى ذلك وامناهم فتسلما البلد واخرجا من فيه من الامراء السنجرية واستناب فيه غياث الدين خرنك الغوري وسار غياث الدين وأخوه الى فوشنج فملكاها ثم الى باذغيس وكالين وبيوار فملكاها ايضا وتسلم ذلك جميعه غياث الدين وأحسن السيرة في أهل البلاد ورجع الى فيروزكوه ورجع شهاب الدين الى غزنة وكان ينبغي ان حوادث الغورية تذكر في السنين وانما جمعناها ليتلو بعضها بعضا ولان فيه مالم يعرف تاريخه فتركناه بحاله

(ذكر ملك شهاب الدين مدينة آجرة من بلد الهند)

لما رجع شهاب الدين من خراسان الى غزنة اقام بها حتى أراح واستراح هو وعساكره ثم سار الى بلد الهند فحاصر مدينة آجرة وبها ملك من ملوك الهند فلم يظفر منه بطائل وكان للهندي زوجة غالبة على امره فراسلها شهاب الدين انه يتزوجها فاعادت الجواب انها لا تصلح له وانما لها ابنة جميلة تزوجه اياها فارسل اليها يجيبها الى التزويج بابنتها فسقت زوجها سما فمات وسلمت البلد اليه فلما تسلمه أخذ الصبية فاسلمت وتزوجها وحملها الى غزنة واجرى عليها الجرايات الوافرة ووكل بها من علمها القرآن وتشاغل عنها فتوفيت والدتها ثم توفيت هي بعد عشر سنين ولم يرها ولم يقربها فبنى لها مشهدا ودفنها فيه واهل غزنة يزورون قبرها ثم عاد الى بلد الهند فذلل صعابها وتيسر له فتح الكثير من بلادهم ودوخ ملوكهم وبلغ منهم مالم يبلغه احد قبله من ملوك المسلمين

(ذكر ظفر الهند على المسلمين)

لما اشتدت نكاية شهاب الدين في بلاد الهند واثخانه في اهلها واستيلاؤه عليهم اجتمع ملوكهم وتآمروا بينهم ووبخ بعضهم بعضا فاتفق رأيهم على الاجتماع والتعاضد على حربه فجمعوا عساكرهم وحشدوا وأقبل اليهم الهنود من كل فج عميق على الصعب والذلول

واستمر بكتاش افندي ناظرا عليها ودقق على ارباب الوظائف والخدم ليأخذ بذلك وجاهة عند مخدومه ثم ان الباشا بعد أيام امر بنفي الدرزي من مصر وجميع اهله واولاده وانقضى امره بعد ان تعلموا تلك الصناعة منه وفي تلك المدة بلغ ايراد الضربخانه لخزينة الباشا في كل شهر الفا وخمسمائة كيس وكان الذي يرد منها في زمن المصريين ثلاثين كيسا في كل شهر او اقل من ذلك فلما التزم بها السيد احمد المحروقي اوصلها الى خمسين واستمرت على ابنه السيد محمد كذلك مدة فانتدب لها محمد افندي طبل المعروف بناظر المهمات وزاد عليها ثلاثين كيسا وبقيت تحت نظارة المحروقي بذلك القدر ثم ان الباشا عزل السيد محمد المحروقي منها وابقاها على ذمته وقيد خاله في نظارتها ولم يزل الباشا يلعب بهذه الملاعيب حتى بلغت هذا المبلغ المستمر وربما تزيد وذلك خلاف الغرامات والمصادرات لاربابها ثم وشى له علي عبدالله اغا بكتاش بانه يزيد في وزن القروش وينقص منه عن القدر المحدود فاذا حسب القدر المنقوص وعمل معدله في مدة نظارته تحصل منه مقدار عظيم من الاكياس فلما نوقش في ذلك قال هذا الامر يسئل فيه صاحب العيار فاحضروه وأحضروا

وجددوا عهدهم وحديدهم وكان الحاكم على جميع الملوك المجتمعين امرأة هى من اكبر ملوكهم فلما سمع باجتماعهم ومسيرهم اليه تقدم هو ايضا اليهم فى عسكر عظيم من الغورية والخلج والخراسانية فالتقوا واقتتلوا فلم يكن بينهم كثير قتال حتى انهزم المسلمون وركبهم الهنود يقتلون ويأسرون واثخنوا فيهم واصاب شهاب الدين ضربة بطلت منها يده اليسرى وضربة أخرى على رأسه فسقط منها الى الارض وحجز الليل بين الفريقين فاحضر شهاب الدين جماعة من غلمانه الاتراك فى ظلمة الليل وهم يطلبونه فى القتلى ويبكون وقد رجع الهنود الى ورائهم فكلمهم وهو على ما به من الجهد فجاؤا اليه مسرعين وحملوه على رؤسهم رجالة يتناوبون حمله حتى بلغوا مدينة آجرة مع الصباح وشاع خبر سلامته فى الناس فجاؤا اليه يهنؤنه من أقطار البلاد فاول ما عمل انه أخذ أمراء الغورية الذين انهزموا عنه وأسلموه فملا مخالى خيلهم شعيرا وحلف ان لم يأكلوه ليضربن أعناقهم فأكلوه ضرورة وبلغ الخبر الى أخيه غياث الدين فارسل اليه يلومه على عجلته واقدامه وأنفذ اليه جيشا عظيما

(ذكر ظفر المسلمين بالهند)

لما سلم شهاب الدين وعاد الى آجرة وأتاه المدد من أخيه غياث الدين وعاد الهنود جددوا سلاحهم ووفروا جمعهم واقاموا عوض من قتل منهم وسارت ملكتهم وهم معها فى عدد يضيق عنه الفضاء فراسلها شهاب الدين يخدعها بانه يتزوجها فلم تجبه الى ذلك وقالت اما الحرب واما ان تسلم بلاد الهند وتعود الى غزنة فاجابها الى العود الى غزنة وانه يستأذن أخاه غياث الدين فعل ذلك مكرا وخديعة وكان بين العسكرين نهر وقد حفظ الهنود المخاضات فلا يقدر احد من المسلمين أن يجوزه واقاموا ينتظرون ما يكون من جواب غياث الدين بزعمهم فبينما هم كذلك اذ وصل انسان هندى الى شهاب الدين واعلمه انه يعرف مخاضة قريبا من عسكر الهنود وطلب ان يرسل معه جيشا يعبرهم المخاض ويكبسون الهنود وهم غارون آمنون فخاف شهاب الدين أن تكون خديعة ومكرا فاقام له ضمناء من أهل آجرة والمولتان فارسل معه جيشا كثيفا وجعل عليهم الامير حسين بن خرميل الغورى وهو الذى صار بعد صاحب هراة وكان من الشجاعة والرأى بالمنزلة المشهورة فسار الجيش مع الهندى فعبروا النهر فلم يشعر الهنود الا وقد خالطهم المسلمون ووضعوا السيف فيهم فاشتغل الموكلون بحفظ المخاضات فعبر شهاب الدين وباقى العساكر وأحاطوا بالهنود واكثروا القتل فيهم ونادوا بشعار الاسلام فلم ينج من الهنود الا من عجز المسلمون عن قتله وأسره وقتلت ملكتهم وتمكن شهاب الدين بعد هذه الوقعة من بلاد الهند وأمن من معرة فسادهم والتزموا له بالاموال وسلموا اليه الرهائن وصالحوه واقطع مملوكه قطب الدين أيبك مدينة دهلى وهى كرسى الممالك التى فتحها من الهند فارسل عسكرا من الخلج مع محمد بن بختيار فملكوا من بلاد الهند مواضع ما وصل اليها مسلم قبله حتى قاربوا حدود الصين من جهة المشرق وقد

محمد افندى ابن اسمعيل افندى بدفتره وتحاققوا فى الحساب فسقط منهم خمسة اكياس لم تدخل الحساب فقالوا اين ذهبت هذه الخمسة اكياس فطفقوا ينظرون الى بعضهم فقال المورد الحق ان هذه الخمسة اكياس من حساب محمد افندى ومطلوبة له وتجاوز عنها له لان اليهودى المورد من مدة سابقة فالتفت الباشا الى محمد افندى وقال له لاى شئ تجاوزت لليهودى عن هذا القدر فقال لعلمى انه خلى ليس عنده شئ فاخذتنى الرأفة عليه وتركت مطالبته حتى يحصل له اليسار فقال كيف تتم عمالى على اليهودى فقال انه من حسابى فقال ومن اين كان لك ذلك وأمر به فبطحوه وضربوه بالعصى ثم أقاموه واضافوا الخمسة اكياس على باقى الغرامة المطلوبة منه التى هو متحير فى تحصيلها ولو بالاستدانة من المرابين كما قال القائل

شكوت لمن اسان ثقيل
فجاؤنى بمن هو منه أثقل
فكنت كمن شكا الطاعون
يوما
فزادوه على الطاعون دمل

ومحمد أفندى هذا من وجهاء الناس وخيارهم يفعل به هذه الفعال ثم انحط الحال مع بكتاش افندى على ان فرض عليه ثمانمائة كيس يقوم بدفعها فقال ويعفونى افنديناً من نظارة الضربخانه فلم يجبه الى ذلك واستمر فى تلك الخدمة مكرها خائفا من عواقبها (ومنها) ان الريال

حدثنى

حدثني صديق لي من التجار بوقعة بين تشبه هاتين الوقعتين المذكورتين وبينهما بعض الخلاف وقد ذكرناهما سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة توفي يعقوب الكاتب ببغداد وكان يسكن بالمدرسة النظامية وحضر متولي التركات وختم على الغرفة التي كان يسكنها بالمدرسة فثار الفقهاء وضربوا المتولي وهذه عادتهم فيمن يموت بها وليس له وارث فقبض حاجب الباب على رجلين من الفقهاء وعاقبهما وحبسهما فاغلق الفقهاء المدرسة والقوا كرسي الوعاظ في الطريق وصعدوا سطح المدرسة ليلا واستغاثوا وتركوا الادب وكان حينئذ مدرسهم الشيخ أبا النجيب فجاء والقى نفسه تحت التاج يعتذر فعفي عنه وفيها توفي حسام الدين تمرتاش صاحب ماردين وميافارقين وكانت ولايته نيفا وثلاثين سنة وتولى بعده ابنه نجم الدين ألبي وفيها مات أبو الفضل محمد بن عمر بن يوسف الارموي الشافعي المحدث ومولده سنة تسع وخمسين واربعمائة وفيها توفي أبو الاسعد عبد الرحمن القشيري في شوال وهو شيخ شيوخ خراسان وفيها في المحرم باض ديك ببغداد بيضة وباض بازي بيضتين وباضت نعامة لاذكر معها بيضة

ثم دخلت سنة ثمان واربعين وخمسمائة

ذكر انهزام سنجر من الغز ونهبهم خراسان وما كان منهم

في هذه السنة في المحرم انهزم السلطان سنجر من الاتراك الغز وهم طائفة من الترك مسلمون كانوا بما وراء النهر فلما ملك الخطا أخرجوهم منه كما ذكرنا فقصدوا خراسان وكانوا خلقا كثيرا فاقاموا بنواحي بلخ يرعون في مراعيها وكان لهم أمراء اسم أحدهم دينار والآخر بختيار والآخر طوطي والآخر ارسلان والآخر جغر والآخر محمود فاراد الامير قماج وهو مقطع بلخ ابعادهم فصانعوه بشيء بذلوه له فعاد عنهم فاقاموا على حالة حسنة لايؤذون أحدا ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ثم ان قماج عاودهم وأمرهم بالانتقال عن بلاده فامتنعوا وانضم بعضهم الى بعض واجتمع معهم غيرهم من طوائف الترك فسار قماج اليهم في عشرة آلاف فارس فجاء اليه أمراؤهم وسالوه ان يكف عنهم ويتركهم في مراعيهم ويعطونه من كل بيت مائتي درهم فلم يجبهم الى ذلك وشدد عليهم في الانتزاح عن بلاده فعادوا عنه واجتمعوا وقاتلوه فانهزم قماج ونهبوا ماله ومال عسكره واكثروا القتل في العسكر والرعايا واسترقوا النساء والاطفال وعملوا كل عظيمة وقتلوا الفقهاء وخربوا المدارس وانتهت الهزيمة بقماج الى مرو وبها السلطان سنجر فاعلمه الحال فراسلهم سنجر يتهددهم فامرهم بمفارقة بلاده فاعتذروا وبذلوا بذلا كثيرا ليكف عنهم ويتركهم في مراعيهم فلم يجبهم الى ذلك وجمع عساكره من أطراف البلاد واجتمع معه ما يزيد على مائة ألف فارس وقصدهم ووقع بينهم حرب شديدة فانهزمت عساكر سنجر وانهزم هو ايضا وتبعهم الغز قتلا واسرا فصار قتلى العسكر كالتلال وقتل علاء الدين

الفرانسه بلغ في مصارفته من الفضة العددية الى مائتين وثمانين نصفا بل وزيادة خمسة أنصاف فنودي عليه بنقص عشرة وشددوا في ذلك وبعد أيام نودي بنقص عشرة أخرى فخسر الناس حصة من اموالهم ثم ان ذلك القرش الذي يضاف اليه من الفضة ربع درهم ووزن الريال تسعة دراهم فضة فيكون الريال الواحد بما يضاف اليه من النحاس على هذا الحساب ستة وثلاثين قرشا يخرج منها ثمن الريال ستة قروش ونصف وكلفة الشغل في الجملة قرش او قرشان يبقى بعد ذلك سبعة وعشرون قرشا ونصف وهو المكسب في الريال الواحد وهو من جملة سلب الاموال لان صاحب الريال اذا اراد صرفه أخذ بدله ستة قروش ونصفا وفيها من الفضة درهم ونصف وثمن وهي بدل التسعة دراهم التي هي وزن الريال ثم زيد في الطنبور نغمة وهي الحجر على الفضة العددية فلا يصرفون شيئا منها للصيارف ولا لغيرهم الا بالفرط وهو اربعة قروش على كل الف فيعطى للضربخانة تسعة وعشرون قرشا لاغير ويأخذ الف فضة عنها خمسة وعشرون قرشا ثم زادوا بعد ذلك في الفرط فجعلوه خمسة قروش فيعطى الفا ومائتين ويأخذ بدلها الفا فانظر الى هذه الزيادة والرذالة وكذا السفالة (ومنها) استمرار غلاء الاسعار في كل شيء وخصوصا في الاقوات

قماج واسر السلطان سنجر واسر معه جماعة من الامراء فاما الامراء فضربوا اعناقهم واما السلطان سنجر فان امراء الغز اجتمعوا وقبلوا الارض بين يديه وقالوا نحن عبيدك لانخرج عن طاعتك فقد علمنا انك لم ترد قتالنا وانما حملت عليه فانت السلطان ونحن العبيد فمضى على ذلك شهران او ثلاثة ودخلوا معه الى مرو وهي كرسي ملك خراسان وطلبها منه بختيار اقطاعا فقال السلطان هذه دار الملك ولا يجوز ان تكون اقطاعا لاحد فضحكوا منه وحبق له بختيار بفمه فلما راى ذلك نزل عن سرير الملك ودخل خانكاه مرو وتاب عن الملك واستولى الغز على البلاد وظهر منهم من الجور مالم يسمع بمثله وولوا على نيسابور واليا فقسط على الناس كثيرا وعسفهم وضربهم وعلق في الاسواق ثلاث غرائر وقال اريد مل ء هذه ذهبا فثار عليه العامة فقتلوه ومن معه فركب الغز ودخلوا نيسابور ونهبوها نهبا مجحفا وجعلوها قاعا صفصفا وقتلوا الكبار والصغار واحرقوها وقتلوا القضاة والعلماء في البلاد كلها فممن قتل الحسين بن محمد الارسابندي والقاضي على بن مسعود والشيخ محيي الدين محمد بن يحيي واكثر الشعراء في مراثي محمد بن يحيي فممن قال فيه على بن ابراهيم الكاتب

مضى الذى كان يحيى الدرس فيه ٭ يسيل بالفضل والافضال واديه
مضى ابن يحيي الذى قد كان صوب حيا ٭ لابر شهر ومصباحا لداجيه
خلا خراسان من علم ومن ورع ٭ لما نعاه الى الآفاق ناعيه
لما اماتوه مات الدين وا اسفا ٭ من ذا الذى بعد محيي الدين يحييه

ويتعذر وصف ماجرى منهم بتلك البلاد جميعها ولم يسلم من خراسان شئ لم تنهبه الغز غير هراة ودهستان لانها كانت حصينة فامتنعت وقد ذكر بعض مؤرخي خراسان من اخبارهم مافيه زيادة وضوح وقال ان هؤلاء الغز قوم انتقلوا من نواحي الثغر من اقاصي الترك الى ماوراء النهر في ايام المهدي واسلموا واستنصر بهم المقنع صاحب المخاريق الشعبذة حتى تم امره فلما سارت العساكر اليه خذله هؤلاء الغز واسلموه وهذه عادتهم في كل دولة كانوا فيها وفعلوا مثل ذلك مع الملوك الخاقانية الا ان الاتراك القارغلية جمعوهم وطردوهم عن اوطانهم فدعاهم الامير زنكي بن خليفة الشيباني المستولى على حدود طخارستان اليه وانزلهم بلاده وكانت بينه وبين الامير قماج عداوة احكمتها الايام للمجاورة التى بينهما وكل منهما يريد أن يعلو على الآخر ويحكم عليه فتقوى بهم زنكي وساروا معه الى بلخ لمحاربة قماج فكاتبهم قماج فمالوا اليه وخذلوا زنكي عند الحرب فاخذ زنكي وابنه اسيرين فقتل قماج ابن زنكي وجعل يطعم اباه لحمه ثم قتل الاب ايضا واقطع قماج الغز وابعدهم مراعي بلاده فلما قام الحسين بن الحسين الغوري وقصد بلخ خرج اليه قماج وعساكره ومعه الغز ففارقه الغز وانضموا الى الغوري حتى ملك مدينة بلخ فسار السلطان سنجر الى بلخ ففارقها الغوري بعد قتال انهزم منه ثم دخل الى السلطان سنجر لعجزه عن مقاومته فرده الى غزنة وبقي الغز بنواحي طخارستان وفي نفس قماج منهم الغيظ العظيم لما فعلوه معه فاراد صرفهم عن

التي لا يستغنى عنها الغنى والفقير في كل وقت بسبب الاحداثات والمكوس التي ترتبت على كل شئ ومنها المأكولات كاللحم والسمن والعسل والسكر وغير ذلك مثل الخضارات وابطال جميع المذابح خلاف مذبح الحسينية والتزم به المحتسب بمبلغ عظيم مع كفاية لحم الباشا واكابر دولته بالثمن القليل ويوزع الباقي على الجزارين بالسعر الاعلى الذى يخرج منه ثمن لحوم الدولة من غير ثمن فيتزل الجزار بما يكون معه من الغنمة او الاثنين الخفيط الى بيت او عطفة مستورة فتزدحم عليه المتبعون له والمنتظرون اليه ويقع بينهم من المضاربة والمشاجرة مالا يوصف وثمن الرطل اثنا عشر نصفا وقد يزيد على ذلك ولا ينقص عن الاثنى عشر وكذلك الخضراوات التى كانت تباع جزافا تباع باقصى القيمة حتى ان الخس مثلا الذى كان يباع كل عشرة اعداد بنصف واحد صارت الواحدة تباع بنصف وقس على ذلك باقي الخضراوات وان الباشا لما وضع يده على الاراضي القريبة وانشا السواقي تجاه القصر والبستان بناحية شبرا وحرث الاراضي الخرس وزرع فيها انواع الخضراوات واجرى عليها المياه وقيد لخدمتها المرابعين ايضا والمزارعين بالمؤاجرة والمباشر على ذلك كله ذو الفقار كتخدا وعندما يبدو صلاح البقول والخضراوات يبيعها

بلاده

بلاده فتجمعوا وانضم اليهم طوائف من الترك وقدموا عليهم ارسلان موقا التركى فجمع قماج عسكره ولقيهم فاقتتلوا يوما كاملا الى الليل فانهزم قماج وعسكره واسر هو وابنه أبو بكر فقتلوهما واستولوا على نواحى بلخ وعاثوا فيها وافسدوا بالنهب والقتل والسلب وبلغ السلطان سنجر الخبر فجمع عساكره وسار اليهم فراسلوه يعتذرون ويتنصلون فلم يقبل عذرهم ووصل اليهم مقدمة السلطان وفيها محمد بن ابى بكر بن قماج المقتول والمؤيد اى ابه فى المحرم من سنة ثمان واربعين وخمسمائة ووصل بعدهم السلطان سنجر فالتقاه الغز بعدان أرسلوا يعتذرون ويبذلون الاموال والطاعة والانقياد الى كل ما يؤمرون به فلم يقبل سنجر ذلك منهم وسار اليهم فلقوه وقاتلوه وصبروا له ودام قتالهم فانهزم عسكر سنجر وهو معهم فتوجهوا الى بلخ على اقبح صورة وتبعهم الغز واقتتلوا مرة ثانية فانهزم السلطان سنجر أيضا ومضى منهزما الى مرو فى صفر من السنة فقصد الغز اليها فلما سمع العسكر الخراسانى بقربهم منهم اجفلوا من بين أيديهم هاربين المداخل فى قلوبهم من خوفهم والرعب منهم فلما فارقها السلطان والعسكر دخلها الغز ونهبوها افحش نهب واقبحه وذلك فى جمادى الاولى من السنة وقتل بها كثير من أهلها وأعيانها منهم قاضى القضاة الحسن بن محمد الارسابندى والقاضى على بن مسعود وغيرهما من الائمة العلماء ولما خرج سنجر من مرو وقصد بوزابة واخذه الغز اسيرا واجلسوه على تخت السلطنة على عادته وقاموا بين يديه وبذلوا له الطاعة ثم عاودوا الغارة على مرو فى رجب من السنة فمنعهم أهلها وقاتلوهم قتالا شديدا ابذلوا فيه جهدهم وطاقتهم ثم انهم عجزوا فاستسلموا اليهم فنهبوها اقبح من النهب الاول لم يتركوا بها شيئا وكان قد فارق سنجر جميع امراء خراسان ووزيره طاهر بن فخر الملك بن نظام الملك ولم يبق عنده غير نفر يسير من خواصه وخدمه فلما وصلوا الى نيسابور أحضروا الملك سليمان شاه ابن السلطان محمود فوصل الى نيسابور تاسع عشر جمادى الآخرة من السنة فاجتمعوا عليه وخطبوا له بالسلطنة وسار فى هذا الشهر جماعة من العسكر السلطانى الى طائفة كثيرة من الغز فاوقعوا بهم وقتلوا منهم كثيرا وانهزم الباقون الى امرائهم الغزية فاجتمعوا معهم ولما اجتمعت العساكر على الملك سليمان شاه وساروا الى مرو يطلبون الغز فبرز الغز اليهم فساعة رآهم العسكر الخراسانى انهزموا وولوا على ادبارهم وقصدوا نيسابور وتبعهم الغز فمروا بطوس وهى معدن العلماء والزهاد فنهبوها وسبوا نساءها وقتلوا رجالها وخربوا مساجدها ومساكن أهلها ولم يسلم من جميع ولاية طوس الا البلد الذى فيه مشهد على بن موسى الرضا ومواضع أخر يسيرة لها أسوار وممن قتل من أعيان أهلها امامها محمد المارشكى ونقيب العلويين بها على الموسوى وخطيبها اسمعيل بن الحسن وشيخ شيوخها محمد بن محمد وافنوا من بها من الشيوخ الصالحين وساروا منها الى نيسابور فوصلوا اليها فى شوال سنة تسع واربعين ولم يجدوا دونها مانعا ولا مدافعا فنهبوها نهبا ذريعا وقتلوا أهلها فاكثروا حتى ظنوا انهم لم يبقوا بها احدا حتى انه احصى فى محلتين خمسة عشر الف قتيل من الرجال دون النساء والصبيان

المشتبين فيها باغلى ثمن وهم يبيعونها على الناس بما أحبوا وشاع بين الناس اضافة ذلك الى الباشا فيقولون كرنب الباشا ولفت الباشا وملوخية الباشا وفجل الباشا وقرنبيط الباشا وزرع أيضا ببستانه من أنواع الزهور العجيبة المنظر المتنوعة الاشكال من الاحمر والاصفر والازرق والملون أتوا بنقائلها من بلاد الروم فنبتت وافلحت وليس لها الا حسن المنظر فقط ولا رائحة لها اصلا (ومنها) ان ديوان المكس ببولاق الذى يعبرون عنه بالكمرك لم يزل يتزايد فيه المتزايدون حتى اوصلوه الى الف وخمسمائة كيس فى السنة وكان فى زمن المصريين يؤدى من يلتزمه ثلاثين كيسا مع محاباة الكثير من الناس والعفو عن كثير من البضائع لمن ينتسب الى الامراء واصحاب الوجاهة من اهل العلم وغيرهم فلا يتعرضون له ولو تحامى فى بعض اتباعهم ولو بالكذب ويعاملون غيرهم بالرفق مع التجاوز الكثير ولا ينبشون المتاع ولا رباط الشئ المحزوم بل على الصندوق او المحزوم قدر يسير معلوم فلما ارتفع امره الى هذه المقادير صاروا لا يعفون عن شئ مطلقا ولا يسامحون أحدا ولو كان عظيما من العلماء أو من غيرهم وكان من عادة التجار اذا بعثوا الى شركائهم محزوما من الاقمشة الرخيصة مثل العاتكى والنابلسى جعلوا بداخلها أشياء من

وسبوا نساءها واطفالها واخذوا اموالها وبقى القتلى فى الدروب كالتلال بعضهم فوق بعض واجتمع اكثر أهلها بالجامع المنيعى تحصنوا به فحصرهم الغز فعجز اهل نيسابور عن منعهم فدخل الغز اليهم فقتلوهم عن آخرهم وكانوا يطلبون من الرجال المال فاذا اعطاهم أحد قتلوه وقتلوا كثيرا من أئمة العلماء والصالحين منهم محمد بن يحيى الفقيه الشافعى الذى لم يكن فى زمانه مثله كان رحلة الناس من اقصى الغرب والشرق اليه ورثاه جماعة من العلماء منهم أبو الحسن على بن أبى القاسم البيهقى فقال

يا سافكا دم عالم متبحر * قد طار فى اقصى الممالك صيته
بالله قل لى يا ظلوم ولا تخف * من كان محيي الدين كيف تميته

ومنهم الزاهد عبد الرحمن بن عبد الصمد الاكاف وأحمد بن الحسين الكاتب سبط القشيرى وأبو البركات الفراوى والامام على الصباغ المتكلم وأحمد بن محمد بن حامد وعبد الوهاب المقابادى والقاضى صاعد بن عبد الملك بن صاعد والحسن بن عبد الحميد الرازى وخلق كثير من الائمة والزهاد والصالحين واحرقوا بها من خزائن الكتب ولم يسلم الا بعضها وحصروا شارستان وهى منيعة فأحاطوا بها وقاتلهم أهلها من فوق سورها وقصدوا جوين وبذلوا نفوسهم لله تعالى وحموا بعضهم والباقى أتى النهب والقتل عليه ثم قصدوا اسفراين فنهبوها وخربوها وقتلوا فى أهلها فاكثروا وممن قتل عبد الرشيد الاشعثى وكان من أعيان دولة السلطان فتركها وأقبل على الاشتغال بالعلم وطلب الآخرة وأبو الحسن الفندورجى وكان من ذوى الفضائل لاسيما فى علم الادب ولما فرغ الغز من جوين واسفراين عادوا الى نيسابور فنهبوا ما بقى فيها بعد النهب الاول وكان قد لحق بشهرستان كثير من أهلها فحصرهم الغز واستولوا عليها ونهبوا ما كان فيها لاهلها ولاهل نيسابور وهتكوا الحرم والاطفال وفعلوا ما لم يفعله الكفار مع المسلمين وكان العيارون أيضا ينهبون نيسابور اشد من نهب الغز ويفعلون اقبح من فعلهم ثم ان السلطان سليمان شاه ضعف وكان قبيح السيرة سيئ التدبير وان وزيره طاهر بن فخر الملك بن نظام الملك توفى فى شوال سنة ثمان وأربعين فضعف أمره واستوزر سليمان شاه بعده ابنه نظام الملك أبا على الحسن بن طاهر وانحل أمر دولته بالكلية ففارق خراسان فى صفر سنة تسع وأربعين وعاد الى جرجان فاجتمع الامراء وراسلوا الخان محمود بن محمد بن بغراخان وهو ابن أخت السلطان سنجر وخطبوا له على منابر خراسان واستدعوه اليهم فملكوه أمورهم وانقادوا له فى شوال سنة تسع وأربعين وخمسمائة وساروا معه الى الغز وهم يحاصرون هراة وجرت بينهم حروب كان الظفر فى اكثرها للغز ورحلوا فى جمادى الاولى من سنة خمسين وخمسمائة وسار معهم من على هراة الى مرو وعاودوا المصادرة لاهلها وسار الخان محمود بن محمد الى نيسابور وقد غلب عليها المؤيد على ما نذكره وراسل الغز فى الصلح فاصطلحوا فى رجب من سنة خمسين وخمسمائة هدنة على دخل وسيرد باقى اخبارهم سنة اثنتين وخمسين

(ذكر ملك المؤيد نيسابور وغيرها)

الاقمشة الغالية فى الثمن مثل المقصبات الحلبي والكشميرى والهندى ونحو ذلك فتندرج معها فى قلة الكمرك وفى هذا الاوان يحلون رباط الحزوم ويفتحون الصناديق وينبشون المتاع ويهتكون ستره ويحصون عدده ويأخذون عشره أى من كل عشرة واحدا أو ثمنه كما يبيعه التاجر غاليا أو رخيصا حتى البوابيج والاخفاف والمسوت التى تجلب من الروم يفتحون صناديقها ويعدونها بالواحد ويأخذون عشورها عينا أو ثمنا ويفعل ذلك ايضا متولى كمرك الاسكندرية ودمياط واسلامبول والشام فبذلك غلت أسعار البضائع من كل شئ لفحش هذه الامور وخصوصا فى الاقمشة الشامية والحلبية والرومية المنسوجة من القطن والحرير والصوف فان عليها بمفردها مكوسا فاحشة قبل نسجها وكان الدرهم الحرير فى السابق بنصف فضة فصار الآن بخمسة عشر نصفا وما يضاف اليه من الاصباغ وكلف الصناع والمكوس المذكورة فبذلك بلغ الغاية فى غلو الثمن فيباع الثوب الواحد من القماش الشامى المسمى بالالاجة الذى كانت قيمته فى السابق مائتى نصف فضة بالفين فضة مع ما يضاف اليه من ربح البائع وطمع التاجر والنعل الرومى الذى كان يباع بستين نصفا صار يباع بار بعمائة نصف والذراع الواحد من الجوخ

كان للسلطان سنجر مملوك اسمه أى ابه ولقبه المؤيد فلما كانت هذه الفتنة تقدم
وعلا شانه واطاعه كثير من الامراء فاستولى على نيسابور وطوس ونسا وابيورد
وشهرستان والدامغان وازاح الغز عن الجميع وقتل منهم خلقا كثيرا واحسن السيرة
وعدل فى الرعية واستمال الناس ووفر الخراج على اهله وبالغ فى مراعاة ارباب البيوت
فاستقرت البلاد له ودانت له الرعية لحسن سيرته وعظم شانه وكثرت جموعه فراسله
خاقان محمود بن محمد فى تسليم البلاد والحضور عنده فامتنع وترددت الرسل بينهم حتى
استقر على المؤيد مال يحمله الى الملك محمود فكف عنه محمود واقام المؤيد بالبلاد هو
والسلطان محمود

(ذكر ملك اينانج الرى)

كان اينانج احد مماليك السلطان سنجر فلما كان من فتنة الغز ما ذكرناه هرب من خراسان
ووصل الى الرى فاستولى عليها واقام بها وراسل السلطان محمد شاه بن محمود صاحب
همذان واصفهان وغيرهما يخدمه وهاداه وارضاه واظهر له الطاعة وبقى بها الى ان
مات السلطان محمد فاستولى على عدة بلاد تجاور الرى فملكها فعظم امره وعلا شانه
وصارت عساكره عشرة آلاف فارس فلما ملك سليمان شاه همذان على ما نذكره
حضر عنده واطاعه لانسه به كان أيام مقام سليمان شاه بخراسان فتقوى امره بذلك

(ذكر قتل ابن السلار وزير الظافر ووزارة عباس)

فى هذه السنة فى المحرم قتل العادل بن السلار وزير الظافر بالله قتله ربيبه عباس بن
ابى الفتوح بن يحيى الصنهاجى اشار اليه بذلك الامير اسامة بن منقذ ووافق عليه
الخليفة الظافر بالله فامر ولده نصرا فدخل على العادل وهو عند جدته أم عباس فقتله
وولى الوزارة بعده ربيبه عباس وكان عباس قد قدم من المغرب كما ذكرناه الى مصر
وتعلم الخياطة وكان خياطا حسنا فلما تزوج ابن السلار بامه احبه واحسن تربيته فجازاه
بان قتله وولى بعده وكانت الوزارة فى مصر لمن غلب والخلفاء وراء الحجاب والوزراء
كالمتملكين وقل ان وليها احد بعد الافضل الا بحرب وقتل وما شاكل ذلك فلذلك
ذكرناهم فى تراجم مفردة والله اعلم

(ذكر الحرب بين العرب وعساكر عبد المؤمن)

فى هذه السنة فى صفر كانت الحرب بين عساكر عبد المؤمن والعرب عند مدينة سطيف
وسبب ذلك ان العرب وهم بنو هلال والاثبج وعدى ورياح وزغب وغيرهم من
العرب لما ملك عبد المؤمن بلاد بنى حماد اجتمعوا من ارض طرابلس الى اقصى
المغرب وقالوا ان جاورنا عبد المؤمن اجلانا من المغرب وليس الرأى الا القاء الجد معه
واخراجه من البلاد قبل ان يتمكن وتحالفوا على التعاون والتظافر وان لا يخون بعضهم
بعضا وعزموا على لقائه بالرجال والاهل والمال ليقاتلوه قتال الحريم واتصل الخبر
بالملك رجار الفرنجى صاحب صقلية فارسل الى امراء العرب وهم محرز بن زياد وجبارة

الذى كان يباع بمائة نصف فضة بلغ فى الثمن الى ألف نصف فضة وهكذا
عما يستقصى تتبعه ولا تستقصى
مفرداته ويتولى هذه الكمارك
كل من تزايد فيها من اى ملة
كان من نصارى القبط او
الشوام او الاروام او من يدعى
الاسلام وهم الاقل فى الاشياء
الدون والمتولى الآن فى
ديوان كمرك بولاق شخص
نصرانى رومى يسمى كرابيت
من طرف طاهر باشا لانه
مختص بارادة واعوان كرابيت
من جنسه وعنده قواسة
اتراك يحجزون متاع الناس
ويقبضون على المسلمين
ويسجنونهم ويضربونهم
حتى يدفعوا ما عليهم واذا
عثروا بشخص اخفى عنهم
شيئا حبسوه وضربوه وسبوه
ونكلوا به والزموه بغرامة
مجازاة لفعله والعجب ان
بضائع المسلمين يؤخذ عشرها
يعنى من العشرة واحد
وبضائع الافرنج والنصارى
ومن ينتسب اليهم يؤخذ
عليها من المائة اثنان ونصف
وكذلك احدث عدة اشياء
واحتكارات فى كثير من
البضائع مثل السكر الذى
يأتى من ناحية الصعيد
وزيادات فى المكوس القديمة
خلاف المحدثات وذلك ان
من كان بطالا او كاسد الصنعة
او قليل الكسب او خامل
الذكر فيعمل فكرته فى شئ
مهمل مغفول عنه ويسعى
الى الحضرة بواسطة المتقربين او بعرضحال يقول فيه ان الداعى للحضرة يطلب الالتزام بالصنف الفلانى و يقوم

ابن كامل وحسن بن ثعلب وعيسى بن حسن وغيرهم يحثهم على لقاء عبد المؤمن
ويعرض عليهم ان يرسل اليهم خمسة آلاف فارس من الفرنج يقاتلون معهم على
شرط ان يرسلوا اليه الرهائن فشكروه وقالوا ما بنا حاجة الى نجدته ولا نستعين بغير
المسلمين وساروا فى عدد لا يحصى وكان عبد المؤمن قد رحل من بجاية الى بلاد المغرب
فلما بلغه خبرهم جهز من الموحدين ما يزيد على ثلاثين الف فارس واستعمل عليهم
عبد الله بن عمر الهنتاتى وسعد الله بن يحيى وكان العرب اضعافهم فاستجرهم الموحدون
وتبعهم العرب الى ان وصلوا الى ارض سطيف بين جبال فحمل عليهم عسكر عبد
المؤمن والعرب على غير اهبة والتقى الجمعان واقتتلوا اشد قتال واعظمه فانجلت المعركة
عن انهزام العرب ونصرة الموحدين وترك العرب جميع مالهم من اهل ومال واثاث ونعم
فاخذ الموحدون جميع ذلك وعاد الجيش الى عبد المؤمن بجميعه فقسم جميع الاموال
على عسكره وترك النساء والاولاد تحت الاحتياط ووكل بهم من الخدم الخصيان من
يخدمهم ويقوم بحوائجهم وامر بصيانتهم فلما وصلوا معه الى مراكش انزلهم فى المساكن
الفسيحة واجرى لهم النفقات الواسعة وامر عبد المؤمن ابنه محمدا ان يكاتب امراء العرب
ويعلمهم ان نساءهم واولادهم تحت الحفظ والصيانة وانه قد بذل لهم الامان
والكرامة فلما وصل كتاب محمد الى العرب سارعوا الى المسير الى مراكش فلما
وصلوا اليها اعطاهم عبد المؤمن نساءهم واولادهم واحسن اليهم واعطاهم اموالا
جزيلة فاسترق قلوبهم بذلك واقاموا عنده وكان بهم حفيا واستعان بهم على ولاية ابنه
محمد للعهد على ما نذكره سنة احدى وخمسين

(ذكر ملك الفرنج مدينة بونة وموت رجار وملك ابنه غليالم)

فى هذه السنة سار اسطول رجار ملك الفرنج بصقلية الى مدينة بونة وكان المقدم عليهم
فتاه فيلب المهدوى فحصرها واستعان بالعرب عليها فاخذها فى رجب وسبى اهلها
وملك ما فيها غير انه اغضى عن جماعة من العلماء والصالحين حتى خرجوا باهليهم
واموالهم الى القرى فاقام بها عشرة ايام وعاد الى المهدية وبعض الاسرى معه وعاد الى
صقلية فقبض رجار عليه لما اعتمده من الرفق بالمسلمين فى بونة وكان فيلب يقال انه
وجميع فتيانه مسلمون يكتمون ذلك وشهدوا عليه انه لا يصوم مع الملك وانه مسلم فجمع
له رجار الاساقفة والقسوس والرهبان فحكموا بان يحرق فاحرق فى رمضان وهذا اول
وهن دخل على المسلمين بصقلية ولم يمهل الله رجار بعده الا يسيرا حتى مات فى العشر
الاول من ذى الحجة من السنة وكان مرضه الخوانيق وكان عمره قريب ثمانين سنة
وكان ملكه نحو عشرين سنة ولما مات ملك بعده ابنه غليالم وكان فاسد التدبير سيئ
التصوير فاستوزر مايو البرصانى فاساء التدبير فاختلفت عليه حصون من جزيرة صقلية
وبلاد قلورية وتعدى الامر الى افريقية على ما نذكره

(ذكر وفاة بهرام شاه صاحب غزنة)

الخزينة العامرة بكذا من الاكياس فى كل سنة فاذا فعل ذلك تنبه المشار اليه فيعد بالانجاز ويؤخر اياما
فتتسامع المتكالبون على
امثال ذلك فيزيدون على
الطالب حتى تستقر الزيادة
على شخص اما هو او خلافه
ويقيد اسمه بدفتر الروزنامه
ويفعل بعد ذلك الملتزم
ما يريده وما يقرره على ذلك
الصنف ويتخذ له اعوانا
وخدمة واتباعا يتولون
استخلاص المقررات ويجعلون
لانفسهم اقدارا خارجة عن
الذى يأخذه كبيرهم والذى
تولى كبر ذلك وفتح بابه نصارى
الاروام والارمن فترأسوا
بذلك وعلت اسافلهم ولبسوا
الملابس الفاخرة وركبوا
البغال والرهوانات واخذوا
بيوت الاعيان التى بمصر القديمة
وعمروها وزخرفوها وعملوا
فيها بساتين وجنائن وذلك
خلاف البيوت التى لهم بداخل
المدينة ويركب الكلب منهم
وحوله وامامه عدة من الخدم
والقواسة يطردون الناس
من امامه وخلفه ولم يدعوا
شيئا خارجا عن المكس حتى
الفحم الذى يجلب من الصعيد
والحطب السنط والرتم
وحطب الذرة الذى كان يباع
منه كل مائة حزمة بمائة نصف
فلما احتكروه صار يباع كل
مائة حزمة بالف ومائتى نصف
وبسبب ذلك تعطلت اشياء
كثيرة وغلت اثمانها مثل
الجبس والجير وكل ما كان يحتاج للوقود حتى الخبازين فى الافران فانه ادركنا الادب من

في هذه السنة في رجب توفي السلطان بهرام شاه بن مسعود بن ابراهيم بن مسعود بن محمود بن سبكتكين صاحب غزنة بها وكانت ولاية بهرام شاه ستا وثلاثين سنة وكان عادلا حسن السيرة جميل الطريقة محبا للعلماء مكرما لهم باذلا لهم الاموال الكثيرة جامعا للكتب تقرأ بين يديه ويفهم مضمونها ولما مات ملك ولده خسروشاه الملك بعده

(ذكر ملك الفرنج مدينة عسقلان)

في هذه السنة ملك الفرنج بالشام مدينة عسقلان وكانت من جملة مملكة الظافر بالله العلوي المصري وكان الفرنج كل سنة يقصدونها ويحصرونها فلا يجدون الى ملكها سبيلا وكان الوزراء بمصر لهم الحكم في البلاد والخلفاء معهم اسم لا معنى تحته وكان الوزراء كل سنة يرسلون اليها من الذخائر والاسلحة والاموال والرجال من يقوم بحفظها فلما كان في هذه السنة قتل ابن السلار على ما ذكرناه واختلفت الاهواء في مصر وولي عباس الوزارة والى ان استقرت قاعدته اغتنم الفرنج اشتغالهم عن عسقلان فاجتمعوا وحصروها فصبر أهلها وقاتلوهم قتالا شديدا حتى انهم بعض الايام قاتلوا خارج السور وردوا الفرنج الى خيامهم مقهورين وتبعهم اهل البلد اليها فايس حينئذ الفرنج من ملكه فبينما هم على عزم الرحيل اذ قد أتاهم الخبر ان البلد قد وقع بين أهله خلاف وقتل منهم قتلى فصبروا وكان سبب هذا الاختلاف انهم لما عادوا عن قتال الفرنج قاهرين منصورين ادعى كل طائفة منهم ان النصرة من جهتهم كانت وانهم هم الذين ردوا الفرنج خاسرين فعظم الخصام بينهم الى ان قتل من احدى الطائفتين قتيل واشتد الخطب وعظم حينئذ وتفاقم الشر ووقعت الحرب بينهم فقتل بينهم قتلى فطمع الفرنج وزحفوا اليه وقاتلوا عليه فلم يجدوا من يمنعهم فملكوه

(ذكر حصر عسكر الخليفة تكريت وعودهم عنها)

في هذه السنة سير الخليفة المقتفي لامر الله عسكرا الى تكريت ليحصروها وأرسل معهم مقدما عليهم ابن الوزير عون الدين بن هبيرة وترشك وهو من خواص الخليفة وغيرهما فجرى بين ابن الوزير وترشك منافرة أوجبت أن كتب ابن الوزير يشكو من ترشك فامر الخليفة بالقبض على ترشك فعرف ذلك فارسل الى مسعود بلال صاحب تكريت فصالحه وقبض على ابن الوزير ومن معه من المقدمين وسلمهم الى مسعود بلال فانهزم العسكر وغرق منه كثير وسار مسعود بلال وترشك من تكريت الى طريق خراسان فنهبا وافسدا فسار المقتفي من بغداد لدفعهما فهربا من بين يديه فقصد تكريت فحصرها اياما وجرى له مع أهلها حروب من وراء السور فقتل من العسكر جماعة بالنشاب فعاد الخليفة عنها ولم يملكها

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة وصلت مراكب من صقلية فيها جمع من الفرنج فنهبوا مدينة تنيس بالديار المصرية وفيها كان بين الكرج بارمينية وبين صلتق صاحب ارزن الروم

الجبس بثمانية عشر نصف فضة والآن بمائتين واربعين نصفا وكذلك ادركنا القنطار من الجبن بعشرة انصاف والآن بمائة وعشرين والحال في الزيادة (ومنها) ان الباشا شرع في عمارة قصر العيني وكان قد تلاشى وخربته العسكر واخذت اخشابه ولم يبق فيه ولا الجدران فشرع في انشائه وتعميره وتجديده على هذه الصورة التي هو عليها الآن على وضع الابنية الرومية (ومنها) انه هدم سراية القلعة وما اشتملت عليه من الاماكن فهدم المجالس التي كانت بها والدواوين وديوان قايتباي وهو المقعد المواجه للداخل الى الحوش علو الكلار الذي به الاعمدة وديوان الغوري الكبير وما اشتمل عليه من المجالس التي كانت تجلس بها الافندية والقلفاوات ايام الدواوين وشرع في بنائها على وضع آخر واصطلاح رومي واقاموا اكثر الابنية من الاخشاب ويبنون الاعالي قبل بناء السفل واشيع انهم وجدا مخبآت بها ذخائر الملوك المصريين الاقدمين (ومنها) ان الباشا ارسل لقطع الاشجار المحتاج اليها في عمل المراكب مثل التوت والنبق من جميع البلاد القبلية والبحرية فانبث المعينون لذلك في البلاد فلم يبقوا من ذلك الا القليل لمصانعة اصحابه بالرشا والبراطيل حتى يتركوا لهم ما يتركون فيجتمع بترسخانة الاخشاب لصناعة المراكب مع ما ينضم اليها من الاخشاب الرومية شيء عظيم جدا يتعجب

مصاف وحرب شديد وانهزم صلتق وأسره الكرج ثم أطلقوه وفيها توفى ابو العباس احمد بن أبي غالب الوراق المعروف بابن الطلاية الزاهد البغدادي بها وكان من الصالحين وله حديث ورواية وتوفى عبد الملك بن عبد الله بن أبي سهل ابو الفتح بن أبي القاسم الكروخي الهروي راوي جامع الترمذي ومولده سنة اثنتين ومن طريقه سمعناه

❁(ثم دخلت سنة تسع واربعين وخمسمائة)❁

❁(ذكر قتل الظافر وولاية ابنه الفائز)❁

في هذه السنة في المحرم قتل الظافر بالله ابو المنصور اسمعيل بن الحافظ لدين الله عبد المجيد العلوي صاحب مصر وكان سبب قتله ان وزيره عباسا كان له ولد اسمه نصر فاحبه الظافر وجعله من ندمائه الذين لا يقدر على فراقهم ساعة واحدة فاتفق أن قدم من الشام مؤيد الدولة الامير اسامة بن منقذ الكناني في وزارة ابن السلار واتصل بعباس فحسن له قتل العادل بن السلار زوج أمه فقتله وولاه الظافر الوزارة فاستبد بالامر وتم له ذلك وعلم الامراء والاجناد أن ذلك من فعل ابن منقذ فعزموا على قتله فخلا بعباس وقال له كيف تصبر على ما اسمع من قبيح القول قال وما ذلك قال الناس يزعمون ان الظافر يفعل بابنك نصر وكان نصر خصيصا بالظافر وكان ملازما له ليله ونهاره وكان من أجمل الناس صورة وكان الظافر يتهم به فانزعج لذلك وعظم عليه وقال كيف الحيلة قال تقتله فيذهب عنا العار فذكر الحال لولده نصر فاتفقا على قتله وقيل ان الظافر أقطع نصر بن عباس قرية قليوب وهي من أعظم قرى مصر فدخل اليه مؤيد الدولة بن منقذ وهو عند أبيه عباس قال له نصر قد اقطعني مولانا قرية قليوب فقال له مؤيد الدولة ماهي في مهرك بكثير فعظم عليه وعلى أبيه وأنف من هذه الحال وشرع في قتل الظافر فامر ابنه فحضر نصر عند الظافر وقال له اشتهي ان تجيء الى داري لدعوة صنعتها ولا تكثر من الجمع فمشى معه في نفر يسير من الخدم ليلا فلما دخل الدار قتله ومن معه وأفلت خويدم صغير اختبأ فلم يروه ودفن القتلى في داره وأخبر اباه عباسا الخبر فبكر الى القصر وطلب من الخدم الخصيصين بخدمة الظافر أن يطلبوا له اذنا في الدخول عليه لامر يريد ان يأخذ رأيه فيه فقالوا انه ليس في القصر فقال لا بد منه وكان غرضه ان ينفي التهمة عنه بقتله وان يقتل كل من بالقصر ممن يخاف ان ينازعه فيمن يقيمه في الخلافة فلما الح عليهم عجزوا عن احضاره فبينما هم يطلبونه حائرين دهشين لا يدرون ما الخبر اذ وصل اليهم الخويدم الصغير الذي شاهد قتله وقد هرب من دار عباس حين غفلوا عنه واخبرهم بقتل الظافر فخرجوا الى عباس وقالوا له سل ولدك عنه فانه يعرف اين هو لانهما خرجا جميعا فلما سمع ذلك منهم قال اريد ان اعترض القصر لئلا يكون قد اغتاله احد من اهله فاستعرض القصر فقتل اخوين للظافر وهما يوسف وجبريل واجلس الفائز بنصر الله ابا القاسم عيسى بن الظافر بامر الله اسمعيل ثاني يوم قتل ابوه وله من العمر خمس سنين فحمله عباس على كتفه واجلسه على سرير

منه الناظر من كثرته وكلما نقص منه شئ في العمل اجتمع خلافه اكثر منه (ومنها) ان احمد اغا اغا كتخدايك لما تقلد وكالة دار السعادة ونظارة الحرمين انضم اليه ابالسة الكتبة لتحرير الايراد والمصرف وحصروا الاحكار المقررة على الاماكن والاطيان التي اجرها النظار السابقون المدد الطويلة وجعلوا عليها قدرا من المال يقبض في كل سنة لجهة وقف اصله على عادة مصر السابقة واللاحقة في استئجار الاوقاف من نظارها والاطيان والاماكن المستأجرة من اوقاف الحرمين وتوابعها كالدشيشة والخاصكية والمحمدية والمرادية وغير ذلك كثير جدا ففتحوا هذا الباب وتسلطوا على الناس في طلب ما بايديهم من السندات وحجج التاجرات فاذا اطلعوا عليها ولا يخلو اما ان تكون المدة قد انقضت ومضت او بقي منها بقية من السنين فان كان بقي منها بقية زادوا في الاجرة المؤجلة التي هي الحكر مثلها او مثليها بحسب حال المحل ورواجه وان كانت المدة قد انقضت ومضت استولوا على عين المحل وضبطوه او جددوا له تاجرا وزادوا في حكره ويكون ذلك لمصلحة جسيمة وعلى كلتا الحالتين لا بد من التغريم والمصالحات الجوانية والبرانية للكتاب والمباشرين والخدم والمعينين ثم المرافعة الى القاضي ودفع المحاصيل والرسوم والتسجيل وكتابة

الملك وبايع له الناس واخذ عباس من القصر من الاموال والجواهر والاعلاق النفيسة ما اراد ولم يترك فيه الا ما لا خير فيه

ذكر وزارة الملك الصالح بن رزيك

كان السبب فى وزارة الملك الصالح بن رزيك ان عباسا لما قتل الظافر واقام الفائز ظن ان الامر يتم له على ما يريده فكان الحال خلاف ما اعتقده فان الكلمة اختلفت عليه وثار به الجند والسودان وصار اذا امر بالامر لا يلتفت اليه ولا يسمع قوله فارسل من بالقصر من النساء والخدم الى الصالح طلائع بن رزيك يستغيثون به وارسلوا شعورهم على الكتب وكان فى منية بنى خصيب واليا عليها وعلى اعمالها وليست من الاعمال الجليلة وانما كانت اقرب الاعمال اليهم وكان فيه شهامة فجمع ليقصد عباسا وسار اليه فلما سمع عباس ذلك خرج من مصر نحو الشام بما معه من الاموال التى لا تحصى كثرة والتحف والاشياء التى لا توجد الا هنالك مما كان اخذه من القصر فلما سار وقع به الفرنج فقتلوه واخذوا جميع ما معه فتقووا به وسار الملك الصالح فدخل القاهرة باعلام سود وثياب سود حزنا على الظافر والشعور التى ارسلت اليه من القصر على رؤس الرماح وكان هذا من الفال العجيب فان الاعلام السود العباسية دخلتها وازالت الاعلام العلوية بعد خمس عشرة سنة ولما دخل الصالح القاهرة خلع عليه خلع الوزارة واستقر فى الامر واحضر الخادم الذى شاهد قتل الظافر فاراه موضع دفنه فاخرجه ونقله الى مقابرهم بالقصر ولما قتل الفرنج عباسا اسروا ابنه فارسل الملك الصالح الى الفرنج وبذل لهم مالا واخذه منهم فسار من الشام مع اصحاب الصالح فلم يكلم احدا منهم كلمة واحدة الى ان رأى القاهرة فانشد

بلى نحن كنا أهلها فأبادنا ❊ صروف الليالى والجدود العواثر

وادخل القصر فكان آخر العهد به فانه قتل وصلب على باب زويلة واستقصى الصالح البيوت الكبار والاعيان بالديار المصرية فامسك اهلها وابعدهم عن ديارهم واخذ اموالهم فمنهم من هلك ومنهم من تفرق فى البلاد والحجاز واليمن وغيرها فعل ذلك خوفا منهم ان يثوروا عليه وينازعوه فى الوزارة وكان ابن منقذ قد هرب مع عباس فلما قتل هرب الى الشام

ذكر حصر تكريت ووقعة بكمزا

فى هذه السنة ارسل الخليفة المقتفى لامر الله رسولا الى والى تكريت بسبب من عندهم من المأسورين وهم ابن الوزير وغيره فقبضوا على الرسول فسير الخليفة عسكرا اليهم فخرج اهل تكريت فقاتلوا العسكر ومنعوه من الدخول الى البلد فسار الخليفة بنفسه منتصف صفر فنزل على البلد فهرب أهله فدخل العسكر فشعثوا ونهبوا بعضه ونصب على القلعة ثلاثة عشر منجنيقا فسقط من اسوارها برج وبقى الحصر كذلك الى الخامس والعشرين من ربيع الاول وأمر الخليفة بالقتال والزحف فاشتد القتال وكثر القتلى ولم

المستبداف التى ياخذها واضع اليد (ومنها) التحجير على الاجراء والمعمرين المستعملين فى الابنية والعمائر مثل البنائين والنجارين والنشارين والخراطين والزامهم فى عمائر الدولة بمصر وغيرها بالاجارة والتسخير واختفى الكثير منهم وابطل صناعته واغلق من له حانوت حانوته فيطلبه كبير حرفته الملزم باحضاره عنده معمار باشا فاما أنه يلازم الشغل او يفتدى نفسه او يقيم بدلا عنه ويدفع له الاجرة من عنده فترك الكثير صناعته واغلق حانوته وتكسب بحرفة اخرى فتعطل بذلك احتياجات الناس فى التعمير والبناء بحيث ان من اراد ان يبنى له كانونا أو مدودا لدابته تحير فى أمره وأقام اياما فى تحصيل البناء وما يحتاجه من الطين والجير والقصرمل وكان الباشا اشترى ألف حمار وحملوا لها زنابيل وأعدوها لنقل أتربة عمائره وشيل القصرمل من مستوقدات الحمامات بالمدينة وبولاق ونودى فى المدينة بمنع الناس كافة عن اخذ شئ من القصرمل فكان الذى تلزمه الضرورة لشئ منه ان كان قليلا اخذه كالسرقة فى الليل من المستوقد باغلى ثمن وان كان كثيرا لا ياخذه الا بفرمان بالاذن من كتخدا بك بعد أن كان شيئا مبتذلا وليس له قيمة ينقلونه اذا كثر بالمستوقدات الى الكيمان بالاجرة وان احتاجه الناس فى أبنيتهم اعانة لوه على حمير هم أو نقله خدمة المستوقد باجرتهم

يبلغ منها غرضا فرحل عائدا الى بغداد فدخلها آخر الشهر ثم امر الوزير عون الدين بن هبيرة بالعود الى محاصرتها والاستعداد والاستكثار من الآلات لحصارها فسار اليها سابع ربيع الآخر ونازلها وضيق عليها فوصل الخبر بان مسعود بلال وصل الى شهرابان ومعه البقش كون خر وترشك وعسكر كثير ونهبوا البلاد فعاد الوزير الى بغداد وكان سبب وصول هذا العسكر انهم حثوا الملك محمدا بن السلطان محمود على قصد العراق فلم يتهيأ له ذلك فسير هذا العسكر وانضاف اليهم خلق كثير من التركمان فخرج الخليفة اليهم فارسل بلال مسعود الى تكريت واخرج منها الملك ارسلان ابن السلطان طغرل بن محمد وكان محبوسا بتكريت وقال هذا سلطان نقاتل بين يديه بازاء الخليفة والتقى العسكران عند بكمزا بالقرب من بعقوبا ودام بينهم المناوشة والمحاربة ثمانية عشر يوما ثم انهم التقوا آخر رجب فاقتتلوا فانهزمت ميمنة عسكر الخليفة وبعض القلب حتى بلغت الهزيمة بغداد ونهبت خزائنه وقتل خازنه فحمل الخليفة بنفسه هو وولي عهده وصاح يا آل هاشم كذب الشيطان وقرأ ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وحمل باقي العسكر معه فانهزم مسعود والبقش وجميع من معهم وتمت الهزيمة وظفر الخليفة بهم وغنم عسكره جميع مال التركمان من دواب وغنم وغير ذلك فبيع كل كبش بدانق وكانوا قد حضروا بنسائهم واولادهم وخركاواتهم وجميع مالهم فاخذ جميعه ونودي من أخذ من اولاد التركمان ونسائهم شيئا فليرده فردوه فاخذ البقش كون خر الملك ارسلان وانهزم الى بلد اللحف وقلعة الماهكي وفي هذه الحرب غدر بنو عوف من عسكر الخليفة ولحقوا بالعجم ومضى هندي الكردي ايضا معهم وكان الملك محمد قد ارسل عسكرا مع خاص بك بن آقسنقر نجدة لكون خر فلما وصلوا الى الراذان بلغهم خبر الهزيمة فعادوا ورجع الخليفة الى بغداد فدخلها اوائل شعبان فوصل الخبر ان مسعود بلال وترشك قصدا مدينة واسط فنهبوا وخربوا فسير الخليفة الوزير ابن هبيرة في عسكر خامس عشر شعبان فانهزم العجم فلحقهم عسكر الخليفة ونهب منهم شيئا كثيرا وعاد الى بغداد فلقب الوزير سلطان العراق ملك الجيوش وسير الخليفة عسكرا الى بلد اللحف فاخذوه وصار في جملته واما الملك ارسلان بن طغرل فان البقش اخذه معه الى بلده فارسل اليه الملك محمد يقول له ليحضر عنده وارسلان معه فمات البقش كون خر في رمضان في هذه السنة وبقي ارسلان مع ابن البقش وحسن الجاندار فحملاه الى الجبل فخاف السلطان محمد ان يصل ارسلان الى زوج امه ابي بكر فيجعله ذريعة الى قهر البلاد فلم ينفعه حذره واتصل ارسلان بابي بكر زوج امه فصار معه وهو اخو بهلوان ابن ايلدكز لامه وطغرل الذي قتله خوارزم شاه ولد ارسلان هذا وكان طغرل آخر السلجوقية

(ذكر ملك نور الدين محمود مدينة دمشق)

في هذه السنة في صفر ملك نور الدين محمود بن زنكي بن آقسنقر مدينة دمشق واخذها

من

كل فردين بنصف وأقل وأزيد ونحو ذلك كما اذا ضاع لانسان مفتاح خشب لا يجد نجارا يصنع له مفتاحا آخر الا خفية ويطلب منه خمسة عشر نصف فضة وكان من عادة المفتاح نصف فضة ان كان كبيرا او نصف نصف ان كان صغيرا (ومنها) ان الذي التزم بعمل البارود قرر على نفسه مائتي كيس واحتكر جميع لوازمه مثل الفحم وحطب الترمس والذرة والكبريت فقرر على كل صنف من ذلك قدرا من الاكياس وابطل الذين كانوا يعملون في السباخ بالكيمان ويستخرجون منه ملح البارود ثم يؤخذ منهم عبيطا الى المعمل فيكررونه حتى يخرج ملحا ابيض يصلح للعمل وهي صناعة قذرة ممتهنة فابطلهم منها وبنى احواضا بدلا من الصناديق وجعلها مقسمة وطلاها بالخافقي وعمل ساقية واجرى الماء منها الى تلك الاحواض واوقف العمال الذلك بالاجرة يعملون في السباخ المذكور (ومنها) شحة الحطب الرومي في هذه السنة واذا ورد منه شيء حجزه الباشا لاحتياجاته فلا يرى الناس منه شيئا فكان الحطابة يبيعون بدله خشب الاشجار المقطوعة من القطر المصري وافضلها السنط فيباع منه الحملة بثلثمائة نصف فضة واجرة حملها عشرة وتكسيرها عشرة وعز وجود الفحم ايضا حتى بيعت الاقة بعشرين نصفا وذلك لانقطاع الجالب الا ما يأتي قليلا

من ناحية الصعيد مع العسكر ينسبون فيه ويبيعونه بالغلى ثمن كل نصفية ٩٨ باثنى عشر قرشا وخمسة عشر قرشا وهى دون
القنطار وكانت تباع فى
السابق بستين نصفا وهى
قرش ونصف وغير ذلك امور
واحداثات وابتداعات لا يمكن
استقصاؤها ولم يصل الينا
خبرها اذلا يصل الينا الا
ما تعلقت به اللوازم والاحتياجات
الكلية وقد يستدل بالبعض
على الكل (واما من مات فى
هذه السنة ممن له ذكر) فمات
الشيخ الامام العلامة والنحرير
الفهامة الفقيه الاصولى
النحوى شيخ الاسلام والمسلمين
الشيخ عبد الله بن حجازى بن
ابراهيم الشافعى الازهرى
الشهير بالشرقاوى شيخ
الجامع الازهر ولد ببلدة
تسمى الطويلة بشرقية بلبيس
بالقرب من القرين فى
حدود الخمسين بعد المائة
وتربى بالقرين فلما ترعرع
وحفظ القرآن قدم الى
الجامع الازهر وسمع الكثير
من الشهابين الملوى والجوهرى
والحفنى واخيه يوسف
والدمنهورى والبليدى
وعطية الاجهورى ومحمد
الفارسى وعلى المنسفيسى
الشهير بالصعيدى وعمر
الطحلاوى وسمع الموطا فقط
على على بن العربى الشهير
بالسقاط وباخرة تلقن
بالسلوك والطريقة على
شيخنا الشيخ محمود الكردى
ولازمه وحضر معنا فى اذكاره وجمعياته ودرس الدروس بالجامع الازهر وبمدرسة

من صاحبها مجير الدين أنز بن محمد بن بورى بن طغدكين اتابك وكان سبب حرصه على ملكها ان الفرنج لما ملكوا فى العام الماضى مدينة عسقلان لم يكن لنور الدين طريق الى ازعاجهم عنها لاعتراض دمشق بينه وبين عسقلان فلما ملك الفرنج عسقلان طمعوا فى دمشق حتى انهم استعرضوا كل من بها من مملوك وجارية من النصارى فمن اراد المقام بها تركوه ومن اراد العود الى وطنه اخذوه قهرا من صاحبه ام ابى وكان لهم على اهلها كل سنة قطيعة ياخذونها منهم فكان رسلهم يدخلون البلد وياخذونها منهم فلما راى نور الدين ذلك خاف ان يملكها الفرنج فلا يبقى حينئذ للمسلمين بالشام مقام فاعمل الحيلة فى اخذها حيث علم انها لا تملك قوة لان صاحبها متى راى غلبة عن يقصده راسل الفرنج واستعان بهم لئلا يملكها من يقوى بها على قتالهم فراسل مجير الدين صاحبها واستماله وواصله بالهدايا واظهر له المودة حتى وثق اليه فكان نور الدين يقول له فى بعض الاوقات ان فلانا قد كاتبنى فى تسليم دمشق يعنى بعض امراء مجير الدين فكان يبعد الذى قيل عنه وياخذ اقطاعه فلما لم يبق عنده من الامراء احد قدم أميرا يقال له عطاء بن حفاظ السلمى الخادم وكان شهما شجاعا وفوض اليه أمر دولته فكان نور الدين لا يتمكن معه من أخذ دمشق فقبض عليه مجير الدين وقتله فسار نور الدين حينئذ الى دمشق وكان قد كاتب من بها من الاحداث واستمالهم فوعدوه بالتسليم اليه فلما حصر نور الدين البلد أرسل مجير الدين الى الفرنج يبذل لهم الاموال وتسليم قلعة بعلبك اليهم لينجدوه ويرحلوا نور الدين عنه فشرعوا فى جمع فارسهم وراجلهم ليرحلوا نور الدين عن البلد فالى ان اجتمع لهم ما يريدون تسلم نور الدين البلد فعادوا بخفى حنين وأما كيفية تسليم دمشق فانه لما حصرها ثار الاحداث الذين راسلهم فسلموا اليه البلد من الباب الشرقى وملكه وحصر مجير الدين فى القلعة وراسله فى تسليمها وبذل له اقطاعا من جملته مدينة حمص فسلمها اليه وسار الى حمص وأعطاه عوضا عنها بالس فلم يرضها وسار منها الى العراق واقام ببغداد وابتنى بها دارا بالقرب من النظامية وتوفى بها

(ذكر قصد الاسماعيلية خراسان والظفر بهم)

فى هذه السنة فى ربيع الآخر اجتمع جمع كثير من الاسماعيلية من قهستان بلغت عدتهم سبعة آلاف رجل ما بين فارس وراجل وساروا يريدون خراسان لاشتغال عساكرها بالغز وقصدوا أعمال خواف وما يجاورها فلقيهم الامير فرخشاه بن محمود الكاسانى فى جماعة من حشمه وأصحابه فعلم أن لا طاقة له بهم وسار عنهم وأرسل الامير محمد بن انز وهو من أكابر أمراء خراسان واشجعهم يعرفه الحال وطلب منه المسير اليهم بعسكره ومن قدر عليه من الامراء ليجتمعوا عليهم ويقاتلوهم فسار محمد بن انز فى جماعة من الامراء وكثير من العسكر واجتمعوا هم وفرخشاه ودافعوا الاسماعيلية وقاتلوهم وطال الحرب بينهم ثم نصر الله المسلمين وانهزم الاسماعيلية وكثر القتل فيهم واخذهم السيف من كل مكان وهلك أعيانهم وسادتهم بعضهم قتل وبعضهم أسر ولم يسلم منهم

الا القليل الشريد خلت قلاعهم وحصونهم من حام ومانع فلولا اشتغال العساكر بالغز لكانوا املكوها بغير تعب ولا مشقة وأراحوا المسلمين منهم ولكن الله أمر هو بالغه

(ذكر ملك نور الدين تل باشر)

فى هذه السنة أو التى بعدها ملك نور الدين محمود بن زنكى قلعة تل باشر وهى شمالى حلب من أمنع القلاع وسبب ملكها ان الفرنج لما رأوا ملك نور الدين دمشق خافوه وعلموا انه يقوى عليهم ولا يقدرون على الانتصاف منه لما كانوا يرون منه قبل ملكها فراسله من بهذه القلعة من الفرنج وبذلوا له تسليمها فسير اليهم الامير حسان المنبجى وهو من اكابر امرائه وكان اقطاعه ذلك الوقت مدينة منبج وهى تقارب تل باشر وامره ان يسير اليها ويتسلمها فسار اليها وتسلمها منهم وحصنها ورفع اليها من الذخائر ما يكفيها سنين كثيرة

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة مات استاذ دار ابو الفتوح عبد الله بن هبة الله بن المظفر بن رئيس الرؤساء وكان له صدقات ومعروف كثير ومجالسة للفقراء ولما مات ولى ابنه الاكبر عضد الدين ابو الفرج محمد بن عبد الله ما كان الى ابيه وتوفى عبد الرحمن بن عبد الصمد بن احمد ابن على ابو القاسم الاكاف النيسابورى كان زاهدا عابدا فقيها مناظرا وكان السلطان سنجر يزوره ويتبرك بدعائه وكان ربما حجبه فلا يمكنه من الدخول اليه وفيها توفى ثقة الدولة أبو الحسن على بن محمد الزوينى القزوينى وكان يخدم أبا نصر محمد بن الفرج الابرى وزوجه ابنته شهدة الكاتبة فقربه المقتفى لامر الله ووكله فبنى مدرسة بباب الازج

(ثم دخلت سنة خمسين وخمسمائة)

فى هذه السنة سار الخليفة المقتفى لامر الله الى دقوقا فحصرها وقاتل من بها ثم رحل عنها لانه بلغه ان عسكر الموصل قد تجهز والمسير لمنعه عنها فرحل ولم يبلغ غرضا وفيها استولى شملة التركمانى على خوزستان وصاحبه حينئذ ملكشاه محمود بن محمد فسير الخليفة اليه عسكرا فلقيهم شملة فى رجب وقاتلهم فانهزم عسكر الخليفة وأسر وجوههم ثم احسن اليهم شملة وأطلقهم وأرسل يعتذر فقبل عذره وسار الى خوزستان فملكها وأزاح عنها ملكشاه ابن السلطان محمود بن محمد وفيها سار الغز الى نيسابور فملكوها بالسيف ودخلوها وقتلوا محمد بن يحيى الفقيه الشافعى ونحوا من ثلاثين الفا وكان السلطان سنجر له اسم السلطنة وهو معتقل لا يلتفت اليه حتى انه اراد كثيرا من الايام ان يركب فلم يكن له من يحمل سلاحه فشده على وسطه وركب وكان اذا قدم اليه طعام يدخر منه ما يأكله وقتا آخر خوفا من انقطاعه عنه لتقصيرهم فى واجبه ولانهم ليس هذا مما يعرفونه وفيها وثب قسوس الارمن بمدينة آنى فاخذوها من الامير شداد وسلموها

على سعة فضله من ذلك حاشيته على التحرير وشرح نظم يحيى العمريطى وشرح العقائد المشرقية والمتن له ايضا وشرح مختصر فى العقائد والفقه والتصوف مشهور فى بلاد داغستان وشرح رسالة عبد الفتاح العادلى فى العقائد ومختصر الشمائل وشرحه له ورسالة فى لا اله الا الله ورسالة فى مسئلة أصولية فى جمع الجوامع وشرح الحكم والوصايا الكردية فى التصوف وشرح ورد سحر للبكرى ومختصر المغنى فى النحو وغير ذلك ولما اراد السلوك فى طريق الخلوتية ولقنه الشيخ الحفنى الاسم الاول حصل له وله واختلال فى عقله ومكث بالمارستان أياما ثم شفى ولازم الاقراء والافادة ثم تلقن من شيخنا الشيخ محمود الكردى وقطع الاسماء عليه والبسه التاج وواظب على مجالسته وكان فى قلة من خشونة العيش وضيق المعيشة فلا يطبخ فى داره الا نادرا او بعض معارفه يواسونه ويرسلون اليه الصحفة من الطعام او يدعونه ليأكل معهم ولما عرفه الناس واشتهر ذكره فواصله بعض تجار الشوام وغيرهم بالزكوات والهدايا والصلات فراج حاله وتجمل بالملابس وكبر تاجه ولما توفى الشيخ الكردى كان المترجم من جملة خلفائه وضم اليه أشخاصا من الطلبة

وسلموها الى أخيه فضلون وفيها فى ذى الحجة قتل الاتراك القارغلية طمغاج خان بن
محمد بما وراء النهر والقوه فى الصحراء ونسبوه الى أشياء قبيحة وكان مدة ملكه مستضعفا
غير مهيب وفيها توفى أبو الفضل محمد بن ناصر بن على البغدادى الحافظ الاديب وكان
مشهورا بابى الفضل وكان شافعيا وصار حنبليا مغاليا وولده سنة سبع وستين
وأربعمائة فى شعبان وكان موته أيضا فى شعبان وفيها كان بالعراق وماجاوره من
البلاد زلزلة كبيرة فى ذى الحجة وفيها توفى يحيى الغسانى النحوى الموصلى وكان
فاضلا خيرا وتاج الدين أبو طاهر يحيى بن عبد الله بن القاسم الشهرزورى قاضى
جزيرة ابن عمر

❊(ثم دخلت سنة احدى وخمسين وخمسمائة)❊

❊(ذكر عصيان الجزائر وافريقية على ملك الفرنج بصقلية وما كان منهم)❊

قدذكرنا سنة ثمان وأربعين وخمسمائة موت رجار ملك صقلية وملك ولده غليالم وانه
كان فاسد التدبير فخرج عن حكمه عدة من حصون صقلية فلما كان هذه السنة قوى
طمع الناس فيه فخرج من طاعته جزيرة جربة وجزيرة قرقنة وأظهروا الخلاف عليه
وخالف عليه أهل افريقية فاول من أظهر الخلاف عليه عمر بن أبى الحسين الفريانى
بمدينة سفاقس وكان رجار قد استعمل عليها لما فتحها اباه أبا الحسين وكان من العلماء
الصالحين فاظهر العجز والضعف وقال استعمل ولدى فاستعمله وأخذ اباه رهينة الى
صقلية فلما اراد المسير اليها قال لولده عمر انى كبير السن وقد قارب اجلى فمتى امكنتك
الفرصة فى الخلاف على العدو فافعل ولا تراقبهم ولا تنظر فى انى أقتل واحسب انى
قدمت فلما وجد هذه الفرصة دعا اهل المدينة الى الخلاف وقال يطلع جماعة منكم
الى السور وجماعة يقصدون مساكن الفرنج والنصارى جميعهم ويقتلونهم كلهم فقالوا
له ان سيدنا الشيخ والدك نخاف عليه قال هو امرنى بهذا واذا قتل بالشيخ الوف من الاعداء
فما مات فلم تطلع الشمس حتى قتلوا الفرنج عن آخرهم وكان ذلك اول سنة احدى
وخمسين وخمسمائة ثم اتبعه يحيى بن مطروح بطرابلس وبعدهما محمد بن رشيد بقابس
وسار عسكر عبد المؤمن الى بونة فملكها وخرج جميع افريقية عن حكم الفرنج ماعدا
المهدية وسوسة وارسل عمر بن ابى الحسين الى زويلة وهى مدينة بينها وبين المهدية نحو
ميدان يحرضهم على الوثوب على من معهم فيها من النصارى ففعلوا ذلك وقدم عرب
البلاد الى زويلة فاعانوا اهلها على من بالمهدية من الفرنج وقطعوا الميرة عن المهدية فلما
اتصل الخبر بغليالم ملك صقلية احضر أبا الحسين وعرفه ماعمل ابنه فامره ان يكتب
اليه ينهاه عن ذلك ويامره بالعود الى طاعته ويخوفه عاقبة فعله فقال من قدم على هذا
يرجع بكتاب فارسل ملك صقلية اليه رسولا يتهدده ويامره بترك ما ارتكبه فلم يمكنه
عمر من دخول البلد يومه ذلك فلما كان الغد خرج اهل البلد جميعهم ومعهم جنازة
والرسول يشاهدهم فدفنوها وعادوا وارسل عمر الى الرسول يقول له هذا ابى قد دفنته
وقد جلست للعزاء به فاصنعوا به ما اردتم فعاد الرسول الى غليالم فاخبره بما صنع عمر بن

والمجاورين الذين يحضرون فى درسه يأتون اليه فى كل ليلة عشاء يذكرون معه ويعمل لهم فى بعض الاحيان ثريدا
ويذهب بهم الى بعض البيوت
فى مياتم الموتى واياالى السبح
والجمع المعتادة ومعهم منشدون
ومولهون ومن يقرا الاعشار
عند ختم المجلس فيا كلون
العشاء ويسهرون حصة من
الليل فى الذكر والانشاد
والتوله وينادون فى انشادهم
بقولهم يا بكرى مدد يا حفنى
مدد يا شرقاوى مدد ثم
يأتون اليهم بالطارى وهو
الطعام بعد انقضاء
المجلس ثم يعطونهم أيضا دراهم
ثم اشترى له دار الحارة كتامة
المسماة بالعينية وساعده فى
ثمنها بعض من يعاشره من
المياسير وترك الذهاب الى
البيوت الا فى النادر واستمر
على حالته حتى مات الشيخ
أحمد العروسى فتولى بعده
مشيخة الجامع الازهر فزاد فى
تكبير عمامته وتعظيمها حتى
كان يضرب بعظمها المثل
وكانت تعارضت فيه وفى
الشيخ مصطفى الصاوى ثم
حصل الاتفاق على المترجم
وان الشيخ الصاوى يستقر فى
وظيفة التدريس بالمدرسة
الصلاحية المجاورة لضريح
الامام الشافعى بعد صلاة
العصر وهى من وظائف
مشيخة الجامع ولما تولاها
الشيخ العروسى تعدى على
الوظيفة المذكورة الشيخ
محمد المصيلحى البصير وكان يرى فى نفسه انه أحق بالمشيخة من العروسى فلم ينازعه فيها لحبها للشيخ فلما مات المصيلحى

ابى الحسين فاخذ اباه وصلبه فلم يزل يذكر الله تعالى حتى مات واما اهل زويلة فانهم كثر جمعهم بالعرب واهل سفاقس وغيرهم فحصروا المهدية وضيقوا عليها وكانت الاقوات بالمهدية قليلة فسير اليهم صاحب صقلية عشرين شينيا فيها الرجال والطعام والسلاح فدخلوا البلد وراسلوا الى العرب وبذلوا لهم مالا ليهزموا وخرجوا من الغد فاقتتلوا فانهزمت العرب وبقى اهل زويلة واهل سفاقس وركبوا فى البحر فنجوا وبقى اهل زويلة فحمل عليهم الفرنج فانهزموا الى زويلة فوجدوا أبوابها مغلقة فقاتلوا تحت السور وصبروا حتى قتل اكثرهم ولم ينج الا القليل فتفرقوا ومضى بعضهم الى عبد المؤمن فلما قتلوا هرب من سلم من الحرم والصبيان والشيوخ فى البر ولم يعرجوا على شئ من اموالهم ودخل الفرنج زويلة فقتلوا من وجدوا فيها من النساء والاطفال ونهبوا الاموال واستقر الفرنج بالمهدية الى ان اخذها منهم عبد المؤمن على ما نذكره ان شاء الله تعالى

❊(ذكر القبض على سليمان شاه وحبسه بالموصل)❊

فى هذه السنة قبض زين الدين على كوجك نائب قطب الدين مودود بن زنكى بن آقسنقر صاحب الموصل على الملك سليمان شاه ابن السلطان محمد بن ملكشاه وكان سليمان شاه عند عمه السلطان سنجر قديما وقد جعله ولى عهده وخطب له على منابر خراسان فلما جرى لسنجر مع الغز ما ذكرناه وتقدم على عسكر خراسان وضعفوا عن الغز مضى الى خوارزم شاه فزوجه ابنة اخيه اتسيس ثم بلغه عنه ما كرهه فابعده فجاء الى اصفهان فمنعه شحنتها من الدخول فمضى الى قاشان فسير اليه محمد شاه ابن اخيه محمود بن محمد عسكرا ابعدوه عنها فسار الى خوزستان فمنعه ملكشاه عنها فقصد اللحف ونزل البندنيجين وارسل رسولا الى الخليفة المقتفى يعلمه بوصوله وترددت الرسل بينهما الى ان استقر الامر على ان يرسل زوجته تكون رهينة فارسلها الى بغداد ومعها كثير من الجوارى والاتباع وقال قد ارسلت هؤلاء رهائن فان اذن امير المؤمنين فى دخول بغداد فعلت والا رجعت فاكرم الخليفة زوجته ومن معها واذن له فى القدوم اليه فقدم ومعه عسكر خفيف يبلغون ثلثمائة رجل فخرج ولد الوزير ابن هبيرة لتلقيه ومعه قاضى القضاة والنقيبان ولم يترجل له ابن الوزير ودخل بغداد وعلى رأسه الشمسة وخلع عليه الخليفة واقام ببغداد الى ان دخل المحرم من سنة احدى وخمسين وخمسمائة فاحضر فيه سليمان شاه الى دار الخليفة واحضر قاضى القضاة والشهود واعيان العباسيين وحلف للخليفة على النصح والموافقة ولزوم الطاعة وانه لا يتعرض الى العراق بحال فلما حلف خطب له ببغداد ولقب القاب ابيه غياث الدنيا والدين وباقى القابه وخلع عليه خلع السلطنة وسير معه من عسكر بغداد ثلاثة آلاف فارس وجعل الامير قويدان صاحب الحلة امير حاجب معه وسار نحو بلاد الجبل فى ربيع الاول وسار الخليفة الى حلوان وارسل الى ملكشاه ابن السلطان محمود اخى السلطان محمد صاحب همذان

وغيرها

تنزه عنها العروسى وأجلس فيها الصاوى وحضر درسه فى أول ابتدائه لكونه من خواص تلامذته فلما مات العروسى وتولى المترجم المشيخة اتفقوا على بقاء الصاوى فى الوظيفة ومضى على ذلك اشهر ثم ان المجتمعين على الشرقاوى وسوسوا له وحرضوه على أخذ الوظيفة وان مشيخته لا تتم الا بها وكان مطواعا فتكلم فى ذلك الشيخ محمد بن الجوهرى وأيوب بك الدفتردار ووافقاه على ذلك واغترهما وذهب بجماعته ومن انضم اليهم وهم كثيرون وقرأ بها درسا فلم يحتمل الصاوى ذلك وتشاور مع ذوى الراى والمكايد من رفقائه كالشيخ بدوى الهيتمى واضرابه فبيتوا امرهم وذهب الشيخ مصطفى الى رضوان كتخدا ابراهيم بك الكبير وله به صداقة ومعاملة ومقارضة فسامحه فى مبلغ كان عليه له فعند ذلك اهتم رضوان كتخدا المذكور وحضر عند الشرقاوى وتكلم معه وافحمه ثم اجتمع وافى ثانى يوم ببيت الشرقاوى وحضر الصاوى وعزوته وباقى الجماعة فقال الشرقاوى اشهدوا يا جماعة ان هذه الوظيفة استحقاقى وانا نزلت عنها الى الشيخ مصطفى الصاوى فقال له الصاوى ارجع اما الآن فلا ولا جميلة لك الآن فى ذلك وبا كته بكلام كثير وبانفاذه رأى من حوله وغير ذلك وانفض المجلس على منعه من الوظيفة واستمرار

الصاوى فيها الى ان مات فعادت الى المترجم عند ذلك من غير منازع فواظب الاقراء فيها مدة وطالب سدنة الضريح بمعلومها فماطلوه فتشاجر معهم وسبهم فشكوه للمعاضدين لهم وهم أهل المكايد من الفقهاء وغيرهم وتعصبوا عليه وانهوا الى الباشا وضموا الى ذلك اشياء حتى اغروا عليه صدره واتفقوا على عزله من المشيخة ثم انحط الامر على ان يلزم داره ولا يخرج منها ولا يتداخل فى شئ من الاشياء فكان ذلك اياما ثم عفا عنه الباشا بشفاعة القاضى فركب وقابله ولكن لم يعد الى القراءة فى الوظيفة بل استناب فيها بعض الفقهاء وهو الشيخ محمد الشبراوينى ولما حضرت الفرنساوية الى مصر فى سنة ثلاث عشرة ومائتين وألف ورتبوا ديوانا لاجراء الاحكام بين المسلمين جعلوا المترجم رئيس الديوان وانتفع فى ايامهم بما يتحصل اليه من المعلوم المرتب له عن ذلك وقضايا وشفاعات لبعض الاجناد المصرية وجعالات على ذلك واستيلاء على تركات وودائع خرجت اربابها فى حادثة الفرنساوية وهلكوا واتسعت عليه الدنيا وزاد طمعه فيها واشترى دار ابن بيره بظاهر الازهر وهى دار واسعة من مساكن الامراء الاقدمين وزوجته بنت الشيخ على الزعفرانى هى التى تدبر امره وتحرز كل ما ياتيه ويجمعه ولا يروح ولا يغدو الا عن أمرها ومشورتها

وغيرها يدعوه الى موافقته فقدم فى الفى فارس فخالف كل منهما صاحبه وجعل ملكشاه ولى عهد سليمان شاه وقواهما الخليفة بالمال والاسلحة وغيرها فساروا واجتمعوا هم وايلدكز فصاروا فى جمع كبير فلما سمع السلطان محمد خبرهم ارسل الى قطب الدين مودود صاحب الموصل ونائبه زين الدين يطلب منهما المساعدة ويبذل لهما البذول الكثيرة ان ظفر فاجاباه الى ذلك ووافقا فقوى نفسه وسار الى لقاء سليمان شاه ومن اجتمع معه من عساكره ووقعت الحرب بينهم فى جمادى الاولى واشتد القتال بين الفريقين فانهزم سليمان شاه ومن معه وتشتت العسكر ووصل من عسكر الخليفة وكانوا ثلاثة آلاف رجل نحو من خمسين رجلا ولم يقتل منهم احد وانما اخذت خيولهم واموالهم وتشتتوا وجاؤا متفرقين وفارق سليمان شاه ايلدكز وسار نحو بغداد على شهر زور فخرج اليه زين الدين على فى جماعة من عسكر الموصل وكان بشهر زور الامير بزان مقطعا لها من جهة زين الدين وسارا فوقفا على طريق سليمان شاه فاخذاه اسيرا وحمله زين الدين الى قلعة الموصل وحبسه بها مكرما محترما الى ان كان من امره ما نذكره سنة خمس وخمسين ان شاء الله فلما قبض سليمان شاه ارسل زين الدين الى السلطان محمود يعرفه ذلك ووعده المعاضدة على كل ما يريده منه والمساعدة له والله أعلم

❁(ذكر حصر نور الدين قلعة حارم)❁

فى هذه السنة سار نور الدين محمود بن زنكى الى قلعة حارم وهى للفرنج ثم لبيمند صاحب انطاكية وهى تقارب انطاكية من شرقيها وحصرها وضيق على اهلها وهى قلعة منيعة فى نحور المسلمين فاجتمعت الفرنج من قرب منها ومن بعد وساروا نحوه ليرحلوه عنها وكان بالحصن شيطان من شياطينهم يعرفون عقله ويرجعون الى رايه فارسل اليهم يقول اننا نقدر على حفظ القلعة وليس بنا ضعف فلا تخاطروا انتم باللقاء فانه ان هزمكم اخذها وغيرها والراى مطاولته فارسلوا اليه وصالحوه على ان يعطوه نصف اعمال حارم فاصطلحوا على ذلك ورحل عنهم فقال بعض الشعراء

ألبست دين محمد يا نوره ❁ عزا له فوق السها آساد ❁
ما زلت تشمله بعياد القنا ❁ حتى تثقف عوده المياد ❁
لم يبق مذ ارهفت عزمك دونه ❁ عدد يراع به ولا استعداد
ان المنابر لو تطيق تكلما ❁ حمدتك عن خطبائها الاعواد
ملق باطراف القريحة كالكلا ❁ طرفاه ضرب صادق وجلاد
حاموا فلما عاينوا خوض الردى ❁ حاموا فرائس كيدهم او كادوا
ورأى البرنس وقد تبرنس ذلة ❁ حزما لحارم والمصاد مصاد
من منكران ينسف السيل الزبا ❁ وابوه ذاك العارض المداد
أوان يعيد الشمس كاسفة السنى ❁ نارلها ذاك الشهاب زناد

لا ينفع الآباء ما سمكوا من العلياء حتى يرفع الاولاد

وهى طويلة

ذكر وفاة خوارزم شاه اتسز وغيره من الملوك

فى هذه السنة فى تاسع جمادى الآخرة توفى خوارزم شاه اتسز بن محمد بن أنوشتكين وكان قد اصابه فالج فتعالج منه فلم يبرأ فاستعمل ادوية شديدة الحرارة بغير أمر الاطباء فاشتد مرضه وضعفت قوته فتوفى وكان يقول عند الموت ما اغنى عنى ماليه هلك عنى سلطانيه وكانت ولادته فى رجب سنة تسعين وأربعمائة ولما توفى ملك بعده ابنه ارسلان فقتل نفرا من اعمامه وسمل أخاله فمات بعد ثلاثة أيام وقيل بل قتل نفسه وارسل الى السلطان سنجر وكان قد هرب من أسر الغز على ما نذكره يبذل الطاعة والانقياد فكتب له منشورا بولاية خوارزم وسير الخلع له فى رمضان فبقى فى ولايته ساكنا آمنا وكان اتسز حسن السيرة كافا عن أموال رعيته منصفا لهم محبوبا لهم مؤثرا للاحسان والخير اليهم وكان الرعية معه بين امن غامر وعدل شامل وفى سابع عشر الشهر المذكور توفى أبو الفوارس بن محمد بن ارسلان شاه ملك كرمان وملك بعده ابنه سلجوق شاه وفيها توفى الملك مسعود بن قلج ارسلان بن سليمان قتلمش صاحب قونية وما يجاورها من بلاد الروم وملك بعده ابنه قلج ارسلان

ذكر هرب السلطان سنجر من الغز

فى هذه السنة فى رمضان هرب السلطان سنجر بن ملكشاه من اسر الغز وجماعة من الامراء الذين معه وسار الى قلعة ترمذ واستظهر بها على الغز وكان خوارزم شاه اتسز بن محمد بن انوشتكين والخاقان محمود بن محمد يقصدان الغز فيقاتلانهم فيمن معهما فكانت الحرب بينهم سجالا وغلب كل واحد من الغز والخراسانيين على ناحية من خراسان فهو يا كل دخلها لا رأس لهم يجمعهم وسار السلطان سنجر من ترمذ الى جيحون يريد العبور الى خراسان فاتفق ان مقدم الاتراك القارغلية واسمه على بك توفى وكان أشد شئ على السلطان سنجر وعلى غيره كثير الشر والفساد واثارة الفتن فلما توفى اقبلت القارغلية على السلطان سنجر وكذلك غيرهم من سائر الامم من اقاصى البلاد وادانيها وعاد الى دار ملكه بمرو فى رمضان فكانت مدة اسره مع الغز من سادس جمادى الاولى سنة ثمان واربعين الى رمضان سنة احدى وخمسين وخمسمائة

ذكر البيعة لمحمد بن عبد المؤمن بولاية عهد ابيه

فى هذه السنة امر عبد المؤمن بالبيعة لولده محمد بولاية عهده وكان الشرط والقاعدة بين عبد المؤمن وبين عمر ان يلى عمر الامر بعد عبد المؤمن فلما تمكن عبد المؤمن من الملك وكثر اولاده احب ان ينقل الملك اليهم فاحضر امراء العرب من هلال وزغب وعدى وغيرهم اليه ووصلهم واحسن اليهم ووضع عليهم من يقول لهم ايطلبوا من عبد المؤمن ويقولوا له نريد ان تجعل لنا ولى عهد من ولدك يرجع الناس اليه بعدك ففعلوا ذلك

وهى أم ولده سيدى على الموجود الآن وكانت قبل زواجه بها فى قلة من العيش فلما كثرت عليه الدنيا اشترت الاملاك والعقار والحمامات والحوانيت بما يغل ايراده مبلغا فى كل شهر له صورة وعمل مهم الزواج ابنه المذكور فى أيام محمد باشا خسرو سنة سبع عشرة ومائتين والف ودعا اليه الباشا واعيان الوقت فاجتمع اليه شئ كثير من الهدايا ولما حضر اليه الباشا أنعم على ابنه باربعة اكياس عنها ثمانون ألف درهم وذلك خلاف البقاشيش واتفق للمترجم فى ايام الامراء المصرية ان طائفة المجاورين بالازهر من الشرقاويين يقطنون بمدرسة الطيبرسية بباب الازهر وعمل لهم المترجم خزائن برواق معمر فوقع بينهم وبين بعض المجاورين بها مشاجرة فضربوا نقيب الرواق فتعصب لهم الشيخ ابراهيم السجينى شيخ الرواق على الشرقاويين ومنعوهم من الطيبرسية وخزائنها وقهروا المترجم وطائفته فتوسط بامراة هيافقيه تحضر عنده فى درسه الى عديلة هانم ابنة ابراهيم بك فكلمت زوجها ابراهيم بك المعروف بالوالى بان يبنى له مكانا خاصا بطائفته فاجابه الى ذلك واخذ مكانا امام الجامع المجاور لمدرسة الجوهرية من غير ثمن واضاف اليه قطعة اخرى وانشا ذلك رواقا خاصا بهم ونقل اليه الاحجار والاعمود الرخام الذى بوسطه من جامع الملك الظاهر

فلم

فلم يجبهم الى ما العمر لعلو منزلته فى الموحدين وقال لهم ان الامر لابى حفص عمر فلما علم عمر ذلك خاف على نفسه فحضر عند عبد المؤمن واجاب الى خلع نفسه فحينئذ بويع لمحمد بولاية العهد وكتب الى جميع بلاده بذلك وخطب له فيها جميعها فاخرج عبد المؤمن فى ذلك اليوم من الاموال شيئا كثيرا

(ذكر استعمال عبد المؤمن اولاده على البلاد)

فى هذه السنة استعمل عبد المؤمن اولاده على البلاد فاستعمل ولده ابا محمد عبد الله على بجاية واعمالها واستعمل ابنه ابا الحسن عليا على فاس واعمالها وولى ابنه ابا سعيد سبتة والجزيرة الخضراء ومالقة وكذلك غيرهم ولقد سلك فى استعمالهم طريقا عجيبا وذلك انه كان قد استعمل على البلاد شيوخ الموحدين المشهورين من اصحاب المهدى محمد بن تومرت وكان يتعذر عليه ان يعزلهم فاخذ اولادهم وتركهم عنده يشتغلون فى العلوم فلما تمهروا فيها وصاروا يقتدى بهم قال لآبائهم انى اريد ان تكونوا عندى استعين بكم على ما انا بصدده ويكون اولادكم فى الاعمال لانهم علماء فقهاء فاجابوا الى ذلك وهم فرحون مسرورون فولى اولادهم ثم وضع عليهم بعضهم ممن يعتمد عليه فقال انى ارى امرا عظيما قد فعلتموه فارقتم فيه الحزم والادب فقالوا وما هو فقال اولادكم فى الاعمال واولاد امير المؤمنين ليس لهم منها شئ مع ما فيهم من العلم وحسن السياسة وانى اخاف ان ينظر فى هذا فتسقط منزلتكم عنده فعلموا اصدق القائل فحضروا عند عبد المؤمن وقالوا نحب ان تستعمل على البلاد السادة اولادك فقال لا افعل فلم يزالوا حتى فعل ذلك لهم بسؤالهم اياه

(ذكر حصر السلطان محمد بغداد)

فى هذه السنة فى ذى الحجة حصر السلطان محمد بغداد وسبب ذلك ان السلطان محمد بن محمود كان قد ارسل الى الخليفة يطلب ان يخطب له ببغداد والعراق فامتنع الخليفة من اجابته الى ذلك فسار من همذان فى عساكر كثيرة نحو العراق ووعده اتابك قطب الدين صاحب الموصل ونائبه زين الدين على بارسال العساكر اليه نجدة له على حصر بغداد فقدم العراق فى ذى الحجة سنة احدى وخمسين واضطرب الناس ببغداد وارسل الخليفة يجمع العساكر فاقبل خطلو برس فى عسكر واسط ورحل مهلهل الى الحلة فاخذها واهتم الخليفة وعون الدين بن هبيرة بامر الحصار وجمع جميع السفن وقطع الجسر وجعل الجميع تحت التاج ونودى منتصف المحرم سنة اثنتين وخمسين ان لا يقيم احد بالجانب الغربى فاجفل الناس واهل السواد ونقلت الاموال الى حريم دار الخلافة وخرب الخليفة قصر عيسى والمربعة والقرية والمستجدة والنجمى ونهب اصحابه ما وجدوا وخرب اصحاب محمد شاه نهر القلائين والتوثة وشارع ابن رزق الله وباب الميدان وقطفتا واما اهل الكرخ واهل باب البصرة فانهم خرجوا الى عسكر محمد وكسبوا معهم اموالا كثيرة وعبر السلطان محمد فوق حراقة الى الجانب الغربى ونهبت اوناوا تصل به

بيبرس خارج الحسينية وهو تحت نظر الشيخ ابراهيم السعيني ليكون ذلك نكاية له نظير تعصبه عليه وعمل به قوائم وخزائن واشترى له غلالا من جرايات الشون واضافها الى اخباز الجامع وادخلها فى دفتره يستلمها خباز الجامع ويصرفها خبزا قرصة لاهل ذلك الرواق فى كل يوم ووزعها على الانفار الذين اختارهم من اهل بلاده ومما اتفق للمترجم ان بخارج باب البرقية خانكاه انشاتها خوند طغاى الناصرية بالصحراء على يمنة السالك الى وهدة الجبانة المعروفة الآن بالبستان وكان الناظر عليها شخص من شهود المحكمة يقال له ابن الشاهينى فلما مات تقرر فى نظرها المترجم واستولى على جهات ايرادها فلما ولج الفرنساوية اراضى مصر واحدثوا القلاع فوق التلول والاماكن المستعلية حوالى المدينة هدموا منارة هذه الخانكاه وبعض الحوائط الشمالية وتركوها على ذلك فلما ارتحلوا عن ارض مصر بقيت على وضعها فى التخريب وكانت ساقيتها تجاه بابها فى علوة يصعد اليها بزلقان ويجرى الماء منها الى الخانكاه على حائط مبنى وبه قنطرة يمر من تحتها المارون وتحت الساقية حوض لسقى الدواب وقد ادركنا ذلك وشاهدنا دوران الثور فى الساقية ثم ان المترجم ابطل تلك الساقية وبنى مكانها زاوية وعمل لنفسه بها مدفنا وعقد عليه قبة

زين الدين هناك وساروا فنزل محمدشاه عند الرملة وفرق الخليفة السلاح على الجند
والعامة ونصب المنجنيقات والعرادات فلما كان فى العشرين من المحرم ركب عسكر
محمدشاه وزين الدين على ووقفوا عند الرقة ورموا بالنشاب الى ناحية التاج فعبر اليهم
عامة بغداد فقاتلوهم ورموهم بالنفط وغيره ثم جرى بينهم عدة حروب وفى ثالث صفر
عاودا القتال واشتدت الحرب وعبر كثير من أهل بغداد سباحة وفى السفن فقتلوا
وكانوا يوما مشهودا ولم تزل الحرب بينهم كل وقت وعمل الجسر على دجلة وعبر عليه
أكثر العسكر الى الجانب الشرقى وصار القتال فى الجانبين وبقى زين الدين فى الجانب
الغربى وأمر الخليفة فنودى كل من جرح فله خمسة دنانير فكان كلما جرح انسان
يحضر عند الوزير فيعطيه خمسة دنانير فاتفق ان بعض العامة جرح جرحا ليس بكبير فحضر
الوزير يطلب الدنانير فقال له الوزير ليس هذا الجرح بشئ فعاودوا القتال فضرب فانشقت
جوفه وخرج شئ من شحمها فحمل الى الوزير فلما رآه قال يامولانا الوزير ايرضيك هذا
فضحك منه واضعف له ورتب له من يعالج جراحته الى ان برئ وتعذرت الاقوات فى
العسكر الا ان اللحم والفواكه والخضر كثيرة وكانت الغلات ببغداد كثيرة لان الوزير
كان يفرقها فى الجند عوض الدنانير فيبيعونها فلم تزل الاسعار عندهم رخيصة الا ان
اللحم والفاكهة والخضر قليل عندهم واشتد الحصار على اهل بغداد لانقطاع المواد
عنهم وعدم المعيشة لاهلها وكان زين الدين وعسكر الموصل غير مجدين فى القتال لاجل
الخليفة والمسلمين وقيل لان نور الدين محمود بن زنكى وهو اخو قطب الدين صاحب
الموصل الاكبر ارسل الى زين الدين يلومه على قتال الخليفة ففتروا وأقصروا ولم تزل الحرب
فى أكثر الايام وعمل السلطان محمدشاه اربعمائة سلم ليصعد الرجال فيها الى السور
وزحفوا وقاتلوا ففتح اهل بغداد ابواب البلد وقالوا اى حاجة بكم الى السلالم هذه
الابواب مفتحة فادخلوا منها فلم يقدروا على ان يقربوها فبينما الامر على ذلك اذ وصل
الخبر الى السلطان محمد ان اخاه ملكشاه وايلدكز صاحب بلاد اران ومعه الملك
ارسلان ابن الملك طغرل بن محمد وهو ابن امرأة ايلدكز قد دخلوا همذان واستولوا عليها
واخذوا أهل الامراء الذين مع محمدشاه واموالهم فلما سمع محمدشاه ذلك جد فى القتال
لعله يبلغ مناه فلم يقدر على شئ ورحل عنها نحو همذان فى الرابع والعشرين من ربيع
الاول سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة وعاد زين الدين الى الموصل وتفرق ذلك الجمع
على عزم العود اذا فرغ محمدشاه من اصلاح بلاده فلم يعودوا يجتمعون وفى كثرة حروبهم
لم يقتل بينهم الا نفر يسير وانما الجراح كانت كثيرة ولما ساروا نهبوا بعقوبا وغيرها من
طريق خراسان ولما رحل العسكر عن بغداد اصاب أهلها امراض شديدة حادة وموت
كثير للشدة التى مرت بهم واما ملكشاه وايلدكز ومن معهما فانهم ساروا من همذان
الى الرى فخرج اليهم اينانج شحنتها وقاتلهم فهزموه فارسل الملك محمد الامير سقمس
ابن قيماز الحرامى فى عسكر نجدة لاينانج فسار سقمس وكان ايلدكز وملكشاه
ومن معهما قد عادوا من الرى يريدون محاصرة الخليفة فلقيهم سقمس وقاتلهم

وجعل تحتها مقصورة بداخلها تابوت عال مربع ٩٦ وعلى اركانه عساكر فضة وبنى بجانبها قصرا ملاصقا لها يحتوى على اروقة
ومساكن ومطابخ وكلار وذهبت
الساقية فى ضمن ذلك وجعلها
بئرا وعليه خرزة يماؤن منها
بالدلو ونسيت تلك الساقية
وانطمست معالمها وكأنها لم
تكن وقد ذكر هذه الخانكاه
العلامة المقريزى فى خططه
عند ذكر الخوانك لا باس
بايراد ما نصه للمناسبة فقال
خانكاه ام انوك هذه الخانكاه
خارج باب البرقية بالصحراء
انشأتها الخاتون طغاى تجاه
تربة الامير طاشتمر الساقى
فجاءت من اجل المبانى
وجعلت بها صوفية وقراء
ووقفت عليها الاوقاف الكثيرة
وقررت لكل جارية من جواريها
مرتبا يقوم بها ثم ترجمها بقوله
طغاى الخوندة الكبرى
زوج السلطان الملك الناصر
محمد بن قلاوون وأم ابنه
الامير انوك كانت من جملة
امائه فاعتقها وتزوجها ويقال
انها اخت الامير آقبغا عبد
الواحد وكانت بديعة الحسن
باهرة الجمال رات من السعادة
مالم يره غيرها من نساء ملوك
الترك بمصر وتنعمت فى ملاذ ما
وصل سواها لمثلها ولم يدم
السلطان على محبة امراة
سواها وصارت خوندة بعد
ابنة توكاى آكبر نسائه حتى
من ابنة الامير تنكز وحج بها
القاضى كريم الدين الكبير
واحتفل بامرها وحمل لها البقول فى محاير طين على ظهور الجمال واخذ لها الابقار الحلابة

فهزموه

فهزموه ونهبوا عسكره واثقالهم فاحتاج الملك محمد الى الاسراع فسار فلما بلغ حلوان بلغه ان ايلدكز بالدينور واتاه رسول من نائبه اينانج انه دخل همذان واعاد الخطبة له فيها فقويت نفسه وهرب شملة صاحب خوزستان الى بلاده وتفرق اكثر جمع ايلدكز وملكشاه وبقيا فى خمسة آلاف فارس فعادا الى بلادهما شبه الهارب ولما دخل محمد شاه همذان اراد التجهز لقصد بلاد ايلدكز فابتدأ به مرض السل وبقى به الى ان مات

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة فى ربيع الاول أطلق ابو الوليد البدر ابن الوزير ابن هبيرة من حبس تكريت ولما قدم بغداد خرج اخوه والموكب يتلقونه وكان يوما مشهودا وكان مقامه فى الحبس يزيد على ثلاث سنين وفيها احترقت بغداد فى ربيع الآخر وكثر الحريق بها واحترق درب فراشا ودرب الدواب ودرب اللبان وخرابة ابن جردة والظفرية والخاتونية ودار الخلافة وباب الازج وسوق السلطان وغير ذلك وفيها فى شوال قصد الاسماعيلية جابسر بخراسان فاوقعوا بها وقعة عظيمة واسر واجماعة من اعيان دولة السلطان ونهبوا اولادهم ودوابهم وقتلوا فيهم وفيها فى ذى القعدة توفى شيخ الاسلام ابو المعالى الحسن ابن عبيد الله بن احمد بن محمد المعروف بابن الرزاز بنيسابور وهو من اعيان الافاضل وفى هذه السنة توفى مريد الدين بن نيسان رئيس آمد والحاكم فيها على صاحبها وولى ما كان اليه بعده ابنه كمال الدين أبو القاسم وتوفى ابو الحسن على بن الحسين الغزنوى الواعظ المشهور ببغداد وكان قدم اليها سنة ست عشرة وخمسمائة وكان له قبول عظيم عند السلاطين والعامة والخلفاء الا ان المقتفى اعرض عنه بعد موت السلطان مسعود لاقبال السلطان عليه وكان موته فى المحرم وتوفى ابو الحسن بن الخل الفقيه الشافعى شيخ الشافعية ببغداد وكان يؤم بالخليفة فى الصلاة وتوفى ابن الآمدى الشاعر وهو من أهل النيل من اعيان الشعراء فى طبقة الغزى والارجانى وكان عمره قد زاد على تسعين سنة وفيها قتل مظفر بن حماد بن ابى الخير صاحب البطيحة قتله نفيس بن فضل ابن أبى الخير فى الحمام وولى بعده وفيها توفى الواوا الحلبى الشاعر المشهور وفيها فى رمضان توفى الحكيم ابو جعفر بن محمد البخارى باسفراين وكان عالما بعلوم الحكماء الاوائل

(ثم دخلت سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة)

(ذكر الزلازل بالشام)

فى هذه السنة فى رجب كان بالشام زلازل كثيرة قوية خربت كثيرا من البلاد وهلك فيها ما لا يحصى كثرة فخرب منها بالمرة حماة وشيزر وكفر طاب والمعرة وافامية وحمص وحصن الاكراد وعرقة واللاذقية وطرابلس وانطاكية واما ما لم يكثر فيه الخراب ولكن خرب اكثره فى جميع الشام وتهدمت اسوار البلاد والقلاع فقام نور الدين محمود

فسارت معها طول الطريق لاجل اللبن الطرى والجبن وكان يقلى لها الجبن فى الغداء والعشا فوناهيك بن وصل الى مداومة البقل والجبن واللبن فى كل يوم بطريق الحجاز فما عساه يكون بعد ذلك وكان القاضى كريم الدين وامير مجلس وعدة من الامراء يترجلون عند النزول ويشيرون بين يدى محفتها ويقبلون الارض لها كما يفعلون بالسلطان ثم حج بها الامير بشتاك فى سنة تسع وثلاثين وسبعمائة وكان الامير تنكز اذا جهز من دمشق تقدمة للسلطان لا بد ان يكون لخوند طغاى منها جزء وافر فلما مات السلطان الملك الناصر استمرت عظمتها من بعده الى ان ماتت فى شهر شوال سنة تسع واربعين وسبعمائة ايام الوباء عن ألف جارية وثمانين خصيا واموال كثيرة جدا وكانت عفيفة طاهرة كثيرة الخير والصدقات والمعروف جهزت سائر جواريها وجعلت على قبر ابنها بقبة المدرسة الناصرية بين القصرين قراء ووقفت على ذلك وقفا وجعلت من جملته خبزا يفرق على الفقراء ودفنت بهذه الخانكاه وهى من أعمر الاماكن الى يومنا هذا انتهى كلامه (يقول) الحقير انى دخلت هذه الخانكاه فى أواخر القرن الماضى فوجدت بها روحانية لطيفة وبها مساكن وسكان قاطنون بها وفيهم أصحاب الوظائف مثل المؤذن والوقاد والكناس والامام ودخلت

الى مدفن الواقفة وعلى قبرها تركيبة من الرخام الابيض وعند راسها خيمة شريفة كبيرة على كرسى بخط جليل وهى مذهبة وعليها اسم الواقفة رحمها الله تعالى فلوان الشيخ المترجم عمر هذه الخانكاه بدل هذا الذى ارتكبه من تخريبها لكان له بذلك منقبة وذكر حسن فى حياته وبعد مماته وبالله التوفيق * وللمترجم طبقات جمعها فى تراجم الفقهاء الشافعية المتقدمين والمتاخرين من أهل عصره ومن قبلهم من أهل القرن الثانى عشر نقل تراجم المتقدمين من طبقات السبكى والاسنوى وأما المتاخرون فنقلهم من تاريخنا هذا بالحرف الواحد وأظن ان ذلك آخر تاليفاته وعمل تاريخا قبله مختصرا فى نحو اربعة كراريس عند قدوم الوزير يوسف باشا الى مصر وخروج الفرنساوية منها وأهداه اليه عدد فيه ملوك مصر وذكر فى آخره خروج الفرنسيس ودخول العثمانية فى نحو ورقتين وهو فى غاية البرود وغلط فيه غلطات منها انه ذكر الاشرف شعبان ابن الامير حسين بن الناصر محمد بن قلاوون فجعله ابن السلطان حسن ونحو ذلك ولم يزل المترجم حتى تعلل ومات فى يوم الخميس ثانى شهر شوال من السنة وصلى عليه بالازهر فى جمع كثير ودفن بمدفنه الذى بناه لنفسه كما ذكر ووضعوا على تابوته المذكور عمامة كبيرة اكبر من طبيزيته التى

على

فى ذلك المقام المرضى وخاف على بلاد الاسلام من الفرنج حيث خربت الاسوار فجمع عساكره واقام باطراف البلاد فلم يزل كذلك حتى فرغ من اسوار البلاد واما كثرة القتلى فيكفى ان معلما كان بالمدينة وهى مدينة حماة ذكر عنه انه فارق المكتب لمهم عرض له فجاءت الزلزلة فخربت البلد وسقط المكتب على الصبيان جميعهم قال المعلم فلم يات أحد يسال عن صبى كان له بالمكتب

(ذكر ملك نور الدين حصن شيزر) *

نبتدئ بذكر هذا الحصن ولمن كان قبل ان يملكه نور الدين محمود بن زنكى فنقول هذا الحصن قريب من حماة بينهما نصف نهار وهو على جبل عال منيع لا يسلك اليه الامن طريق واحدة وكان لآل منقذ الكنانيين يتوارثونه من ايام صالح بن مرداس الى أن انتهى الامر الى ابى المرهف نصر بن على بن نصر بن منقذ بعد ابيه ابى الحسن على وكان بيده الى ان مات سنة احدى وتسعين واربعمائة وكان شجاعا كريما فلما حضره الموت استخلف اخاه ابا سلامة مرشد بن على فقال والله لا وليته ولاخرجن من الدنيا كما دخلتها وكان عالما بالقرآن وهو والد مؤيد الدولة اسامة بن منقذ فولاها اخاه الاصغر سلطان بن على واصطحبا اجمل صحبة مدة من الزمان فاولد مرشد عدة اولاد ذكور وكبروا وسادوا ومنهم عز الدولة أبو الحسن على ومؤيد الدولة اسامة وغيرهما ولم يولد لاخيه سلطان ولد ذكر الى ان كبر فجاءه اولاد ذكور فحسد اخاه على ذلك وخاف اولاد اخيه على اولاده وسعى بينهم المفسدون فغيروا كلا منهما على اخيه فكتب سلطان الى اخيه مرشد ابيات شعر يعاتبه على اشياء بلغته عنه فاجابه بشعر فى معناه رأيت اثبات ماتمس الحاجة اليه منه وهى هذه الابيات

ظلوم أبت فى الظلم الاتماديا * وفى الصد والهجران الاتماليا
شكت هجرنا والذنب فى ذاك ذنبها * فيا عجبا من ظالم جاء شاكيا
وطاوعت الواشين فى وطالما * عصيت عذولا فى هواها وواشيا
ومال بها تيه الجمال الى القلى * وهيهات ان امسى لها الدهر قاليا
ولا ناسيا ما أودعت من عهودها * وان هى أبدت جفوة وتناسيا
ولما اتانى من قريضك جوهر * جمعت المعالى فيه لى والمعانيا
وكنت هجرت الشعر حينا لانه * تولى برغمى حين ولى شبابيا
وأين من الستين لفظ مفرق * اذا رمت ادنى القول منه عصانيا
وقلت اخى يرعى بنى واسرتى * ويحفظ عهدى فيهم وذماميا
ويجزيهم مالم اكلفه فعله * لنفسى فقد اعددته من تراثيا
فمالك لما ان حنى الدهر صعدتى * وثلم منى صارما كان ماضيا
تنكرت حتى صار برك قسوة * وقربك منى جفوة وتناسيا
واصبحت صفر الكف مما رجوته * ارى الياس قد عفى سبيل رجائيا

على انى ما حلت عما عهدته * ولا غيرت هذى السنون ودا ديا
فلا غرو عند الحادثات فاننى * اراك يمينى والانام شماليا
تحل بها عذراء لو قرنت بها * نجوم السماء لم تعدد دراريا
تحلت بدر من صفاتك زانها * كما زان منظوم اللآلى الغوانيا
وعش باقيا للمجد ما كان واهيا * مشيدا من الاحسان ما كان هاويا

وكان الامر بينهما فيه تماسك فلما توفى مرشد سنة احدى وثلاثين وخمسمائة قلب اخوه لاولاده ظهر المجن وبادأهم بما يسوءهم واخرجهم من شيزر فتفرقوا وقصد اكثرهم نور الدين وشكوا اليه ما لقوا من عمهم فغاظه ذلك ولم يمكنه قصده والاخذ بثارهم واعادتهم الى وطنهم لاشتغاله بجهاد الفرنج وتخوفه ان يسلم شيزر الى الفرنج ثم توفى سلطان وولى بعده أولاده فبلغ نور الدين عنهم مراسلة الفرنج فاشتد حنقه عليهم وانتظر فرصة تمكنه فلما خربت القلعة هذه السنة بما ذكرناه من الزلزلة لم ينج من بنى منقذ الذين بها احد وسبب هلاكهم اجمعين أن صاحبها منهم كان قد ختن ولدا له وعمل دعوة للناس واحضر جميع بنى منقذ عنده فى داره وكان له فرس يحبه ولا يكاد يفارقه واذا كان فى مجلس اقيم الفرس على بابه وكان المهر فى ذلك اليوم على باب الدار فجاءت الزلزلة فقام الناس ليخرجوا من الدار فرمح الفرس رجلا كان أولهم فقتله وامتنع الناس من الخروج فسقطت الدار عليهم كلهم وخربت القلعة وسقط سورها وكل بناء فيها ولم ينج منها الا الشريد فبادر اليها بعض أمرائه وكان بالقرب منها فصعد اليها وتسلمها نور الدين منه فملكها وعمر أسوارها ودورها واعادها جديدة

(ذكر وفاة الدبيسى صاحب جزيرة ابن عمر واستيلاء قطب الدين مودود على الجزيرة)

كانت الجزيرة لاتابك زنكى فلما قتل سنة احدى واربعين أقطعها ابنه سيف الدين غازى للامير أبى بكر الدبيسى وكان من أكابر أمراء والده فبقيت بيده الى الآن وتمكن منها وصار بحيث يتعذر على قطب الدين أخذها منه فمات فى ذى الحجة سنة اثنتين وخمسين ولم يخلف ولدا فاستولى عليها مملوك له اسمه غلبك وأطاعه جندها فحصرهم مودود ثلاثة أشهر ثم تسلمها من غلبك فى صفر من سنة ثلاث وخمسين وأعطاه عوضها اقطاعا كثيرة

(ذكر وفاة السلطان سنجر)

فى هذه السنة فى ربيع الاول توفى السلطان سنجر بن ملكشاه ابن الب ارسلان أبو الحرث اصابه قولنج ثم بعده اسهال فمات منه ومولده بسنجار من ديار الجزيرة فى رجب سنة تسع وسبعين وأربعمائة وسكن خراسان واستوطن مدينة مرو ودخل بغداد مع أخيه السلطان محمد واجتمع معه بالخليفة المستظهر بالله فعهد الى محمد بالسلطنة وجعل سنجر ولى عهده فلما مات محمد خوطب سنجر بالسلطان واستقام أمره وأطاعه

كان يلبسها فى حياته بكثير وعمموها بشاش أخضر وعصبوها بشال كشميرى احمر ووقف شخص عند باب مقصورته وبيده مقرعة يدعو الناس لزيارته ويأخذ منهم دراهم ثم ان زوجته وابنها ومن يلوذ بهم ابتدعوا له مولدا وعيدا فى أيام مولد العفيفى وكتبوا بذلك فرمانا من الباشا ونادى به تابع الشرطة باسواق المدينة على الناس بالاجتماع والحضور لذلك المولد وكتبوا اوراقا ورسائل للاعيان واصحاب المظاهر وغيرهم بالحضور وذبحوا ذبائح واحضروا طباخين وفراشين ومدوا اسمطة بها انواع الاطعمة والحلاوات والخمرات والخشافات لمن حضر من الفقهاء والمشايخ والاعيان وارباب الاشاير والبدع ونصبوا قبالة تلك القبة صوارى علقوا بها قناديل وبيارق وشراريب حمرا وصفرا يلوحها الريح واجتمع حول ذلك من غوغاء الناس وعملوا قهاوى وبياعين الحلوا والخلالات والترمس المملح والفول المقلى ودهسوا ما بتلك البقعة من قبور الاموات وأوقدوا بها النيران وصبوا عليها القاذورات مع ما يلحقهم من البول والغائط وأماضحة الاوباش والاولاد وصراخهم وفرقعتهم بالبارود وصياحهم وضجيجهم فقد شاهدنا به ما كنا نسمعه من عفاريت الترب وضرب المثل بهم فهم أقبح منهم فان العفاريت الحقيقية لم نر لهم أفعالا مثل هذه ولما مات

السلاطين وخطب له على أكثر منابر الاسلام بالسلطنة نحوا من أربعين سنة وكان قبلها يخاطب بالملك عشرين سنة ولم يزل أمره عاليا وجده متراقيا الى ان أسره الغز على ما ذكرناه ثم انه خلص بعد مدة وجمع اليه أطرافه وكاد يعود اليه ملكه فأدركه أجله وكان مهيبا كريما رفيقا بالرعية وكانت البلاد في زمانه آمنة ولما مات دفن في قبة بناها لنفسه سماها دار الآخرة ولما وصل خبر موته الى بغداد قطعت خطبته ولم يجلس له في الديوان للعزاء ولما حضر السلطان سنجر الموت استخلف على خراسان الملك محمود ابن محمد بن بغراخان وهو ابن أخت السلطان سنجر فأقام بها خائفا من الغز فقصد جرجان يستظهر بها وعاد الغز الى مرو وخراسان واجتمع طائفة من عساكر خراسان على أي ابه المؤيد فاستولى على طرف من خراسان وبقيت خراسان على هذا الاختلال الى سنة أربع وخمسين وراسل الغز الملك محمودا على ما نذكره سنة ثلاث وخمسين وسألوه ان يحضر عندهم ليملكوه عليهم فلم يثق اليهم وخافهم على نفسه فأرسل ابنه اليهم فأطاعوه مدة ثم لحق بهم الملك محمود على ما نذكره سنة ثلاث وخمسين

(ذكر ملك المسلمين مدينة المرية وانقراض دولة الملثمين بالاندلس)

في هذه السنة انقرضت دولة الملثمين بالاندلس وملك أصحاب عبد المؤمن مدينة المرية من الفرنج وسبب ذلك ان عبد المؤمن لما استعمل ابنه أبا سعيد على الجزيرة الخضراء ومالقة عبر أبو سعيد البحر الى مالقة واتخذها دارا وكاتبه ميمون بن بدر اللمتوني صاحب غرناطة ان يوحد ويسلم اليه غرناطة فقبل أبو سعيد ذلك منه وتسلم غرناطة فسار ميمون الى مالقة بأهله وولده فتلقاه أبو سعيد وأكرمه ووجهه الى مراكش فأقبل عليه عبد المؤمن وانقرضت دولة الملثمين ولم يبق لهم الا جزيرة ميورقة مع حمو بن غانية فلما ملك أبو سعيد غرناطة جمع الجيوش وسار الى مدينة المرية وهي بأيدي الفرنج أخذوها من المسلمين سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة فلما نازلها وافاه الاسطول من سبتة وفيه خلق كثير من المسلمين فحصروا المرية برا وبحرا وجاء الفرنج الى حصنها فحصرهم فيها ونزل عسكره على الجبل المشرف عليها وبنى أبو سعيد سورا على الجبل المذكور الى البحر وعمل عليه خندقا فصارت المدينة والحصن الذي فيه الفرنج محصورا بهذا السور والخندق ولا يمكن من ينجدهما من أن يصل اليهما فجمع الادفونش ملك الفرنج بالاندلس المعروف بالسليطين في اثني عشر ألف فارس من الفرنج ومعه محمد بن سعد ابن مردنيش في ستة آلاف فارس من المسلمين وراموا الوصول الى المدينة ودفع المسلمين عنها فلم يطيقوا ذلك فرجع السليطين وابن مردنيش خائبين فمات السليطين في عوده قبل ان يصل الى طليطلة وتمادى الحصار على المرية ثلاثة أشهر فضاقت الميرة وقلت الاقوات على الفرنج فطلبوا الامان ليسلموا الحصن فأجابهم أبو سعيد اليه وأمنهم وتسلم الحصن ورحل الفرنج في البحر عائدين الى بلادهم فكان ملكهم المرية مدة عشر سنين

(ذكر

الشيخ المترجم ومضى على موته ثلاثة ايام ، ، اجتمع المشايخ في يوم الاحد خامسه وطلعوا الى القلعة ودخلوا الى الباشا وذكروا له موت المترجم ويستأذنونه فيمن يجعلونه شيخا على الازهر فقال لهم الباشا اعملوا رأيكم واختاروا شخصا يكون خاليا عن الاغراض وأنا أقلده ذلك فقاموا من مجلسه ونزلوا الى بيوتهم واختلفت آراؤهم فالبعض اختار الشيخ المهدي والبعض ذكر الشيخ محمدا الشنواني وأما الشيخ محمد الامير فانه امتنع من ذلك وكذلك ابن الشيخ العروسي والشيخ الشنواني المذكور منعزل عنهم وليس له درس بالازهر ويقرأ دروسه بجامع الفاكهاني الذي في العقادين وبيده وظائف خدم الجامع وعند فراغه من الدروس يغير ثيابه ويكنس المسجد ويغسل القناديل ويعمرها بالزيت والفتائل حتى يكنس المراحيض فلما بلغه انهم ذكروه تغيب ثم ان الباشا أمر القاضي وهو بهجة أفندي بان يجمع المشايخ عنده ويتفقوا على شخص يجتمع رأيهم عليه بالشرط المذكور فارسل اليهم القاضي وجمعهم وذلك في يوم الثلاثاء سابعه وحضر فقهاء الشافعية مثل القويسني والفضالي وكثير من المجاورين والشوام والمغاربة فقال القاضي هل بقي أحد فقالوا لم يكن احد غائبا من الحضور الا ابن العروسي والهيتمي والشنواني فارسلوا

(ذكر غزو صاحب طبرستان الاسماعيلية)

فى هذه السنة جمع شاه مازندران رستم بن على بن شهريار عسكره وسار ولم يعلم احدا جهة مقصده وسلك المضايق وجد السير الى بلد ألموت وهى للاسماعيلية فاغار عليها واحرق القرى والسواد وقتل فاكثر وغنم أموالهم وسبى نساءهم واسترق ابناءهم وباعهم فى السوق وعاد سالما غانما وانخذل الاسماعيلية ودخل عليهم من الوهن مالم يصابوا بمثله وخرب من بلادهم مالا يعمر فى السنين الكثيرة

(ذكر اخذ حجاج خراسان)

فى هذه السنة فى ربيع الاول سار حجاج خراسان فلما رحلوا عن بسطام اغار عليهم جمع من الجند الخراسانية قد قصدوا طبرستان فاخذوا من امتعتهم وقتلوا نفرا منهم وسلم الباقون وساروا من موضعهم فبينما هم سائرون اذ طلع عليهم الاسماعيلية فقاتلهم الحجاج قتالا عظيما وصبروا صبرا عظيما فقتل اميرهم فانخزلوا والقوا بايديهم واستسلموا وطلبوا الامان والقوا اسلحتهم مستأمنين فاخذهم الاسماعيلية وقتلوهم ولم يبق وا منهم الاشرذمة يسيرة وقتل فيهم من الأئمة العلماء والزهاد والصلحاء جمع كثير وكانت مصيبة عظيمة عمت بلاد الاسلام وخصت خراسان ولم يبق بلد الا وفيه المأتم فلما كان الغد طاف شيخ فى القتلى والجرحى ينادى يامسلمون ياحجاج ذهب الملاحدة وانا رجل مسلم فمن اراد الماء سقيته فمن كلمه قتله واجهز عليه فهلكوا اجمعون الامن سلم وولى هاربا وقليل ماهم

(ذكر الحرب بين المؤيد والامير ايثاق)

وقد ذكرنا تقدم الامير أى ابه مملوك السلطان سنجر وتقدمه على عساكر خراسان فحسده جماعة من الامراء منهم الامير ايثاق وهو من الامراء السنجرية وانحرف عنه وكان تارة يقصد خوارزمشاه وتارة مازندران وتارة يظهر الموافقة للمؤيد ويبطن المخالفة فلما كان الآن فارق مازندران ومعه عشرة آلاف فارس قد اجتمع معه كل من يريد الغارة على البلاد وكل منحرف عن المؤيد وقصد خراسان واقام بنواحى نسا وابيورد لا يظهر المخالفة للمؤيد بل يراسله بالموافقة والمعاضدة له ويبطن ضدها وانتقل المؤيد من المكاتبة الى المكاشفة وسار اليه جريدة فاغار عليه واوقع به فتفرق عنه جموعه ونجا بحشاشة نفسه وغنم المؤيد وعسكره كل مال ايثاق ومضى منهزما الى مازندران وكان ملكها رستم بينه وبين اخ له اسمه على تنازع على الملك وقد قوى رستم فلما وصل ايثاق الى مازندران قتل عليا وحمل راسه الى اخيه رستم فعظم ذلك على رستم واشتد واستشاط غضبا وقال اكل لحمى ولا اطعمه غيرى ولم يزل ايثاق يتردد فى خراسان بالنهب والغارة لاسيما مدينة اسفراين فانه اكثر من قصدها حتى خربت فراسله السلطان محمود بن محمد والمؤيد عوانه الى الموافقة فامتنع فسارا اليه فى العساكر فلما قارباه اتاهما كثير من عسكره فمضى من بين ايديهما الى طبرستان فى صفر سنة ثلاث وخمسين فتبعاه فى

اليوم يحضر العروسى والهيتمى فقال وأين الشنوانى فلابد من حضوره فارسلوا ١٠١ رسولا فغاب ورجع وبيده ورقة ويقول الرسول انه له ثلاثة أيام غائبا عن داره وترك هذه الورقة عند اهله وقال ان طلبونى اعطوهم هذه الورقة فاخذها القاضى وقراها جهارا يقول فيها بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم لحضرة شيخ الاسلام اننا نزلنا عن المشيخة للشيخ بدوى الهيتمى الى آخر ماقال فعندما سمع الحاضرون ذلك القول قاموا قومة واكثرهم طائفة الشوام وقال بعضهم هو لم يثبت له مشيخة حتى انه ينزل عنها لغيره وقال كبارهم من المدرسين لا يكون شيخا الا من يدرس العلوم ويفيد الطلبة وزادوا فى اللغط فقال القاضى ومن الذى ترضونه فقالوا نرضى الشيخ المهدى وكذلك قال البقية وقاموا وصافحوه وقرؤا الفاتحة وكتب القاضى اعلاما الى الباشا بما حصل وانفض الجمع وركب الشيخ المهدى الى بيته فى كبكبة وحوله وخلفه المشايخ وطوائف المجاورين وشربوا الشربات واقبلت عليه الناس للتهنئة وانتظر جواب الاعلام بقية ذلك اليوم فلم يات الجواب ومضى اليوم الثانى والمدبرون يدبرون شغلهم واحضروا الشيخ الشنوانى من المكان الذى كان متغيبا فيه بمصر القديمة وغيره واشغلهم واحضر والسيد منصور اليافاوى المنفصل عن مشيخة

عسا كرهما فارسل شاه مازندران يطلب الصلح فاجاباه واصطلحوا وحمل شاه مازندران اموالا جليلة وهدايا نفيسة وسير ايناق ابنه رهينة فعاد عنه

(ذكر الحرب بين المؤيد وسنقر العزيزي)

كان سنقر العزيزي من امراء السلطان سنجر وممن يساوى ايضا المؤيد اى ابه فلما اشتغل المؤيد بحرب ايناق سار سنقر من عسكر السلطان محمود بن محمد الى هراة ودخلها وبها جماعة من الاتراك وتحصن بها فاشير عليه بان يعتضد بالملك الحسين ملك الغور به فلم يفعل واستبد بنفسه منفردا لانه راى اختلاف الامراء على السلطان محمود بن محمد فطمع وحدث نفسه بالقوة فقصده المؤيد الى هراة فلما وصل اليها قاتل من بها شيئا من قتال ثم ان الاتراك مالوا الى المؤيد واطاعوه وانقطع خبر سنقر العزيزي من ذلك الوقت ولم يعلم ما كان منه فقيل انه سقط عن فرسه فمات وقيل بل اغتاله الاتراك فقتلوه وتقدم السلطان محمود الى ولاية هراة فى عساكره وجنوده والتحق جماعة من عسكر سنقر بالامير ايناق واغاروا على طوس وقراها فبطلت الزروع والحرث واستولى الخراب على البلاد وعمت الفتن أطراف خراسان واصابهم العين فانهم كانوا ايام السلطان سنجر فى ارغد عيش وآمنه وهذا دأب الدنيا لا يصفو نعيمها وخيرها من كدر وشوائب وآفات وقلما يخلص شرها من خير فنسأل الله ان يحسن لنا العون والعقبى بمحمد وآله

(ذكر ملك نور الدين بعلبك)

فى هذه السنة ملك نور الدين محمود بعلبك وقلعتها وكانت بيد انسان يقال له ضحاك البقاعى منسوب الى بقاع بعلبك وكان قد ولاه اياها صاحب دمشق فلما ملك نور الدين دمشق امتنع ضحاك بها فلم يمكن نور الدين محاصرته لقربه من الفرنج فتلطف الحال معه الى الآن فملكها واستولى عليها

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة قلع الخليفة المقتفى لامر الله باب الكعبة وعمل عوضه بابا مصفحا بالنقرة المذهبة وعمل لنفسه من الباب الاول تابوتا يدفن فيه اذا مات وفيها توفى محمد بن عبد اللطيف بن محمد بن ثابت أبو بكر الخجندى رئيس أصحاب الشافعى باصفهان وسمع الحديث بها من ابى على الحداد وكان صدرا مقدما عند السلاطين وكان ذا حشمة عظيمة وجاه عريض ووقعت لموته فتنة عظيمة باصفهان وقتل فيها خلق كثير وفيها كان بخراسان غلاء شديد اكلت فيه سائر الدواب حتى الناس وكان بنيسابور طباخ فذبح انسانا علويا وطبخه وباعه فى الطبيخ ثم ظهر عليه وانه فعل ذلك فقتل وأسفر الغلاء وصلحت أحوال الناس وفيها توفى القاضى أبو العباس احمد بن بختيار بن على المايداى الواسطى قاضيها وكان فقيها عالما وفيها فى ربيع الآخر توفى القاضى برهان الدين ابو القاسم منصور بن ابى سعد محمد بن ابى نصر احمد الصاعدى قاضى نيسابور وكان من ائمة

الفقهاء

الشوام ليلا ليعيدوه الى مشيخة الشوام ويمنعوا الشيخ قاسما المتولى فعالوا وطائفته الذين تطاولوا فى مجلس القاضى بالكلام وجمعوا بقية المشايخ آخر الليل وركبوا فى الصباح الى القلعة فقابلوا الباشا فخلع على الشيخ محمد الشنوانى فروة سمور وجعله شيخا على الازهر وكذلك على السيد منصور اليافاوى ليكون شيخا على رواق الشوام كما كان فى السابق ثم نزلوا وركبوا وصحبتهم اغاات الينكجرية بهيئة الموكب وعلى راسه الجوزة الكبيرة وامامه الملازمون بالبراقع والريش على رؤسهم وما زالوا سائرين حتى دخلوا حارة خوشقدم فنزلوا بدار ابن الزابجى لان دار ذات الشيخ الشنوانى صغيرة وضيقة لا تسع ذلك الجمع والذى أنزله فى ذلك المنزل السيد محمد المحروقى وقام له بجميع الاحتياجات وارسل من الليل الطباخين والفراشين والاغنام والارز والحطب والسمن والعسل والسكر والقهوة وأوقف عبيده وخدمه لخدمة القادمين للسلام والتهنئة ومناولة القهوة والشربات والبخور وماء الورد وازدحمت الناس عليه وأتوا افواجا اليه وكان ذلك يوم الثلاثاء رابع عشره ووصل الخبر الى الشيخ المهدى ومن معه وحصل لهم كسوف وبطلت مشيخته ولما كان يوم الجمعة حضر الشيخ الجديد الى الازهر وصلى الجمعة وحضر باقى المشايخ وعملوا الختم للشيخ الشرقاوى وحصل ازدحام

الفقهاء الحنفية

(ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة)

(ذكر الحرب بين سنقر وارغش)

في هذه السنة كانت حرب شديدة بين سنقر الهمذاني وارغش المسترشدي وسببها ان سنقر الهمذاني كان قد نهب سواد بغداد بطريق خراسان وكثر جمعه فخرج الخليفة المقتفي لامر الله في جمادى الاولى بنفسه يطلبه فلما وصل الى بلد اللحف قال له الامير خطلو برس انا اكفيك هذا المهم وكان بينه وبين سنقر مودة فركب اليه وتلاقيا وجرى بينهما عتاب طويل لاجل خروجه عن طاعة الخليفة فاجاب سنقر الى الطاعة وعاد خطلو برس واصلح حاله فاقطعه بلد اللحف والامير ارغش المسترشدي فلما توجها الى اللحف جرى بينهما منازعة فاراد سنقر قبض ارغش فرآه محترزا فصار با واقتتلا قتالا شديدا وغدر بارغش اصحابه فعاد منهزما الى بغداد وانفرد سنقر ببلد اللحف وخطب فيه للملك محمد فسير من بغداد عسكر القتاله مقدمهم خطلو برس فجرت بينهما حرب شديدة انهزم في آخرها سنقر وقتلت رجاله ونهبت امواله التي في العسكر وسار هو الى قلعة الماهكي واخذ ما كان له فيها واستخلف فيها بعض غلمانه وسار هو الى همذان فلم يلتفت اليه الملك محمد شاه فعاد الى قلعة الماهكي

(ذكر الحرب بين شملة وقايماز السلطاني)

في هذه السنة ايضا كان قتال بين شملة صاحب خوزستان ومعه ابن مكلبة وبين قايماز السلطاني في ناحية بادرايا فجمعا عسكرهما وسارا اليه فاتاه الخبر بذلك وهو يشرب فلم يحفل بذلك وركب اليهم في نحو ثلثمائة فارس وكان معجبا بنفسه فحمل عليهم واختلط بهم فاحدقوا به وقاتل اشد قتال فانهزم اصحابه واخذوه اسيرا فتسلمه انسان تركماني كان له عليه دم لانه قتل ابنا للتركماني فقتله بابنه وارسل برأسه الى محمد شاه وارسل الخليفة عسكرا يقاتل شملة ومن معه فانزاحوا من بين أيديهم ولحقوا بالملك ملكشاه بخوزستان فهلك كثير منهم بالبرد

(ذكر معاودة الغز الفتنة بخراسان)

كان الاتراك الغزية قد اقاموا ببلخ واستوطنوها وتركوا النهب والقتل ببلاد خراسان واتفقت الكلمة بها على طاعة السلطان خاقان محمود بن محمد أرسلان وكان المتولي لامور دولته المؤيد اى أبه وعن رأيه يصدر محمود فلما كان هذه السنة في شعبان سار الغز من بلخ الى مرو وكان السلطان محمود بسرخس في العساكر فسار المؤيد في طائفة من العسكر اليهم فاوقع بطائفة منهم وظفر بهم ولم يزل يتبعهم الى أن دخلوا الى مرو أوائل رمضان وغنم من أموالهم وقتل كثيرا وعاد الى سرخس فاتفق هو والسلطان محمود على قصد الغز وقتالهم فجمعا العساكر وحشدا وسارا الى الغز فالتقوا سادس شوال من هذه السنة وجرت بينهم حرب طال مداها فبقوا يقتتلون من يوم الاثنين

عظيم وخصوصا للتفرج على الشيخ الجديد وكأنه لم يكن طول دهره بينهم ولا يلتفتون اليه وبعد فراغ الختم أنشد المنشد قصيدة يرثي بها المتوفى من نظم الشيخ عبد الله العدوي المعروف بالقاضي وانفض الجمع * ومات الاستاذ المكرم بقية السلف الصالحين ونتيجة الخلف المعتقد الشيخ محمد المكني أبا السعود ابن الشيخ محمد جلال ابن الشيخ محمد افندي المكنى بابي المكارم ابن السيد عبد المنعم ابن السيد محمد المكنى بابي السرور صاحب الترجمة ابن السيد القطب الملقب بابي السرور البكري الصديقي العمري من جهة الام تولى خلافة سجادتهم في سنة سبع عشرة ومائتين والف عندما عزل ابن عمه السيد خليل البكري ولم تكن الخلافة في فرعهم بل كانت في اولاد الشيخ أحمد بن عبد المنعم وآخرهم السيد خليل المذكور فلما حضرت العثمانية الى مصر واستقر في ولايتها محمد باشا خسرو سعى في السيد خليل الكارهون له وأنهوا اليه فيه ورموه بالقبائح ومنها تداخله في الفرنسيس وامتزاجه بهم وعزلوه من نقابة الاشراف ووردت للسيد عمر مكرم ولم يكتفوا بذلك وذكروا انه لا يصلح لخلافة البكرية فقال الباشا وهل موجود في اولادهم خلافه قالوا نعم وذكروا المترجم فعين ذكره وانه قد طعن في السن وفقير من المال فقال الباشا الفقر لا ينفي النسب وأمر له

سابع شوال الى نصف الليل من ليلة الاربعاء الحادى عشر من الشهر تواقعوا عدة وقعات متتابعة ولم يكن بينهما راحة ولا نزول الا لما لا بد منه انهزم الغز فيها ثلاث دفعات وعادوا الى الحرب فلما اسفر الصبح يوم الاربعاء انكشفت الحرب عن هزيمة عساكر خراسان وتفرقهم فى البلاد وظفر الغز بهم وقتلوا فاكثروا فيهم واما الجرحى والاسرى فاكثر من ذلك وعاد المؤيد ومن سلم معه الى طوس فاستولى الغز على مرو واحسنوا السيرة واكرموا العلماء والائمة مثل تاج الدين أبى سعيد السمعانى وشيخ الاسلام على البلخى وغيرهما واغاروا على سرخس وخربت القرى وخلى أهلها وقتل من أهل سرخس نحو عشرة آلاف قتيل ونهبوا طوس أيضا وقتلوا أهلها الا القليل وعادوا الى مرو وأما السلطان محمود بن محمد الخان والعساكر التى معه فلم يقدروا على المقام بخراسان من الغز فساروا الى جرجان ينتظرون ما يكون من الغز فلما دخلت سنة اربع وخمسين وخمسمائة أرسل الغز الى السلطان يسالونه أن يحضر عندهم ليملكوه أمرهم فلم يثق بهم وخافهم على نفسه فارسلوا يطلبون منه ابنه جلال الدين محمد ليملكوه أمرهم ويصدروا عن أمره ونهيه فى قليل الامور وكثيرها وترددت الرسل واحتاط السلطان محمود لولده بالعهد والمواثيق وتقرير القواعد ثم سيره من جرجان الى خراسان فلما سمع الامراء الغزية بقدومه ساروا من مرو الى طريقه فالتقوه بنيسابور واكرموه وعظموه ودخل نيسابور واتصلت به العساكر الغزية واجتمعوا عنده فى الثالث والعشرين من ربيع الآخر سنة اربع وخمسين وخمسمائة ثم ان السلطان محمودا سار من جرجان الى خراسان فى الجيوش التى معه من الامراء السنجرية وتخلف عنه المؤيد اى ابه فوصل الى حدود نسا وابيورد واقطع نسا لامير اسمه عمر بن حمزة النسوى فقام فى حفظها المقام المرضى ومنع عنها ايدى المفسدين واقام السلطان محمود بظاهر نسا حتى انسلخ جمادى الآخرة من السنة ولما كان الغز بنيسابور هذه السنة أرسلوا الى طوس يدعونهم الى الطاعة والموافقة فامتنع أهل راذ كان من اجابتهم الى ذلك واغتروا بسور بلدهم وبما عندهم من الشجاعة والقوة والعدة الوافرة والذخائر الكثيرة فقصدها طائفة من الغز وحصروهم وملكوا البلد وقتلوا فيه ونهبوا واكثروا ثم عادوا الى نيسابور وساروا مع جلال الدين محمد ابن السلطان محمود الخان الى بيهق وحصروا سابزوار سابع عشر جمادى الآخرة سنة اربع وخمسين وخمسمائة فامتنع اهلها عليهم وقام بامرهم النقيب عماد الدين على بن محمد بن يحيى العلوى الحسينى نقيب العلويين واجتمعوا معه ورجعوا الى أمره ونهيه ووقفوا عند اشارته فامتنعوا على الغز وحفظوا البلد منهم وصبروا على القتال فلما رأى الغز امتناعهم عليهم وقوتهم ارسلوا اليهم يطلبون الصلح فاصطلحوا ولم يقتل من اهل سابزوار فى تلك الحروب غير رجل واحد ورحل الملك جلال الدين والغز عن سابزوار فى السابع والعشرين من جمادى الآخرة سنة اربع وخمسين وخمسمائة وساروا الى نسا وابيورد

ذكر

بفرس وسرج وعباءة كعادة مركوبهم فاحضروه والبسوه التاج والفرجية وخلع عليه الباشا فروة سمور وانعم عليه بخمسة أكياس وأن يأخذه قائظا فى بعض الاقطاعات ويعفى من الحلوان وسكن بدار جهة باب الخرق وراج أمره واشتهر ذكره من حينئذ وسار سيرا حسنا مقرونا بالكمال جاريا على نسق نظامهم بحسب الحال ويقتدى كم لديه خلفاء الطرائق الصورية وأصحاب الاشاير البدعية كالاحمدية والرفاعية والبرهامية والقادرية فيفصل قوانينهم العادية وينتقل فى أوائل شهر ربيع الاول الى داره بالازبكية بدرب عبد الحق فيعمل هنالك ولمية المولد النبوى على العادة وكذلك مولد المعراج فى شهر رجب بزاوية الدشطوطى خارج باب العدوى ولم يزل على حالته وطريقته مع انكسار النفس الى ان ضعفت قواه وتعلل ولازم الفراش فعند ذلك طلب الشيخ الشنوانى وباقى المشايخ وعرفهم ان مرضه الذى هو به مرض الموت لانه بلغ التسعين وزيادة وانه عهد بالخلافة على سجادتهم لولده السيد محمد لانه بالغ رشيد والتمس منهم بان يركبوا معه من الغد ويطلعوا الى القلعة ويقابلوا به الباشا فاجابوه الى ذلك وركبوا من الغد صحبته الى القلعة فخلع عليه الباشا فروة سمور ونزل الى داره بالازبكية بدرب عبد الحق وتوفى المترجم فى اواخر شهر شوال من السنة

وحضر واجنازته الى الازهر فصلوا عليه وذهبوا به الى القرافة ودفن بمشهد اسلافهم رحمه الله تعالى ومات الاجل

المكرم المهذب فى نفسه النادرة فى ابناء جنسه محمد افندى الودنلى الذى عرف بناظر المهمات و يعرف ايضا بطبل اى الاعرج لانه كان به عرج قدم الى مصر فى ايام قدوم الوزير يوسف باشا وولاه محمد باشا خسرو كشوفية اسيوط ثم رجع الى مصر فى ولاية محمد على باشا فجعله ناظرا على مهمات الدولة وسكن ببيت سليمان افندى ميسو بعطفة ابى كلبة بناحية الدرب الاحمر فتقيد بعمل الخيام والسروج والبيرقات ولوازم الحروب فضاقت عليه الدار فاشترى بيت ابن الدالى باللبودية بالقرب من قنطرة عمر شاه وهى دار واسعة عظيمة متخربة هى وما حولها من الدور والرباع والحوانيت فعمرها وسكن بها ورتب بها ورشات ارباب الاشغال والصنائع والمهمات المتعلقة بالدولة كسبك المدافع والجلل والقنابر والمكاحل والعربات وغير ذلك من الخيام والسروج ومصاريف طوائف العساكر الطبجية والعربجية والرماة وعمر ما حول تلك الدار من الرباع والحوانيت والمسجد الذى بجواره ومكتبا لاقراء الاطفال ورتب تدريسا فى المسجد المذكور بعد العصر وقرر فيه السيد احمد الطحطاوى الحنفى ومعه عشرة

(ذكر اسر المؤيد وخلاصه)

قد ذكرنا ان المؤيد اى ابه تخلف عن السلطان ركن الدين محمود بن محمد بجرجان فلما كان الآن سار من جرجان الى خراسان فنزل بقرية من قرى خبوشان اسمها زانك وبها حصن فسمع الغز بوصوله الى زانك فساروا اليه وحصروه فيه فخرج منه هاربا فرآه واحد من الغز فاخذه فوعده بمال جزيل ان اطلقه فقال الغزى واين المال فقال هو مودع فى بعض هذه الجبال فسار هو والغزى فوصلا الى جدار قرية فيها دباقين وعيون فقال للفارس المال ههنا وصعد الجدار ونزل من ظهره ومضى هاربا فرأى الغز قد ملؤا الارض فدخل قرية فعرفه طحان فيها فاعلم زعيم القرية به وطلب منه مركبا فاتاه بما اراد واعانه على الوصول الى نيسابور فوصل اليها واجتمعت العساكر وقوى امره وعاد الى حاله واحسن الى الطحان وبالغ فى الاحسان اليه

(ذكر اجتماع السلطان محمود مع الغز وعودهم الى نيسابور)

لما عاد الغز ومعهم الملك محمد بن محمود الخان الى نسا وأبيورد كما ذكرناه خرج والده السلطان محمود الخان وكان هناك فيمن معه من العساكر الخراسانية فاجتمع بهم واتفقت الكلمة على طاعته واراد عمارة البلاد وحفظها فلم يقدر على ذلك فلما اجتمعوا ساروا الى نيسابور وبها المؤيد اى ابه فى شعبان فلما سمع بقربهم منه رحل عنها الى خواف فى سادس عشره ووصلوا اليها فى الحادى والعشرين منه ونزلوا فيه وخافهم الناس خوفا عظيما فلم يفعلوا بهم شيئا وساروا عنها فى السادس والعشرين منه الى سرخس ومرو وكان بها الفقيه المؤيد بن الحسين الموفقى رئيس الشافعية وله بيت قديم وهو من اجناد الامام ابى سهل الصعلوكى وله مصاهرة الى بيت ابى المعالى الجوينى وهو المقدم فى البلد والمشار اليه وله من الاتباع ما لا يحصى فاتفق ان بعض اصحابه قتل انسانا من الشافعية اسمه ابو الفتوح الفستقانى خطأ وهذا ابو الفتوح له تعلق بنقيب العلويين بنيسابور وهو ذخر الدين ابو القاسم زيد بن الحسن الحسينى وكان هذا النقيب هو الحاكم هذه المدة بنيسابور فغضب من ذلك وارسل الى الفقيه المؤيد يطلب منه القاتل ليقتص منه ويتهدده ان لم يفعل فامتنع المؤيد من تسليمه وقال لا مدخل لك مع اصحابنا انما حكمك على الطائفة العلويين فجمع النقيب اصحابه ومن يتبعه وقصد الشافعية فاجتمعوا له وقاتلوه فقتل منهم جماعة ثم ان النقيب احرق سوق العطارين واحرقوا سكة معاذ ايضا وسكة باغ طاهر ودار امام الحرمين ابى المعالى الجوينى وكان الفقيه المؤيد الشافعى بها الاصهر الذى بينهم وعظمت المصيبة على كافة الناس وجمع بعد ذلك المؤيد الفقيه جموعا من طوس واسفراين وجوين وغيرهم وقتلوا واحدا من اتباع النقيب زيد يعرف بابن الحاجى الاشنانى فاهم العلوية ومن معهم فاقتتلوا ثامن عشر شوال من سنة اربع وخمسين وقامت الحرب على ساق واحرقت المدارس والاسواق والمساجد وكثر القتل فى الشافعية فالتجأ المؤيد الشافعى فى شرذمة

الى قلاعه فرخك وقصر باع الشافعيه من القتال ثم انتقل المؤيد الى قرية من قرى طوس و بطلت دروس الشافعية بنيسابور وخرب البلد وكثر القتل فيه

(ذكر حصر صاحب ختلان ترمذ وعوده وموته)

فى هذه السنة فى رجب سار الملك ابو شجاع فرخشاه وهو يزعم انه من اولاد بهرام جور وقد تقدم ذكره ايام كسرى ابرويز الى ترمذ وحصرها وكان سبب ذلك انه كان فى طاعة السلطان سنجر فلما خرج عليه الغز طلبه ليحضر معه حربه لهم فجمع عسكره واظهر انه واصل فمن عنده من العساكر اليه واقام ينتظر ما يكون منه فان ظفر حضر وقال له سبقتنى بالحرب وان كان الظفر للغز قال لهم انما تاخرت محبة وارادة ان تملكوا فلما انهزم سنجر وكان ما ذكرناه بقى الى الآن فسار الى ترمذ ليحصرها فجمع صاحبها فيروزشاه احمد بن ابى بكر بن قماج عسكره ولقيه ليمنعه فاقتتلوا فانهزم فيروزشاه ومضى منهزما لا يلوى على شئ فاصابه فى الطريق قولنج فمات منه

(ذكر عود المؤيد الى نيسابور وتخريب ما بقى منها)

فى هذه السنة عاد المؤيد اى ابه الى نيسابور فى عساكره ومعه الامام المؤيد الموفق الشافعى الذى تقدم ذكر الفتنة بينه وبين ذخر الدين نقيب العلويين وخروجه من نيسابور فلما خرج منها صار مع المؤيد وحضر معه حصار نيسابور وتحصن النقيب العلوى بشارستان واشتد الخطب وطال الحرب وسفكت الدماء وهتكت الاستار وخربوا ما بقى من نيسابور من الدور وغيرها وبالغ الشافعية ومن معهم فى الانتقام فخربوا المدرسة الصندلية لاصحاب ابى حنيفة وخربوا غيرها وحصروا فهذه وهذه الفتنة استاصلت نيسابور ثم رحل المؤيد اى ابه عنها الى بيهق فى شوال من سنة اربع وخمسين وخمسمائة كان ينبغى ان تكون هذه الحوادث الغزية الواقعة فى سنة اربع وخمسين مذكورة فى سنتها وانما قدمناها ههنا ليتلو بعضها بعضا فيكون احسن لسياقتها

(ذكر ملك ملكشاه خوزستان)

فى هذه السنة ملك ملكشاه ابن السلطان محمود بلد خوزستان واخذه من شملة التركمانى وسبب ذلك ان الملك محمد ابن السلطان محمود لما عاد من حصار بغداد كما ذكرناه مرض وبقى مريضا بهمذان ومضى أخوه ملكشاه الى قم وقاشان ونهبها والاها فنهبها جميعها وصادر أهلها وجمع أموالا كثيرة فراسله أخوه محمد شاه يامره بالكف عن ذلك ليجعله ولى عهده فى الملك فلم يفعل ومضى الى اصفهان فلما قاربها ارسل رسولا الى ابن الخجندى وأعيان البلد فى تسليم البلد اليه فامتنعوا من ذلك وقالوا الاخ لك فى رقابنا يمين ولا نغدر به فحينئذ شرع ملكشاه فى الفساد والمصادرة لاهل القرى فلما سمع محمد شاه الخبر سار عن همذان وعلى مقدمته كردبازوه الخادم فتفرقت جموع ملكشاه عند فرسيين فلحق به قويدان وكان قد فارق المقتفى لامر الله واتفق مع سنقر الهمذانى فلحقا كلاهما

من الطلبة ورتب لهم الف عثمانى تصرف لهم من الروزنامه وللاطفال وكسوتهم خلاف ذلك و يشترى فى عيد الاضحى جواميس وكباشا يذبح منها و يفرق على الفقراء والموظفين ويرسل الى أصحابه عدة كباش فى عيد الأضحية الى بيوتهم الكبش والكبشين على قدر مقاديرهم ويرسل فى كل ليلة من ليالى رمضان عدة قصاع مملوءة بالثريد واللحم الى الفقراء بالجامع الازهر واتفق ان الباشا قصد تعمير المجراة والسواقى التى تنقل الماء من النيل الى القلعة وكانت قد تهدمت وتخربت وتلاشت و بطل عملها مدة سنين فاحضروا المعمارجية فهولوا عليه أمرها وأخبروه انها تحتاج خمسمائة كيس تنفق فى عمارتها فعرض ذلك على المترجم فقال له انا اعمرها بمائة كيس قال كيف تقول قال بل بثمانين كيسا والتزم بذلك ثم شرع فى عمارتها حتى اتمها على ما هى عليه الآن واهدى اليه رجال دولتهم عدة أثوار معونة له فعمر أيضا سواقيها وأدارها و جرى فيها الماء الى القلعة ونواحيها وانتفع بها أهل تلك الجهات ورخص الماء وكثر فى تلك الاخطاط وكانوا قاسوا شدة من عدم الماء مدة سنين ومما عد من مناقبه ان القلقات المقيدين بالمراكز وأبواب المدينة كانوا يأخذون من الواردين والداخلين والخارجين والمسافرين من

به

به وحسنا له قصد بغداد فسار عن بلد خوزستان الى واسط ونزل بالجانب الشرقى وهم على غاية الضر من الجوع فنهبوا القرى نهبا فاحشا ففتح بثق بتلك الناحية فغرق منهم كثير ونجا ملكشاه ومن سلم معه وساروا الى خوزستان فمنعه شملة من العبور فراسله ليمكنه من العبور الى أخيه الملك محمد شاه فلم يجبه الى ذلك وكاتب حينئذ الاكراد الكر الذين هناك واستدعاهم اليه فوردوا به ونزل اليه من تلك الجبال خلق كثير فاطاعوه فرحل ونزل على كرخانا وطلب من شملة الحرب فلان له شملة القول وقال انا اخطب لك وأكون معك فلم يقبل منه فاضطر شملة الى الحرب فجمع عسكره وقصده فلقيه ملكشاه ومعه سنقر الهمذانى وقويدان وغيرهما من الامراء فاقتتلوا فانهزم شملة وقتل كثير من اصحابه وصعد الى قلعته دندرزين وملك ملكشاه البلاد وجبى الاموال الكثيرة واظهر العدل وتوجه الى ارض فارس

❁(ذكر الحرب بين التركمان والاسماعيلية بخراسان)❁

كان بنواحى قهستان طائفة من التركمان فنزل اليهم جمع من الاسماعيلية من قلاعهم وهم ألف وسبعمائة فاوقعوا بالتركمان فلم يجدوا الرجال وكانوا قد فارقوا بيوتهم فنهبوا الاموال واخذوا النساء والاطفال واحرقوا ما لم يقدروا على حمله وعاد التركمان فرأوا ما فعل بهم فتبعوا أثر الاسماعيلية فادركوهم وهم يقتسمون الغنيمة فكبروا وحملوا عليهم ووضعوا فيهم السيف فقتلوهم كيف شاؤا حتى أفنوهم قتلا وأسرا ولم ينج الا تسعة رجال لا غير

❁(ذكر عدة حوادث)❁

فى هذه السنة كثر فساد التركمان أصحاب ترجم الايوانى بالجبل فسير اليهم من بغداد عسكر مقدمهم منكبرس المسترشدى فلما قاربهم اجتمع التركمان فالتقوا واقتتلوا هم ومنكبرس فانهزم التركمان اقبح هزيمة وقتل بعضهم وأسر بعض وحملت الرؤس والاسارى الى بغداد وفيها حج الناس فلما وصلوا الى مدينة النبى صلى الله عليه وسلم وصل لهم الخبر ان العرب قد اجتمعت لتاخذهم فتركوا الطريق وسلكوا طريق خيبر فوجدوا مشقة شديدة ونجوا من العرب وفيها توفى الشيخ نصر بن منصور بن الحسين العطار أبو القاسم الحرانى ومولده بحران سنة اربع وثمانين واربعمائة واقام ببغداد وكثر ماله وصدقاته ايضا وكان يقرأ القرآن وهو والد ظهير الدين الذى حكم فى دولة المستضىء بامر الله على ما نذكره ان شاء الله وفيها توفى أبو الوقت عبد الاول ابن عيسى بن شعيب السجزى ببغداد وهو سجزى الاصل هروى المنشا وكان قدم الى بغداد سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة يريد الحج فسمع الناس بها عليه صحيح البخارى وكان عالى الاسناد فتاخر لذلك عن الحج فلما كان هذه السنة عزم على الحج فمات وفيها توفى يحيى بن سلامة بن الحسن بن محمد أبو الفضل الحصكفى الاديب بميافارقين وله شعر حسن ورسائل جيدة مشهورة وكان يتشيع ومولده بطنزة فمن شعره

وخليع بت اعذله ❁ ويرى عذلى من العبث

الفلاحين وغيرهم ومعهم أشياء أو أحمال ولو حطبا أو برسيما أو تبنا أو سرجينا دراهم على كل شئ ولو امرأة فقيرة معها او على راسها مقطف من وجميع البهائم تبيعه فى الشارع وتقتات بثمنه فيحجزونها ولا يدعونها تمر حتى تدفع لهم نصف فضة ثم ياخذون أيضا من ذلك الشئ ويأخذون على كل حمل حمار أو بغل أو جمل نصف فضة واذا اشترى شخص من ساحل بولاق أو مصر القديمة اردب غلة أو حملة حطب لعياله أخذ منه المتقيدون عند قنطرة الليمون فاذا خلص منهم استقبله الكائنون بالباب الحديد وهكذا سائر الطرق التى يدخل منها المارة الى المدينة ويخرجون مثل باب النصر وباب الفتوح وباب الشعرية وباب العدوى وطرق الازبكية وباب القرافة والبرقية وطرق مصر القديمة فسعى المترجم بابطال ذلك وتكلم مع الباشا وعرفه تضرر الناس وخصوصا الفقراء وهؤلاء المتقيدون لهم علائف يقبضونها من الباشا كغيرهم وهذا قدر زائد فرخص له فى ابطال هذا الامر وكتب له بيورلدى بمنع هؤلاء المركوزين من أخذ شئ من الناس جملة كافية وقيد بكل مركز شخصا من اتباعه لمراقبتهم وأشاع ذلك فى الناس فانكفوا وامتنعوا عن اخذ شئ من عامة الناس وكانوا يجمعون من ذلك مقادير من الفضة العددية يتقاسمونها آخر النهار وذلك خلاف ما ياخذونه من الاشياء المحمولة كالجبن

قلت ان الخمر مخبثة * قال حاشاها من الخبث
قلت فالارفاث تتبعها * قال طيب العيش فى الرفث
قلت منها القى فقال اجل * شرفت عن مخرج الحدث
وساسلوها فقلت متى * قال عند السكون فى الجدث

(ثم دخلت سنة اربع وخمسين وخمسمائة)

ذكر ملك عبد المؤمن مدينة المهدية من الفرنج وملكه جميع افريقية قد ذكرنا سنة ثلاث واربعين وخمسمائة ملك الفرنج مدينة المهدية من صاحبها الحسن بن علي بن تميم بن المعز ابن باديس الصنهاجي وذكرنا ايضا سنة احدى وخمسين ما فعله الفرنج بالمسلمين فى زويلة المجاورة للمهدية من القتل والنهب فلما قتلهم الفرنج ونهبوا اموالهم هرب منهم جماعة وقصدوا عبد المؤمن صاحب المغرب وهو بمراكش يستجيرونه فلما وصلوا اليه ودخلوا عليه اكرمهم واخبروه بما جرى على المسلمين وانه ليس فى ملوك الاسلام من يقصد سواه ولا يكشف هذا الكرب غيره فدمعت عيناه واطرق ثم رفع راسه وقال ابشروا لانصرنكم ولو بعد حين وامر بانزالهم واطلق لهم الفى دينار ثم امر بعمل الروايا والقرب وما يحتاج اليه العساكر فى السفر وكتب الى جميع نوابه فى الغرب وكان قد ملك الى قريب تونس يامرهم بحفظ جميع ما يتحصل من الغلات وان يترك فى سنبله ويخزن فى مواضعه وان يحفروا الآبار فى الطرق ففعلوا جميع ما امرهم به وجمعوا الغلات ثلاث سنين ونقلوها الى المنازل وطينوا عليها فصارت كانها تلال فلما كان فى صفر من هذه السنة سار عن مراكش وكان اكثر اسفاره فى صفر فسار يطلب افريقية واجتمع من العساكر مائة الف مقاتل ومن الاتباع والسوقة امثالهم وبلغ من حفظه لعساكره انهم كانوا يمشون بين الزروع فلا تتاذى بهم سنبلة واذا نزلوا صلوا جميعهم مع امام واحد بتكبيرة واحدة لا يتخلف منهم احد كائنا من كان وقدم بين يديه الحسن بن علي بن يحيى بن تميم بن المعز بن باديس الصنهاجي وكان صاحب المهدية وافريقية وقد ذكرنا سبب مصيره عند عبد المؤمن فلم يزل يسير الى ان وصل الى مدينة تونس فى الرابع والعشرين من جمادى الآخرة من السنة وبها صاحبها احمد بن خراسان واقبل اسطوله فى البحر فى سبعين شينيا وطريدة وشلندى فلما نازلها ارسل الى اهلها يدعوهم الى طاعته فامتنعوا فقاتلهم من الغد اشد قتال فلم يبق الا اخذها ودخول الاسطول اليها فجاءت ريح عاصف منعت الموحدين من دخول البلد فرجعوا ليباكروا القتال ويملكوه فلما جن الليل نزل سبعة عشر رجلا من اعيان اهله الى عبد المؤمن يسالونه الامان لاهل بلدهم فاجابهم الى الامان لهم فى انفسهم واهليهم واموالهم لمبادرتهم الى الطاعة واما من عداهم من اهل البلد فيؤمنهم فى انفسهم واهاليهم ويقاسمهم على اموالهم واملاكهم نصفين وان يخرج صاحب البلد واهله فاستقر ذلك وتسلم البلد وارسل اليه من يمنع العسكر من الدخول وارسل امناءه ليقاسموا الناس على اموالهم واقام عليها

والزند والخيار والقثاء وأنواع البطيخ والفاكهة والبرسيم والاحطاب والخضارات وغير ذلك * ومن مناقبه أيضا ان الجاويشية والقواسة الاتراك المختصين بخدمة الباشا والكتخدا كان من عوائدهم القبيحة انهم فى كل يوم جمعة يلبسون احسن ملابسهم وينتشرون بالمدينة ويطوفون على بيوت الاعيان وارباب المظاهر واصحاب المناصب وياخذون منهم البقاشيش ويسمونها الجمعية فاهو الآن يصطبح أحد من ذكر ويجلس بمجلسه الا واثنان او ثلاثة عابرون عليه من غير استئذان فيقفون قبالته وبايديهم العصى المفضضة فيعطيهم القرشين أو الثلاثة بحسب منصبه ومقامه فاذا ذهبوا وانصرفوا احضر اليه خلافهم وهكذا ولا يرون فى ذلك ثقلا ولا رذالة بل يرون ان ذلك من اللازمات الواجبة فلا يكفى أحد المقصودين الخمسون قرشا أو أقل او اكثر فى ذلك اليوم تذهب سبهللا فكان منهم من ينقطع فى حريمه ذلك اليوم او يتوارى ويتغيب عن منزله فاذا صادفوه مرة أخرى ذاكروه فيما فاتهم فى السابق فاما سامحوه وامتنوا عليه بتركها اوطالبوه بها ان لم يكن ممن يخشونه فسعى أيضا المترجم مع الباشا فى منعهم من ذلك * ومن مساويه انه اول من فتح باب الزيادة فى متحصل الضربخانه حتى تنبه الباشا من ذلك الوقت لاهل الضربخانه واوقع بهم ما تقدم ذكره ثلاثة

ثلاثة ايام وعرض الاسلام على من بها من اليهود والنصارى فمن أسلم سلم ومن امتنع
قتل واقام اهل تونس بها باجرة تؤخذ من نصف مساكنهم وسار عبد المؤمن منها الى
المهدية والاسطول يحاذيه فى البحر فوصل اليها ثامن عشر رجب وكان حينئذ بالمهدية
اولاد ملوك الفرنج وابطال الفرسان وقد اخلوا زويلة وبينها وبين المهدية غلوة سهم
فدخل عبد المؤمن زويلة وامتلأت بالعساكر والسوقة فصارت مدينة معمورة فى ساعة
ومن لم يكن له موضع من العسكر نزل بظاهرها وانضاف اليه من صنهاجة والعرب واهل
البلاد ما يخرج عن الاحصاء واقبلوا يقاتلون المهدية مدة ايام فلا يؤثر فيها لحصانتها
وقوة سورها وضيق موضع القتال عليها لان البحر دائر باكثرها فكانها كف فى البحر
وزندها متصل بالبر وكانت الفرنج تخرج شجعانهم الى اطراف العسكر فتنال منه
ويعودون سريعا فامر عبد المؤمن أن يبنى سور من غرب المدينة يمنعهم من الخروج
وأحاط الاسطول بها فى البحر وركب عبد المؤمن فى شينى ومعه الحسن بن على الذى كان
صاحبها وطاف بها فى البحر فهاله ما رأى من حصانتها وعلم انها لا تفتح بقتال برا ولا بحرا
وليس لها الا المطاولة وقال للحسن كيف نزلت عن مثل هذا الحصن فقال لقلة من يوثق
به وعدم القوت وحكم القدر فقال صدقت وعاد من البحر وأمر بجمع الغلات والاقوات
وترك القتال فلم يمض غير قليل حتى صار فى العسكر كالجبلين من الحنطة والشعير فكان
من يصل الى العسكر من بعيد يقولون متى حدثت هذه الجبال فيقال لهم هى حنطة
وشعير فيتعجبون من ذلك وتمادى الحصار وفى مدته أطاع سفاقس عبد المؤمن
ومدينة طرابلس وجبال نفوسة وقصور افريقية وما والاها وفتح مدينة قابس بالسيف
وسير ابنه أبا محمد عبد الله فى جيش ففتح بلادا ثم ان اهل مدينة قفصة لما راوا تمكن
عبد المؤمن اجمعوا على المبادرة الى طاعته وتسليم المدينة اليه فتوجه صاحبها يحيى بن
تميم بن المعز ومعه جماعة من اعيانها وقصدوا عبد المؤمن فلما اعلمه حاجبه بهم قال له
عبد المؤمن قد اشتبه عليك ليس هؤلاء اهل قفصة فقال له لم يشتبه على قال له عبد
المؤمن كيف يكون ذلك والمهدى يقول ان اصحابنا يقطعون اشجارها ويهدمون
أسوارها ومع هذا فنقبل منهم ونكف عنهم ليقضى الله أمرا كان مفعولا فارسل اليهم
طائفة من اصحابه ومدحه شاعر منهم بقصيدة اولها

ماهز عطفيه بين البيض والاسل ● مثل الخليفة عبد المؤمن بن على

فوصله بالف دينار ولما كان فى الثانى والعشرين من شعبان من السنة جاء اسطول
صاحب صقلية فى مائة وخمسين شينيا غير الطرائد وكان قدوقدم من جزيرة يابسة من
بلاد الاندلس وقد سبى أهلها وأسرهم وحملهم معه فارسل اليهم ملك الفرنج يامرهم
بالمجىء الى المهدية فقدموا فى التاريخ فلما قاربوا المهدية حطوا شرعهم ليدخلوا المينا
فخرج اليهم أسطول عبد المؤمن وركب العسكر جميعه ووقفوا على جانب البحر فاستعظم
الفرنج ما راوه من كثرة العساكر ودخل الرعب قلوبهم وبقى عبد المؤمن يمرغ وجهه على
الارض ويبكى ويدعو للمسلمين بالنصر وا قتتلوا فى البحر فانهزمت شوانى الفرنج واعادوا

ومنها احداث المكس على اللبان والحناء والصمغ على ماقيل

ومن ذا الذى ترضى سجاياه كلها
كفى المرء نبلا أن تعد معايبه

وبالجملة فمن رأس العين باقى الكدر كما قاله الليث بن سعد لما ساله الرشيد وقال له يا أبا الحرث ما صلاح بلدكم فقال له اما صلاح امر زراعتها وجدبها وخصبها فبالنيل واما صلاح احكامها فمن رأس العين ياتى الكدر فقال له صدقت ذكر ذلك الحافظ بن حجر فى الترجمة الليثية فى الترجمة الليثية وعلى كل فكان المترجم احسن من ولى فى هذه الدولة وكان قريبا من الخير وفعله مواظبا على الصلوات الخمس فى اوقاتها ملازما على الاشتغال ومطالعة الكتب والممارسة فى دقائق الفنون واقتنى كتبا كثيرة فى سائر الفنون واستنباط الصنائع حتى انه صنع الجوخ الملون الذى يعمل ببلاد الافرنج ويجلب الى الآفاق ويلبسه الناس للتجمل وكان قبل وجوده بمصر وغلا ثمنه فعمل عدة انوال ومناسج غريبة الوضع واحضر اشخاصا من النساجين فنسجوا الصوف بعد غزله مدات حددها لهم فى الطول والعرض ثم يسلمه رجال أعدهم لتخميره وتلبيده بالقلى والصابون منشورا ومطويا بكيفيات فى اوقات وايام باشرته لهم فى العمل واشارته ثم يضعونه مطويا فى احواض من خشب ثخين مزفت تملأ بالماء من ساقية صنعها لخصوص ذلك يصب منها

القلوع وتبعهم المسلمون فاخذوا منهم سبع شوانى ولو كان معهم شوانى لاخذوا اكثرها وكان امرا عجيبا وفتحا قريبا وعاد اسطول المسلمين مظفرا منصورا وفرق فيهم عبد المؤمن الاموال ويئس أهل المهدية حينئذ من النجدة وصبروا على الحصار ستة أشهر الى آخر شهر ذى الحجة من السنة فنزل حينئذ من فرسان الفرنج الى عبد المؤمن عشرة وسالوه الامان لمن فيها من الفرنج على انفسهم واموالهم ليخرجوا منها ويعودوا الى بلادهم وكان قوتهم قد فنى حتى اكلوا الخيل فعرض عليهم الاسلام ودعاهم اليه فلم يجيبوا ولم يزالوا يترددون اليه اياما بالكلام اللين فاجابهم الى ذلك وامنهم واعطاهم سفنا فركبوا فيها وساروا وكان الزمان شتاء فغرق اكثرهم ولم يصل منهم الى صقلية الا النفر اليسير وكان صاحب صقلية قد قال ان قتل عبد المؤمن اصحابنا بالمهدية قتلنا المسلمين الذين هم بجزيرة صقلية واخذنا حرمهم واموالهم فاهلك الله الفرنج غرقا وكان مدة ملكهم المهدية اثنتى عشرة سنة ودخل عبد المؤمن المهدية بكرة عاشوراء من المحرم سنة خمس وخمسين وخمسمائة وسماها عبد المؤمن سنة الاخماس وأقام بالمهدية عشرين يوما فرتب احوالها وأصلح ما انثلم من سورها ونقل اليها الذخائر من الاقوات والرجال والعدد واستعمل عليها بعض اصحابه وجعل معه الحسن بن على الذى كان صاحبها وامره ان يقتدى برأيه فى افعاله وأقطع الحسن بها اقطاعا وأعطاه دورا نفيسة يسكنها وكذلك فعل باولاده ورحل من المهدية اول صفر من السنة الى بلاد الغرب

(ذكر ايقاع عبد المؤمن بالعرب)

لما فرغ عبد المؤمن من امر المهدية واراد العود الى الغرب جمع امراء العرب من بنى رياح الذين كانوا بافريقية وقال لهم قد وجبت علينا نصرة الاسلام فان المشركين قد استفحل أمرهم بالاندلس واستولوا على كثير من البلاد التى كانت بايدى المسلمين وما يقاتلهم احد مثلكم فبكم فتحت البلاد اول الاسلام وبكم يدفع عنها العدو الآن ونريد منكم عشرة آلاف فارس من أهل النجدة والشجاعة يجاهدون فى سبيل الله فاجابوا بالسمع والطاعة فحلفهم على ذلك بالله تعالى وبالمصحف فحلفوا ومشوا معه الى مضيق جبل زغوان وكان منهم انسان يقال له يوسف بن مالك وهو من أمرائهم ورؤس القبائل فيهم فجاء الى عبد المؤمن بالليل وقال له سرا ان العرب قد كرهت المسير الى الاندلس وقالوا ما غرضه الا اخراجنا من بلادنا وانهم لا يفون بما حلفوا عليه فقال ياخذ الله عز وجل الغادر فلما كان الليلة الثانية هربوا الى عشائرهم ودخلوا البر ولم يبق منهم الا يوسف ابن مالك فسماه عبد المؤمن يوسف الصادق ولم يحدث عبد المؤمن فى أمرهم شيئا وسار مغربا يحث السير حتى قرب من القسطنطينية فنزل فى موضع مخصب يقال له وادى النساء والفصل ربيع والكلأ مستحسن فاقام به وضبط الطرق فلا يسير من العسكر احد البتة ودام كذلك عشرين يوما فبقى الناس فى جميع البلاد لا يعرفون لهذا العسكر خبرا مع كثرته وعظمه ويقولون ما أزعجه الا خبر وصله من الاندلس فحث لاجله فى

الماء الى تلك الاحواض تديرها الاثوار وعلى تلك الاحواض مدقات شبيهة بمدقات الارز تتحرك فى صعودها وهبوطها من ترس خاص يدور بدوران الساقية وما يفيض من ماء الاحواض يجرى الى بستان زرعه حول ذلك فيسقى ما به من الاشجار والمزارع فلا يذهب الماء هدرا ثم يخرجونه بعد ذلك ويبردخونه ويصبغونه بانواع الاصباغ ويضعونه فى مكبس كبير يقال له التخت صنعه لذلك وعند ذلك يتم عمله فكان الناس يذهبون للتفرج على ذلك لغرابته عندهم ثم حضر اليه شخص فرنساوى واشار عليه باشارات فى تغيير المدقات وافسد العمل واشتغل هو بكثرة المهمات فتكاسل عن اعادتها ثانيا وبطل ذلك وكان مع كثرة اشغاله ومصاريفه ليس له كاتب بل يكتب ويحسب لنفسه وبين يديه عدة دفاتر لكل شئ دفتر مخصوص ولا يشغله شئ عن شئ ولما اتسعت دائرته وكثرت حاشيته واجتمعت فيه عدة مناصب مضافة لنظر المهمات مثل معمل البارود وقاعة الفضة ومدابغ الجلود وغير ذلك فكان كتخدا بك يحقد عليه فى الباطن لامور بينهما حتى قيل ان نفسه طمحت فى الكتخدائية فكان يتصدر فى الامور والقضايا ويرافع ويدافع ويهزل مع الباشا ويضاحكه ويراده ويدخل عليه من غير استئذان فلم يزل الكتخدا يلقى فيه الدسائس

السير فعادت العرب الذين أجفلوا منه من البرية الى البلاد لما امنوا جانبه وسكنوا البلاد التى الفوها واستقروا فى البلاد فلما علم عبد المؤمن برجوعهم جهز اليهم ولديه ابا محمد وابا عبد الله فى ثلاثين الف مقاتل من اعيان الموحدين وشجعانهم فجدوا السير وقطعوا المفاوز فما شعر العرب الا والجيش قد اقبل بغتة من ورائهم من جهة الصحراء ليمنعوهم الدخول اليها ان راموا ذلك وكانوا قد نزلوا جنوبا من القيروان عند جبل يقال له جبل القرن وهم زهاء ثمانين الف بيت والمشاهير من مقدميهم ابو محفوظ محرز بن زياد ومسعود بن زمام البلاط وجبارة بن كامل وغيرهم فلما أطلت عساكر عبد المؤمن عليهم اضطربوا واختلفت كلمتهم فمر مسعود وجبارة بن كامل ومن معهما من عشائرهما وثبت محرز بن زياد وأمرهم بالثبات والقتال فلم يلتفتوا اليه فثبت هو ومن معه من جمهور العرب فناجزهم الموحدون القتال فى العشر الاوسط من ربيع الآخر من السنة وثبت الجمعان واشتد العراك فاتفق ان محرز بن زياد قتل ورفع رأسه على رمح فانهزمت جموع العرب عند ذلك واسلموا البيوت والحريم والاولاد والاموال وحمل جميع ذلك الى عبد المؤمن وهو بذلك المنزل فامر بحفظ النساء العربيات الصرائح وحملهن معه تحت الحفظ والبر والصيانة الى بلاد الغرب وفعل معهن مثل ما فعل فى حريم الاثبج ثم أقبلت اليه وفود رياح مهاجرين فى طلب حريمهم كما فعل الاثبج فاجمل الصنيع لهم ورد الحريم اليهم فلم يبق منهم أحد الا صار عنده وتحت حكمه وهو يخفض لهم الجناح ويبذل فيهم الاحسان ثم انه جهزهم الى ثغور الاندلس على الشرط الاول وجمعت عظام العرب القتلى فى هذه المعركة عند جبل قرن فبقيت دهرا طويلا كالتل العظيم تلوح للناظرين من مكان بعيد وبقيت افريقية مع نواب عبد المؤمن آمنة ساكنة لم يبق فيها من امراء العرب خارج عن طاعته الا مسعود البلاط بن زمام وطائفته فى اطراف البلاد

(ذكر غرق بغداد)

فى هذه السنة ثامن ربيع الآخر كثرت الزيادة فى دجلة وخرق القورج فوق بغداد واقبل المد الى البلد فامتلأت الصحارى وخندق البلد وأفسد الماء السور ففتح فيه فتحة يوم السبت تاسع عشر الشهر فوقع بعض السور عليها افسدها ثم فتح الماء فتحة اخرى واهملوها ظنا انها تنفس عن السور لئلا يقع فغلب الماء وتعذر سده فغرق قراح ظفر والاجمة والمختارة والمقتدية ودرب القبار وخرابة ابن جردة والريان وقراح القاضى وبعض القطيعة وبعض باب الازج وبعض المامونية وقراح ابى الشحم وبعض قراح ابن رزين وبعض الظفرية ودب الماء تحت الارض الى اماكن فوقعت واخذ الناس يعبرون الى الجانب الغربى فبلغت المعبرة عدة دنانير ولم يكن يقدر عليها ثم نقص الماء وتهدم السور وبقى الماء الذى داخل السور على حاله يب فى المحال التى لم يركبها الماء فكثر الخراب وبقيت المحال لا تعرف وانما هى تلول فاخذ الناس حدود

ويعمل معدل الاشغال التى تحت نظره ويعرف الباشا بما يتوفر من ذلك حتى نزعه من نظارة جميع المهمات وقلدها صالح كتخدا الرزازة ومما نقمه عليه ان الكتخدا حضر لزيارة المشهد الحسينى فى عصرية يوم من رمضان ثم ركب متوجها الى داره قبيل الغروب فصادف فى طريقه عدة قصاع كبار مغطاة تحملها الرجال فسال عنها فعرفوه ان المترجم يرسلها فى كل ليلة من ليالى رمضان الى فقراء الجامع الازهر وبها الثريد واللحم فامتعض من ذلك وعرف الباشا انه يؤلف الناس ويتودد اليهم باموالك ونحو ذلك واستمر المترجم بطالا نحو السنتين ولم يتضعضع ولم يظهر عليه تغير ونظامه ومطبخه على حاله وطعامه مبذول ورواتبه جارية فى تلك المدة اشتغل بمطالعة الكتب والممارسة والمدارسة وعانى الحسابيات وصناعة التقويم حتى مهر فى ذلك وعمل الدستور السنوى وما يشتمل عليه من تقويم الكواكب السيارة وتداخل التواريخ والاهلة والاجتماعات والاستقبالات وطوالع التحاويل والنصبات ويصنع بيده أيضا الصنائع الفائقة مثل الظروف التى تأتى من بلاد الهند والافرنج والروم ويضع فيها الكتبة محابرهم واقلامهم فيصنعها ولامن الخشب الرقيق والقرطاس المقوم المتلاصق ويصبغها وينقشها بانواع الليق ويعد على النقوشات بالسندروس المحلول ويضعها فى صندوق

دورهم بالتخمين واما الجانب الغربي فغرقت فيه مقبرة احمد بن حنبل وغيرها من المقابر وانخسفت القبور المبنية وخرج الموتى على رأس الماء وكذلك المشهد والحربية وكان امراعظيما

(ذكر عود سنقر الهمذاني الى اللحف وانهزامه)

في هذه السنة عاد سنقر الهمذاني الى اقطاعه وهو قلعة الماهكي وبلد اللحف وكان الخليفة قد اقطعه للامير قايماز العميدي ومعه اربعمائة فارس فارسل اليه سنقر يقول له ارحل عن بلدي فامتنع فسار اليه وجرى بينهما قتال شديد انهزم فيه العميدي ورجع الى بغداد باسوا حال فبرز الخليفة وسار في عساكره الى سنقر فوصل الى النعمانية وسير العساكر مع ترشك ورجع الى بغداد ومضى ترشك نحو سنقر الهمذاني فتوغل سنقر في الجبال هاربا ونهب ترشك ما وجده له ولعسكره من مال وسلاح وغير ذلك وامر وزيره بقتل من رأى من اصحابه ونزل على الماهكي وحصرها اياما ثم عاد الى البندنيجين وارسل الى بغداد بالبشارة واما سنقر فانه لحق بملكشاه فاستنجده فسير معه خمسمائة فارس فعاد ونزل على قلعة هناك وافسد اصحابه في البلاد وارسل ترشك الى بغداد يطلب نجدة فخافه فاراد سنقر ان يكبس ترشك فعرف ذلك فاحترز فعدل سنقر الى المخادعة فارسل رسولا الى ترشك يطلب منه ان يصلح حاله مع الخليفة فاحتبس ترشك الرسول عنده وركب فيمن خف من اصحابه فكبس سنقر ليلا فانهزم هو واصحابه وكثر القتل فيهم وغنم ترشك اموالهم ودوابهم وكل مالهم ونجا سنقر جريحا

(ذكر الفتنة بين عامة استراباذ)

في هذه السنة وقع في استراباذ فتنة عظيمة بين العلويين ومن يتبعهم من الشيعة وبين الشافعية ومن معهم وكان سببها ان الامام محمدا البروي وصل الى استراباذ فعقد مجلس الوعظ وكان قاضيها ابو نصر سعد بن محمد بن اسمعيل النعيمي شافعي المذهب ايضا فثار العلويون ومن يتبعهم من الشيعة بالشافعية ومن يتبعهم باستراباذ ووقعت بين الطائفتين فتنة عظيمة انتصر فيها العلويون فقتل من الشافعية جماعة وهرب القاضي ونهبت داره ودور من معه وجرى عليهم من الامور الشنيعة ما لا حد عليه فسمع شاه مازندران الخبر فاستعظمه وانكر على العلويين فعلهم وبالغ في الانكار مع انه شديد التشيع وقطع عنهم جرايات كانت لهم ووضع الجبايات والمصادرات على العامة فتفرق كثير منهم وعاد القاضي الى منصبه وسكنت الفتنة

(ذكر وفاة الملك محمد بن محمود بن محمد بن ملكشاه)

في هذه السنة توفي السلطان محمد بن محمود بن محمد وهو الذي حاصر بغداد طالبا السلطنة وعاد عنها فاصابه سل وطال به فمات بباب همذان وكان مولده في ربيع الآخر سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة فلما حضره الموت امر العساكر فركبت واحضر امواله وجواهره وحظاياه ومماليكه فنظر الى الجميع من طيارة تشرف على ما تحتها فلما رآه

من الزجاج صنعه لخصوص تلك الاشياء والقبورات وجفاف دهانها بحرارة الشمس المحجوب بالزجاج عن الهواء والغبار وعند تمامها تكون في غاية الحسن والظرافة والبهجة بحيث لا يشك من يراها بانها من صناعة الهند او الافرنج المتقنين الصناعة وكان كلما سمع بشخص ذي معرفة لصناعة من الصنائع او المعارف اجتهد في تحصيلها وتلقيها عنه باي وجه كان ولو ببذل الرغائب واعد منزله اماكن لاشخاص من ارباب المعارف ينزلهم فيها ويجري عليهم النفقات والكساوي حتى يجتني ثمار معارفهم وصنائعهم ويجتمع عنده في كل ليلة جمعة جماعة من القراء التي مساكنهم قريبة من داره فيذكر الله معهم حصة من الليل ثم يفرق فيهم دراهم ولما طال به الاهمال وفتور الاحوال والباشا قليل الاقامة بمصر واكثر ايامه غائب عنها خطر بباله الرحلة من مصر الى الديار الرومية ويذهب الى بلاده فاستاذن الباشا عند وداعه وهو متوجه الى ناحية قبلي فاذن له واخذ في اسباب السفر فارسل الكتخدا الى الباشا ودس اليه كلاما فارسل بمنعه ورتب له خروجا لمطبخه فتعوق عن السفر على غير خاطره وفي اوائل السنة حضرت اليه والدته وابنته وزوجها فانزلهم في دار بجاه داره واجرى عليهم ما يحتاجون اليه من النفقة

بكى

بكى وقال هذه العساكر والاموال والمماليك والسرارى ما ارى يدفعون عنى مقدار ذرة ولا يزيدون فى اجلى لحظة وامر بالجميع فرفع بعد ان فرق منه شيئا كثيرا وكان عظيما كريما عاقلا كثير التأنى فى اموره وكان له ولد صغير فسلمه الى آقسنقر الاحمديلى وقال له انا اعلم ان الناس لا تطيع مثل هذا الطفل وهو وديعة عندك فارحل به الى بلادك فرحل الى مراغة فلما مات اختلفت الامراء فطائفة طلبوا ملكشاه اخاه وطائفة طلبوا سليمان شاه وهم الاكثر وطائفة طلبوا ارسلان الذى مع ايلدكز فاما ملكشاه فانه سار من خوزستان ومعه دكلا صاحب فارس وشملة التركمانى وغيرهما فوصل الى اصفهان فسلمها اليه ابن الخجندى وجمع له مالا انفقه عليه وارسل الى العساكر بهمذان يدعوهم الى طاعته فلم يجيبوه لعدم الاتفاق بينهم ولان اكثرهم كان يريد سليمان شاه

(ذكر اخذ حران من نور الدين وعودها اليه)

فى هذه السنة مرض نور الدين محمود بن زنكى صاحب حلب مرضا شديدا وارجف بموته وكان بقلعة حلب ومعه اخوه الاصغر امير اميران فجمع الناس وحصر القلعة وكان شيركوه وهو اكبر امرائه بحمص فبلغه خبر موته فسار الى دمشق ليتغلب عليها وبها اخوه نجم الدين ايوب فانكر عليه ايوب ذلك وقال اهلكتنا والمصلحة ان تعود الى حلب فان كان نور الدين حيا خدمته فى هذا الوقت وان كان قد مات فانا فى دمشق نفعل ما نريد من ملكها فعاد الى حلب مجدا وصعد القلعة واجلس نور الدين فى شباك يراه الناس وكلمهم فلما رأوه حيا تفرقوا عن اخيه امير اميران فسار الى حران فملكها فلما عوفى نور الدين قصد حران ليخلصها فهرب اخوه منه وترك اولاده بحران فى القلعة فملكها نور الدين وسلمها الى زين الدين على نائب اخيه قطب الدين صاحب الموصل ثم سار نور الدين بعد اخذ حران الى الرقة وبها اولاد اميرك الجاندار وهو من اعيان الامراء وقد توفى وبقى اولاده فنازلها فشفع جماعة من الامراء فيهم فغضب من ذلك وقال هلا شفعتم فى اولاد اخى لما اخذت منهم حران وكانت الشفاعة فيهم من احب الاشياء الى فلم يشفعهم واخذها منهم

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة مرض الخليفة المقتفى لامر الله واشتد مرضه وعوفى فضربت البشائر ببغداد وفرقت الصدقات من الخليفة ومن ارباب الدولة وغلق البلد اسبوعا وفيها عاد ترشك الى بغداد ولم يشعر به احد الا وقد القى نفسه تحت التاج ومعه سيف وكفن وكان قد عصى على الخليفة والتحق بالعجم فعاد الآن فرضى عنه واذن له فى دخول دار الخلافة واعطى مالا وفيها فى جمادى الاولى ارسل محمد بن انز صاحب قهستان عسكرا الى بلد الاسماعيلية من الجبال فقتلوا كثيرا من العسكر واسروا الامير الذى كان مقدما عليهم اسمه قيبة وهو صهر ابن انز فبقى عندهم اسيرا عدة شهور حتى زوج ابنته من رئيس الاسماعيلية على بن الحسن وخلص من الاسر وفيها توفى شرف الدين على بن

فاتفق ان صهره المذكور حلف يمينا بالطلاق الثلاث وحنث فيه ففرق بينه وبين ابنته وطرده فشكاه الى الكتخدا بك فكلمه فى شانه فلم يقبل وقال لا يجوز ان احلل المحرم لاجلك واستمر صهره يتردد على الكتخدا ويلقى ما يلقيه فى حقه من النميمة ويذكر له عنه فى حقه ما يزيده غيظا وكراهة ويقول له انه يجمع اناسا فى كل ليلة جمعة يقرؤن ويدعون عليك وعلى مخدومك وذكر له انه يقول لهم ان قصده السفر الى بلده وانما قصده السفر الى اسلامبول ليجتمع على مخدومه الاول لكونه تولى قبودان باشا ودرياسة الدوننمه ويقول عندما اكون بدار السلطنة افعل وافعل واخبرهم بحقيقة هؤلاء وافاعيلهم وانقض عليهم امرهم وذكر له ايضا انه استخرج من احكام النجوم التى يعانيها ان الباشا يحصل له نكبة بعد مدة قريبة ويحصل ما يحصل من الفتن فيريد الخروج من مصر قبل وقوع ذلك ونحو ذلك فلما رجع الباشا من سفرته توسل المترجم بالكتخدا فى ان ياخذ له اذنا من الباشا بالسفر وهو لا يعلم سريرته ففاوض الباشا فى ذلك والقى اليه ما القاه حتى اوغر صدره منه ثم رد عليه بقوله انى استاذنت الباشا فلم يسهل به مفارقتك وقال ان كان من ضيق فى المعيشة فاطلق له فى كل شهر كيسين منها اربعون الف نصف فضة

ابي القاسم منصور بن ابي سعد الساعدي قاضي نيسابور في شهر رمضان وكان موته بالري ودفن في مقبرة محمد بن الحسن الشيباني صاحب ابي حنيفة رضي الله عنهما وكان القاضي حنفيا ايضا

(ثم دخلت سنة خمس وخمسين وخمسمائة)

(ذكر مسير سليمان شاه الى همذان)

في هذه السنة سار سليمان شاه من الموصل الى همذان ليتولى السلطنة وقد تقدم سبب قبضه واخذه الى الموصل وسبب مسيره اليها ان الملك محمد ابن السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه لما مات ارسل اكابر الامراء من همذان الى اتابك قطب الدين مودود ابن زنكي صاحب الموصل يطلبون منه ارسال الملك سليمان شاه ابن السلطان محمد بن ملكشاه اليهم ليولوه السلطنة فاستقرت القاعدة بينهم ان يكون سليمان شاه سلطانا وقطب الدين اتابكه وجمال الدين وزير قطب الدين وزير السليمان شاه وتحالفوا على هذا وجهز سليمان شاه بالاموال الكثيرة والبرك والدواب والآلات وغير ذلك مما يصلح للسلاطين وسار معه زين الدين علي وعسكر الموصل الى همذان فلما قاربوا بلاد الجبل اقبلت العساكر اليهم ارسالا كل يوم يلقاه طائفة وامير فاجتمع مع سليمان شاه عسكر فخافهم زين الدين على نفسه لانه راى من تسلطهم على السلطان واطراحهم للادب معه ما اوجب الخوف معه فعاد الى الموصل فحين عاد عنه لم ينتظم امره ولم يتم له ما اراده وقبض العسكر عليه بباب همذان في شوال سنة ست وخمسين وخطبوا لارسلان شاه ابن الملك طغرل وهو الذي زوج ايلدكز بامه وسيذكر مشروحا ان شاء الله تعالى

(ذكر وفاة الفائز وولاية العاضد العلويين)

في هذه السنة توفي الفائز بنصر الله ابو القاسم عيسى بن اسمعيل الظافر صاحب مصر وكانت خلافته ست سنين ونحو شهرين وكان له لما ولي خمس سنين كما ذكرناه ولما مات دخل الصالح بن رزيك القصر واستدعى خادما كبيرا وقال له من ههنا يصلح للخلافة فقال ههنا جماعة وذكر اسماءهم وذكر له منهم انسانا كبير السن فامر باحضاره فقال له بعض اصحابه سرا لا يكون عباس احزم منك حيث اختار الصغير وترك الكبار واستبد بالامر فاعاد الصالح الرجل الى موضعه وامر حينئذ باحضار العاضد لدين الله ابي محمد عبد الله بن يوسف بن الحافظ ولم يكن ابوه خليفة وكان العاضد ذلك الوقت مراهقا قارب البلوغ فبايع له بالخلافة وزوجه الصالح ابنته ونقل معها من الجهاز ما لا يسمع بمثله وعاشت بعد موت العاضد وخروج الامر من العلويين الى الاتراك وتزوجت

(ذكر وفاة الخليفة المقتفي لامر الله وشيء من سيرته)

في هذه السنة ثاني ربيع الاول توفي أمير المؤمنين المقتفي لامر الله ابو عبد الله محمد بن المستظهر بالله ابي العباس احمد بن المقتدي بامر الله رضي الله عنه بعلة التراقي وكان مولده

فلما قال له ذلك قال اما لا يكفيني هذا المقدار فان كان فيطلق لي خمسة اكياس فقال لم يرض بازيد مما ذكرته لك وكل ذلك مخادمة من المكتخدا لتحقق ما حشده في صدر مخدومه ومازال يتردد في طلب الاذن حتى اذن له واضمر له القتل بعد خروجه من مصر فعند ذلك باع داره وما استجده حولها والبستان خارج قناطر السباع وما زاد عن حاجته من الاشياء والامتعة واشترى عبيدا وجواري وقضى لوازمه وسافر الى رشيد فعندما مضى من نزوله يومان او ثلاثة كتبوا الى خليل بك حاكم الاسكندرية مرسوما بقتله فبلغه خبر ذلك وهو بثغر رشيد فلم يصدقه وقال اي ذنب استوجب به القتل ولو اراد قتلي ما الذي يمنعه منه وانا عنده بمصر وانا سافرت باذنه وودعته وقبلت يديه وطرفه واخذت خاطره وهو مبشوش معي كعادته فلما حصل بالاسكندرية واستقر بالسفينة ومضى ايام وهم ينتظرون اعتدال الريح والاذن من الحاكم بالاقلاع ووصل المرسوم الى خليل بك فارسل اليه في وقت يدعوه ليتغدى معه في رأس التين ونظر الى خليل بك وهو واقف في انتظاره على بعد منه فوق صلوة فاجاب وخرج من السفينة فوصل اليه جماعة من العسكر واحاطوا به فتحقق عند ذلك ما كان بلغه وهو برشيد ونظر الى خليل بك فلم يره فقال

مولده ثانى عشر ربيع الآخر سنة تسع وثمانين واربعمائة وامه ام ولد تدعى ياعى
وكانت خلافته اربعا وعشرين سنة وثلاثة اشهر وستة عشر يوما ووافق اباه المستظهر
بالله فى علة التراقى وماتا جميعا فى ربيع الاول وكان حليما كريما عادلا حسن السيرة
من الرجال ذوى الراى والعقل الكثير وهو اول من استبد بالعراق منفردا عن سلطان
يكون معه من اول ايام الديلم الى الآن واول خليفة تمكن من الخلافة وحكم على
عسكره واصحابه من حين تحكم المماليك على الخلفاء من عهد المستنصر الى الآن
الا ان يكون المعتضد وكان شجاعا مقداما مباشر الحروب بنفسه وكان يبذل الاموال
العظيمة لاصحاب الاخبار فى جميع البلاد حتى كان لا يفوته منها شئ

(ذكر خلافة المستنجد بالله)

وفى هذه السنة بويع المستنجد بالله امير المؤمنين واسمه يوسف وامه ام ولد تدعى طاوس
بعد موت والده وكان للمقتفى حظية وهى ام ولده ابى على فلما اشتد مرض المقتفى وايست
منه ارسلت الى جماعة من الامراء وبذلت لهم الاقطاعات الكثيرة والاموال الجزيلة
ليساعدوها على ان يكون ولدها الامير ابو على خليفة فقالوا كيف الحيلة مع ولى العهد
فقالت اذا دخل على والده قبضت عليه وكان يدخل الى ابيه كل يوم فقالوا لابد لنا من
احد من ارباب الدولة فوقع اختيارهم على ابى المعالى بن الكيا الهراسى فدعوه الى ذلك
فاجابهم على ان يكون وزيرا فبذلوا له ما طلب فلما استقرت القاعدة بينهم وعلمت ام ابى
على احضرت عدة من الجوارى واعطتهن السكاكين وامرتهن بقتل ولى العهد
المستنجد بالله وكان له خصى صغير يرسله كل وقت يتعرف اخبار والده فرأى الجوارى
بايديهن السكاكين ورأى بيد ابى على وامه سيفين فعاد الى المستنجد فاخبره وارسلته
هى الى المستنجد تقول له ان والده قد حضره الموت ليحضر ويشاهده فاستدعى استاذ دار
عضد الدولة واخذه معه وجماعة من الفراشين ودخل الدار وقد لبس الدرع واخذ بيده
السيف فلما دخل ثار به الجوارى فضرب واحدة منهن فجرحها وكذلك اخرى وصاح
ودخل استاذ الدار ومعه الفراشون فهرب الجوارى واخذ اخاه ابا على وامه فسجنهما
واخذ الجوارى فقتل منهن وغرق منهن ودفع الله عنه فلما توفى المقتفى لامر الله جلس
للبيعة فبايعه اهله واقاربه واولهم عمه ابو طالب ثم اخوه ابو جعفر بن المقتفى وكان
اكبر من المستنجد ثم بايعه الوزير ابن هبيرة وقاضى القضاة وارباب الدولة والعلماء
وخطب له يوم الجمعة ونثرت الدنانير والدراهم (حكى عنه) الوزير عون الدين بن هبيرة
انه قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام منذ خمس عشرة سنة وقال لى يبقى
ابوك فى الخلافة خمس عشرة سنة فكان كما قال صلى الله عليه وسلم قال ثم رايته قبل
موت ابى المقتفى باربعة اشهر فدخل بى فى باب كبير ثم ارتقى الى راس جبل وصلى بى
ركعتين ثم البسنى قميصا ثم قال لى قل اللهم اهدنى فيمن هديت وذكر دعاء القنوت ولما
ولى الخلافة اقر ابن هبيرة على وزارته واصحاب الولايات على ولاياتهم وازال المكوس

امهلونى حتى اتوضا واصلى ركعتين وقام من حلاوة الروح والقى بنفسه فى البحر فضربوا عليه بالرصاص واخرجوه
وعموا قتله واخرجوا صناديقه
واخذوا ما فيها من الكتب
لان الباشا ارسل بطلبها واخذ
ما معه من المال والدراهم
خليل بك فاعطى لولده جانبا
منه واذن له بالسفر مع عياله
وانقضى امره ووصلت الكتب
الى سراية الباشا واودعت
عند ولى خوجا وتبدد
الكثير منها وفرق منها عدة
على غير اهلها وكانت قتلته
فى اواخر شهر صفر من السنة
والله اعلم

(ثم دخلت سنة ثمان وعشرين
ومائتين والف)

(استهل المحرم بيوم
الاثنين سنة ١٢٢٨)

فيه وصل الخبر من الجهة
القبلية بان ابراهيم بك ابن
الباشا قبض على احمد افندى
ابن حافظ افندى الذى بيده
دفاتر الرزق الاحباسية وشنقه
وضرب قاسم افندى ابن
امين الدين كاتب الشهر علقة
قوية وكان والده اصحبهما
معه ليباشرا معه الامور
ويعرفاه الاحوال وكان
قاسم افندى خصيصا به
مثل الوزير والصاحب
والنديم ورتب له الباشا فى
كل سنة ثمانين كيسا خلاف
الخروج والكساوى وشرط
عليه المناصحة فى كشف
المستورات وما يكون فيه
تحصيل الاموال فكانه قصر فى كشف بعض الاشياء وارسل الى والده يعلمه بخيانته هو وكاتب الارزاق

والضرائب وقبض على القاضى ابن المرخم وكان بئس الحاكم واخذ منه مالا كثيرا واخذت كتبه فاحرق منها فى الرحبة ما كان من علوم الفلاسفة فكان منها كتاب الشفاء لابن سينا وكتاب اخوان الصفا وما يشاكلهما وقدم عضد الدين بن رئيس الرؤساء وكان استاذ الدار ومكنه وتقدم الى الوزير ان يقوم له وعزل قاضى القضاة ابا الحسن على بن احمد الدامغانى ورتب مكانه ابا جعفر عبد الواحد الثقفى وخلع عليه

(ذكر الحرب بين عسكر خوارزمشاه والاتراك البرزية)

فى هذه السنة فى ربيع الاول سار طائفة من عسكر خوارزمشاه الى اجنه وهجموا على يغمرخان بن اودك ومن معه من الاتراك البرزية فاوقعوا بهم واكثروا القتل فانهزم يغمرخان وقصد السلطان محمود بن محمد الخان والاتراك الغزية الذين معه وتوسل اليهم بالقرابة وظن يغمرخان ان اختيار الدين ايتاق هو الذى هيج الخوارزمية عليه فطلب من الغز انجاده

(ذكر أحوال المؤيد بخراسان هذه السنة)

قد ذكرنا سنة ثلاث وخمسين عود المؤيد أى ابه الى نيسابور وتمكنه منها وان ذلك كان سنة اربع وخمسين فلما دخلت سنة خمس وخمسين وخمسمائة ورأى المؤيد تحكمه فى نيسابور وتمكنه فى دولته وكثرة جنده وعسكره أحسن السيرة فى الرعية لاسيما أهل نيسابور فانه جبرهم وبالغ فى الاحسان اليهم وشرع فى اصلاح اعمالها واصلاح ولاياتها فسير طائفة من عسكره الى ناحية اسفيل وكان بها جمع قد تمردوا واكثروا العيث والفساد فى البلاد وطال تماديهم فى طغيانهم فارسل اليهم المؤيد يدعوهم الى ترك الشر والفساد ومعاودة الطاعة والصلاح فلم يقبلوا ولم يرجعوا عما هم عليه فسير اليهم سرية كثيرة فقاتلوهم واذاقوهم عاقبة ما صنعوا واكثروا القتل فيهم وخربوا حصنهم وسار المؤيد من نيسابور الى بيهق فوصلها رابع عشر ربيع الآخر من السنة وقصد منها حصن خسروجرد وهو حصن منيع بناه كيخسرو الملك قبل فراغه من قتل افراسياب وفيه رجال شجعان فامتنعوا على المؤيد فحصرهم ونصب عليهم المجانيق وجد فى القتال فصبر أهل الحصن حتى نفد صبرهم ثم ملك المؤيد القلعة واخرج كل من فيها ورتب فيها من يحفظها وعاد منها الى نيسابور فى الخامس والعشرين من جمادى الاولى من السنة ثم سار الى هراة فلم يبلغ منها غرضا فعاد الى نيسابور وقصد مدينة كندر وهي من اعمال طريثيث وقد تغلب عليها رجل اسمه احمد كان خربنده واجتمع معه جماعة من الرنود وقطاع الطريق والمفسدين فخربوا كثيرا من البلاد وقتلوا كثيرا من الخلق وغنموا من الاموال ما لا يحصى وعظمت المصيبة بهم على خراسان وزاد البلاء فقصدهم المؤيد فتحصنوا بالحصن الذى لهم فقوتلوا اشد قتال ونصب عليهم العرادات والمجنيقات فاذعن هذا الخربنده احمد الى طاعة المؤيد والانخراط فى سلك اصحابه واشياعه فقبله احسن قبول واحسن اليه وانعم عليه ثم انه عصى على المؤيد

وتحصن

عقوبة على ارتكابهما المعصية (وفى عشرينه) حضر ابراهيم بك المذكور الى مصر وفيه حصلت منافسة بين حسين افندى الروزنامجى وبين شخصين من كتابه وهما مصطفى افندى باش جاجرت وقيطاس افندى واصل ذلك باغراء باطنى على حسين افندى فرفعا امرهما الى الباشا وعرفاه عن مصارف وامور يفعلها حسين افندى ويخفيها عن الباشا وانه اذا حوسب على السنين الماضية يطلع عليه ألوف من الاكياس فعند ما سمع ذلك امرهما بمباشرة حسابه عن اربع سنوات متقدمة فخرجا من عنده واخذ صحبتهما باشا تركيا ونزلوا على حين غفلة بعد العصر وتوجهوا الى منزل اخيه عثمان افندى السرجى ففتحوا خزانة الدفاتر واخذوها بتمامها الى بيت ابن الباشا ابراهيم بك الدفتردار واجتمعوا فى صبحها للمحاققة والحساب مع اخيه عثمان افندى المذكور واستمروا فى المناقشة والمحاققة عدة ايام مع المرافعة والمدافعة والميل الكلى على حسين افندى ويذهبون فى كل ليلة يخبرون الباشا بما يفعلون وبالقدر الذى ظهر عليه فيعجبه ذلك ويثنى عليهما ويحرضهما على التدقيق فتنتفخ اوداجهما ويزيدان فى الممانعة والمدافعة والمرافعة

وتحصن بحصنه فاخذه المؤيد منه قهرا وعنوة وقيده واحتاط عليه ثم قتله واراح المسلمين منه ومن شره وفساده وقصد المؤيد في شهر رمضان ناحية بيهق عازما على قتالهم لخروجهم عن طاعته فلما قاربها اتاه زاهد من اهلها ودعاه الى العفو عنهم والحلم عن ذنوبهم ووعظه وذكره فاجاب الى ذلك ورحل عنهم فارسل السلطان محمود ابن محمد الخان وهو مع الغز الى المؤيد يستقر بنيسابور وطوس واعمالها عليه ورد الحكم فيها اليه فعاد الى نيسابور رابع ذى القعدة من السنة ففرح الناس بما تقرر بينه وبين الملك محمود وبين الغز من ابقاء نيسابور عليه ليزول الخلف والفتن عن الناس

(ذكر الحرب بين شاه مازندران ويغمرخان)

لما قصد يغمرخان الغز وتوسل اليهم لينصروه على ايثاق لظنه انه هو الذى حسن للخوارزمية قصده فاجابوه الى ذلك وسار وامعه على طريق نسا وابيورد ووصلوا الى الامير ايثاق فلم يجد لنفسه بهم قوة فاستنجد شاه مازندران فجاءه ومعه من الاكراد والديلم والاتراك والتركمان الذين يسكنون نواحى ابسكون جمع كثير فاقتتلوا ودامت الحرب بينهم وانهزم الاتراك الغزية والبرزية من شاه مازندران خمس مرات ويعودون وكان على ميمنة شاه مازندران الامير ايثاق فحملت الاتراك الغزية عليه لما ايسوا من الظفر بقلب شاه مازندران فانهزم ايثاق وتبعه باقى العسكر ووصل شاه مازندران الى سارية وقتل من عسكره اكثرهم وحكى ان بعض التجار كفن ودفن من هؤلاء القتلى سبعة آلاف رجل واما ايثاق فانه قصد فى هربه خوارزم واقام بها وسار الغز من المعركة الى دهستان وكان الحرب قريبا منها فنقبوا اسورها واوقعوا باهلها ونهبوهم اوائل سنة ست وخمسين وخمسمائة بعد ان خربوا جرجان وفرقوا اهلها فى البلاد وعادوا الى خراسان

(ذكر وفاة خسروشاه صاحب غزنة وملك ابنه بعده)

فى هذه السنة فى رجب توفى السلطان خسروشاه بن بهرام شاه بن مسعود بن ابراهيم بن مسعود بن محمود بن سبكتكين صاحب غزنة وكان عادلا حسن السيرة فى رعيته محبا للخير واهله مقربا للعلماء محسنا اليهم راجعا الى قولهم وكان ملكه تسع سنين وملك بعده ابنه ملك شاه فلما ملك نزل علاء الدين الحسين ملك الغور الى غزنة فحصرها وكان الشتاء شديدا والثلج كثيرا فلم يمكنه المقام عليها فعاد الى بلاده فى صفر سنة ست وخمسين

(ذكر الحرب بين ايثاق وبغراتكين)

فى هذه السنة منتصف شعبان كان بين الامير ايثاق والامير بغراتكين برغش الجركافى حرب وكان ايثاق قد سار الى بغراتكين فى آخر اعمال جوين فنهب واخذ امواله وكل ماله وكان ذا نعمة عظيمة واموال جسيمة فانهزم بغراتكين عنها وخلاها فافتتحها ايثاق واستغنى بها وقويت نفسه بسببها وكثرت جموعه وقصده الناس واما بغراتكين

فى الحساب وحسين افندى على جليته ويظن انه على عادته فى كونه مطلق ١١٧ التصرف فى الاموال الميرية ويبلغها اذا سئل فيها القائم بالدولة ايرادا ومصرفا ليكون اجمالا لاتفصيلا لكونه امينا وعدلا وكان الايراد والمصرف محررا ومضبوطا فى الدفاتر التى بايدى الافندية الكتاب ومن انضم اليهم من كتاب اليهود فى دفاترهم ايضا بالعبرانى لتكون كل فرقة شاهدة وضابطة على الاخرى فلما استقل هذا الباشا بمملكة الديار المصرية واستغول فى تحصيل الاموال باى وجه واستحدث اقلام المكوس وجعلها فى دفاتر تحت ايدى الافندية وكتبة الروزنامه فصارت من جملة الاموال الميرية فى قبضها وصرفها وتحاويلها والباشا مرخى العنان للروزنامجى ومرخص له فى الاذن والتصرف والروزنامجى كذلك مرخى العنان لاحد خواص كتابه المعروف باحمد اليتيم لفطانته ودرايته فكان هو المشار اليه من دون الجميع ويتطاول عليهم ويمقت من فعل فعلا دون اطلاعه ورايه ولو كان كبيرا او اعلى منزلة منه فى فنه فيمتلئ غيظا وينقطع عن حضور الديوان فيهمله ولا يسال عنه والافندى الكبير لايخرج عن رايه لكونه سادا مسد الجميع فدبروا على احمد افندى المذكور وحفر واله واغروا به حتى نكبه الباشا وصادره فى ثمانين كيسا ومخدومه

فانه ارسل الى المؤيد صاحب نيسابور وسار فى جماعة ومعه عدد من اصحابه فتلقاه المؤيد بالقبول

(ذكر وفاة ملكشاه بن محمود)

فى هذه السنة توفى ملكشاه ابن السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه بن الب ارسلان باصفهان مسموما وكان سبب ذلك انه لما كثر جمعه باصفهان ارسل الى بغداد وطلب ان يقطعوا خطبة عمه سليمان شاه ويخطبوا له و يعيدوا القواعد بالعراق الى ما كانت اولا والا قصدهم فوضع الوزير عون الدين بن هبيرة خصيا كان خصيصا به يقال له اغلبك الكوهرائينى فمضى الى بلاد العجم واشترى جارية من قاضى همذان بالف دينار وباعها من ملكشاه وكان قد وضعها على سمه ووعدها امورا عظيمة على ذلك وسمته فى لحم مشوى فاصبح ميتا وجاء الطبيب الى دكلا وشملة فعرفهما انه مسموم فعرفوا ان ذلك من فعل الجارية فاخذت وضربت واقرت وهرب اغلبك ووصل الى بغداد ووفى له الوزير بجميع ما استقر الحال عليه ولما مات اخرج اهل اصفهان اصحابه من عندهم وخطبوا لسليمان شاه واستقر ملكه بتلك البلاد وعاد شملة الى خوزستان فاخذ ما كان ملكشاه تغلب عليه منها

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة حج اسد الدين شيركوه بن شاذى مقدم جيوش نور الدين محمود بن زنكى صاحب الشام وشيركوه هذا هو الذى ملك الديار المصرية وسيرد ذكره ان شاء الله تعالى وفيها ارسل زين الدين على نائب قطب الدين صاحب الموصل رسولا الى المستنجد يعتذر مما جناه من مساعدة محمد شاه فى حصار بغداد و يطلب أن يؤذن له فى الحج فارسل اليه يوسف الدمشقى مدرس النظامية وسليمان بن قتلمش يطيبان قلبه عن الخليفة و يعرفانه الاذن فى الحج فحج ودخل الى الخليفة فاكرمه وخلع عليه وفيها توفى قايماز الارجوانى أمير الحاج سقط عن الفرس وهو يلعب بالاكرة فسال مخه من مناخيره واذنيه فمات وفيها فى ربيع الآخر توفى محمد بن يحيى بن على بن مسلم أبو عبد الله الزبيدى من أهل زبيد مدينة باليمن مشهورة وقدم بغداد سنة تسع واربعين وخمسمائة وكان يامر بالمعروف وينهى عن المنكر وكان نحويا واعظا وصحبه الوزير ابن هبيرة مرة وكان موته ببغداد

(ثم دخلت سنة ست وخمسين وخمسمائة)

(ذكر الفتنة ببغداد)

فى هذه السنة فى ربيع الاول خرج الوزير ابن هبيرة من داره الى الديوان والغلمان يطرقون له وارادوا يردون باب المدرسة الكمالية بدار الخليفة فمنعهم الفقهاء وضربوهم بالآجر فشهر أصحاب الوزير السيوف وارادوا ضربهم فمنعهم الوزير ومضى الى الديوان فكتب الفقهاء مطالعة يشكون أصحاب الوزير فامر الخليفة بضرب

بحسين افندى فى اربعمائة كيس وانقطع احمد افندى عن حضور الديوان وتقدم المتأخر وضم الباشا الى ديوانهم من طرفه خليل افندى وسموه كاتب الذمة بمعنى انه لا يكتب تحويل ولا ورقة ميرى ولا خلاف ذلك مما يسطر فى ديوانهم حتى يطلع عليه خليل افندى المذكور ويرسم عليه علامته فاحاط علمه بجميع اسرارهم وكل قليل يستخبر منه الباشا فيحيطه بمعلوماته ولم يزل حتى تحول ديوانهم وانتقل الى بيت خليل افندى تجاه منزل ابراهيم بك ابن الباشا بالازبكية وترأس بالديوان قاسم افندى كاتب الشهر وقريبه قيطاس افندى ومصطفى افندى باش جاجرت وبعد مدة اشهر سافر ابراهيم بك وأخذ صحبته قاسم افندى على الصورة المتقدمة والروزنامجى وولده محمد افندى براعيان جانب رفيقيه ولا يتعرضان لهما فيما يتصدران له و يضمانه فى عهدتهما فلما وصل الخبر بنكبة ابراهيم بك لقاسم افندى فعند ذلك قصر معهما وأظهر ابن الروزنامجى مكمون غيظه فى حقهما ومانعهما أيضا وخشن القول لهما فاتفقا على انهاء الحال الى باب الباشا فقعلا ماذكر وكان حسين افندى عندما استأذن الباشا فى صرف الجامكية السائرة للعامة والخاصة فأذن له فى صرف ما يتعلق بمشايخ العلم والافندية الكتبة والسيد محمد المحروقى بالكامل

الفقهاء وتاديبهم ونفيهم من الدار فمضى استاذ الدار وعاقبهم هناك واختفى مدرسهم الشيخ أبو طالب ثم ان الوزير أعطى كل فقيه دينارا واستحل منهم وأعادهم الى المدينة وظهر مدرسهم

(ذكر قتل ترشك)

فى هذه الايام قصد جمع من التركمان الى البندنيجين فامر الخليفة بتجهيز عسكر اليهم وان يكون مقدمهم ترشك وكان فى اقطاعه بلد اللحف فارسل اليه الخليفة يستدعيه فامتنع من المجىء الى بغداد وقال يحضر العسكر فانا اقاتل بهم وكان عازما على الغدر فجهز العسكر وساروا اليه وفيهم جماعة من الامراء فلما اجتمعوا بترشك قتلوه وارسلوا راسه الى بغداد وكان قتل مملوكا للخليفة فدعا اولياء المقتول وقيل لهم ان أمير المؤمنين قد اقتص لابيكم ممن قتله

(ذكر قتل سليمان شاه والخطبة لارسلان)

فى هذه السنة فى ربيع الآخر قتل السلطان سليمان شاه ابن السلطان محمد بن ملكشاه وسبب ذلك انه كان فيه تهور وخرق وبلغ به شرب الخمر حتى انه شربها فى رمضان نهارا وكان يجمع المساخر ولا يلتفت الى الامراء فاهمل العسكر أمره وصاروا لا يحضرون بابه وكان قد رد جميع الامور الى شرف الدين كردباز الخادم وهو من مشايخ الخدم السلجوقية يرجع الى دين وعقل وحسن تدبير فكان الامراء يشكون اليه وهو يسكنهم فاتفق انه شرب يوما بظاهر همذان فى الكشك فحضر عنده كردباز فلامه على فعله فامر سليمان شاه من عنده من المساخرة فعبثوا بكردباز حتى ان بعضهم كشف له سوأته فخرج مغضبا فلما صحا سليمان أرسل اليه يعتذر فقبل عذره الا انه تجنب الحضور عنده فكتب سليمان الى اينانج صاحب الرى يطلب منه ان ينجده على كردباز فوصل الرسول واينانج مريض فاعاد الجواب يقول اذا افقت من مرضى حضرت اليك بعسكرى فبلغ الخبر كردباز فازداد استيحاشا فارسل اليه سليمان يوما يطلبه فقال اذا جاء اينانج حضرت واحضر الامراء واستحلفهم على طاعته وكانوا كارهين لسليمان فحلفوا له فاول ما عمل أن قتل المساخرة الذين لسليمان وقال انما أفعل ذلك للملك ثم اصطلحا وعمل كردباز دعوة عظيمة حضرها السلطان والامراء فلما صار السلطان سليمان شاه فى داره قبض عليه كردباز وعلى وزيره ابى القاسم محمود بن عبد العزيز الحامدى وعلى أصحابه فى شوال سنة خمس وخمسين وخمسمائة فقتل وزيره وخواصه وحبس سليمان شاه فى قلعة ثم أرسل اليه من خنقه وقيل بل حبسه فى دار مجد الدين العلوى رئيس همذان وفيها قتل وقيل بل سقى سما فمات والله أعلم وأرسل الى ايلدكز صاحب أرانية وأكثر بلاد اذربيجان يستدعيه اليه ليخطب للملك ارسلان شاه الذى معه وبلغ الخبر الى اينانج صاحب الرى فسار ينهب البلاد الى ان وصل الى همذان فتحصن كردباز وطلب منه اينانج ان يعطيه مصافا فقال أنا لا أحارب الا حتى

وماعداهم ربع استحقاقهم وكتب له فرمانا بذلك فقال له الروزنامجى فى بعضهم من يستحق المراعاة كبعض أهل العلم الخاملين واهل الحرمين المهاجرين ومستوطنين بمصر بعيالهم وليس لهم ايراد يتعيشون منه الا ماهو مرتب لهم من العلائف فى كل سنة وكذلك بعض الملتزمين الذين اعتادوا سداد ما عليهم من الميرى وبعضه مما لهم من الاتلافات والعلائف والغلال فقال له النظر فى ذلك لرأيك فان هذا شىء يعسر ضبط جزئياته فاعتمد ذلك وطفق يفعل فى البعض بالنصف والبعض بالثلث اوالثلثين واما العامة والارامل فيصرف لهم الربع لاغير حسب الامر ويقاسون فى تحصيل ربع استحقاقهم الشدائد من السعى وتكرار الذهاب والتسويف والرجوع فى الاكثر من غير شىء مع بعد المسافة وفيهم الكثير من العواجز فلما ترافعوا فى الحساب مانع المتصدر فيما زاد على الربع وطلع الى الباشا فعرفه بذلك فقال الباشا لاتخصموا له الا ما كان باذنى وفرمانى وما كان بدون ذلك فلا وانكر الحال السابق منه له وقال هو متبرع فيما فعله فتاخر عليه مبلغ كبير فى مدة أربع سنوات وكذلك كان يحول عليه حوالات لكبار العسكر برسول من أتباعه فلا يسعه الممانعة ويدفع القدر المحول عليه بدون فرمان اتكالا على الحالة التى هو معه عليها

يصل الاتابك الاعظم ايلدكز وسار ايلدكز في عساكره جميعها تزيد على عشرين ألف فارس ومعه ارسلان شاه بن طغرل بن محمد بن ملكشاه فوصل الى همذان فلقيهم كردبازو وأنزله دار المملكة وخطب لارسلان شاه بالسلطنة بتلك البلاد وكان ايلدكز اتابكه والبهلوان حاجبه وهو أخوه لامه وكان ايلدكز هذا أحد مماليك السلطان مسعود وأمرائه في أول امره فلما ملك اقطعه اران وبعض اذربيجان واتفق الحروب والاختلاف فلم يحضر عند احد من السلاطين السلجوقية وعظم شانه وقوى امره وتزوج بام الملك ارسلان شاه فولدت له اولادا منهم البهلوان محمد وقزل ارسلان عثمان وقد ذكرنا سبب انتقال ارسلان شاه اليه وبقي عنده الى الآن فلما خطب له بهمذان ارسل ايلدكز الى بغداد يطلب الخطبة لارسلان شاه ايضا وان تعاد القواعد الى ما كانت عليه ايام السلطان مسعود فاهين رسوله واعيد اليه على اقبح حالة واما اينانج صاحب الري فان ايلدكز راسله ولاطفه فاصطلحا وتحالفا على الاتفاق وتزوج البهلوان بن ايلدكز بابنة اينانج ونقلت اليه بهمذان

(ذكر الحرب بين ابن آقسنقر وعسكر ايلدكز)

لما استقر الصلح بين ايلدكز واينانج أرسل الى ابن آقسنقر الاحمديلي صاحب مراغة يدعوه الى الحضور في خدمة السلطان ارسلان شاه فامتنع من ذلك وقال ان كففتم عني والا فعندي سلطان وكان عنده ولد محمد شاه بن محمود كما ذكرناه وكان الوزير ابن هبيرة قد كاتبه يطمعه في الخطبة لولد محمود شاه فجهز ايلدكز عسكرا مع ولده البهلوان فبلغ الخبر الى ابن آقسنقر فارسل الى شاه ارمن صاحب خلاط وحالفه وصارا يدا واحدة فسير اليه شاه ارمن عسكرا كثيرا واعتذر عن تاخره بنفسه لانه في ثغر لا يمكنه مفارقته فقوي بهم ابن آقسنقر وكثر جمعه وسار نحو البهلوان فالتقيا على نهر اسبيرود فاشتد القتال بينهم فانهزم البهلوان اقبح هزيمة ووصل هو وعسكره الى همذان على اقبح صورة واستامن اكثر اصحابه الى ابن آقسنقر وعاد الى بلده منصورا

(ذكر الحرب بين ايلدكز واينانج)

لما مات ملكشاه ابن السلطان محمود كما ذكرناه أخذ طائفة من اصحابه ابنه محمودا وانصرفوا به نحو بلاد فارس فخرج عليهم صاحبها زنكي بن دكلا السلغري فاخذه منهم وتركه في قلعة اصطخر فلما ملك ايلدكز والسلطان ارسلان شاه الذي معه البلاد وارسل ايلدكز الى بغداد يطلب الخطبة للسلطان كما ذكرناه شرع الوزير عون الدين ابو المظفر يحيي بن هبيرة وزير الخليفة في اثارة اصحاب الاطراف عليه وراسل الاحمديلي وكان ما ذكرناه وكاتب زنكي بن دكلا صاحب بلاد فارس يبذل له ان يخطب للملك الذي عنده وهو ابن ملكشاه وعلق الخطبة له بظفره بايلدكز فخطب ابن دكلا للملك الذي عنده وانزله من القلعة وضرب الطبل على بابه خمس نوب وجمع عساكره وكاتب اينانج صاحب الري يطلب منه الموافقة وسمع ايلدكز الخبر فحشد وجمع وكثر عسكره

فرجعوا عليه في كثير من ذلك وتأخر عليه مبلغ كبير أيضا فتمموا حساب سنة واحدة على هذا النسق فبلغت نحو الالاف كيس ومائتي كيس وكسور تبلغ في الاربع سنوات خمسة آلاف كيس فتقلق حسين افندي وتحير في امره وزاد وسواسه ولم يجد مغيثا ولا شافعا ولا دافعا (وفي اواخره) عمل الباشا مهما لختان ابن بونابارته الخازندار الغائب ببلاد الحجاز وعمل له زفة في يوم الجمعة بعد الصلاة اجتمع الناس للفرجة عليها (وفيه) ايضا زاد الارجاف بحصول الطاعون ووقع الموت منه بالاسكندرية فامر الباشا بعمل كورنتينه بثغر رشيد ودمياط والبراس وشبرا وأرسل الى الكاشف الذي بالبحيرة بمنع المسافرين المارين من البر وأمر ايضا بقراءة صحيح البخاري بالازهر وكذلك يقرؤن بالمساجد والزوايا سورة الملك والاحقاف في كل ليلة بنية رفع الوباء فاجتمعوا الاقليلا بالازهر نحو ثلاثة أيام ثم تركوا ذلك وتكاسلوا عن الحضور (وفي يوم الاثنين تاسع عشرينه) كسفت الشمس وقت الضحوة وكان المنكسف نحو ثلاثة ارباع الجرم وكانت الشمس في برج الدلو أيام الشتاء فاظلم الجو الا قليلا ولم ينتبه له كثير من الناس لظنهم انها غيوم متراكمة لانهم في فصل الشتاء

(واستهل شهر صفر بيوم الاربعاء سنة ١٢٢٨) فيه في أخريات النهار هبت ريح جنوبية غربية عاصفة باردة

وجوعه

وجوهه فكانت اربعين الف فارس الى اصفهان يريد بلاد فارس وارسل الى زنكي بن دكلا يطلب منه الموافقة وان يعود يخطب لارسلان شاه فلم يفعل وقال ان الخليفة قد اقطعني بلاده وانا سائر اليه فرحل ايلدكز وبلغه ان جشير الارسلان بوقا وهو امير من امراء زنكي وفي اقطاعه ارجان بالقرب منه فانفذ سرية للغارة عليه فاتفق ان ارسلان بوقا عزم على تغيير الخيل التي معه فاضعفها واخذ عوضها من ذلك الجشير فسار في عسكره الى الجشير فصادف العسكر الذي سيره ايلدكز لاخذ دوابه فقاتلهم واخذهم وقتلهم وارسل الرؤس الى صاحبه فكتب بذلك الى بغداد وطلب المدد ووعد بذلك وكان الوزير عون الدين بن هبيرة ايضا قد كاتب الامراء الذين مع ايلدكز يعجمهم على طاعته ويضعف رأيهم ويحرضهم على مساعدة زنكي بن دكلا وايناخ وكان ايناخ قد برز من الري في عشرة آلاف فارس فارسل اليه ابن آقسنقر الاحمديلي خمسة آلاف فارس وهرب ابن البازدار صاحب قزوين وابن طغيرك وغيرهما فالحقا والبايناخ وهو في صحراء ساوة واما ايلدكز فانه استشار نصحاءه فاشاروا بقصد ايناخ لانه اهم فرحل اليه ونهب زنكي سهيرم وغيرها فرد ايلدكز اليه اميرا في عشرة آلاف فارس يحفظ البلاد فسار زنكي اليهم فلقيهم وقاتلهم فانهزم عسكر ايلدكز اليه فتجلد ايلدكز وارسل يطلب عساكر اذربيجان فجاءته مع ولده قزل ارسلان وسير زنكي بن دكلا عسكرا كثيرا الى ايناخ واعتذر عن الحضور بنفسه عنده لخوفه على بلاده من شملة صاحب خوزستان فسار ايلدكز الى ايناخ وتدانى العسكران فالتقوا تاسع شعبان وجرى بينهم حرب عظيمة اجلت عن هزيمة ايناخ فانهزم اقبح هزيمة وقتلت رجاله ونهبت امواله ودخل الري وتحصن في قلعة طبرك وحصره ايلدكز بالري ثم شرع في الصلح واقترح ايناخ اقتراحات فاجابه ايلدكز اليها واعطاه جرباذقان وغيرها وعاد ايلدكز الى همذان وكان ينبغي ان تتأخر هذه الحادثة والتي قبلها وانما قدمت لتتبع اخواتها

﴿ذكر وفاة ملك الغور وملك ابنه محمد﴾

في هذه السنة في ربيع الآخر توفي الملك علاء الدين الحسين بن الحسين الغوري ملك الغور بعد انصرافه عن غزنة وكان عادلا من احسن الملوك سيرة في رعيته ولما مات ملك بعده ابنه سيف الدين محمد واطاعه الناس واحبوه وكان قد صار في بلادهم جماعة من دعاة الاسماعيلية وكثر اتباعهم فاخرجهم من تلك الديار جميعها ولم يبق فيها منهم احد وراسل الملوك وهاداهم واستمال المؤيد اي ابه صاحب نيسابور وطلب موافقته

﴿ذكر الفتنة بنيسابور وتخريبها﴾

كان اهل العيث والفساد بنيسابور قد طمعوا في نهب الاموال وتخريب البيوت وفعل ما ارادوا فاذا نهوا لم ينتهوا فلما كان الآن تقدم المؤيد اي ابه بقبض اعيان نيسابور منهم نقيب العلويين ابو القاسم زيد بن الحسن الحسيني وغيره وحبسهم في ربيع الآخر سنة ست وخمسين وقال انتم الذين اطمعتم الرنود والمفسدين حتى فعلوا هذه الفعال ولو

واستمرت لعصر يوم السبت وكانت قوتها يوم الجمعة أثارت غبارا أصفر ورمالا مع غيم
مطبق وقتام ورش مطر قليل في بعض الاوقات (وفي يوم الثلاثاء سابعه) وردت بشائر من البلاد الحجازية باستيلاء العساكر على جدة ومكة من غير حرب وذلك انه لما انهزمت الاتراك في العام الماضي ورجعوا على الصورة التي رجعوا عليها مشتتين ومتفرقين وفيهم من حضر من طريق السويس ومنهم من أتى من البر ومنهم من حضر من ناحية القصير ونفى الباشا من استعجل بالهزيمة والرجوع من غير امره ويخشى صولته ويرى في نفسه انه أحق بالرياسة منه مثل صالح قوج وسليمان وجوو وأخرجهم من مصر واستراح منهم ثم قتل أحمد أغا لاظ جدد ترتيبا آخر وعرفه كبراء العرب الذين استمالهم وانفذ رجوا معه وشيخ الحويطات أن الذي حصل لهم انما هو من العرب الموهبين وهم عرب حرب والصفراء وانهم يجحدون والوهابية لا يعطونهم شيئا ويقولون لهم قاتلوا عن دينكم وبلادكم فاذا بذلتم لهم الاموال وأغدقتم عليهم بالانعام والعطاء ارتدوا ورجعوا وصاروا معكم وملكوكم البلاد فاجتهد الباشا في جمع الاموال بأي وجه كان واستأنف الطلب ورتب الامور وأشاع الخروج
بنفسه ونصب العرضي خارج باب النصر وذلك في شهر شعبان وخرج بالموكب كما

اردتم منعهم لامتنعوا وقتل من أهل الفساد جماعة فخربت نيسابور بالكلية ومن جملة ما خرب مسجد عقيل وكان مجمعا لاهل العلم وفيه خزائن الكتب الموقوفة وكان من اعظم منافع نيسابور وخرب أيضا من مدارس الحنفية ثمان مدارس ومن مدارس الشافعية سبع عشرة مدرسة واحرق خمس خزائن للكتب ونهب سبع خزائن كتب وبيعت بابخس الاثمان هذا ما امكن احصاؤه سوى ما لم يذكر

(ذكر خلع السلطان محمود ونهب طوس وغيرها من خراسان)

في هذه السنة في جمادى الآخرة قصد السلطان محمود بن محمد الخان وهو ابن أخت السلطان سنجر وقد ذكرنا انه ملك خراسان بعده ففي هذه السنة حصر المؤيد صاحب نيسابور بشاذياخ وكان الغز مع السلطان محمود فدامت الحرب الى آخر شعبان سنة ست وخمسين وخمسمائة ثم ان محمودا اظهر انه يريد دخول الحمام فدخل الى شهرستان آخر شعبان كالهارب من الغز واقاموا على نيسابور الى آخر شوال ثم عادوا اجمعين فعاثوا في القرى ونهبوها ونهبوا طوس نهبا فاحشا وحضروا المشهد الذى لعلي بن موسى وقتلوا كثيرا ممن فيه ونهبوهم ولم يعرضوا للقبة التي فيها القبر فلما دخل السلطان محمود الى نيسابور امهله المؤيد الى ان دخل رمضان من سنة سبع وخمسين وخمسمائة واخذه وكحله واعماه واخذ ما كان معه من الاموال والجواهر والاعلاق النفيسة وكان يخفيها خوفا عليها من الغز لما كان معهم وقطع المؤيد خطبته من نيسابور وغيرها مما هو في تصرفه وخطب لنفسه بعد الخليفة المستنجد بالله واخذ ابنه جلال الدين محمدا الذى كان قد ملكه الغز امرهم قبل ابيه وقد ذكرنا ذلك وسمله ايضا وسجنهما ومعهما جواريهما وحشمهما وبقيا فيها فلم تطل ايامهما ومات السلطان محمود ثم مات ابنه بعده من شدة وجده لموت ابيه والله اعلم

(ذكر عمارة شاذياخ نيسابور)

كانت شاذياخ قد بناها عبد الله بن طاهر بن الحسين لما كان اميرا على خراسان للمأمون وسبب عمارتها انه رأى امرأة جميلة تقود فرسا تريد سقيه فسألها عن زوجها فاخبرته به فاحضره وقال له خدمة الخيل بالرجال اشبه فلم تقعد انت في دارك وترسل امرأتك مع فرسك فبكى الرجل وقال له ظلمك يحملنا على ذلك فقال وكيف قال لانك تنزل الجند معنا في دورنا فان خرجت انا وزوجتي بقي البيت فارغا فيأخذ الجندي ما فيه وان سقيت انا الفرس فلا آمن على زوجتي من الجندي فرأيت ان أقيم في البيت وتخدم زوجتي الفرس فعظم الامر عليه وخرج من البلد لوقته ونزل في الخيام وامر الجند فخرجوا من دور الناس وبنى شاذياخ دارا له وللجند وسكنها وهم معه ثم انها خربت بعد ذلك فلما كان أيام السلطان الب ارسلان ذكرت له هذه القصة فامر بتجديدها ثم انها تشعثت بعد ذلك فلما كان الآن وخربت نيسابور ولم يمكن حفظها والغز تطرق البلاد ونهبها امر المؤيد حينئذ بعمل سورها وسد ثلمه وسكناه ففعل ذلك وسكنها هو والناس

تقدم وجلس بالصيوان وقرر للسفر في المقدمة بونابارته الخازندار وأعطاه صناديق الأموال والكساوي وارفق معه عابدين بك ومن يصحبهما وواظب على الخروج الى العرضي والرجوع تارة الى القلعة وتارة الى الازبكية والجيزة وقصر شبرا ويعمل الرماحة والميدان في يومي الخميس والاثنين والمصاف على طرائق حرب الافرنج وسافر بونابارته في اواخر شعبان واستمر العرضي منصوبا والطلب كذلك مطلوبا والعساكر واردة من بلادها على طريق الاسكندرية ودمياط ويخرج الكثير الى العرضي ويستمرون على الدخول الى المدينة في الصباح لقضاء اشغالهم والرجوع آخريات النهار مع تعدي أذاهم للباعة والحمارة وغيرهم ولما غدر الباشا باحمد أغا لاظ وقتله في اواخر رمضان ولم يبق احد ممن يخشى سطوته وسافر عابدين بك في شوال وارتحل بعده بنحو شهر مصطفى بك دالي باشا وصحبته عدة وافرة من العسكر ثم سافر أيضا يحيى اغا ومعه نحو الخمسمائة وهكذا كل قليل ترحل طائفة بعد أخرى والعرضي كما هو وميدان الرماحة كذلك ولما وصل بونابارته الى ينبع البر اخذوا في تاليف العربان واستمالتهم وذهب اليهم ابن شديد الحويطي ومن معه وتقابلوا مع شيخ حرب ولم يزالوا به حتى وافقهم وحضروا به الى بونابارته فاكرمه وخلع عليه الخلع وكذلك على من حضر من اكابر العربان فالبسهم

معه

معه وخربت حينئذ نيسابور كل خراب ولم يبق فيها الا ثنان

•(ذكر قتل الصالح بن رزيك ووزارة ابنه رزيك)•

فى هذه السنة فى شهر رمضان قتل الملك الصالح ابو الغارات طلائع بن رزيك الارمنى وزير العاضد العلوى صاحب مصر وكان سبب قتله انه تحكم فى الدولة التحكم العظيم واستبد بالامر والنهى وجباية الاموال اليه لصغر العاضد ولانه هو الذى ولاه ووتر الناس فانه اخرج كثيرا من اعيانهم وفرقهم فى البلاد ليامن وثوبهم عليه ثم انه زوج ابنته من العاضد فعاداه ايضا الحرم من القصر فارسلت عمة العاضد الاموال الى أمراء المصريين ودعتهم الى قتله وكان اشدهم عليه فى ذلك انسان يقال له ابن الداعى فوقفوا له فى دهليز القصر فلما دخل ضربوه بالسكاكين على دهش فجرحوه جراحات مهلكة الا انه حمل الى داره وفيه حياة فارسل الى العاضد يعاتبه على الرضا بقتله مع اثره فى خلافته فاقسم العاضد انه لا يعلم بذلك ولم يرض به فقال ان كنت بريا فسلم عمتك الى حتى انتقم منها فامر باخذها فارسل اليها فاخذها قهرا واحضرت عنده فقتلها ووصى بالوزارة لابنه رزيك ولقب العادل فانتقل الامر اليه بعد وفاة أبيه وللصالح أشعار حسنة بليغة تدل على فضل غزير فمنها فى الافتخار

أبى الله الا أن يدوم لنا الدهر • ويخدمنا فى ملكنا العز والنصر

علمنا بان المال تفنى الوفه • و يبقى لنا من بعده الاجر والذكر

خلطنا الندى بالباس حتى كأننا • سحاب لديه البرق والرعد والقطر

قرانا اذا رحنا الى الحرب مرة • قرانا ومن اضيافنا الذئب والنسر

كما اننا فى السلم نبذل جودنا • ويرتع فى انعامنا العبد والحر

وكان الصالح كريما فيه ادب له شعر جيد وكان لاهل العلم عنده انفاق ويرسل اليهم العطاء الكثير بلغه أن الشيخ أبا محمد بن الدهان النحوى البغدادى المقيم بالموصل قد شرح بيتا من شعره وهو هذا

تجنب سمعى ما يقول العواذل • وأصبح لى شغل من الغزو شاغل

فجهز اليه هدية سنية يرسلها اليه فقتل قبل ارسالها وبلغه ايضا ان انسانا من أعيان الموصل قد اثنى عليه بمكة فارسل اليه كتابا يشكره ومعه هدية وكان الصالح اماميا لم يكن على مذهب العلويين المصريين ولما ولى العاضد الخلافة وركب سمع الصالح ضجة عظيمة فقال ما الخبر فقيل انهم يفرحون بالخليفة فقال كأنى بهؤلاء الجهلة وهم يقولون ما مات الاول حتى استخلف هذا وما علموا انى كنت من ساعة استعرضهم استعراض الغنم قال عمارة دخلت الى الصالح قبل قتله بثلاثة أيام فناولنى قرطاسا فيه بيتان من شعره وهما

نحن فى غفلة ونوم وللمو • ت عيون يقظانة لا تنام

قد رحلنا الى الحمام سنينا • ليت شعرى متى يكون الحمام

الكماوى والقراوى السمور والشالات الكشميرى ففرق عليهم من ١٢٣ الكشميرى مل ءاو بع سماحير وصب عليهم الاموال واعطى الشيخ حرب مائة الف فرانسه عين وحضر باقى المشايخ فخلع عليهم وفرق فيهم فخص شيخ حرب بمفرده ثمانية عشر الف فرانسه ثم رتب لهم علائف تصرف لهم فى كل شهر لكل شخص خمسة فرانسه وغرارة بقسماط وغرارة عدس فعند ذلك ملكوهم الارض والذى كان متامرا بالمدينة من جنسهم فاستمالوه ايضا وسلم لهم المدينة وكل ذلك بمخامرة الشريف غالب امير مكة وتدبيره واشاراته فلما تم ذلك أظهر الشريف غالب امره وملكهم مكة والمدينة وكان ابن مسعود الوهابى حضر فى الموسم وحج ثم ارتحل الى الطائف وبعد رحيله فعل الشريف غالب فعله وسيلقى جزاءه ولما وصلت البشائر بذلك فى يوم الثلاثاء سابعه ضربوا مدافع كثيرة ونودى فى صبح ذلك بزينة المدينة ومصر وبولاق فزينوا خمسة ايام اولها الاربعاء وآخرها الاحد وقاسى الناس فى ليالى هذه الايام العذاب الاليم من شدة البرد والصقيع وسهر الليل الطويل وكان ذلك فى قوة فصل الشتاء وكل صاحب حانوت جالس فيها وبين يديه مجمرة نار يتدفا ويصطلى بحرارتها وهو ملتف بالعباءة والاكسية الصوف واللحاف وخرج الباشا من ليلة الاربعاء المذكور ونصبت

فكان آخر عهدى به وقال عمارة أيضا ومن عجيب الاتفاق انى انشدت ابنه قصيدة أقول فيها

ابوك الذى تسطو الليالى بحده * وأنت يمين ان سطا وشمال
لرتبته العظمى وان طال عمره * اليك مصير واجب ومئال
تخالسك اللحظ المصون ودونها * حجاب شريف لا انقضا وحجال

فانتقل الامر اليه بعد ثلاثة أيام

(ذكر الحرب بين العرب وعسكر بغداد)

فى هذه السنة فى شهر رمضان اجتمعت خفاجة الى الحلة والكوفة وطالبوا برسومهم من الطعام والتمر وغير ذلك فمنعهم أمير الحاج ارغش وهو مقطع الكوفة ووافقه على منعه الامير قيصر شحنة الحلة وهما من مماليك الخليفة فافسدت خفاجة ونهبوا سواد الكوفة والحلة فاسرى اليهم الامير قيصر شحنة الحلة فى مائتين وخمسين فارسا وخرج اليه ارغش فى عسكر وسلاح فانتزحت خفاجة من بين أيديهم وتبعهم العسكر الى رحبة الشام فارسل خفاجة يعتذرون ويقولون قد قنعنا بلبن الابل وخبز الشعير وانتم تمنعونا رسومنا وطلبوا الصلح فلم يجبهم ارغش وقيصر وكان قد اجتمع مع خفاجة كثير من العرب فتصافوا واقتتلوا وسلت العرب طائفة الى خيام العسكر ورحالهم فحالوا بينهم وبينها وحمل العرب حملة منكرة فانهزم العسكر وقتل كثير منهم وقتل الامير قيصر وأسرت جماعة أخرى وجرح أمير الحاج جراحة شديدة ودخل الرحبة فحماه شحنتها واخذ له الامان وسيره الى بغداد ومن نجا مات عطشا فى البرية وكان اماء العرب يخرجن بالماء يسقين الجرحى فاذا طلبه منهن أحد من العسكر اجهزن عليه وكثر النوح والبكاء ببغداد على القتلى وتجهز الوزير عون الدين بن هبيرة والعساكر معه فخرج فى طلب خفاجة فدخلوا البرية وخرجوا الى البصرة ولما دخلوا البر عاد الوزير الى بغداد وأرسل بنو خفاجة يعتذرون ويقولون ان بغى علينا وفارقنا البلاد فتبعونا واضطررنا الى القتال وسالوا العفو عنهم فاجيبوا الى ذلك

(ذكر حصر المؤيد شارستان)

فى هذه السنة حصر المؤيد اى ابه مدينة شارستان قريب نيسابور وقاتله أهلها ونصب المجانيق والعرادات فصبر أهلها خوفا على انفسهم من المؤيد وكان مع المؤيد جلال الدين الموفق الفقيه الشافعى فبينما هو راكب اذ وصل اليه حجر منجنيق فقتله خامس جمادى الآخرة من السنة وتعدى الحجر منه الى شيخ من شيوخ بيهق فقتله فعظمت المصيبة بقتل جلال الدين على أهل العلم خصوصا أهل السنة والجماعة وكان فى عنفوان شبابه رحمه الله لما قتل ودام الحصار الى شعبان سنة سبع وخمسين وخمسمائة فنزل خواجكى صاحبها بعد ما كثر القتل ودام الحصر وكان لهذه القلعة ثلاثة رؤساء هم ارباب النهى والامر وهم الذين حفظوها وقاتلوا عنها احدهم خواجكى هذا والثانى داعى

الخيام وخرجت الجمال المحملة باللوازم من الفرش والاوانى وازيار الماء والبارود لعمل الشنانك والحرائق وفى كل يوم يعمل مرماح وشنك عظيم مهول بالمدافع وبنادق الرصاص المتواصلة من غير فاصل مثل الرعود والطبول من طلوع الشمس الى قريب الظهر وفى أول يوم من ايام الرمى أصيب ابراهيم بك ابن الباشا برصاصة فى كتفه أصابت شخصا من السواس ونفذت منه اليه وهى باردة فتعلل بسببها وخرج بعد يومين فى عربة الى العرضى ثم رجع ولما كان يوم الاحد وقت الزوال ركب الباشا وطلع الى القلعة وقلعوا خيام الشنك وحملوا الجمال ودخلت طوائف العسكر واذن للناس بقلع الزينة ونزول التعاليق وكان الناس قد عمروا القناديل واشاعوا انها سبعة أيام فلما حصل الاذن بالرفع فكأنما نشطوا من عقال وخلصوا من السجون لما قاسوه من البرد والسهر وتعطيل الاشغال وكسادا لصنائع والتكاليف بما لا طاقة لهم به وفيهم من لا يملك قوت عياله او تعمير سراجه فيتكلف مع ذلك هذه التكاليف وكتب الباشا بالبشائر الى دار السلطنة وارسلها صحبة أمين جاويش وكذلك الى جميع النواحى وانعم بالمناصب على خواصه *(وفى هذا الشهر)* وردت اخبار بوقوع امطار

ابن محمد ابن ابى حرب العلوى والثالث الحسين بن ابى طالب العلوى الفارسى فنزلوا
كلهم ايضا الى المؤيد اى ابه فبين معهم من اشياعهم واتباعهم فاما خواجكى فانه
اثبت عليه انه قتل زوجته ظلما وعدوانا واخذ مالها فقتل بها وملك المؤيد شارستان
وصفت له فنهبها عسكره الا انهم لم يقتلوا امرأة ولا سبوها

(ذكر ملك الكرج مدينة انى)

فى هذه السنة فى شعبان اجتمعت الكرج مع ملكهم وساروا الى مدينة انى من بلاد
اران وملكوها وقتلوا فيها خلقا كثيرا فانتدب لهم شاه أرمن بن ابراهيم بن سكمان
صاحب خلاط وجمع العساكر واجتمع معه من المطوعة خلق كثير وساروا اليهم فلقوه
وقاتلوه فانهزم المسلمون وقتل اكثرهم واسر كثير منهم وعاد شاه ارمن مهزوما لم يرجع
معه غير اربعمائة فارس من عسكره

(ذكر ولاية عيسى مكة حرسها الله تعالى)

كان امير مكة هذه السنة قاسم بن فليتة بن قاسم بن ابى هاشم العلوى الحسينى فلما سمع
بقرب الحجاج من مكة صادر المجاورين وأعيان اهل مكة واخذ كثيرا من اموالهم وهرب
من مكة خوفا من امير الحاج أرغش وكان قد حج هذه السنة زين الدين على بن بكتكين
صاحب جيش الموصل ومعه طائفة صالحة من العسكر فلما وصل امير الحاج الى مكة
رتب مكان قاسم بن فليتة عمه عيسى بن قاسم بن هاشم فبقى كذلك الى شهر رمضان
ثم ان قاسم بن فليتة جمع جمعا كثيرا من العرب أطمعهم فى مال له بمكة فاتبعوه فسار بهم
اليها فلما سمع عمه عيسى فارقها ودخلها قاسم فاقام بها اميرا اياما ولم يكن له مال يوصله
الى العرب ثم انه قتل قائدا كان معه حسن السيرة فتغيرت نيات أصحابه عليه وكاتبوا
عمه عيسى فقدم عليهم فهرب وصعد جبل أبى قبيس فسقط عن فرسه فاخذه أصحاب
عيسى وقتلوه فعظم عليه قتله فاخذه وغسله ودفنه بالمعلى عند أبيه فليتة واستقر الامر
بعده لعيسى والله أعلم

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة سار عبد المؤمن بن على الى جبل طارق وهو على ساحل الخليج مما يلى
الاندلس فعبر المجاز اليه وبنى عليه مدينة حصينة واقام بها عليه عدة شهور وعاد الى
مراكش وفيها فى المحرم ودنيسا بور جمع كثير من تركمان بلاد فارس ومعهم اغنام كثيرة
للتجارة فباعوها واخذوا الثمن ونزلوا على مرحلتين من طابس كنكلى وباتوا هنالك
فنزل اليهم الاسماعيلية وكبسوهم ليلا ووضعوا السيف فيهم فقتلوا اكثروا ولم ينج
منهم الا الشريد وغنم الاسماعيلية جميع ما معهم من مال وعروض وعادوا الى قلاعهم
وفيها كثرت الامطار فى اكثر البلاد ولا سيما خراسان فان الامطار توالت فيها من العشرين
من المحرم الى منتصف صفر لم تنقطع ولا رأى الناس فيها شمسا وفيها كان بين الكرج
وبين الملك صلتق بن على صاحب ارزن الروم قتال وحرب انهزم فيه صلتق وعسكره

وثلوج كثيرة بناحية بحرى وبالاسكندرية ورشيد بحدود الغربية والمنوفية والبحيرة وشدة بردومات من ذلك أناس وبهائم والزروع البدرية وطفىء على وجه الماء اسماك موتى كثيرة فكان موج البحر يلقيه على الشطوط وغرق كثير من السفن من الرياح العواصف التى هبت فى اول الشهر (وفى سابعه) يوم وصول البشارة احضر الباشا حسين افندى الروزنامجى وخلع عليه خلعة الابقاء على منصبه فى الروزنامه وقرر عليه الفين وخمسمائة كيس وذلك انهم لما رافعوه فى الحساب على الطريقة المذكورة ارسل اليه الباشا بطلب خمسمائة كيس من اصل الحساب فضاق خناقه ولم يجد له شافعا ولا ذا رحمة فارسل ولده الى محمود بك الدويدار يستجير فيه وليكون واسطة بينه وبين الباشا وهو رجل ظاهره خلاف باطنه فذهب معه الى الباشا فبش فى وجهه ورحب به واجلسه محمود بك فى ناحية من المجلس وتناجى هو مع الباشا ورجع اليه يقول له انه يقول ان الحساب لم يتم الى هذا الحين وانه ظهر على ابيك تاريخ امس خمسة آلاف كيس وزيادة وانا تكلمت معه وتشفعت عنده فى ترك باقى الحساب والمسامحة فى نصف المبلغ والكسور فيكون الباقى الفين وخمسمائة كيس تقومون بدفعها فقال ومن اين لنا هذا القدر العظيم وقد عزلنا من

المنصب ايضا حتى كنا نمد اين ولا يامننا الناس اذا كان القدر دون هذا ايضا فرجع الى الباشا وعاد اليه
يقول له لم يمكنى تضعيف
القدر سوى ما سامح فيه واما
المنصب فهو عليكم وفى غد
يطلع والدك و يجدد عليه
الابقاء وينكمد الخصم
وعلى الله السداد ونهض
وقبل يده وتوجه فنزل الى
دارهم واخبر والده بما حصل
فزاد كربه ولم يسعه الا التسليم
وركب فى صبحها وطلع الى
الباشا فخلع عليه ونزل الى
داره بقهره وشرع فى بيع
تعلقاته وما يحصل لديه (وفى
يوم الاثنين ثالث عشره)
خلع الباشا على مصطفى
افندى ونزل الى داره واتاه
الناس يهنئونه بالمنصب (وفى
يوم الاربعاء ثالث عشرينه)
وردت بشائر بتملكهم
الطائف وهروب المضايفى
منها فعملوا شنكا وضربوا
مدافع كثيرة من القلعة
وغيرها ثلاثة ايام فى كل
وقت اذان وشرع الباشا فى
تشهيل ولده اسمعيل باشا
بالبشارة ليسافر الى اسلامبول
وتاريخ تملكها فى سادس
عشرين المحرم (وفى هذه
الايام) ابتدعوا تحرير
الموازين وعملوا لذلك ديوانا
بالقلعة وامروا بابطال موازين
الباعة واحضار ما عندهم
من الصنج فيزنون الصنجة
فان كانت زائدة او ناقصة
اخذوها وابقوها عندهم وان كانت محررة الوزن ختموها بختم واخذوا على كل ختم صفحة ثلاثة انصاف

واسمه هو وكانت اخته شاه بانوار قد تزوجها شاه ارمن بن سكمان بن ابراهيم بن سكمان صاحب خلاط فارسلت الى ملك الكرج هدية جليلة المقدار وطلبت منه ان يفاديها باخيها فاطلقه فعاد الى ملكه وفيها اقصد صاحب صيدا من الفرنج نور الدين محمودا صاحب الشام ملتجئا اليه فامنه وسير معه عسكرا يمنعه من الفرنج ايضا فظهر عليهم فى الطريق كمين للفرنج فقتلوا من المسلمين جماعة وانهزم الباقون وفيها ملك قرا ارسلان صاحب حصن كيفا قلعة شاتان وكانت لطائفة من الاكراد يقال لهم الجونية فلما ملكها اخربها واضاف ولايتها الى حصن طالب وفيها توفى الكمال حمزة بن على بن طلحة صاحب المخزن كان جليل القدر ايام المسترشد بالله وولى المقتفى وبنى مدرسة لاصحاب الشافعى بالقرب من داره ثم حج وعاد وقد لبس الفوط وزى الصوفية وترك الاعمال فقال بعض الشعراء فيه

يا عضد الاسلام يا من سمت ... الى العلا همته الفاخره
كانت لك الدنيا فلم ترضها ... ملكا فاخلدت الى الآخره

وبقى منقطعا فى بيته عشرين سنة ولم يزل محترما يغشاه الناس كافة

(ثم دخلت سنة سبع وخمسين وخمسمائة)

(ذكر فتح المؤيد طوس وغيرها)

فى هذه السنة فى السابع والعشرين من صفر نازل المؤيد اى ابه ابا بكر جاندار بقلعة وسكرة خوى من طوس وكان قد تحصن بها وهى حصينة منيعة لا ترام فقاتله واعانه اهل طوس على ابى بكر لسوء سيرته كانت فيهم وظلمه فلما رأى ابو بكر ملازمة المؤيد ومواصلة القتال عليه خضع وذل ونزل من القلعة بالامان فى العشرين من ربيع الاول من السنة فلما نزل منها حبسه المؤيد وامر بتقييده ثم سار منها الى كرستان وصاحبها ابو بكر فاخر فنزل من قلعته وهى من امنع الحصون على رأس جبل عال وصار فى طاعة المؤيد ودان له ووافقه وسير جيشا فى جمادى الآخرة منها الى اسفراين فتحصن رئيسها عبد الرحمن بن محمد بن على الحاج بالقلعة وكان ابوه كريم خراسان على الاطلاق ولكن كان عبد الرحمن هذا بئس الخلف فلما تحصن احاط به العسكر المؤيدى واستنزلوه من الحصن وحملوه مقيدا الى الشاذياخ وحبس بها وقيل فى ربيع الآخر سنة ثمان وخمسين وخمسمائة وملك المؤيد ايضا قهندز نيسابور واستدارت مملكة المؤيد حول نيسابور وعادت الى ما كانت عليه قبل الان اهلها انتقلوا الى الشاذياخ وخربت المدينة العتيقة وسير المؤيد جيشا الى خواف وبها عسكر مع بعض الامراء اسمه ارغش فكمن ارغش جمعا فى تلك المضايق والجبال وتقدم الى عسكر المؤيد فقاتلهم وطلع الكمين فانهزم عسكر المؤيد وقتل منهم جمع وعاد الباقون الى المؤيد بنيسابور وسير جيشا الى بوشنج هراة وهى فى طاعة الملك محمد بن الحسين الغورى فحصروها واشتد الحصار عليها وقام القتال والزحف فسير الملك محمد الغورى جيشا اليها ليمنع عنها فلما قاربوا هراة فارقها

العسكر

العسكر الذى يحصرها وعادوا عنها وصفت تلك الولاية للغورية

(ذكر اخذ ابن مردنيش غرناطة من عبد المؤمن وعودها اليه)

فى هذه السنة أرسل اهل غرناطة من بلاد الاندلس وهى لعبد المؤمن الى الامير ابراهيم ابن همشك صهر ابن مردنيش فاستدعوه اليهم ليسلموا اليه البلد وكان قد وحد وصار من أصحاب عبد المؤمن وفى طاعته وممن يحرضه على قصد ابن مردنيش فلما وصل اليه رسل اهل غرناطة سار معهم اليها فدخلها وبها جمع من أصحاب عبد المؤمن فامتنعوا بحصنها فبلغ الخبر اباسعيد عثمان بن عبد المؤمن وهو بمدينة مالقة فجمع الجيش الذى كان عنده وتوجه الى غرناطة لنصرة من فيها من اصحابهم فعلم بذلك ابراهيم بن همشك فاستنجد ابن مردنيش ملك البلاد بشرق الاندلس فارسل اليه الفى فارس من انجاد اصحابه ومن الفرنج الذين جندهم معه فاجتمعوا بنواحى غرناطة فالتقوا هم ومن بغرناطة من عسكر عبد المؤمن قبل وصول ابى سعيد اليهم فاشتد القتال بينهم فانهزم عسكر عبد المؤمن وقدم أبو سعيد واقتتلوا أيضا فانهزم كثير من اصحابه وثبت معه طائفة من الاعيان والفرسان المشهورين والرجالة والاجلاد حتى قتلوا عن آخرهم وانهزم حينئذ أبو سعيد ولحق بمالقة وسمع عبد المؤمن الخبر وكان قد سار الى مدينة سلا فسير فى الحال ابنه أبا يعقوب يوسف فى عشرين ألف مقاتل فيهم جماعة من شيوخ الموحدين مجدوا المسير فبلغ ذلك ابن مردنيش فسار بنفسه وجيشه الى غرناطة ليعين ابن همشك فاجتمع منهم بغرناطة جمع كثير فنزل ابن مردنيش فى الشريعة بظاهرها ونزل العسكر الذى أمر به ابن همشك اولا وهم الفا فارس بظاهرا لقلعة الحمراء ونزل ابن همشك بباطن القلعة الحمراء فيمن معه ووصل عسكر عبد المؤمن الى جبل قريب من غرناطة فاقاموا فى سفحه اياما ثم سيروا سرية أربعة آلاف فارس فبيتوا العسكر الذى بظاهر القلعة الحمراء وقاتلوهم من جهاتهم فالحقوا يركبون فقتلوهم عن آخرهم وأقبل عسكر عبد المؤمن بجملته فنزلوا بضواحى غرناطة فعلم ابن مردنيش وابن همشك انهم لاطاقة لهم بهم ففروا فى الليلة الثانية ولحقوا ببلادهم واستولى الموحدون على غرناطة فى باقى السنة المذكورة وعاد عبد المؤمن من مدينة سلا الى مراكش

(ذكر حصر نور الدين حارم)

فى هذه السنة جمع نور الدين محمود بن زنكى بن آقسنقر صاحب الشام العساكر بحلب وسار الى قلعة حارم وهى للفرنج غربى حلب فحصرها وجد فى قتالها فامتنعت عليه بحصانتها وكثرة من بها من فرسان الفرنج ورجالهم وشجعانهم فلما علم الفرنج ذلك جمعوا فارسهم وراجلهم من سائر البلاد وحشدوا واستعدوا وساروا نحوه ليرحلوه عنها فلما قاربوه طلب منهم المصاف فلم يجيبوه اليه وراسلوه وتلطفوا الحال معه فلما رأى انه لايمكنه أخذ الحصن ولايجيبونه الى المصاف عاد الى بلاده وممن كان معه فى هذه الغزوة مؤيد الدولة اسامة بن مرشد بن منقذ الكنانى وكان من الشجاعة فى الغاية فلما عاد الى

فضة وهى النصف اوقية والاوقية الى الرطل الذى يكون وزنه غير محرر بعطونه رطلا من حديد ويدفع ثمنه مائة نصف فضة والنصف رطل خمسون وهكذا وهو باب يجمع منه اكياس كثيرة (وفيه) أيضا طلب الباشا من عرب الفوائد غرامة سبعين الف فرانسه فعصوا ورحوا باقليم الجيزة واخذوا المواشى وشلحوا من صادفوه وركب كاشف الجيزة عليهم فصادف منهم اباعر محملة امتعة لهم وصحبتهم نساء واولاد فاخذهم ورجع بهم (وفيه) سافر ابراهيم بك ابن الباشا الى ناحية قبلى ووصلت الاخبار بوقوع الطاعون بالاسكندرية فاشتد خوف الباشا والعسكر مع قساوتهم وعسفهم وعدم رحمتهم

(واستهل شهر ربيع الاول بيوم الخميس سنة ١٢٢٨)

(فيه) قلدوا شخصا يسمى حسين البرلى وهو الكتخدا عند كتخدا بك وجعلوه فى منصب بيت المال وعزلوا رجب اغا وكان انسانا سهلا لا باس به فلما تولى هذا ارسل بجميع مشايخ الخطط والحارات وقيد عليهم بانهم يخبرونه بكل من مات من ذكر أو انثى ولو كان ذا اولاد او ورثة او غير ذلك وكذلك على حوانيت الاموات وارسل فرامانات الى بلاد الارياف والبنادر بمعنى ذلك (وفى يوم الاحد رابعه) طلب الباشا حسين افندى الروزنامجى وطلب منه ما قرره عليه وكان

حلب دخل الى مسجد شيزر وكان قد دخله فى العام الماضى سائرا الى الحج فلما دخله الآن كتب على حائطه

لك الحمد يا مولاى كم لك منة * على وفضل لا يحيط به شكرى
نزلت بهذا المسجد العام قافلا * من الغزو موفورا النصيب من الاجر
ومنه رحلت العيس فى عامى الذى * مضى نحو بيت الله والركن والحجر
فاديت مفروضى واسقطت ثقل ما * تحملت من وزر الشبيبة عن ظهرى

(ذكر ملك الخليفة قلعة الماهكى)

فى هذه السنة فى رجب ملك الخليفة المستنجد بالله قلعة الماهكى وسبب ذلك ان سنقر الهمذانى صاحبها اسلمها الى احد مماليكه ومضى الى همذان فضعف هذا المملوك عن مقاومة ما حولها من التركمان والاكراد فاشير عليه ببيعها من الخليفة فراسل فى ذلك فاستقرت على خمسة عشر ألف دينار وسلاح وغير ذلك من الامتعة وعدة من القرى فسلمها وتسلم ما استقر له وأقام ببغداد وهذه القلعة لم تزل من أيام المقتدر بالله بايدى التركمان والاكراد الى الآن

(ذكر الحرب بين المسلمين والكرج)

فى هذه السنة فى شعبان اجتمعت الكرج فى خلق كثير يبلغون ثلاثين ألف مقاتل ودخلوا بلاد الاسلام وقصدوا مدينة دوين من اذربيجان فملكوها ونهبوها وقتلوا من أهلها وسوادها نحو عشرة آلاف قتيل واخذوا النساء سبايا واسروا كثيرا وأعروا النساء وقادوهن حفاة عراة واحرقوا الجامع والمساجد فلما وصلوا الى بلادهم انكر نساء الكرج ما فعلوا بنساء المسلمين وقلن لهم قد احوجتم المسلمين الى أن يفعلوا بنسائنا مثل ما فعلتم بنسائهم وكسونهن ولما بلغ الخبر الى شمس الدين ايلدكز صاحب اذربيجان والجبل واصفهان جمع عساكره وحشدها وانضاف اليه شاه ارمن بن سكمان القطبى صاحب خلاط وابن آقسنقر صاحب مراغة وغيرهما فاجتمعوا فى عسكر كثير يزيدون على خمسين ألف مقاتل وساروا الى بلاد الكرج فى صفر سنة ثمان وخمسين ونهبوها وسبوا النساء والصبيان وأسروا الرجال ولقيهم الكرج واقتتلوا أشد قتال صبر فيه الفريقان ودامت الحرب بينهم أكثر من شهر وكان الظفر للمسلمين فانهزم الكرج وقتل منهم كثير وأسر كذلك وكان سبب الهزيمة ان بعض الكرج حضر عند ايلدكز فاسلم على يديه وقال له تعطينى عسكرا حتى اسير بهم فى طريق أعرفها وأجىء الى الكرج من ورائهم وهم لا يشعرون فاستوثق منه وسير معه عسكرا وواعده يوما يصل فيه الى الكرج فلما كان ذلك اليوم قاتل المسلمون الكرج فبينما هم فى القتال وصل ذلك الكرجى الذى أسلم ومعه العسكر وكبروا وحملوا على الكرج من ورائهم فانهزموا وكثر القتل فيهم والاسر وغنم المسلمون من أموالهم ما لا يدخل تحت الاحصاء لكثرته فانهم كانوا متيقنين الظفر لكثرتهم فخيب الله ظنهم وتبعهم المسلمون

يقتلون

قدباع حصصه واملاكه وداره ومسكنه فلم يوف الا خمسمائة كيس فقال له مالك لم توف القدر المطلوب وما هذا التاخير وانا محتاج الى المال فقال لم يبق عندى شئ وقد بعت التزامى واملاكى وبيتى وتداينت من الربويين حتى وفيت خمسمائة كيس وها انا بين يديك فقال له هذا كلام لا يروج على ولا ينفعك بل أخرج المال المدفون فقال لم يكن عندى مال مدفون واما الذى اخبرك عنه فيذهب فيخرجه من محله فحنق منه وسبه وقبض على لحيته ولطمه على وجهه وجرد السيف ليضربه فترجى فيه الكتخدا والحاضرون فامر به فبطحوه وامر القواسة الاتراك بضربه فضربوه بالعصى المفضضة التى بايديهم بعد ان ضربه هو بيده عدة عصى وشج جبهته حتى اتوا اعليه ثم أقاموه وألبسوه فروته وحملوه وهو مغشى عليه وأركبوه حمارا واحاط به خدمه واتباعه حتى اوصلوه الى منزله وارسل معه جماعة من العسكر يلازمونه ولا يدعونه يدخل الى حريمه ولا يصل اليهم منه احد وركب فى اثره محمود بك الدويدار بامر الباشا وعبر داره ودار اخيه عثمان افندى المذكور واخذ صحبته الى القلعة وسجنوه واما ولده واخوه فانهم تغيبوا من وقت الطلب واختفوا ونزل اليه فى اليوم الثانى ابراهيم اغا اغات الباب

يقتلون ويأسرون ثلاثة أيام بلياليها وعاد المسلمون منصورين قاهرين

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة وصل الحجاج الى منى ولم يتم الحج لاكثر الناس لصدهم عن دخول مكة والطواف والسعي فمن دخل يوم النحر مكة طاف وسعى وكمل ومن تاخر عن ذلك منع دخول مكة لفتنة جرت بين أمير الحاج وأمير مكة كان سببها ان جماعة من عبيد مكة أفسدوا في الحاج بمنى فنفر عليهم بعض اصحاب أمير الحاج فقتلوا منهم جماعة ورجع من سلم الى مكة وجمعوا جمعا وأغاروا على جمال الحاج وأخذوا منها قريبا من ألف جمل فنادى أمير الحاج في جنده فركبوا بسلاحهم ووقع القتال بينهم فقتل جماعة ونهب جماعة من الحاج وأهل مكة فرجع أمير الحاج ولم يدخل مكة ولم يقم بالزاهر غير يوم واحد وعاد كثير من الناس رجالة لقلة الجمال ولقوا شدة وممن حج هذه السنة جدتنا أم أبينا ففاتها الطواف والسعي فاستفتى لها الشيخ الامام أبو القاسم بن البزري فقال تدوم على ما بقي عليها من احرامها وان أحبت تفدي وتحل من احرامها الى قابل وتعود الى مكة فتطوف وتسعى فتكمل الحجة الاولى ثم تحرم احراما ثانيا وتعود الى عرفات فتقف وترمي الجمار وتطوف وتسعى فتصير لها حجة ثانية فبقيت على احرامها الى قابل وحجت وفعلت كما قال فتم حجها الاول والثاني وفيها نزل بخراسان برد كثير عظيم المقدار واخرنيسان وكان أكثره بجوين ونيسابور وما والاهما فاهلك الغلات ثم جاء بعده مطر كثير دام عشرة أيام وفيها في جمادى الآخرة وقع الحريق ببغداد احترق سوق الطيوريين والدور التي تليه مقابله الى سوق الصفرة الجديد والخان الذي في الرحبة ودكاكين البزوريين وغيرها وفيها توفي الكيا الصباحي صاحب ألموت مقدم الاسماعيلية وقام ابنه مقامه فاظهر التوبة وأعاد هو ومن معه الصلوات وصيام شهر رمضان وأرسلوا الى قزوين يطلبون من يصلي بهم ويعلمهم حدود الاسلام فارسلوا اليهم وفيها في رمضان درس شرف الدين يوسف الدمشقي في المدرسة النظامية ببغداد وكان مدرسا بمدرسة أبي حنيفة وكان موته في ذي القعدة وفيها توفي صدقة بن وزير الواعظ وفيها في المحرم توفي الشيخ عدي بن مسافر الزاهد المقيم ببلد الهكارية من أعمال الموصل وهو من الشام من بلد بعلبك فانتقل الى الموصل وتبعه اهل السواد والجبال بتلك النواحي وأطاعوه وحسنوا الظن فيه وهو مشهور جدا

(ثم دخلت سنة ثمان وخمسين وخمسمائة)

(ذكر وزارة شاور للعاضد بمصر ثم وزارة الضرغام بعده)

في هذه السنة في صفر وزر شاور للعاضد لدين الله العلوي صاحب مصر وكان ابتداء أمره ووزارته انه كان يخدم الصالح بن رزيك ولزمه فاقبل عليه الصالح وولاه الصعيد وهو اكبر الاعمال بعد الوزارة فلما ولي الصعيد ظهرت منه كفاية عظيمة وتقدم زائد واستمال الرعية والمقدمين من العرب وغيرهم فعظم امره على الصالح ولم يمكنه

يطالبه بغلاق ثمانمائة كيس وحينئذ فقال له وكيف احصل شيئا وانا رجل ضعيف واخي عثمان عندكم في الترسيم وهو الذي يعينني ويقضي اشغالي واخذتم دفاتري المختصة باحوالي مع ما اخذتموه من الدفاتر فاقام عنده ابراهيم اغا برهة ثم ركب الى الباشا وكلمه في ذلك فاطلقوا له اخاه ليسعى في التحصيل (وفي حادي عشره) عدى الباشا الى بر الجيزة بقصد السفر الى بلاد الفيوم واخذ صحبته كتبة مباشرين مسلمين ونصارى واشاعوا ان سفره الى الصعيد ليكشف على الاراضي ورزقها وارتحل في ليلة الثلاثاء ثالث عشره بعد ان وجه ابنه اسمعيل الى الديار الرومية في تلك الليلة بالبشارة (وفي خامس عشرينه) حضر لطيف اغا راجعا من اسلامبول وكان قد توجه ببشارة فتح الحرمين واخبروا انه لما وصل الى قرب دار السلطنة خرج لملاقاته الاعيان وعند دخوله الى البلدة عملوا له موكبا عظيما مشى فيه اعيان الدولة واكابرها وصحبته عدة مفاتيح زعموا انها مفاتيح مكة وجدة والمدينة وضعوها على صفائح الذهب والفضة وامامها المبخرات في مجامر الذهب والفضة والعطر والطيب وخلفهم الطبول والزمور وعملوا له شنكا ومدافع وانعم عليه السلطان واعطاه خلعا وهدايا وكذلك

عزله فاستدام استعماله لئلا يخرج عن طاعته فلما جرح الصالح كان من جملة وصيته لولده العادل انه لا يغير على شاور فانني انا اقوى منك وقد ندمت على استعماله ولم يمكني عزله فلا تغيروا ما به فيكون لكم منه ما تكرهون فلما توفي الصالح من جراحته وولي ابنه العادل الوزارة حسن له اهله عزل شاور واستعمال بعضهم مكانه وخوفوه منه ان اقره على عمله فارسل اليه بالعزل فجمع جموعا كثيرة وسار الى القاهرة بهم فهرب منه العادل بن الصالح بن رزيك فاخذ وقتل فكانت مدة وزارته ووزارة ابيه قبله تسع سنين وشهرا واياما وصار شاور وزيرا وتلقب بامير الجيوش واخذ اموال بني رزيك وودائعهم وذخائرهم واخذ منه ايضا طي والكامل ابنا شاور شيئا كثيرا وتفرق كثير منها وجد وظهرت عليهم عند انتقال الدولة عن شاور والمصريين الى الاتراك ثم ان الضرغام جمع جموعا كثيرة ونازع شاور في الوزارة في شهر رمضان وظهر امره وانهزم شاور منه الى الشام على ما نذكره سنة تسع وخمسين وخمسمائة وصار ضرغام وزيرا كان هذه السنة ثلاثة وزراء العادل بن رزيك وشاور وضرغام فلما تمكن ضرغام من الوزارة قتل كثيرا من الامراء المصريين لتخلوله البلاد من منازع فضعفت الدولة بهذا السبب حتى خرجت البلاد عن أيديهم

(ذكر وفاة عبد المؤمن وولاية ابنه يوسف)

في هذه السنة في العشرين من جمادى الآخرة توفي عبد المؤمن بن علي صاحب بلاد المغرب وافريقية والاندلس وكان قد سار من مراكش الى سلا فمرض بها ومات ولما حضره الموت جمع شيوخ الموحدين من أصحابه وقال لهم قد جربت ابني محمدا فلم أره يصلح لهذا الامر وانما يصلح له ابني يوسف وهو أولى بها فقدموه ووصاهم به وبايعوه ودعي بامير المؤمنين وكتموا موت عبد المؤمن وحمل من سلا في محفة بصورة مريض الى ان وصل الى مراكش وكان ابنه ابو حفص في تلك المدة حاجبا لابيه فبقي مع أخيه على مثل حاله مع أبيه يخرج فيقول للناس أمير المؤمنين أمر بكذا ويوسف يقعد مقعد ابيه الى ان كملت المبايعة له في جميع البلاد واستقرت قواعد الامور له ثم اظهر موت ابيه عبد المؤمن فكانت ولايته ثلاثة وثلاثين سنة وشهورا وكان عاقلا حازما سديد الرأي حسن السياسة للامور كثير البذل للاموال الا انه كان كثير السفك لدماء المسلمين على الذنب الصغير وكان يعظم أمر الدين ويقويه ويلزم الناس في سائر بلاده بالصلاة ومن رآه وقت الصلاة غير مصل قتل وجمع الناس بالمغرب على مذهب مالك في الفروع وعلى مذهب أبي الحسن الاشعري في الاصول وكان الغالب على مجلسه أهل العلم والدين المرجع اليهم والكلام معهم ولهم

(ذكر ملك المؤيد اعمال قومس والخطبة للسلطان ارسلان بخراسان)

في هذه السنة سار المؤيد اي ابه صاحب نيسابور الى بلاد قومس فملك بسطام ودامغان واستناب بقومس مملوكه تنكز فاقام تنكز بمدينة بسطام فجرى بين تنكز وبين شاه

مازندران

اكابر الدولة وانعم عليه الخنكار بطوخين وصار يقال له لطيف باشا (وفيه) وردت الاخبار بقدوم قهوجي باشا ومعه خلع واطواخ للباشا وعدة اطواخ بولايات لمن يختار تقليده فاحتفل الباشا به عندما وصلته اخباره وارسل الى امراء الثغور بالاسكندرية ودمياط بالاعتناء بلاقاته عند وروده على ثغرهما (وفيه) حضر خليل بك حاكم الاسكندرية الى مصر فرارا من الطاعون لانه قد فشا بها ومات اكثر عسكره واتباعه

(واستهل شهر ربيع الثاني بيوم الاحد سنة ١٢٢٨)

(في ثامنه) حضر الباشا على حين غفلة من الفيوم الى الجيزة واخبروا انه لما وصل الى ناحية بني سويف ركب بغلة سريعة العدو ومعه بعض خواصه على الهجن والبغال فوصل الى الفيوم في اربع ساعات وانقطع اكثر المرافقين له ومات منهم سبعة عشر هجينا (وفي يوم الثلاثاء عاشره) عملوا مولد المشهد الحسيني المعتاد وتقيد لتنظيمه السيد المحروقي الذي تولى النظارة عليه وجلس ببيت السادات المجاور للمشهد بعدان اخلوه له وفي ذلك اليوم امر الباشا بعمل كورنتينه بالجيزة ونوه باقامته بها وزاد به الخوف والوهم من الطاعون لحصول القليل منه بمصر وهلك الحكيم الفرنساوي وبعض

مازندران اختلاف أدى الى الحرب فجمع كل منهما عسكره والتقوا أوائل ذى الحجة في هذه السنة واقتتلوا فانهزم عسكر مازندران وأخذت اسلابهم وقتل منهم طائفة كبيرة ولما ملك المؤيد بلاد قومس أرسل اليه السلطان ارسلان بن طغرل بن محمد بن ملكشاه خلعا نفيسة والوية معقودة وهدية جليلة وامره ان يهتم بأشغال بلاد خراسان ويتولى ذلك اجمع وان يخطب له فلبس المؤيد الخلع وخطب له في البلاد التى هى بيده وكان السبب في هذا اتابك شمس الدين ايلدكز فانه كان هو الذى يحكم في مملكة ارسلان وليس لارسلان غير الاسم وكان بين ايلدكز وبين المؤيد مودة ذكرناها عند قتل المؤيد فلما اطاع المؤيد السلطان ارسلان خطب له ببلاده وهى قومس ونيسابور وطوس واعمال نيسابور جميعها ومن نسا الى طبس كنكلى وكان يخطب لنفسه بعد ارسلان وكانت الخطبة في جرجان ودهستان لخوارزمشاه بن ارسلان بن اتسز وبعده للامير ايثاق وكانت الخطبة في مرو وبلخ وهراة وسرخس وهذه البلاد بيد الغز الاهراة فانها بيد الامير ايتكين وهو مسالم للغز فكانوا يخطبون للسلطان سنجر فيقولون اللهم اغفر للسلطان السعيد المبارك سنجر وبعده للامير الذى هو الحاكم في تلك البلاد

﴿ذكر قتل الغز ملك الغور﴾

في هذه السنة في رجب قتل سيف الدين محمد بن الحسين الغورى ملك الغور قتله الغز وسبب ذلك انه جمع عساكره وحشد فاكثر وسار من جبال الغور يريد الغز وهم ببلخ واجتمعوا وتقدموا اليه فاتفق ان ملك الغور خرج من معسكره في جماعة من خاصته جريدة فسمع به امراء الغز فساروا يطلبونه مجدين قبل ان يعود الى معسكره فاوقعوا به فقاتلهم اشد قتال رآه الناس فقتل ومعه نفر ممن كان معه واسر طائفة وهربت طائفة فلحقوا بعسكرهم وعادوا الى بلادهم منهزمين لا يقف الاب على أبيه ولا الاخ على أخيه وتركوا كل ما معهم بحاله ونجوا بنفوسهم فكان عمر ملك الغور لما قتل نحو عشرين سنة وكان عادلا حسن السيرة فمن عدله وخوفه عاقبة الظلم انه حاصر اهل هراة فلما ملكها أراد عسكره ان ينهبوها فنزل على درب المدينة واحضر الاموال والثياب فاعطى جميع عسكره منها وقال هذا خير من ان تنهبوا أموال المسلمين وتسخطوا الله تعالى فان الملك يبقى على الكفر ولا يبقى على الظلم ولما قتل عاد الغز الى بلخ ومرو وقد غنموا شيئا كثيرا من العسكر الغورى لان أهله تركوه ونجوا

﴿ذكر انهزام نور الدين محمود من الفرنج﴾

في هذه السنة انهزم نور الدين محمود بن زنكى من الفرنج تحت حصن الاكراد وهى الوقعة المعروفة بالبقيعة تحت حصن الاكراد محاصرا له وعازما على قصد طرابلس ومحاصرتها فبينما الناس يوما في خيامهم وسط النهار لم يرعهم الا ظهور صلبان الفرنج من وراء الجبل الذى عليه حصن الاكراد وذلك ان الفرنج اجتمعوا واتفق رأيهم على

نصارى اروام وهم يعتقدون صحة الكرنتينه وانها تمنع الطاعون وقاضى الشريعة الذى هو قاضى العسكر يحقق قولهم ويمشى على مذهبهم ولرغبة الباشا في الحياة الدنيا وكذلك أهل دائرته وخوفهم من الموت يصدقون قولهم حتى انه اتفق انه مات بالمحكمة عند القاضى شخص من اتباعه فامر بحرق ثيابه وغسل المحل الذى مات فيه وتبخيره بالبخورات وكذلك غسل الاوانى التى كان يمسها ويبخروها وأمروا أصحاب الشرطة انهم يامرون الناس واصحاب الاسواق بالكنس والرش والتنظيف في كل وقت ونشر الثياب واذا ورد عليهم مكاتبات خرقوها بالسكاكين ودخنوها بالبخور قبل ورودها ولما عزم الباشا على كورنتينة الجيزة ارسل في ذلك اليوم بان ينادوا بها على سكانها بان من كان يملك قوته وقوت عياله ستين يوما وأحب الاقامة فليمكث بالبلدة والا فليخرج منها ويذهب ويسكن حيث أراد في غيرها ولهم مهلة اربع ساعات فانزعج سكان الجيزة وخرج من خرج وأقام من أقام وكان ذلك وقت الحصاد ولهم مزارع وأسباب مع مجاوريهم من اهل القرى ولا يخفى احتياجات الشخص لنفسه وعياله وبهائمه فمنعوا جميع ذلك حتى سدوا خروق السور والابواب ومنعوا المعادى مطلقا وأقام الباشا ببيت الازبكيه لا يجتمع

كبسة المسلمين نهارا فانهم يكونون آمنين فركبوا من وقتهم ولم يتوقفوا حتى يجمعوا عساكرهم وساروا مجدين فلم يشعر بذلك المسلمون الا وقد قربوا منهم فارادوا منعهم فلم يطيقوا ذلك فارسلوا الى نور الدين يعرفونه الحال فرهقهم الفرنج بالحملة فلم يثبت المسلمون وعادوا يطلبون معسكر المسلمين والفرنج فى ظهورهم فوصلوا معا الى العسكر النورى فلم يتمكن المسلمون من ركوب الخيل واخذ السلاح الا وقد خالطوهم فاكثروا القتل والاسر وكان اشدهم على المسلمين الدوقس الرومى فانه كان قد خرج من بلاده الى الساحل فى جمع كثير من الروم فقاتلوا محتسبين فى زعمهم فلم يبقوا على احد وقصدوا خيمة نور الدين وقد ركب فيها فرسه ونجا بنفسه ولسرعته ركب الفرس والشبحة فى رجله فنزل انسان كردى قطعها فنجا نور الدين وقتل الكردى فاحسن نور الدين الى مخلفيه ووقف عليهم الوقوف ونزل نور الدين على بحيرة قدس بالقرب من حمص وبينه وبين المعركة اربعة فراسخ وتلاحق به من سلم من العسكر وقال له بعضهم ليس من الرأى ان تقيم ههنا فان الفرنج ربما حملهم الطمع على المجىء الينا فنؤخذ ونحن على هذا الحال فوبخه واسكته وقال اذا كان معى الف فارس لقيتهم ولا ابالى بهم ووالله لا استظل بسقف حتى آخذ بثارى وثار الاسلام ثم ارسل الى حلب ودمشق واحضر الاموال والثياب والخيام والسلاح والخيل فاعطى الناس عوض ما اخذ منهم جميعه بقولهم فعاد العسكر كأن لم تصبه هزيمة وكل من قتل اعطى اقطاعه لاولاده واما الفرنج فانهم كانوا عازمين على قصد حمص بعد الهزيمة لانها اقرب البلاد اليهم فلما بلغهم نزول نور الدين بينها وبينهم قالوا لم يفعل هذا الا وعنده قوة يمنعنا بها ولما رأى اصحاب نور الدين كثرة خرجه قال له بعضهم ان لك فى بلادك ادرارات وصدقات كثيرة على الفقهاء والفقراء والصوفية والقراء فلو استعنت فى هذا الوقت لكان اصلح فغضب من ذلك وقال والله انى لا ارجو النصر الا باولئك فانما ترزقون وتنصرون بضعفائكم كيف اقطع صلات قوم يقاتلون عنى وانا نائم على فراشى بسهام لا تخطئ واصرفها الى من لا يقاتل عنى الا اذا رآنى بسهام قد تصيب وقد تخطئ وهؤلاء القوم لهم نصيب فى بيت المال كيف يحل لى ان اعطيه غيرهم ثم ان الفرنج راسلوا نور الدين يطلبون منه الصلح فلم يجبهم وتركوا عند حصن الاكراد من يحميه وعادوا الى بلادهم

(ذكر اجلاء بنى أسد من العراق)

فى هذه السنة أمر الخليفة المستنجد بالله باهلاك بنى أسد أهل الحلة المزيدية لما ظهر من فسادهم ولما كان فى نفس الخليفة منهم من مساعدتهم السلطان محمدا لما حصر بغداد فامر يزدن بن قماج بقتالهم واجلائهم من البلاد وكانوا منبسطين فى البطائح والا يزدلا يقدر عليهم فتوجه يزدن اليهم وجمع عساكر كثيرة من فارس وراجل وأرسل الى ابن معروف مقدم المنتفق وهو بارض البصرة فجاء فى خلق كثير وحصرهم وسكر عنهم الماء وصابرهم مدة فارسل الخليفة يعتب على يزدن و يعجزه و ينسبه الى

فعدى فى ذلك اليوم وقت الفجر وطلع الى قصر الجيزة واوقف مركبين الاولى

باحد من الناس الى يوم الجمعة ببر الجيزة والاخرى فى مقابلتها ببر مصر القديمة فاذا ارسل الكتخدا او المعلم غالى اليه مراسلة تناولها المرسل للقيد بذلك فى طرف مزراق بعد تبخير الورقة بالشيح واللبان والكبريت ويتناولها منه الآخر بمزراق آخر على بعد منهما وعاد راجعا فاذا قرب من البر تناولها المنتظر له ايضا بمزراق وغمسها فى الخل وبخرها بالبخور المذكور ثم يوصلها لحضرة المشار اليه بكيفية اخرى فاقام اياما وسافر الى الفيوم ورجع كما ذكر وارسل مماليكه ومن يعز عليه ويخاف عليه من الموت الى اسيوط (وفى يوم السبت سابعه) نودى بالاسواق بان السيد محمدا المحروقى شاه بندر التجار بمصر وله الحكم على جميع التجار واهل الحرف والمتسببين فى قضاياهم وقوانينهم وله الامر والنهى فيهم (وفيه) وصل الى مصر عدة كبيرة من العساكر الرومية على طريق دمياط ونصبوا لهم وطاقا خارج باب النصر وحضر فيهم نحو الخمسمائة نفر ارباب صنائع بنائين ونجارين وخراطين فانزلوهم بوكالة بخط الخليفة (وفى يوم الاحد ثامنه) تقلد الحسبة الخواجا محمود حسن ولبس الخلعة وركب وشق المدينة وامامه الميزان فرسم برد الموازين الى الارطال

موافقته

موافقته فى التشيع وكان يزدن يتشيع فحد هو وابن معروف فى قتالهم والتضييق عليهم وسد مسالكهم فى الماء فاستسلموا حينئذ فقتل منهم اربعة آلاف قتيل ونودى فيمن بقى من وجد بعد هذا فى الحلة المزيدية فقد حل دمه فتفرقوا فى البلاد ولم يبق منهم بالعراق من يعرف وسلمت بطائحهم الى ابن معروف و بلادهم

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة وقع فى بغداد حريق فى باب درب فراشا الى مشرعة الصباغين من الجانبين وفيها فى رجب توفى سديد الدولة أبو عبد الله بن عبد الكريم بن ابراهيم بن عبد الكريم المعروف بابن الانبارى كاتب الانشاء بديوان الخلافة وكان فاضلا اديبا ذا تقدم كثير عند الخلفاء والسلاطين وخدم من سنة ثلاثين وخمسمائة الى الآن فى ديوان الخلافة وعاش حتى قارب تسعين سنة وتوفى فى رمضان هبة الله بن الفضل بن عبد العزيز بن محمد المتوثى وسمع الحديث وهو من الشعراء المشهورين الا انه كثير الهجو ومن شعره

يامن هجرت ولا تبالى * هل ترجع دولة الوصال
هل اطمع ياعذاب قلبى * ان ينعم فى هواك بالى
الطرف كما عهدت باك * والجسم كما ترين بالى
ما ضرك أن تعلليني * فى الوصل بموعد المحال
اهواك وأنت حظ غيرى * ياقاتلتى فما احتيالى

وهى اكثر من هذا

(ثم دخلت سنة تسع وخمسين وخمسمائة)

(ذكر مسير شيركوه وعساكر نور الدين الى ديار مصر وعودهم عنها)

فى هذه السنة فى جمادى الاولى سير نور الدين محمود بن زنكى عسكرا كثيرا الى مصر وجعل عليهم الامير اسد الدين شيركوه بن شاذى وهو مقدم عسكره واكبر امراء دولته واشجعهم وسنذكر سنة اربع وستين سبب اتصاله بنور الدين وعلو شانه عنده ان شاء الله تعالى وكان سبب ارسال هذا الجيش ان شاور وزير العاضد لدين الله العلوى صاحب مصر نازعه فى الوزارة ضرغام وغلب عليها فهرب شاور منه الى الشام ملتجئا الى نور الدين ومستجيرا به فاكرم مثواه واحسن اليه وانعم عليه وكان وصوله فى ربيع الاول من السنة وطلب منه ارسال العساكر معه الى مصر ليعود الى منصبه ويكون لنور الدين ثلث دخل البلاد بعد اقطاعات العساكر ويكون شيركوه مقيما بعساكره فى مصر ويتصرف هو بامر نور الدين واختياره فبقى نور الدين يقدم الى هذا الغرض رجلا ويؤخر اخرى فتارة يحمله رعاية قصد شاور بابه وطلب الزيادة فى الملك والتقوى على الفرنج وتارة يمنعه خطر الطريق وان الفرنج فيه وتخوف ان شاور ان استقرت قاعدته ربما لا يفى ثم قوى عزمه على ارسال الجيوش فتقدم بتجهيزها وازاحة

الزياتى التى عبرة الرطل منها اربع عشرة اوقية فى جميع الادهان والخضراوات على العادة القديمة ونقص من اسعار اللحم وغيره ففرح الناس بذلك ولكن لم يستمر ذلك (وفى يوم الاربعاء حادى عشره) بين الظهر والعصر كانت السماء مصحية والشمس مضيئة صافية فما هو الا والسماء والجو طلع به غيم وقتام وورياح نكباء غربية جنوبية واظلم ضوء الشمس وارعدت رعدتين الثانية اعظم من الاولى وبرق ظهر ضوؤه وامطرت مطرا متوسطا ثم سكن الريح وانجلت السماء وقت العصر وكان ذلك سابع بشنس القبطى وآخر يوم من نيسان الرومى فسبحان الملك الفعال مغير الشؤن والاحوال وحصل فى تاليه يوم الجمعة مثل ذلك الوقت ايضا غيوم ورعود كثيرة ومطر أزيد من اليوم الاول

(واستهل شهر جمادى الثانية سنة ١٢٢٨)

(فى ثانى عشره) وصل فى النيل على طريق دمياط اغا من طرف الدولة يقال له قهوجى باشا السلطان فاعتنى الباشا بشانه وحضر الى قصره بشبرا وأمر باحضار عدة من المدافع وآلات الشنك وعملوا أمام القصر بساحل النيل تعاليق وقناديل وقدات ونبه على الطوائف بالاجتماع بملابسهم وزينتهم ووصل الاغا المذكور يوم الاحد فخرج الاغوات

علها وكان هوى أسد الدين فى ذلك وعنده من الشجاعة وقوة النفس مالايبالى بمخافة فتجهزوساروا جميعا وشاور فى صحبتهم فى جمادى الاولى من سنة تسع وخمسين وتقدم نورالدين الى شيركوه ان يعيد شاور الى منصبه وينتقم له ممن نازعه فيه وسار نور الدين الى طرف بلاد الفرنج مما يلى دمشق بعساكره ليمنع الفرنج من التعرض لاسد الدين ومن معه فكان قصارى الفرنج حفظ بلادهم من نور الدين ووصل أسد الدين والعساكر معه الى مدينة بلبيس فخرج اليهم ناصر الدين اخو ضرغام بعسكر المصريين ولقيهم فانهزم وعاد الى القاهرة ووصل أسد الدين فنزل على القاهرة اواخر جمادى الآخرة فخرج ضرغام من القاهرة سلخ الشهر فقتل عند مشهد السيدة نفيسة وبقى يومين ثم حمل ودفن فى القرافة وقتل أخوه فارس المسلمين وخلع على شاور مستهل رجب وأعيد الى الوزارة وتمكن منها وأقام اسد الدين بظاهر القاهرة فغدر به شاور وعاد عما كان قرره لنور الدين من البلاد المصرية ولاسد الدين أيضا وأرسل اليه يأمره بالعود الى الشام فاعاد الجواب بالامتناع وطلب ما كان قد استقر بينهم فلم يجبه شاور اليه فلما رأى ذلك أرسل الى نوابه فتسلموا مدينة بلبيس وحكم على البلاد الشرقية فارسل شاور الى الفرنج يستمدهم ويخوفهم من نور الدين ان ملك مصر وكان الفرنج قد ايقنوا بالهلاك ان تم ملكه لها فلما أرسل شاور يطلب منهم أن يساعدوه على اخراج أسد الدين من البلاد جاءهم فرج لم يحتسبوه وسارعوا الى تلبية دعوته ونصرته وطمعوا فى تملك الديار المصرية وكان قد بذل لهم مالا على المسير اليه وتجهزوا وساروا فلما بلغ نور الدين ذلك سار بعساكره الى اطراف بلادهم ليمتنعوا عن المسير فلم يمنعهم ذلك لعلمهم ان الخطر فى مقامهم اذا ملك أسد الدين مصر أشد فتركوا فى بلادهم من يحفظها وسار ملك القدس فى الباقين الى مصر وكان قد وصل الى الساحل جمع كثير من الفرنج فى البحر لزيارة البيت المقدس فاستعان بهم الفرنج الساحلية فاعانوهم فسار بعضهم معهم وأقام بعضهم فى البلاد لحفظها فلما قارب الفرنج مصر فارقها أسد الدين وقصد مدينة بلبيس فاقام بها هو وعسكره وجعلها له ظهرا يتحصن به فاجتمعت العساكر المصرية والفرنج ونازلوا أسد الدين شيركوه بمدينة بلبيس وحصروه بها ثلاثة أشهر وهو ممتنع بها مع ان سورها قصير جدا وليس لها خندق ولا فصيل يحميها وهو يغاديهم القتال ويراوحهم فلم يبلغوا منه غرضا ولا نالوا منه شيئا فبينما هم كذلك اذ أتاهم الخبر بهزيمة الفرنج على حارم وملك نور الدين حارم ومسيره الى بانياس على ما نذكره ان شاء الله تعالى فحينئذ سقط فى أيديهم وارادوا العودة الى بلادهم ليحفظوها فراسلوا أسد الدين فى الصلح والعود الى الشام ومفارقة مصر وتسليم ما بيده منها الى المصريين فاجابهم الى ذلك لانه لم يعلم ما فعله نور الدين بالشام بالفرنج ولان الاقوات والذخائر قلت عليه وخرج من بلبيس فى ذى الحجة فحدثنى من رأى أسد الدين حين خرج من بلبيس قال اخرج اصحابه بين يديه وبقى فى آخرهم وبيده لت من حديد يحمى ساقتهم والمسلمون والفرنج ينظرون اليه قال فاتاه فرنجى من الغرباء الذين خرجوا من البحر فقال له أما

تخاف

والسفاشية والصقلية وهم لابسون القواويق وجميع العساكر الخيالة ليلا فلما طلعت الشمس حتى اجتمعوا بأسرهم جهة شبرا وانتظموا فى موكب ودخلوا من باب النصر ويقدمهم طوائف الدلاة واكابرهم ويتلوهم أرباب المناصب مثل الاغا والوالى والمحتسب وبواقى وجاقات المصرية ثم موكب كتخدا بك وبعده موكب الاغا الواصل وفى اثره ما وصل معه من الخلع وهى اربع بقج وخنجران مجوهران وسيف وثلاث شلنجات عليها ريش مجوهرة وخلف ذلك العساكر الخيالة والتفكجية وخلفهم النوبة التركية فكان مدة مرورهم نحو ساعتين وربع وليس فيهم رجالة مشاة سوى الخدم وقليل عسكر مشاة واما بقية العسكر فهم متفرقون بالاسواق والازقة كالجراد المنتشر خلاف من يرد منهم فى كل وقت من الاجناس المختلفة برا وبحرا فمن الخلع الواردة ما هو مختص بالباشا وهو فروة وخنجر وريشة بشلنج وأطواخ ولابنه ابراهيم بك مثل ذلك واسكنوا ذلك الاغا ورفيقه واتباعهما بمنزل ابراهيم بك ابن الباشا بالازبكية بقنطرة الدكة وارسل باحضار ولده من ناحية قبلى فحضر على الهجن ولبس الخلعه بولايته على الصعيد فنزل بالجيزة وعدى الى بر مصر عند أبيه بقصر شبرا ولبس الخلعة وأقام عند أبيه ثلاث ليال ثم عدى الى بر الجيزة وعندما وصل الى البر امر بتغريق السفينة بما فيها من

تخاف ان يغدر بك هؤلاء المصريون والفرنج وقد احاطوا بك وباصحابك ولا يبقى لكم
بقية فقال شيركوه يا ليتهم فعلوه حتى كنت ترى ما افعله كنت والله اضع السيف فلا
يقتل منا رجل حتى يقتل منهم رجال وحينئذ يقصدهم الملك العادل نور الدين وقد
ضعفوا وفنى شجعانهم فنملك بلادهم ونهلك من بقى والله لو اطاعنى هؤلاء لخرجت
اليكم من اول يوم ولكنهم امتنعوا فصلب على وجهه وقال كنا نعجب من فرنج هذه
البلاد ومبالغتهم فى صفتك وخوفهم منك والآن فقد عذرناهم ثم رجع عنه وسار
شيركوه الى الشام فوصل سالما وكان الفرنج قد وضعوا له على مضيق فى الطريق رصدا
لياخذوه او ينالوا منه ظفرا فعلم بهم فعاد عن ذلك الطريق ففيه يقول عمارة

اخذتم من الافرنج كل ثنية * وقلتم لايدى الخيل مرى على مرى
لئن نصبوا فى البرجسرا فانكم * عبرتم ببحر من حديد على الجسر

ولفظة مرى فى آخر البيت الاول اسم ملك الفرنج

(ذكر هزيمة الفرنج وفتح حارم)

فى هذه السنة فى شهر رمضان فتح نور الدين محمود بن زنكى قلعة حارم من الفرنج وسبب
ذلك ان نور الدين لما عاد منهزما من البقيعة تحت حصن الاكراد كما ذكرناه قبل فرق
الاموال والسلاح وغير ذلك من الآلات على ما تقدم فعاد العسكر كانهم لم يصابوا واخذ
فى الاستعداد للجهاد والاخذ بثاره واتفق مسير بعض الفرنج مع ملكهم الى مصر كما ذكرناه
فاراد ان يقصد بلادهم ليعودوا عن مصر فارسل الى اخيه قطب الدين مودود صاحب
الموصل وديار الجزيرة والى فخر الدين قرا ارسلان صاحب حصن كيفا والى نجم الدين
البى صاحب ماردين وغيرهم من اصحاب الاطراف يستنجدهم فاما قطب الدين فانه جمع
عسكره وسار مجدا وفى مقدمته زين الدين على امير جيشه واما فخر الدين صاحب الحصن
فبلغنى عنه انه قال له ندماؤه وخواصه على اى شىء عزمت فقال على القعود فان نور الدين
قد تحشف من كثرة الصوم والصلاة وهو يلقى نفسه فى المهالك فكلهم وافقه على هذا
الراى فلما كان الغد امر بالتجهز للغزاة فقال له اولئك ما عدا مما بدا فارقناك امس على
حالة فنراك اليوم على ضدها فقال ان نور الدين قد سلك معى طريقا ان لم انجده خرج اهل
بلادى عن طاعتى واخرجوا البلاد عن يدى فانه قد كاتب زهادها وعبادها والمنقطعين
عن الدنيا يذكر لهم ما لقى المسلمون من الفرنج وما نالهم من القتل والاسر ويستمد منهم
الدعاء ويطلب ان يحثوا المسلمين على الغزاة فقد قعد كل واحد من اولئك ومعه اصحابه
واتباعه وهم يقرؤن كتب نور الدين ويبكون ويلعنونى ويدعون على فلا بد من المسير
اليه ثم تجهز وسار بنفسه واما نجم الدين فانه سير عسكرا فلما اجتمعت العساكر سار نحو
حارم فحصرها ونصب عليها المجانيق وتابع الزحف اليها فاجتمع من بقى بالساحل من
الفرنج فجاؤا فى حدهم وحديدهم وملوكهم وفرسانهم وقسوسهم ورهبانهم واقبلوا
اليه من كل حدب ينسلون وكان المقدم عليهم البرنس بيمند صاحب انطاكية وقمص

الفرش ثم اخرجوها وكذلك امر من معه من الرجال بالغطوس فى الماء وغسل ثيابهم كل ذلك خوفا من رائحة الطاعون
ونظيرا وهروبا من الموت (وفى
خامس عشرينه) سافر ابراهيم
بك راجعا الى الصعيد (وفيه
حضر) عرضى الباشا الذى
كان سافر فى ربيع الاول الى
الجهة القبلية ومعه الكتبة
ايضا المسلمون لتحرير حساب
الاقباط ومساحة الاراضى
(وفى أواخره) نودى على أهل
الجيزة باستمرار الكورنتينه
شهرى رجب وشعبان وان
يعطوا لهم فسحة للمتسببين
والباعة ثلاثة ايام وكذلك
لمن يخرج او اذا دخل لا يخرج
اذا كان عنده ما يكفيه ويكفى
عياله فى مدة الشهرين
والثلاثة ايام المفسح لهم فيها
ليقضوا اشغالهم واحتياجاتهم
فخرج أهل البلدة باسرهم
ولم يبق منهم الا القليل
النادر القادر وايضا تفرقوا
فى البلاد وبقى الكثير منهم
حول البلدة وفى الغيطان
حول بيادرهم واجرانهم
وعملوا لهم اعشاشا تظلهم من
حر الشمس ووهج الهجير
وينادى المقيم بالبلدة بحاجته
من أعلى السور لرفيقه
أو صاحبه الذى هو خارج
البلدة فيجيبه ويرد جوابه من
مكان بعيد ولا يمكنونهم من
تناول الاشياء واما العسكر
فانهم يدخلون ويخرجون
ويقضون حوائجهم ويشترون
الخضراوات والبطيخ وغيره ويبيعونه على المقيمين بالبلدة باغلى الاثمان واذا اراد احد من اهل البلدة الخروج منعوه

صاحب طرابلس وابن جوسلين وهو من مشاهير الفرنج والدوك وهو مقدم كبير من الروم وجمعوا الفارس والراجل فلما قاربوه رحل عن حارم الى ارتاح طمعا ان يتبعوه فيتمكن منهم ببعدهم عن بلادهم اذا لقوه فساروا فنزلوا على عم ثم علموا عجزهم عن لقائه فعادوا الى حارم فلما عادوا تبعهم نور الدين في ابطال المسلمين على تعبية الحرب فلما تقاربوا اصطفوا للقتال فبدأ الفرنج بالحملة على ميمنة المسلمين وفيها عسكر حلب وصاحب الحصن فانهزم المسلمون فيها وتبعهم الفرنج فقيل كانت تلك الهزيمة من الميمنة على اتفاق ورأي دبروه وهو ان يتبعهم الفرنج فيبعدوا عن راجلهم فيميل عليهم من بقي من المسلمين بالسيوف فاذا عاد فرسانهم لم يلقوا راجلا يلجؤن اليه ولا وزرا يعتمدون عليه ويعود المنهزمون في آثارهم فيأخذهم المسلمون من بين أيديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم فكان الامر على ما دبروه فان الفرنج لما تبعوا المنهزمين عطف عليهم زين الدين علي في عسكر الموصل على راجل الفرنج فافناهم قتلا وأسرا وعادت خيالتهم ولم يمعنوا في الطلب خوفا على راجلهم فعاد المنهزمون في آثارهم فلما وصل الفرنج رأوا رجالهم قتلى واسرى فسقط في ايديهم ورأوا انهم قد هلكوا وبقوا في الوسط قد احدق بهم المسلمون من كل جانب فاشتدت الحرب وقامت على ساق وكثر القتل في الفرنج وتمت عليهم الهزيمة فعدل حينئذ المسلمون عن القتل الى الاسر فاسروا ما لا يحد وفي جملة الاسرى صاحب انطاكية والقمص صاحب طرابلس وكان شيطان الفرنج واشدهم شكيمة على المسلمين والدوك مقدم الروم وابن جوسلين وكان عدة القتلى تزيد على عشرة آلاف قتيل واشار المسلمون على نور الدين بالمسير الى انطاكية وتملكها لخلوها من حام يحميها ومقاتل يذب عنها فلم يفعل وقال اما المدينة فامرها سهل واما القلعة فمنيعة وربما سلموها الى ملك الروم لان صاحبها ابن اخيه ومجاورة بيمند احب الي من مجاورة صاحب قسطنطينية وبث السرايا في تلك الاعمال فنهبوها وأسروا اهلها وقتلوهم ثم انه فادى برنس بيمند صاحب انطاكية واشترى من المسلمين خلقا كثيرا فاطلقهم

(ذكر ملك نور الدين قلعة بانياس من الفرنج ايضا)

في ذي الحجة من هذه السنة فتح نور الدين محمود قلعة بانياس وهي بالقرب دمشق وكانت بيد الفرنج من سنة ثلاث واربعين وخمسمائة ولما فتح حارم أذن لعسكر الموصل وديار بكر بالعود الى بلادهم واظهر انه يريد طبرية فجعل من بقي من الفرنج همتهم حفظها وتقويتها فسار محمود الى بانياس لعلمه بقلة من فيها من الحماة المانعين عنها ونازلها وضيق عليها وقاتلها وكان في جملة عسكره اخوه نصرة الدين امير أميران فاصابه سهم فاذهب احدى عينيه فلما رآه نور الدين قال له لو كشف لك عن الاجر الذي أعد لك لتمنيت ذهاب الاخرى وجد في حصارها فسمع الفرنج فجمعوا فلم تتكامل عدتهم حتى فتحها على ان الفرنج كانوا قد ضعفوا بقتل رجالهم بحارم وأسرهم فملك القلعة وملأها ذخائر وعدة

ورجالا

من أخذ شيء من متاعه أو بهيمته أو شاته أو حماره ولا يخرج الا مجردا بطوله (وفي أواخره) وصل من الديار الرومية واصل وعلى يده مرسوم فقرئ بالمحكمة في يوم الاحد ثامن عشرينه بحضرة كتخدا بك والقاضي والمشايخ وأكابر الدولة والجم الغفير من الناس ومضمونه الامر للخطباء في المساجد يوم الجمعة على المنابر بان يقولوا عند الدعاء للسلطان فيقولوا السلطان ابن السلطان بتكرير لفظ السلطان ثلاث مرات محمود خان ابن السلطان عبد الحميد خان ابن السلطان أحمد خان الغازي خادم الحرمين الشريفين لانه استحق ان ينعت بهذه النعوت لكون عساكره افتتحت بلاد الحرمين وقهرت الخوارج واخرجتهم منها لان المفتي أفتاهم بانهم كفار لتكفيرهم المسلمين ويحلونهم مشركين ولخروجهم على السلطان وقتالهم الانفس وان من قاتلهم يكون مغازيا ومجاهدا وشهيدا اذا قتل ولما انقضى المجلس ضربوا مدافع كثيرة من القلعة وبولاق والجيزة وعملوا شنكا واستمر ضربهم المدافع عند كل أذان عشرة أيام وذلك ونحوه من الخور

(واستهل شهر رجب سنة ١٢٢٨)

(في منتصفه) حضر بونابارته الخازندار من الديار الحجازية على طريق القصير (وفي اواخره) سافر قهوجي باشا الذي تقدم

ورجالا وشاطر الفرنج فى اعمال طبرية وقرروا له على الاعمال التى لم يشاطرهم عليها مالا فى كل سنة ووصل خبر ملك حارم وحصن بانياس الى الفرنج بمصر فصالحوا شيركوه وعادوا ليدركوا بانياس فلم يصلوا الا وقد ملكها ولما عاد منها الى دمشق كان بيده خاتم بفص ياقوت من احسن الجوهر وكان يسمى الجبل لكبره وحسنه فسقط من يده فى شعرا بانياس وهى كثيرة الاشجار ملتفة الاغصان فلما ابعد عن المكان الذى ضاع فيه علم به فاعاد اصحابه فى طلبه ودلهم على المكان الذى كان آخر عهده به فيه وقال اظنه هناك سقط فعادوا اليه فوجدوه فقال بعض الشعراء الشاميين اظنه ابن منير يمدحه ويهنئه بهذه الغزاة ويذكر الجبل الياقوت

ان يمترالشكاك فيك بانك الـ ... مهدى مطفى جمرة الدجال

فلعودة الجبل الذى اضللته ... بالامس بين غياطل وجبال

لم يعطها الا سليمان وقد ... ندت الرباء وشك لا عجال

وهو جبسر بر ملكك انه ... كسر يره عن كل حد عالى

فلو البحار السبعة استهوينه ... وأمرتهن قذفنه فى الحال

ولما فتح الحصن كان معه ولد معين الدين أنز الذى سلم بانياس الى الفرنج فقال له للمسلمين بعد الفتح فرحة واحدة ولك فرحتان فقال كيف ذلك قال لان اليوم برد الله جلد والدك من نار جهنم

(ذكر اخذ الاتراك غزنة من ملكشاه وعوده اليها)

فى هذه السنة قصد بلاد غزنة الاتراك المعروفون بغزو نهبوها وخربوها وقصدوا غزنة وبها صاحبها ملكشاه بن خسروشاه المحمودى فعلم انه لا طاقة له بهم ففارقها وسار الى مدينة لهاوور وملك الغز مدينة غزنة وكان المقيم بامرهم أميرا اسمه زنكى بن على بن خليفة الشيبانى ثم ان صاحبها ملكشاه جمع وعاد الى غزنة ففارقها زنكى وعاد ملكها ملكشاه ودخلها فى جمادى الآخرة سنة تسع وخمسين وخمسمائة وتمكن فى دار ملكه

(ذكر وفاة جمال الدين الوزير وشئ من سيرته)

فى هذه السنة توفى جمال الدين أبو جعفر محمد بن على بن ابى منصور الاصفهانى وزير قطب الدين صاحب الموصل فى شعبان مقبوضا وكان قد قبض عليه سنة ثمان وخمسين فبقى فى الحبس نحو سنة حكى لى انسان صوفى يقال له ابو القاسم كان مختصا بخدمته فى الحبس قال لم يزل مشغولا فى محبسه بامر آخرته وكان يقول كنت اخشى ان انقل من الدست الى القبر فلما اتفق ان مرض قال لى فى بعض الايام يا أبا القاسم اذا جاء طائر ابيض الى الدار فعرفنى قال فقلت فى نفسى قد اختلط عقله فلما كان الغد كثر السؤال عنه واذا طائر أبيض لم ار مثله قد سقط فقلت جاء الطائر فاستبشر ثم قال جاء الحق واقبل على الشهادة وذكر الله تعالى الى ان توفى فلما توفى طار ذلك الطائر فعلمت انه رأى شيئا

ذكر حضوره بالخلع والشلنجات والخناجر بعدما اعطى خدمته مبلغا من الاكياس واصحب معه الباشا هدية عظيمة لاصحاب الدولة واكابرها وقدره من الذهب العين اربعون الف دينار ومن النصفيات يعنى نصف الدينار ستون الفا ومن فروق البن خمسمائة فرق ومن السكر المكرر مرتين مائة قنطار ومن المكرر مرة واحدة مائتى قنطار وماثتا قدر صينى الذى يقال له اسكى معدن مملوءة بالمربيات وأنواع الشربات الممسك المطيب المختلف الانواع ومن الخيول خمسون جوادا مرختة بالجوهر والنمدكش (١) واللؤلؤ والمرجان وخمسون حصانا من غير وخوت واقمشة هندية كشميرى ومقصبات وشاهى ومهترخان فى عدة تعابى بقچ وبخور عود وعنبر وأشياء أخرى (وفيه) أيضا حضر اغا يقال له جانم افندى وصحبته مرسوم قرئ بالديوان فى يوم الاثنين مضمونه البشارة بمولود ولد للسلطان وسموه عثمان واجتمع لسماع ذلك المشايخ والاعيان وضربوا بعد قراءته شنكا ومدافع واستمر ذلك سبعة ايام فى كل وقت من الاوقات الخمسة (وفى يوم الثلاثاء عشرينه) الموافق لثالث عشر مسرى القبطى أوفى النيل المبارك أذرعه ونودى بذلك فى الاسواق على العادة وكثر اجتماع

١٨ يخ مل ١١ غوغاء الناس للخروج الى الروضة وناحية السد والولائم فى البيوت المطلة على الخليج

وما يحصل من اجتماع الاخلاط امام جرى الماء كما هو المعتاد فى كل سنة وانه اذا نودى بالوفاء حصل ذلك الاجتماع فى تلك الليلة وكسروا السد فى صبحها عادة لا تتخلف فيما نعلم فلما كان آخر النهار ورد الخبر بان الباشا أمر بتأخير فتح الخليج الى يوم الخميس ثانيه فكان كذلك وخرج الباشا فى صبح يوم الخميس وكسر السد وجرى الماء فى الخليج وتكلف أرباب الدور المطلة على الخليج كلفة ثانية لضيفانهم

(واستهل شهر رمضان بيوم الجمعة سنة ١٢٢٨)

(وفى خامسه) يوم الثلاثاء حضر ابن الباشا المسمى باسمعيل من الديار الرومية ووصل الى ساحل النيل بشبرا وضربوا لوصوله مدافع من القلعة وبولاق وشبرا والجيزة وتقدم انه توجه ببشارة الحرمين واكرمته الدولة واعطوه اطواخا (وفى عاشره) حضر قاصد من الديار الرومية ووصل الى ساحل النيل وصحبته بشارة بمولودة ولدت لحضرة السلطان فعملوا الديوان بالقلعة واجتمع به المشايخ والاعيان واكابر الدولة وقرئ الفرمان الواصل فى شان ذلك وفى مضمونه الامر للكافة بالفرح والسرور وعمل الشنك وبعد الفراغ من ذلك ضربت المدافع من ابراج القلعة واستمر ضربها فى كل وقت أذان خمسة ايام وهذا لم يعهد فى الدول الماضية الا للاولاد الذكور واما الاناث

فى معناه ودفن بالموصل عند فتح الكرامى رحمة الله عليهما نحو سنة ثم نقل الى المدينة فدفن بالقرب من حرم النبى صلى الله عليه وسلم فى رباط بناه لنفسه وقال لابى القاسم بينى وبين أسد الدين شيركوه عهد من مات منا قبل صاحبه حمله الى المدينة فدفنه بها فى التربة التى عملتها فاذا أنامت فامض اليه وذكره فلما توفى سار أبو القاسم الى شيركوه فى المعنى فقال له شيركوه كم تريد فقال اريد اجرة جمل يحمله وجمل يحملنى وزادى فانتهره وقال مثل جمال الدين يحمل هكذا الى مكة وأعطاه مالا صالحا ليحمل معه جماعة يحجون عن جمال الدين وجماعة يقرؤن عليه بين يدى تابوته اذا حمل واذا نزل عن الجمل واذا وصل الى مدينة يدخل اولئك القراء ينادون للصلاة عليه فيصلى عليه فى كل بلدة يجتاز بها واعطاه ايضا مالا للصدقة عنه فصلى عليه فى تكريت وبغداد والحلة وفيد ومكة والمدينة وكان يجتمع له فى كل بلد من الخلق مالا يحصى ولما أرادوا الصلاة عليه بالحلة صعد شاب على موضع مرتفع وأنشد باعلى صوته

سرى نعشه فوق الرقاب وطالما * سرى جوده فوق الركاب ونائله
يمر على الوادى فتثنى رماله * عليه وبالنادى فتثنى أرامله

فلم نر باكيا أكثر من ذلك اليوم فطافوا به حول الكعبة وصلوا عليه بالحرم الشريف وبين قبره وقبر النبى صلى الله عليه وسلم خمسة عشر ذراعا وأما سيرته فكان رحمه الله اسخى الناس واكثرهم بذلا للمال رحيما بالخلق متعطفا عليهم عادلا فيهم فمن اعماله الحسنة انه جدد بناء مسجد الخيف بمنى وغرم عليه أموالا كثيرة جسيمة وبنى الحجر بجانب الكعبة وزخرف الكعبة وذهبها وعملها بالرخام ولما اراد ذلك ارسل الى المقتفى لامر الله هدية جليلة وطلب منه ذلك وارسل الى الامير عيسى امير مكة هدية كبيرة وخلعا سنية منها عمامة مشتراها بثلثمائة دينار حتى مكنه من ذلك وعمر ايضا المسجد الذى على جبل عرفات والدرج التى يصعد فيها اليه وكان الناس يلقون شدة فى صعودهم وعمل بعرفات أيضا مصانع للماء واجرى الماء اليها من نعمان فى طرق معمولة تحت الارض فخرج عليها مال كثير وكان يجرى الماء فى المصانع كل سنة أيام عرفات وبنى سورا على مدينة النبى صلى الله عليه وسلم وعلى فيد وبنى لهما ايضا فصيلا وكان يخرج على باب داره كل يوم للصعاليك والفقراء مائة دينار أميرى هذا سوى الادرارات والتعهدات للائمة والصالحين وارباب البيوت ومن ابنيته العجيبة التى لم ير الناس مثلها الجسر الذى بناه على دجلة عند جزيرة ابن عمر بالحجر المنحوت والحديد والرصاص والكلس فقبض قبل ان يفرغ وبنى عندها ايضا جسرا كذلك على النهر المعروف بالارماد وبنى الربط وقصده الناس من اقطار الارض ويكفيه ان ابن الجندى رئيس أصحاب الشافعى باصفهان قصده وابن الكافى قاضى همذان فاخرج عليهما مالا عظيما وكانت صدقاته وصلاته من اقاصى خراسان الى حدود اليمن وكان يشترى الاسرى كل سنة بعشرة آلاف دينار هذا من الشام حسب سوى ما يشترى من الكرج حكى لى والدى عنه قال كثيرا ما كنت ارى جمال الدين اذا قدم اليه الطعام يأخذ منه

ومن

فليس لمن ذكر (وفى ليلة الاربعاء سابع عشرينه) عمل الباشا جمعية ببيت الازبكية واحضر الاعيان والمشايخ والقضاة الثلاثة وهم بهجت افندى المنفصل عن قضاء مصر وصديق افندى المتوجه الى قضاء مكة المنفصل عن قضاء مصر العام الذى قبله والقاضى المتوجه الى المدينة فعقدوا عقد ابنه اسمعيل باشا على ابنة عارف بك التى حضرت بصحبته من الديار الرومية وعقدوا عقد أخته ابنة الباشا على محمد افندى الذى تقلد الدفترادرية ولما تم ذلك قدموا لهم تعابى بقج فى كل واحدة اربع قطع من الاقمشة الهندية وهى شال كشميرى وطاقة مسجر وطاقة قطنى هندى وطاقة شاهى وفرقوا على الدون من الناس الحاضرين محارم ثم ان الباشا شرع فى الاهتمام الى سفر الحجاز وتشهيل المطاليب واللوازم فمن جملة ذلك اربعون صندوقا من الصفيح المشمع داخلها بالشمع والمصطكى وبالخشب من خارج وفوق الخشب جلود البقر المدبوغ ليودع بها ماء النيل المغلى لشربه وشرب خاصته ومثلها فى كل شهر يتقيد بعمل ذلك وغيره السيد المحروقى ويرسله فى كل شهر

(واستهل شهر شوال بيوم الاحد سنة ١٢٢٨)

(فى سابعه يوم السبت) اداروا كسوة الكعبة وكانت مصنوعة من نحو خمس سنوات وموضوعة فى مكان بالمشهد

ومن الحلوى ويتركه فى خبز بين يديه فكنت انا ومن يراه نظن انه يحمله الى أم ولده على فاتفق انه فى بعض السنين جاء الى الجزيرة مع قطب الدين وكنت اتولى ديوانها وحمل جاريته ام ولده الى دارى لتدخل الحمام فبقيت فى الدار اياما فبينما انا عنده فى الخيام وقد اكل الطعام فعل كما كان يفعل ثم تفرق الناس فقمت فقال اقعد فقعدت فلما خلا المكان قال لى قد آثرتك اليوم على نفسى فاننى فى الخيام ما يمكننى ان افعل ما كنت افعله خذ هذا الخبز واحمله انت فى كمك فى هذا المنديل واترك الحماقة من رأسك وعد الى بيتك فاذا رأيت فى طريقك فقيرا يقع فى نفسك انه مستحق فاقعد أنت بنفسك واطعمه هذا الطعام قال ففعلت ذلك وكان معى جمع كثير ففرقتهم فى الطريق لئلا يرونى افعل ذلك وبقيت فى غلمانى فرأيت فى موضع انسانا اعمى وعنده اولاده وزوجته وهم من الفقر فى حال شديد فنزلت عن دابتى اليهم واخرجت الطعام واطعمتهم اياه وقلت للرجل تجىء غدا بكرة الى دار فلان اعنى دارى ولم اعرفه نفسى فاتى آخذ لك من صدقة جمال الدين شيئا ثم ركبت اليه العصر فلما رآنى قال ما الذى فعلت فى الذى قلت لك فاخذت اذكر له شيئا يتعلق بدواتهم فقال ليس عن هذا اسألك انما اسألك عن الطعام الذى سلمته اليك فذكرت له الحال ففرح ثم قال بقى انك لو قلت للرجل يجىء اليك هو واهله فتكسوهم وتعطيهم دنانير وتجرى لهم كل شهر دنانير قال فقلت له قد قلت للرجل حتى يجىء الى فازداد فرحا وفعلت بالرجل ما قال ولم يزل يصل اليه رسمه حتى قبض وله من هذا كثير فمن ذلك انه تصدق بثيابه من على بدنه فى بعض السنين التى تعذرت الاقوات فيها

(ذكر اجلاء القارغلية من وراء النهر)

كان خان خانان الصينى ملك الخطا قد فوض ولاية سمرقند وبخارا الى الخان جغرى خان بن حسن تكين واستعمله عليهما وهو من بيت الملك قديم الابوة فبقى فيهما مدبرا لامورها فلما كان الآن ارسل اليه ملك الخطا باجلاء الاتراك القارغلية من اعمال بخارا وسمرقند الى كاشغر وان يتركوا حمل السلاح ويشتغلوا بالزراعة وغيرها من الاعمال فتقدم جغرى خان اليهم بذلك فامتنعوا فالزمهم والح عليهم بالانتقال فاجتمعوا وصارت كلمتهم واحدة فكثروا وساروا الى بخارا فارسل الفقيه محمد بن عمر بن برهان الدين عبد العزيز بن مازة رئيس بخارى الى جغرى خان يعلمه ذلك ويحثه على الوصول اليهم بعساكره قبل ان يعظم شرهم وينهبوا البلاد وارسل اليهم ابن مازة يقول لهم ان الكفار بالامس لما طرقوا هذه البلاد امتنعوا عن النهب والقتل وانتم مسلمون غزاة يقبح بكم مد الايدى الى الاموال والدماء وانا ابذل لكم من الاموال ما ترضون به لتكفوا عن النهب والغارة فترددت الرسل بينهم فى تقرير القاعدة وابن مازة يطاول بهم ويمادى الايام الى ان وصل جغرى خان فلم يشعر الاتراك القارغلية الا وقد دهمهم جغرى خان فى جيوشه وجموعه بغتة ووضع السيف فيهم فانهزموا وتفرقوا وكثر القتل فيهم والنهب

واختفى طائفة منهم فى الغياض والآجام ثم ظفر بهم أصحاب جغرى خان فقطعوا دابرهم ودفعوا عن بخارا ونواحيها ضررهم وخلت الارض منهم

(ذكر استيلاء سنقر على الطالقان وغرشستان)

فى هذه السنة استولى الامير صلاح الدين سنقر وهو من مماليك السنجرية على بلاد الطالقان واغار على حدود غرشستان وتابع الغارات عليها حتى ملكها فصارت الولايتان له وبحكمه وله فيها حصون منيعة وقلاع حصينة وصالح الامراء الغزية وحمل لهم الاتاوة كل سنة

(ذكر قتل صاحب هراة)

كان صاحب هراة ايتكين بينه وبين الغزية هادنة فلما توفى ملك الغور محمد طمع فى بلادهم فغزاهم غير مرة ونهب واغار فلما كان فى شهر رمضان من هذه السنة جمع ايتكين جموعه وسار الى بلاد الغور وساروا الى باميان والى ولاية بست والرخج فقاتله صاحبها طغرل تكين برنقش العلكى من قبل الغورية فظهروا الى باميان واستولى على بست والرخج فسلمهما الى بعض اولاد ملوك الغور واما ايتكين فانه توغل فى بلاد الغور فاتاه أهلها وقاتلوه وصدوه وصدقوه القتال فانهزم عسكره وقتل هو فى المعركة

(ذكر ملك شاه مازندران قومس وبسطام)

قد ذكرنا استيلاء المؤيد صاحب نيسابور على قومس وبسطام وتلك البلاد وانه استناب بها مملوكه تنكز فلما كان هذه السنة جهز شاه مازندران جيشا واستعمل عليهم أميرا له يعرف بسابق الدين القزوينى فسار الى دامغان فملكها فجمع تنكز من عنده من العساكر وسار اليه الى دامغان فخرج اليه القزوينى فوصل الى تنكز على غرة منه فلم يشعر هو وعسكره الا وقد كبسهم القزوينى ووضع السيف فيهم فتفرقوا وولوا منهزمين واستولى عسكر شاه مازندران على تلك البلاد وعاد تنكز الى المؤيد صاحب نيسابور واشتغل بالغارة على بسطام وبلاد قومس

(ذكر عصيان غمارة بالمغرب)

لما تحقق الناس موت عبد المؤمن سنة تسع وخمسين ثارت قبائل غمارة مع مفتاح بن عمرو وكان مقدما كبيرا وتبعوه باجمعهم وامتنعوا فى جبالهم وهى معاقل مانعة وهم أمم جمة فتجهز اليهم أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن ومعه أخواه عمرو وعثمان فى جيش كبير من الموحدين والعرب وتقدموا اليهم فاقتتلوا سنة احدى وستين وخمسمائة فانهزمت غمارة وقتل منهم كثير وفيمن قتل مفتاح بن عمرو مقدمهم وجماعة من أعيانهم ومقدميهم وملكوا بلادهم عنوة وكان هناك قبائل كثيرة يريدون الفتنة فانتظروا ما يكون من غمارة فلما قتلوا ذلت تلك القبائل وانقادوا للطاعة ولم يبق متحرك لفتنة ومعصية فسكنت الدهماء فى جميع المغرب

(ذكر عدة حوادث)

الحسينى فاخرجوها فى مستهل الشهر وقد توقفت لطول المدة فى ظهورها ومحوها وكان عليها اسم السلطان مصطفى فغيروه وكتبوا اسم السلطان محمود فاجتمع الناس للفرجة عليها وكان المباشر لها الريس حسن المحروقى فركب فى موكبها (وفى ليلة السبت رابع عشره) خرج محمد على باشا مسافرا الى الحجاز وكان خروجه وقت طلوع الفجر من يوم السبت المذكور الى بركة الحاج وخرج الاعيان والمشايخ لوداعه بعد طلوع النهار فاخذوا خاطره ورجعوا آخر النهار وركب هو متوجها الى السويس بعد مضى ثمان ساعات وربع من النهار وبرزت الخيالة والسفاشية الى خارج باب النصر ليذهبوا على طريق البر وقبل خروج الباشا بيومين قدمت هجانة مبشرون بالقبض على عثمان المضايفى بناحية الطائف وكان قد جرد على الطائف فبرز اليه الشريف غالب وصحبته عساكر الاتراك والعربان فحاربوه وحاربهم فاصيب جواده فنزل الى الارض واختلط بالعسكر فلم يعرفوه فخرج من بينهم ومشى وتباعد عنهم نحو اربع ساعات فصادفه جماعة من جند الشريف فقبضوا عليه واصابته جراحة وعندما سقط من بين قومه ارتفع الحرب فيما بين الفريقين أخريات النهار ولما أحضروه الى الشريف غالب جعل فى رقبته الجنزير

في هذه السنة أغار الامير محمد بن أنز على بلد الاسماعيلية بخراسان وأهلها غافلون فقتل منهم وغنم وأسر وسبي وأكثر وملأ أصحابه أيديهم من ذلك وفيها توفى أبو الفضل نصر ابن خلف ملك سجستان وعمره أكثر من مائة سنة ومدة ملكه ثمانون سنة وملك بعده ابنه شمس الدين ابو الفتح أحمد بن نصر وكان أبو الفضل ملكا عادلا عفيفا عن رعيته وله آثار حسنة في نصرة السلطان سنجر في غير موقف وفيها خرج ملك الروم من القسطنطينية في عساكر لا تحصى وقصد بلاد الاسلام التي بيد قلج أرسلان وابن دانشمند فاجتمع التركمان في تلك البلاد في جمع كبير فكانوا يغيرون على اطراف عسكره ليلا فاذا أصبح لا يرى أحدا وكثر القتل في الروم حتى بلغت عدة القتلى عشرات ألوف فعاد الى القسطنطينية ولما عاد ملك المسلمون منه عدة حصون وفيها توفى الامام عمر الخوارزمي خطيب بلخ ومفتيها بها وا القاضي ابو بكر المحمودي صاحب التصانيف والاشعار وله مقامات بالفارسية على نمط مقامات الحريري بالعربية

(ثم دخلت سنة ستين وخمسمائة)

(ذكر وفاة شاه مازندران وملك ابنه بعده)

في هذه السنة ثامن ربيع الاول توفى شاه مازندران رستم بن علي بن شهريار بن قارن ولما توفى كتم ابنه علاء الدين الحسن موته اياما حتى استولى على سائر الحصون والبلاد ثم اظهره فلما ظهر خبر وفاته اظهر ايناق صاحب جرجان ودهستان المنازعة لولده في الملك ولم يرع حق ابيه عليه فانه لم يزل يذب عنه ويحميه اذا التجأ اليه وا لكن الملك عقيم ولم يحصل من منازعته على شئ غير سوء السمعة وقبح الاحدوثة

(ذكر حصر المؤيد نسا ورحيلهم عنها)

كان المؤيد قد سير جيشا الى مدينة نسا فحصروها الى جمادى الاولى من هذه السنة فسير خوارزمشاه بن ارسلان بن اتسز جيشا الى نسا فلما قاربوها رحل عنها عسكر المؤيد وعادوا الى نيسابور أواخر جمادى الاولى وسار عسكر المؤيد الى عسكر خوارزم لانهم توجهوا الى نيسابور فتقدم العسكر المؤيدي ليردوهم عنها فلما سمع العسكر الخوارزمي بهم عاد عنهم وصار صاحب نسا في طاعة خوارزمشاه والخطبة له فيها وسار عسكر خوارزم الى دهستان فالتجأ صاحبها الامير ايناق الى المؤيد صاحب نيسابور بعد تمكن الوحشة بينهما فقبله المؤيد احسن قبول وسير اليه جيشا كثيفا فاقاموا عنده حتى دفع الضرر عن نفسه وبلده من جهة طبرستان واما دهستان فان عسكر خوارزم غلبوا عليها وصار لهم فيها شحنة

(ذكر استيلاء المؤيد على هراة)

قد ذكرنا قتل صاحب هراة سنة تسع وخمسين فلما قتل تجهز الامراء الغزية وساروا الى هراة وحصروها وقد تولى امرها انسان يلقب اثير الدين وكان له ميل الى الغز وهو يجاريهم ظاهرا ويراسلهم باطنا فهلك لهذا السبب خلق كثير من أهل هراة فاجتمع

والضابنى هذا زوج اخت الشريف وخرج عنه وانضم الى الوهابيين فكان اعظم اعوانهم وهو الذى كان يحارب لهم ويقاتل ويجمع قبائل العربان ويدعوهم عدة سنين ويوجه السرايا على المخالفين ويغامره واشتهر لذلك ذكره فى الاقطار وهو الذى كان افتتح الطائف وحاربها وحاصرها وقتل الرجال وسبي النساء وهدم قبة ابن عباس الغريبة الشكل والوصف وكان هو المحارب للعسكر مع عربان حرب فى العام الماضى بناحية الصفراء والجديدة وهزمهم وشتت شملهم ولما قبضوا عليه احضروه الى جدة واستمر فى الترسيم عند الشريف ايا واخذ بذلك وجاهة عند الاتراك الذى هو على ملتهم ويتحقق لديهم نصحه لهم ومسالمته اياهم وسيلقى قريبا منهم جزاء فعله ووبال امره كما سيتلى عليك بعضه بعد قليل

(واستهل شهر ذى القعدة بيوم الثلاثاء سنة ١٢٢٨) (وفى أوائله) وردت أخبار من الجهة الرومية بان عساكر العثمانيين استولوا على بلاد بلغارد من ايدى طائفة الصرب وكانوا استولوا عليها نيفا واربعين سنة والله اعلم بصحة ذلك (وفيه عزل) محمود حسن من الحسبة وتقلدها عثمان اغا المعروف بالورداني (وفى خامس عشره) وصل عثمان المضايفى صحبة المتسفرين معه الى الريدانية آخر الليل واشيع ذلك فلما طلعت الشمس ضربوا مدافع من

القلعة الا ماوسروا بوصوله اسيرا وركب ١٤٢ صالح بك السلحدار في عدة كبيرة وخرجوا لملاقاته واحضاره فلما واجهه

صالح بك نزع من عنقه الحديد واركبه هجينا ودخل به الى المدينة وامامه الجاويشية والقواسة الاتراك وبايديهم العصي المفضضة وخلفه صالح بك وطوائفه وطلعوا به الى القلعة وادخله الى مجلس كتخدا بك وصحبته حسن باشا وطاهر باشا وباقي اعيانهم ونجيب افندي قبي كتخدا الباشا ووكيله بباب الدولة وكان متاخرا عن السفر ينتظر قدوم المضايفي ليأخذه بصحبته الى دار السلطنة فلما دخل عليهم اجلسوه معهم اخذوه ساعة وهو يجيبهم من نفس كلامهم باحسن خطاب وافصح جواب وفيه سكون وتؤدة في الخطاب وظاهر عليه آثار الامارة والحشمة والنجابة ومعرفة مواقع الكلام حتى قال الجماعة لبعضهم البعض يا اسفا على مثل هذا اذا ذهب الى اسلامبول يقتلونه ولم يزل يتحدث معهم حصة ثم احضروا الطعام فواكلهم ثم اخذه كتخدا بك الى منزله فاقام عنده مكرما ثلاثا حتى تم تجهيز نجيب افندي اشغاله فاركبوه وتوجهوا به الى بولاق وانزلوه في السفينة مع نجيب افندي ووضعوا في عنقه الجنزير وانحدروا طالبين الديار الرومية وذلك يوم الاثنين حادي عشرينه (وفي اواخره) وصلت اخبار بان مسعود الوهابي ارسل

ان

اليه اهلها فقتلوه وقام مقامه ابو الفتوح بن علي بن فضل الله الطغرائي فارسل اهلها الى المؤيد اي ابه صاحب نيسابور بالطاعة والانقياد اليه فسير اليهم مملوكه سيف الدين تنكز في جيش وسير جيشا آخر اغاروا على سرخس ومرو فاخذوا دواب الغز وعادوا سالمين فلما سمع الغز بذلك رحلوا عن هراة الى مرو

(ذكر الحرب بين قلج ارسلان وبين ابن الدانشمند)

في هذه السنة كانت الفتنة بين الملك قلج ارسلان بن مسعود بن قلج ارسلان صاحب قونية وما يجاورها من بلد الروم وبين ياغي ارسلان بن دانشمند صاحب ملطية وما يجاورها من بلد الروم وجرى بينهما حرب شديدة وسببها ان قلج ارسلان تزوج ابنة الملك صلتق بن علي بن ابي القاسم فسيرت الزوجة الى قلج ارسلان مع جهاز كثير لا يعلم قدره فاغار ياغي صاحب ملطية عليه واخذ العروس وما معها واراد ان يزوجها بابن اخيه ذي النون بن محمد بن دانشمند فامرها بالردة عن الاسلام فتزوجها من ابن اخيه فجمع قلج ارسلان عسكره وسار الى ابن دانشمند فالتقيا واقتتلا فانهزم قلج ارسلان والتجأ الى ملك الروم واستنصره فارسل اليه جيشا كثيرا ثم مات ياغي ارسلان بن دانشمند في تلك الايام وملك قلج ارسلان بعض بلاده واصطلح هو والملك ابراهيم بن محمد ابن دانشمند لانه ملك البلاد بعد عمه ياغي ارسلان واستولى ذو النون بن محمد بن دانشمند على مدينة قيسارية وملك شاهان شاه بن مسعود اخو قلج ارسلان على مدينة انكورية واستقرت القواعد بينهم واتفقوا

(ذكر الفتنة بين نور الدين وقلج ارسلان)

في هذه السنة كانت وحشة متأكدة بين نور الدين محمود بن زنكي صاحب الشام وبين قلج ارسلان بن مسعود بن قلج ارسلان صاحب الروم ادت الى الحرب والتضاغن فلما بلغ خبرها الى مصر كتب الصالح بن رزيك وزير صاحب مصر الى قلج ارسلان ينهاه عن ذلك ويامره بموافقته وكتب فيه شعرا

نقول ولكن اين من يتفهم * ويعلم وجه الرأي والرأي مبهم
وما كل من قاس الامور وساسها * يوفق للامر الذي هو احزم
وما احد في الملك يبقى مخلدا * وما احد مما قضى الله يسلم
امن بعد ما ذاق العداة حربكم * بفيهم وكانت وهي صاب وعلقم
رجعتم الى حكم التنافس بينكم * وفيكم من الشحناء نار تضرم
اما عندكم من يتقي الله وحده * اما في رعاياكم من الناس مسلم
تعالوا لعل الله ينصر دينه * اذا ما نصرنا الدين نحن وانتم
وننهض نحو الكافرين بعزمة * بامثالها تحوى البلاد وتقسم

وهي اطول من هذا هكذا ذكر بعض العلماء هذه الحادثة وان الصالح ارسل بهذا الشعر فان كان الشعر للصالح فينبغي ان تكون الحادثة قبل هذا التاريخ ويحتمل

قصادامن طرفه الى ناحية جدة فقابلوا طوسون باشا والشريف غالب خلع عليهم واخذهم الى ابيه فخاطبهم وسالهم عما جاؤا فيه فقالوا الامير مسعود الوهابي يطلب الافراج عن المضايق ويقدم به بمائة الف فرانسه وكذلك يريد اجراء الصلح بينه وبينكم وكف القتال فقال لهم فانه سافر الى الدولة واما الصلح فلا نأباه بشروط وهو ان يدفع لنا كل ماصرفناه على العساكر من اول ابتداء الحرب الى وقت تاريخه وان يأتي بكل ما اخذه واستلمه من الجواهر والذخائر التى كانت بالحجرة الشريفة وكذلك ثمن ما استهلك منها وان يأتي بعد ذلك ويتلاقى معي واتعاهد معه ويتم صلحنا بعد ذلك وان ابى ذلك ولم يأت فنحن ذاهبون اليه فقالوا له اكتب له جوابا فقال لا اكتب جوابا لانه لم يرسل معكم جوابا ولا كتابا وكما ارسلكم بمجرد الكلام فعودوا اليه كذلك فلما اصبح الصباح وقت انصرافهم امر باجتماع العساكر فاجتمعوا ونصبوا ميدان الحرب والرمي المتتابع من البنادق والمدافع ليشاهد الرسل ذلك ويروه ويخبروا عنه مرسلهم؛

(واستهل شهر ذي الحجة الحرام بيوم الاربعاء سنة ١٢٢٨)*

(في ليلة الاحد تاسع عشره) وقعت كائنة لطيف باشا

وذلك ان المذكور مملوك الباشا اهداه له عارف بك وهو عارف افندي ابن خليل باشا المنفصل عن قضا مصر

ان يكون هذا التنافس كان ايام الصالح فكتب الابيات ثم امتد الى الآن

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة في صفر وقع في اصفهان فتنة عظيمة بين صدر الدين عبد اللطيف بن الخجندي وغيره من اصحاب المذاهب بسبب التعصب للمذاهب فدام القتال بين الطائفتين ثمانية ايام متتابعة قتل فيها خلق كثير واحترق وهدم كثير من الدور والاسواق ثم افترقوا على اقبح صورة وفيها بني الاسماعيلية قلعة بالقرب من قزوين فقيل لشمس الدين ايلدكز عنها فلم يكن له انكار لهذه الحال خوفا من شرهم وقتالهم فتقدموا بعد ذلك الى قزوين فحصروها وقاتلهم اهلها اشد قتال رآه الناس وحكى لي بعض اصدقائنا بل مشايخنا من الائمة الفضلاء قال كنت بقزوين اشتغل بالعلم وكان بها انسان يقود جمعا كبيرا وكان موصوفا بالشجاعة وله عصابة حمراء اذا قاتل عصب بها رأسه قال فكنت احبه واشتهي الجلوس معه قال فبينما انا عنده يوما واذا هو يقول كاني بالملاحدة وقد قصدوا البلد غدا فخرجنا اليهم وقاتلناهم فكنت اول الناس وانا متعصب بهذه العصابة فقاتلناهم فلم يقتل غيري ثم ترجع الملاحدة ويرجع اهل البلد قال فوالله لما كان الغد اذ قد وقع الصوت بوصول الملاحدة فخرج الناس قال فذكرت قول الرجل فخرجت والله وليس لي همة الا اني انظر هل يصح ماقال ام لا قال فلم يكن الاقليل حتى عاد الناس وهو محمول على ايديهم قتيلا بعصابته الحمراء وذكروا انه لم يقتل بينهم غيره فبقيت متعجبا من قوله كيف صح ولم يتغير منه شيء ومن اين له هذا اليقين ولما حكى لي هذه الحكاية لم اساله عن تاريخها وانما كان في هذه المدة في تلك البلاد فلهذا اثبتها هذه السنة على الظن والتخمين وفيها قبض المؤيد اي ابه صاحب نيسابور على وزيره ضياء الملك محمد بن ابي طالب سعد بن ابي القاسم محمود الرازي وحبسه واستوزر بعده نصير الدين ابابكر محمد بن ابي نصر محمد المستوفي وهو من اعيان الدولة السنجرية وفي هذه السنة وردت الاخبار ان الناس حجوا سنة تسع وخمسين ولقوا شدة وانقطع منهم خلق كثير في فيد والثعلبية وواقصة وغيرها وهلك كثير ولم يمض الحجاج الى مدينة النبي صلى الله عليه وسلم لهذه الاسباب ولشدة الغلاء فيها وعدم ما يقتات ووقع الوباء في البادية وهلك منهم عالم لا يحصون وهلكت مواشيهم وكانت الاسعار بمكة غالية وفيها في صفر قبض المستنجد بالله على الامير توبة بن العقيلي وكان قد قرب منه قربا عظيما بحيث يخلو معه واحبه المستنجد محبة كثيرة فحسده الوزير ابن هبيرة فوضع كتبا من العجم مع قوم وامرهم ان يتعرضوا فيؤخذوا فغفلوا ذلك واخذوا واحضروا عند الخليفة فاظهروا الكتب بعد الامتناع الشديد فلما وقف الخليفة عليها خرج الى نهر الملك يتصيد وكانت حلل توبة على الفرات فحضر عنده فامر بالقبض عليه فقبض وادخل بغداد ليلا وحبس فكان آخر العهد به فلم يمتع الوزير بعده بالحياة بل مات بعد ثلاثة اشهر وكان توبة من اكمل العرب مروءة وعقلا وسخاء واجازة

واجتمع فيه من خلال الكمال ما تفرق في الناس وفيها في ربيع الاول توفي الشهاب محمود بن عبد العزيز الحامدي الهروي وزير السلطان ارسلان ووزير اتابك شمس الدين ايلدكز وفيها توفي عون الدين الوزير ابن هبيرة واسمه يحيى بن محمد بن المظفر وزير الخليفة وكان موته في جمادي الاولى ومولده سنة تسعين واربعمائة ودفن بالمدرسة التي بناها للحنابلة بباب البصرة وكان حنبلي المذهب دينا خيرا عالما يسمع حديث النبي صلى الله عليه وسلم وله فيه التصانيف الحسنة وكان ذا رأى سديد ونافق على المقتفي نفاقا عظيما حتى ان المقتفي كان يقول لم يزر لبني العباس مثله ولما مات قبض على اولاده واهله وتوفي بهذه السنة محمد بن سعيد البغدادي بالموصل وله شعر حسن فمن قوله

افدى الذى وكلنى حبه * بطول اعلالى وامراضى
ولست ادرى بعد ذا كله * اساخط مولاى ام راضى

وفيها توفي الشيخ الامام ابو القاسم عمر بن عكرمة بن البزوري الشافعي تفقه على الفقيه الكيا الهراسي وكان واحد عصره في الفقه تاتيه الفتاوى من العراق وخراسان وسائر البلاد وهو من جزيرة ابن عمر

(ثم دخلت سنة احدى وستين وخمسمائة)

(ذكر فتح المنيطرة من الفرنج)

في هذه السنة فتح نور الدين محمود بن زنكي حصن المنيطرة من الشام وكان بيد الفرنج ولم يحشد له ولا جمع عساكره وانما سار اليه جريدة على غرة منهم وعلم انه ان جمع العساكر حذروا فسار اليه جريدة وانتهز الفرصة وحصره وجد في قتاله فاخذه عنوة وقهرا وقتل من بها وسبى وغنم غنيمة كثيرة فان الذين به كانوا آمنين فاخذتهم خيل الله بغتة وهم لا يشعرون ولم يجتمع الفرنج لدفعه الا وقد ملكه ولو علموا انه جريدة في قلة من العساكر لاسرعوا اليه وانما ظنوه انه في جمع كثير فلما ملكه تفرقوا وايسوا من رده

(ذكر قتل خطلوبرس مقطع واسط)

في هذه السنة قتل خطلوبرس مقطع واسط قتله ابن اخي شملة صاحب خوزستان وسبب ذلك ان ابن شنكا وهو ابن اخي شملة كان قد صاهر منكبرس مقطع البصرة فاتفق ان المستنجد بالله قتل منكبرس سنة تسع وخمسين وخمسمائة فلما قتل قصد ابن شنكا البصرة ونهب قراها فارسل من بغداد الى كمشتكين صاحب البصرة يحاربه ابن شنكا فقال انا عامل لست بصاحب جيش يعني انه ضامن لا يقدر على اقامة عسكر فطمع ابن شنكا واصعد الى واسط ونهب سوادها فجمع خطلوبرس مقطعها جمعا وخرج الى قتاله وكاتب ابن شنكا الامراء الذين مع خطلوبرس فاستمالهم ثم قاتلهم فانهزم عسكره فقتله واخذ ابن شنكا علم خطلوبرس فنصبه فلما رآه اصحابه

نحو خمس سنوات واختص به الباشا واحبه ورقاه في الخدم والمناصب الى ان جعله انختاراغاسى اى صاحب المفتاح وصار له حرمة زائدة وكلمة في باب الباشا وشهرة فلما حصلت النصرة للعسكر واستولوا على المدينة واتوا بمفاتيح زعموا انها مفاتيح المدينة كان هو المتعين بها للسفر للديار الرومية بالبشارة للدولة وارسلوا صحبته مضيان الذى كان متامرا بالمدينة ولما وصل الى دار السلطنة ووصلت اخباره احتفل اهل الدولة بشانه احتفالا زائدا ونزلوا لملاقاته في المراكب في مسافة بعيدة ودخلوا الى اسلامبول في موكب جليل وابهة عظيمة الى الغاية وسعت اعيان الدولة وعظماؤها بين يديه مشاة وركبانا وكان يوم دخوله يوما مشهودا وقتلوا مضيان المذكور في ذلك اليوم وعلقوه على باب السراية وعملوا شنانك ومدافع وافراحا وولائم وانعم السلطان على اطيف المذكور واعطاه اطواخا وارسل اليه اعيان الدولة الهدايا والتحف ورجع الى مصر في ابهة زائدة وداخله الغرور وتعاظم في نفسه ولم يحتفل الباشا بامره وكذلك اهل دولته لكونه من جنس المماليك وايضا قد تأسست عداوتهم في نفوسهم وكراهتهم له اشد من كراهتهم لابنائنا وخصوصا كتخدا بك فانه اشد الناس عداوة وبغضا في جنس المماليك وطفق يلقي لمخدومه ما يغير خاطره عليه

ظفروه باقيا فجعلوا يعودون اليه وكل من رجع اخذه ابن شنكا فقتله او اسره

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة خرج الكرج في جمع كثير واغاروا على بلدان حتى بلغوا كنجة فقتلوا واسروا وسبوا كثيرا ونهبوا اموالا لا تحصى وفيها توفي الحسن بن العباس بن رستم ابو عبد الله الاصفهاني الرستمي الشيخ الصالح وهو مشهور يروي عن أحمد بن خلف وغيره وفيها في ربيع الآخر توفي الشيخ عبد القادر بن أبي صالح أبو محمد الجيلي المقيم ببغداد ومولده سنة سبعين واربعمائة وكان من الصلاح على حال وهو حنبلي المذهب ومدرسته ورباطه مشهوران ببغداد

(ثم دخلت سنة اثنتين وستين وخمسمائة)

(ذكر عود اسد الدين شيركوه الى مصر)

قد ذكرنا سنة تسع وخمسين وخمسمائة مسير اسد الدين شيركوه الى مصر وما كان منه وقفوله الى الشام فلما وصل الى الشام أقام على حاله في خدمة نور الدين الى الآن وكان بعد عوده منها لا يزال يتحدث بها وبقصدها وكان عنده من الحرص على ذلك كثير فلما كان هذه السنة تجهز وسار في ربيع الآخر في جيش قوي وسير معه نور الدين جماعة من الامراء فبلغت عدتهم الفي فارس وكان كارها لذلك ولكن لما رأى جد أسد الدين في المسير لم يمكنه الا ان يسير معه جمعا خوفا من حادث يتجدد عليهم فيضعف الاسلام فلما اجتمع معه عسكره سار الى مصر على البر وترك بلاد الفرنج على يمينه فوصل الديار المصرية فقصد اطفيح وعبر النيل عندها الى الجانب الغربي ونزل بالجيزة مقابل مصر وتصرف في البلاد الغربية وحكم عليها واقام نيفا وخمسين يوما وكان شاور لما بلغه مجيء اسد الدين اليهم قد ارسل الى الفرنج يستنجدهم فاتوه على الصعب والذلول طمعا في ملكها وخوفا ان يملكها اسد الدين فلا يبقى لهم في بلادهم مقام معه ومع نور الدين فالرجاء يقودهم والخوف يسوقهم فلما وصلوا الى مصر عبروا الى الجانب الغربي وكان اسد الدين وعساكره قد ساروا الى الصعيد فبلغ مكانا يعرف بالبابين وسارت العساكر المصرية والفرنج وراءه فادركوه بها في الخامس والعشرين من جمادى الآخرة وكان ارسل الى المصريين والفرنج جواسيس فعادوا اليه واخبروه بكثرة عددهم وعددهم وجدهم في طلبه فعزم على قتالهم الا انه خاف من اصحابه ان تضعف نفوسهم عن القتال في هذا المقام الخطر الذي عطبهم فيه اقرب من سلامتهم لقلة عددهم وبعدهم عن اوطانهم وبلادهم وخطر الطريق فاستشارهم فكلهم اشاروا عليه بعبور النيل الى الجانب الشرقي والعود الى الشام وقالوا ان نحن انهزمنا وهو الذي يغلب على الظن فالى اين نلتجئ وبمن نحتمي وكل من في هذه الديار من جندي وعامي وفلاح عدو لنا فقام امير من مماليك نور الدين يقال له شرف الدين برغش صاحب شقيف وكان شجاعا وقال من يخاف القتل والاسر فلا يخدم الملوك بل يكون في بيته مع امرأته والله لئن عدنا الى نور

ومنها انه يضم اليه اجناسه من المماليك البطالين ليكونوا عزوته ويغترون به بحيث ان الباشا فوض اليه الامر ان ظهر منه شيء في غيابه وسافر الباشا في اثر ذلك واستمر لطيف باشا مع الجماعة في صلف وهم يحدقون عليه ويرصدون حركاته ويتوقعون ما يوجب الايقاع به وهو في غفلة وتيه لا يظن بهم سوء فطلب من الكتخدا الزيادة في رواتبه وعلائفه لسعة دائرته وكثرة حواشيه ومصاريفه فقال له الكتخدا انا لست صاحب الامر وقد كان هنا ولم يزدك شيئا فراسله وكاتبه فان امر بشيء فانا لا اخالف ما هو مأمور به وتزايد هو والحاضرون في الكلام والمفاقمة ففارقهم على غير حالة ونزل الى داره وارسل في العشية الى مماليك الباشا يحضروا اليه في الصباح ليعمل معهم ميدان رماحة على العادة وامر اليهم ان يصحبوا ما خف من متاعهم واسلحتهم فلما اصبحوا استعدوا كما اشار اليهم وشدوا خيولهم ووصل خبرهم الى الكتخدا فطلب كبيرهم وساله فاخبره ان لطيف باشا طلبهم ليعمل معهم رماحة فقال ان هذا اليوم ليس هو موعد الرماحة ومنعهم من الركوب وفي الحال احضر حسن باشا وطاهر باشا واحمد اغا المسمى بونابارته الخازندار وصالح بك السلحدار وابراهيم أغا أغات الباب ومحو بك وخلافهم ودبوس اوغلي

الدين من غير غلبة ولا بلاء نعتذر فيه اما نأخذ ما للناس من اقطاع وجامكية وليعودن علينا بجميع ما اخذناه منذ خدمناه الى يومنا هذا ويقول تأخذون اموال المسلمين وتفرون عن عدوهم وتسلمون مثل مصر الى الكفار والحق بيده فقال اسد الدين هذا الرأي وبه اعمل وقال ابن اخيه صلاح الدين مثله وكثر الموافقون لهم واجتمعت الكلمة على القتال فاقام بمكانه حتى ادركه المصريون والفرنج وهو على تعبية وجعل الاثقال في القلب يتكثر بها ولانه لم يمكنه ان يتركها بمكان آخر فينهبها اهل البلاد وجعل صلاح الدين في القلب وقال له ولمن معه ان المصريين والفرنج يجعلون حملتهم على القلب ظنا منهم اني فيه فاذا حملوا عليكم فلا تصدقوهم القتال ولا تهلكوا نفوسكم واندفعوا قدامهم بين ايديهم فاذا عادوا عنكم فارجعوا في اعقابهم واختار هو من شجعان عسكره جمعا يثق بهم ويعرف صبرهم في الحرب ووقف بهم في الميمنة فلما تقاتل الطائفتان فعل الفرنج ما ذكره وحملوا على القلب فقاتلهم من به قتالا يسيرا وانهزموا بين ايديهم غير متفرقين وتبعهم الفرنج فحمل حينئذ اسد الدين فيمن معه على من تخلف من الذين حملوا من المسلمين والفرنج الفارس والراجل فهزمهم ووضع السيف فيهم فاثخن واكثر القتل والاسر فلما عاد الفرنج من اثر المسلمين رأوا عسكرهم مهزوما والارض منهم قفرا فانهزموا ايضا وكان هذا من اعجب ما يؤرخ ان الفي فارس تهزم عساكر مصر وفرنج الساحل

(ذكر ملك اسد الدين الاسكندرية وعوده الى الشام)

لما انهزم المصريون والفرنج من اسد الدين بالبابين سار الى ثغر الاسكندرية وجبى ما في القرى على طريقه من الاموال ووصل الى الاسكندرية فتسلمها بمساعدة من اهلها سلموها اليه فاستناب بها صلاح الدين ابن اخيه وعاد الى الصعيد فملكه وجبى امواله واقام به حتى صام رمضان واما المصريون والفرنج فانهم عادوا واجتمعوا على القاهرة واصلحوا حال عساكرهم وجمعوا وساروا الى الاسكندرية فحصروا صلاح الدين بها واشتد الحصار وقل الطعام على من بها فصبر اهلها على ذلك وسار اسد الدين من الصعيد اليهم وكان شاور قد افسد بعض من معه من التركمان فوصل رسل الفرنج والمصريين يطلبون الصلح وبذلوا له خمسين الف دينار سوى ما اخذه من البلاد فاجاب الى ذلك وشرط على الفرنج ان لا يقيموا بالبلاد ولا يتملكوا منها قرية واحدة فاجابوا الى ذلك واصطلحوا وعادوا الى الشام وتسلم المصريون الاسكندرية في نصف شوال ووصل شيركوه الى دمشق ثامن عشر ذي القعدة واما الفرنج فانهم استقر بينهم وبين المصريين ان يكون لهم بالقاهرة شحنة وتكون ابوابها بيد فرسانهم ليمتنع نور الدين من انفاذ عسكر اليهم ويكون لهم من دخل مصر كل سنة مائة الف دينار هذا كله استقر مع شاور فان العاضد لم يكن له معه حكم لانه قد حجر عليه وحجبه عن الامور كلها وعاد الفرنج الى بلادهم بالساحل الشامي وتركوا بمصر جماعة من مشاهير فرسانهم وكان الكامل

شجاع

واسمعيل باشا ابن الباشا ومحمود بك الدويدار وتوافق الجميع على الايقاع به وواعدوا يوم السبت مجتمعين وقد بلغه الخبر واخذوا عليه الطرق وارسلوا يطلبونه للحضور في مجلسهم فامتنع وقال ما المراد من حضوري فنزل اليه دبوس اوغلي وخدعه فلم يقبل فركب وعاد اليه ثانيا يامره بالخروج من مصر ان لم يحضر مجلسهم فقال اما الحضور فلا يكون واما الخروج فلا اخالف فيه بشرط ان يكون بكفالة حسن باشا او طاهر باشا فاني لا آمن ان يتبعوني ويقتلوني خصوصا وقد اوقفوا بجميع الطرق ففارقه دبوس اوغلي فتحير في امره وامر بشد الخيول واراد الركوب فلم يتسع له ذلك ولم يزل في نقض وابرام الى الليل فشركوا الجهات وابواب المدينة ايضا بالعساكر وكثر جمعهم بالقلعة وابوابها وفي تاسع ساعة من الليل نزل حسن باشا ومحمد بك في نحو الالفين من العسكر واحاطوا بداره بسويقة العزى وقد اغلق داره فصاروا يضربون عليه بالبنادق والقرابين الى آخر الليل فلما اعياهم ذلك هجموا على دور الناس التي حوله وتسلقوا عليه من الاسطحة ونزلوا الى سطح داره وقتلوا من صادفوه من عسكره واتباعه واختفى هو في مخبأة اسفل الدار مع ستة اشخاص من الجواري ومملوك واحد وعلم بمكانهم اغات الحريم فداروا بالدار يفتشون عليه

شجاع بن شاور قد ارسل الى نور الدين مع بعض الامراء ينهى محبته وولاءه ويساله
الدخول فى طاعته وضمن على نفسه انه يفعل هذا ويبذل مالا يحمله كل سنة فاجابه الى ذلك
وحمل اليه مالا جزيلا فبقى الامر على ذلك الى ان قصد الفرنج مصر سنة اربع وستين
وخمسمائة فكان ما نذكره هناك ان شاء الله تعالى

(ذكر ملك نور الدين صافيثا وعريمة)

فى هذه السنة جمع نور الدين العساكر فسار اليه اخوه قطب الدين من الموصل وغيره
فاجتمعوا على حمص فدخل نور الدين بالعساكر بلاد الفرنج فاجتازوا على حصن
الاكراد فاغاروا ونهبوا وقصدوا عرقة فنازلوها وحصروها وحصروا حلبة واخذوها
وخربوها وسارت عساكر المسلمين فى بلادهم يمينا وشمالا تغير وتخرب البلاد وفتحوا
العريمة وصافيثا وعادوا الى حمص فصاموا بها رمضان ثم ساروا الى بانياس وقصدوا
حصن هونين وهو للفرنج ايضا من امنع حصونهم ومعاقلهم فانهزم الفرنج عنه
واحرقوه فوصل نور الدين من الغد فهدم سوره جميعه واراد الدخول الى بيروت فتجدد
فى العسكر خلف اوجب التفرق فعاد قطب الدين الى الموصل واعطاه نور الدين مدينة
الرقة على الفرات وكانت له فاخذها فى طريقه وعاد الى الموصل

(ذكر قصد ابن سنكا البصرة)

فى هذه السنة عاود ابن سنكا فقصد البصرة ونهب بلدها وخربه من الجهة الشرقية وسار
الى مطارا فخرج اليه كمشتكين صاحب البصرة وواقعه فاجتمع بشرف الدين أبى
جعفر بن البلدى الناظر فيها ومعهما مقطعهما ارغش واتصلت الاخبار بان ابن سنكا
واصل الى واسط فخاف الناس منه خوفا شديدا فلم يصل اليها

(ذكر قصد شملة العراق)

فى هذه السنة وصل شملة صاحب خوزستان الى قلعة الماهكى من اعمال بغداد وارسل
الى الخليفة المستنجد بالله يطلب شيئا من البلاد ويشتط فى الطلب فسير الخليفة اكثر
عساكره اليه ليمنعوه وارسل اليه يوسف الدمشقى يلومه ويحذره عاقبة فعله فاعتذر بان
ايلدكز والسلطان ارسلان شاه اقطعا الملك الذى عنده وهو ولد ملكشاه البصرة
وواسط وعرض التوقيع بذلك وقال انا اقنع بثلث ذلك فعاد الدمشقى بذلك فامر
الخليفة بلعنه وانه من الخوارج وجمعت العساكر وسيرت الى ارغش المسترشدى وكان
بالنعمانية هو وشرف الدين أبو جعفر بن البلدى ناظر واسط مقابل شملة ثم ان شملة
أرسل قلج ابن أخيه فى طائفة من العسكر لقتال طائفة من الاكراد فركب ارغش فى
بعض العسكر الذى عنده وسار الى قلج فحاربه فاسر قلج وبعض اصحابه وسيرهم الى بغداد
وبلغ شملة وطلب الصلح فلم تقع الاجابة اليه ثم ان ارغش سقط عن فرسه بعد الوقعة فمات
وبقى شملة مقيما مقابل عسكر الخليفة فلما علم انه لا قدرة له عليهم رحل وعاد الى بلاده
وكانت مدة سفره اربعة اشهر

فلم يجدوه فنهبوا جميع ما فى الدار ولم يتركوا ١٤٧ بها شيئا وسبوا الحريم والجوارى والمماليك والعبيد وكذلك ما حوله وما
جاوره من دور الناس ودور
حواشيه وهم نيف وعشرون
دارا حتى حوانيت الباعة
وغيرهم التى بالخطة ودار
على كتخدا صالح الفلاح هذا
ما جرى بتلك الناحية وباقى
نواحى المدينة لا يدرون بشئ
من ذلك الا انهم لما طلع نهار
يوم الاحد وخرج الناس الى
الاسواق والشوارع وجدوا
العساكر مائجة وابواب البلد
مغلقة ووجدوا العساكر
مجتمعة ومنهم من يعدو ومعه
شئ من المنهوبات فامتنع
الناس من فتح الحوانيت
والقهاوى التى من عادتهم
التبكير بفتحها وظنوا ظنا
واستمر لطيف باشا بالمخباة الى
الليل واشتد به الخوف وتيقن
ان العبد الطواشى سينم عليه
ويعرفهم بمكانه فلما اظلم
الليل وفرغوا من النهب
والتفتيش وخلا المكان خرج
من المخباة بمفرده ونط من
الاسطحة حتى خلص الى
دار خازنداره وصحبته كبير
عسكره وآخر يسمى يوسف
كاشف دياب من بقايا الاجناد
المصرية وباتوا بقية تلك الليلة
ويوم الاثنين والكتخدا واهل
دولته يدأبون فى الفحص
والتفتيش عليه ويتهمون
كثيرا من الناس بمعرفة مكانه
ومحمود بك داره بالقرب من
داره اوقف اشخاصا من عسكره على الاسطحة ليلا ونهارا للرصد وكان المذكور له اعتقاد فى شخص يسمى حسن افندى الليلى

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة دهى غازى بن حسان المنبجى على نور الدين محمود بن زنكى صاحب الشام وكان نور الدين قد اقطعه مدينة منبج فامتنع عليه فيها فسير اليه عسكرا فحصروه واخذوها منه واقطعها نور الدين اخاه قطب الدين ينال بن حسان وكان عادلا خيرا محسنا الى الرعية جميل السيرة فبقى فيها الى ان اخذها منه صلاح الدين يوسف بن ايوب سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة وفيها توفى فخر الدين ارسلان بن داود بن سقمان بن ارتق صاحب حصن كيفا وا كثر ديار بكر ولما اشتد مرضه ارسل الى نور الدين محمود صاحب الشام يقول له بيننا صحبة فى جهاد الكفار واريد ان ترعى بها ولدى ثم توفى وملك بعده ولده محمد فقام نور الدين الشامى بنصرته والذب عنه بحيث ان أخاه قطب الدين مودودا صاحب الموصل اراد قصد بلاده فارسل اليه اخوه نور الدين يمنعه ويقول له ان قصدته أو تعرضت الى بلاده منعتك قهرا فامتنع من قصده وفيها توفى ابو المعالى محمد ابن الحسين بن حمدون الكاتب ببغداد وكان على ديوان الزمام فقبض عليه فمات محبوسا وفيها توفى قماج المسترشدى والد الامير يزدن وهو من أكابر الامراء ببغداد

(ثم دخلت سنة ثلاث وستين وخمسمائة)

(ذكر فراق زين الدين الموصل وتحكم قطب الدين فى البلاد)

فى هذه السنة فارق زين الدين على بن بكتكين النائب عن قطب الدين مودود بن زنكى صاحب الموصل خدمة صاحبه بالموصل وسار الى اربل وكان هو الحاكم فى الدولة واكثر البلاد بيده منها اربل وفيه بيته واولاده وخزائنه ومنها شهرزور وجميع القلاع التى معها وجميع بلد الهكارية وقلاعه منه العمادية وغيرها وبلد الحميدية وتكريت وسنجار وحران وقلعة الموصل هو بها وكان قد اصابه طرش وعمى أيضا فلما عزم على مفارقة الموصل الى بيته باربل سلم جميع ما كان بيده من البلاد الى قطب الدين مودود وبقى معه اربل حسب وكان شجاعا عاقلا حسن السيرة سليم القلب ميمون النقيبة لم ينهزم من حرب قط وكان كريما كثير العطاء للجند وغيرهم مدحه الحيص بيص بقصيدة فلما اراد ان ينشد قال أنا لا أعرف ما يقول ولكنى اعلم انه يريد شيئا فامر له بخمسمائة دينار وفرس وخلعة مجموع ذلك الف دينار ولم يزل باربل الى ان مات بها بهذه السنة ولما فارق زين الدين قلعة الموصل سلمها قطب الدين الى فخر الدين عبد المسيح وحكمه فى البلاد فعمر القلعة وكانت خرابا لان زين الدين كان قليل الالتفات الى العمارة وسار عبد المسيح سيرة شديدة وسياسة عظيمة وهو خصى أبيض من مماليك زنكى اتابك عماد الدين

(ذكر الحرب بين البهلوان وصاحب مراغة)

فى هذه السنة أرسل آقسنقر الاحمديلى صاحب مراغة الى بغداد يسال ان يخطب للملك الذى هو عنده وهو ولد السلطان محمد شاه ويبذل انه لا يطأ ارض العراق ولا يطلب شيئا

ولبلب لفظ تركى علم على الحمص الجوهر اى المقلى ومن شان حسن افندى هذا انه رجل درويش يدخل الى بيوت الاعيان والاكابر من الناس الاتراك وغيرهم وفى جيوبه من ذلك الحمص فيفرق على اهل المجلس منه ويلاطفهم ويضاحكهم ويمزح معهم ويعرف باللغة التركية ويجانس الفريقين فمن اعطاه شيئا اخذه ومن لم يعطه لم يطلب منه شيئا وبعضهم يقول له انظر ضميرى اوفالى فيعد على سبحته ازواجا وافرادا ثم يقول ضميرك كذا وكذا فيضحكون منه فوشى بحسن افندى هذا الى كتخدا بك وباقى الجماعة بانه كان يقول لطيف باشا انه سيلى سيادة مصر واحكامها ويقول له هذا وقت انتهاز الفرصة فى غيبة الباشا ونحو ذلك وجسموا الدعوى وانه كان يعتقد صحة كلامه ويزوره فى داره ورتب له ترتيبا واشاعوا انه اراد ان يضم اليه اجناس المماليك والخاملين من العساكر وغيرهم ويعطيهم نفقات ويريد اثارة فتنة ويقتال الكتخدا بك وحسن باشا وامثالهما على حين غفلة ويملك القلعة والبلد وان اللبلبي يغريه على ذلك وكل وقت يقول له جاء وقتك ونحو ذلك من الكلام الذى المولى جل جلاله اعلم بصحته فارسل كتخدا بك الى اللبلبي فحضر بين يديه فى يوم الاثنين فسأله عنه فقال لا ادرى فقال

غيرذلك وبذل مالايحمله اذا اجيب الى ماالتمسه فاجيب بتطييب قلبه وبلغ الخبر ايلدكز صاحب البلاد فساءه ذلك وجهز عسكرا كثيفا وجعل المقدم عليهم ابنه البهلوان وسيرهم الى آقسنقر فوقعت بينهم حرب اجلت عن هزيمة آقسنقر وتحصنه بمراغة ونازله البهلوان وحصره وضيق عليه ثم ترددت الرسل بينهم فاصطلحوا وعاد البهلوان الى أبيه بهمذان

●(ذكر عدة حوادث)●

فى هذه السنة استوزر الخليفة المستنجد بالله شرف الدين أباجعفر أحمد بن محمد بن سعيد المعروف بابن البلدى وكان ناظر ابواسط ابان فى ولايتها عن كفاية عظيمة فاحضره الخليفة واستوزره وكان عضد الدين ابوالفرج بن رئيس الرؤساء قد تحكم تحكما عظيما فتقدم الخليفة الى ابن البلدى بكف يده وايدى اهله واصحابه ففعل ذلك ووكل بتاج الدين اخى استاذ الدار وطالبه بحساب نهر الملك لانه كان يتولاه من أيام المقتفى وكذلك فعل بغيره فحصل بذلك اموال جمة وخافه استاذ الدار على نفسه فحمل مالا كثيرا وفى هذه السنة توفى عبد الكريم بن محمد بن منصور ابوسعيد بن ابى المظفر السمعانى المروزى الفقيه الشافعى وكان مكثرا من سماع الحديث سافر فى طلبه وسمع منه مالم يسمعه غيره ورحل الى ماوراء النهر وخراسان دفعات ودخل الى بلد الجبل واصفهان والعراق والموصل والجزيرة والشام وغير ذلك من البلاد وله التصانيف المشهورة منها ذيل تاريخ بغداد وتاريخ مدينة مرو وكتاب النسب وغير ذلك احسن فيها ما شاء وقد جمع مشيخته فزادت عدتهم على أربعة آلاف شيخ وقد ذكره ابوالفرج بن الجوزى فقطعه فمن جملة قوله فيه انه كان يأخذ الشيخ ببغداد ويعبر به الى فوق نهر عيسى فيقول حدثنى فلان بما وراء النهر وهذا بارد جدا فان الرجل سافر الى ماوراء النهر حقا وسمع فى عامة بلاده من عامة شيوخه فاى حاجة به الى هذا التدليس البارد وانما ذنبه عند ابن الجوزى انه شافعى وله اسوة بغيره فان ابن الجوزى لم يبق على احد الا مكسرى الحنابلة وفيها توفى قاضى القضاة ابوالبركات جعفر بن عبد الواحد الثقفى فى جمادى الآخرة وفيها توفى يوسف الدمشقى مدرس النظامية بخوزستان وكان قد سار رسولا الى شملة وفيها توفى الشيخ ابوالنجيب السهروردى الصوفى الفقيه وكان من الصالحين المشهورين ودفن ببغداد

●(ثم دخلت سنة اربع وستين وخمسمائة)●

●(ذكر ملك نور الدين قلعة جعبر)●

فى هذه السنة ملك نور الدين محمود بن زنكى قلعة جعبر اخذها من صاحبها شهاب الدين مالك بن على بن مالك العقيلى وكانت بيده وبيد آبائه من قبله من أيام السلطان ملكشاه وقد تقدم ذكر ذلك وهى من امنع القلاع واحصنها مطلة على الفرات من الجانب الشرقى واما سبب ملكها فان صاحبها نزل منها يتصيد فاخذه بنو كلاب وحملوه

انظر فى حسابك هل تجده ام لا فامسك بحجته وعدها كعادته وقال انكم تجدونه وتقتلونه ثم ان الكتخدا اشار الى اعوانه فاخذوه ونزلوا به واركبوه على حماره وذهبوا به الى بولاق فانزلوه فى مركب وانحدروا به الى شلقان وشلحوه من ثيابه واغرقوه فى البحر (وفى ذلك اليوم) عرفهم اغات حريم لطيف باشا بعدان هددوه وقرروه عن محل استاذه واخبرهم انه فى الخباة وأراهم المكان فقصدوه فوجدوا به الجوارى الستة والمملوك ولم يجدوه معهم فسالوهم عنه فقالوا انه كان معنا وخرج فى ليلة امس ولم نعلم اين ذهب فاخرجوهم واخذوا ماوجدوه فى الخباة من متاع وسروج ومصاغ ونقود وغير ذلك فلما كان بعد الغروب من ليلة الثلاثاء اشتد بلطيف باشا الخوف والقلق فاراد ان ينتقل من بيت الخازندار الى مكان آخر فطلع الى السطح وصعد على حائط يريد النزول منها هو ورفيقه البيوكباشى ليخلص الى حوش مجاور لتلك الدار فنظرهما شخص من العسكر المرصدبا على سطح دار محمود بك الدويدار فصاح على القريبين منه لينتبهوا له فعندما صاح ضربه لطيف باشا رصاصة فاصابته وتنبهت المرصدون بالنواحى عند سماع الصيحة وبندقة الرصاصة وتسارعوا اليه من كل ناحية وقبضوا عليه وعلى رفيقه واتوا بهما الى

الى نور الدين في رجب سنة ثلاث وستين فاعتقله واحسن اليه ورغبه في الاقطاع والمال ليسلم اليه القلعة فلم يفعل فعدل الى الشدة والعنف وتهدده فلم يفعل فسير اليها نور الدين عسكرا مقدمه الامير فخر الدين مسعود بن على الزعفرانى فحصرها مدة فلم يظفر منها بشئ فامدهم بعسكر آخر وجعل على الجميع الامير مجد الدين أبابكر المعروف بابن الداية وهو رضيع نور الدين وأكبر امرائه فحصرها ايضا فلم ير له فيها مطمعا فسلك مع صاحبها طريق اللين وأشار عليه ان يأخذ من نور الدين العوض ولا يخاطر في حفظها بنفسه فقبل قوله وسلمها فاخذ عوضا عنها سروج واعمالها والملاحة التي بين بلد حلب وباب بزاعة وعشرين ألف دينار معجلة وهذا اقطاع عظيم جدا الا انه لا حصن فيه وهذا آخر أمر بني مالك بالقلعة ولكل أمر أمد ولكل ولاية نهاية بلغني انه قيل لصاحبها ايما أحب اليك واحسن مقاما سروج والشام أم القلعة فقال هذه اكثر مالا واما العز ففارقناه بالقلعة

(ذكر ملك اسد الدين مصر وقتل شاور)

في هذه السنة في ربيع الاول سار اسد الدين شيركوه بن شاذي الى ديار مصر فملكها ومعه العساكر النورية وسبب ذلك ما ذكرناه من تمكن الفرنج من البلاد المصرية وانهم جعلوا لهم في القاهرة شحنة وتسلموا ابوابها وجعلوا لهم فيها جماعة من شجعانهم واعيان فرسانهم وحكموا على المسلمين حكما جائرا وركبوهم بالاذى العظيم فلما رأوا ذلك وان البلاد ليس فيها من يردهم أرسلوا الى ملك الفرنج بالشام وهو مرى ولم يكن للفرنج مذظهر بالشام مثله شجاعة ومكرا ودهاء يستدعونه ليملكها واعلموه خلوها من موانع وهونوا أمرها عليه فلم يجبهم فاجتمع اليه فرسان الفرنج وذوو الرأي منهم وأشاروا عليه بقصدها وتملكها فقال لهم الرأي عندي اننا لا نقصدها ولا طعمة لنا فيها واموالها تساق الينا نتقوى بها على نور الدين وان نحن قصدناها لنملكها فان صاحبها وعساكره وعامة بلاده وفلاحيها الا يسلمونها الينا ويقاتلونا دونها ويحملهم الخوف منا على تسليمها الى نور الدين ولئن صار له فيها مثل اسد الدين فهو هلاك الفرنج واجلاؤهم من أرض الشام فلم يقبلوا قوله وقالوا انها لا مانع فيها ولا حامي والى ان يتجهز عسكر نور الدين ويسير اليها نكون نحن قد ملكناها وفرغنا من أمرها وحينئذ يتمنى نور الدين منا السلامة فسار معهم على كره وشرعوا يتجهزون ويظهرون انهم يريدون قصد مدينة حمص فلما سمع نور الدين شرع ايضا يجمع عساكره وأمرهم بالقدوم عليه وجد الفرنج في السير الى مصر فقدموها ونازلوا مدينة بلبيس وملكوها قهرا مستهل صفر ونهبوها وقتلوا فيها وأسروا وكان جماعة من أعيان المصريين قد كاتبوا الفرنج ووعدوهم النصرة عداوة منهم لشاور منهم ابن الخياط وابن فرجلة فقوي جنان الفرنج وساروا من بلبيس الى مصر فنزلوا على القاهرة عاشر صفر وحصروها فخاف الناس منهم ان يفعلوا بهم كما فعلوا باهل بلبيس فحملهم الخوف منهم

على

فلما طلع نهار يوم الثلاثاء طلع به محمود بك الى القلعة وقد اجتمع اكابرهم بديوان الكتخدا واتفقوا على قتله ووافقهم على ذلك اسمعيل ابن الباشا بما نقموه عليه لانه في الاصل مملوك صهره عارف بك فعندما وصل الى الدرج قبض عليه الاعوان وهو بجانب محمود بك فقبض بيده على علاقة سيفه وهو يقول له بالتركي عرظندايم يعني انا في عرضك ومدت يده على قيطان السيف فاخرج بعضهم سكينا وقطع القيطان وجذبوه الى اسفل سلم الركوبة واخذوا عمامته وضربه المشاعلي بالسيف ضربات ووقع الى الارض ولم ينقطع عنقه فكملوا ذبحه مثل الشاة وقطعوا راسه وفعلوا برفيقه كذلك وعلقوا رؤسهما تجاه باب زويلة طول النهار (وفي ثاني يوم وهو يوم الاربعاء ثاني عشرينه) احضروا ايضا يوسف كاشف دياب وقتلوا ايضا عند باب زويلة وانقضى امرهم والله اعلم بحقيقة الحال وفتح اهل الاسواق حوانيتهم بعد ماتخيل الناس بانها ستكون فتنة عظيمة وان العسكر ينهبون المدينة وخصوصا الكائنون بالعرضي خارج باب النصر فانهم جياع وبردانون وغالبهم مفلس لان معظمهم من الجدد الواردين

على الامتناع فحفظوا البلد وقاتلوا دونه وبذلوا جهدهم فى حفظه فلو ان الفرنج احسنوا
السيرة فى بلبيس ملكوا مصر والقاهرة ولكن الله تعالى حسن لهم ذلك أى ما فعلوا
ليقضى الله أمرا كان مفعولا وأمر شاور باحراق مدينة مصر تاسع صفر وأمر أهلها
بالانتقال منها الى القاهرة وان ينهب البلد فانتقلوا وبقوا على الطرق ونهبت المدينة
وافتقر أهلها وذهبت اموالهم ونعمتهم قبل نزول الفرنج عليهم بيوم خوفا ان يملكها
الفرنج فبقيت النار تحرقها اربعة وخمسين يوما وارسل الخليفة العاضد الى نور الدين
يستغيث به ويعرفه ضعف المسلمين عن دفع الفرنج وارسل فى الكتب شعور النساء
وقال هذه شعور نسائى من قصرى يستغثن بك لتنقذهن من الفرنج فشرع فى تسيير
الجيوش واما الفرنج فانهم اشتدوا فى حصار القاهرة وضيقوا على اهلها وشاور هو
المتولى للامر والعساكر والقتال فضاق به الامر وضعف عن ردهم فاخلد الى اعمال
الحيلة فارسل الى ملك الفرنج يذكر له مودته ومحبته له قديما وان هواه معه لخوفه من
نور الدين والعاضد وانما المسلمون لا يوافقونه على التسليم اليه ويشير بالصلح
واخذ مال لئلا يتسلم البلاد نور الدين فاجابه الى ذلك على ان يعطوه ألف ألف دينار
مصرية يعجل البعض ويمهل بالبعض فاستقرت القاعدة على ذلك ورأى الفرنج ان
البلاد قد امتنعت عليه وربما سلمت الى نور الدين فاجابوا كارهين وقالوا ناخذ المال
فنتقوى به ونعاود البلاد بقوة لا نبالى معها بنور الدين ومكروا ومكر الله والله خير
الماكرين فعجل لهم شاور مائة ألف دينار وسألهم الرحيل عنه ليجمع لهم المال
فرحلوا قريبا وجعل شاور يجمع لهم المال من اهل القاهرة ومصر فلم يتحصل
له الا قدر لا يبلغ خمسة آلاف دينار وسببه ان اهل مصر كانوا قد احترقت دورهم
وما فيها وما سلم نهب وهم لا يقدرون على الاقوات فضلا عن الاقساط واما أهل
القاهرة فالاغلب على أهلها الجند وغلمانهم فلهذا تعذرت عليهم الاموال وهم
فى خلال هذا يراسلون نور الدين بما الناس فيه وبذلوا له ثلث بلاد مصر وان يكون
أسد الدين مقيما عندهم فى عسكر واقطاعهم من البلاد المصرية ايضا خارجا عن الثلث
الذى لهم وكان نور الدين لما وصله كتب العاضد بحلب ارسل الى اسد الدين يستدعيه
اليه فخرج القاصد فى طلبه فلقيه على باب حلب وقد قدمها من حمص وكانت اقطاعه
وكان سبب وصوله ان كتب المصريين وصلته أيضا فى المعنى فسار أيضا الى نور الدين
واجتمع به وعجب نور الدين من حضوره فى الحال وسره ذلك وتفاءل به وأمر بالتجهيز
الى مصر واعطاه مائتى ألف دينار سوى الثياب والدواب والاسلحة وغير ذلك وحكمه
فى العسكر والخزائن واختار من العسكر الفى فارس وأخذ المال وجمع ستة آلاف
فارس وسار هو ونور الدين الى باب دمشق فوصلها سلخ صفر ورحل الى رأس الماء
واعطى نور الدين كل فارس ممن مع اسد الدين عشرين دينارا معونة غير محسوبة من
جامكيته واضاف الى اسد الدين جماعة اخرى من الامراء منهم مملوكه عز الدين جرديك
وغرس الدين قلج وشرف الدين برغش وعين الدولة الياروقى وقطب الدين ينال بن

الدين لم يحصل لهم كسب من نهب او حادث واقع ادركوه ولولا انهم اوقفوا عساكر عند الابواب منعتهم من العبور
لحصل منهم غاية الضرر
(وانقضت السنة) وحوادثها
التى ربما استمرت الى ماشاء
الله بدوامها وانقضائها (فمنها)
ان الباشا لما فرغ من امر
الجهة القبلية بعدما ولى ابنه
ابراهيم باشا عليها وحرر اراضى
الصعيد وقاس جملة اراضيه
وفدنه وضبطه باجمعه ولم يترك
منه الا ماقل وضبط لديوانه
جميع الاراضى المصرية
والاقطاعات التى كانت
للملتزمين من الامراء والهوارة
وذوى البيوت القديمة والرزق
الاحباسية والسواقى
والمتأخرات والمرصد على
الاهالى والخيرات وعلى البر
والصدقة وغير ذلك مثل
مصارف الولاية التى رتبها
اهالى الخير المتقدمون لاربابها
رغبة منهم فى الخير وتوسعة
على الفقراء المحتاجين وذوى
البيوت والدواوير المفتوحة
المعدة لاطعام الطعام للضيفان
والواردين والقاصدين
وابناء السبيل والمسافرين
فمن ذلك ان بناحية سهاج
دار الشيخ عارف وهو رجل
مشهور كاسلافه ومعتقد بتلك
الناحية وغيرها ومنزله محط
الرحال الوافدين والقاصدين
من الاكابر والاصاغر
والفقراء والمحتاجين فيقرى
الكل بما يليق بهم ويرتب
لهم التراتيب والاحتياجات وعند انصرافهم بعد قضاء اشغالهم يزودهم ويهاديهم بالغلال والسمن والعسل

حسان المنبجى وصلاح الدين يوسف بن ايوب اخى شيركوه على كره منه وعسى ان
تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم احب نور الدين مسير صلاح
الدين وفيه ذهاب بيته وكره صلاح الدين المسير وفيه سعادته وملكه وسيرد ذلك عند
موت شيركوه ان شاء الله تعالى وسار اسد الدين شيركوه من راس الماء مجدا منتصف
ربيع الاول فلما قارب مصر رحل الفرنج الى بلادهم بخفى حنين خائبين مما املوا وسمع
نور الدين بعودهم فسره ذلك وامر بضرب البشائر فى البلاد وبث رسله فى الآفاق
مبشرين بذلك فانه كان فتحا جديدا لمصر وحفظا لبلاد الشام وغيرها فاما اسد الدين فانه
وصل الى القاهرة سابع جمادى الآخرة ودخل اليها واجتمع بالعاضد لدين الله وخلع
عليه وعاد الى خيامه بالخلعة العاضدية وفرح به اهل مصر واجريت عليه وعلى عسكره
الجرايات الكثيرة والاقامات الوافرة ولم يمكن شاور المنع من ذلك لانه رأى العساكر
كثيرة مع شيركوه وهوى العاضد معهم فلم يتجاسر على اظهار ما فى نفسه وشرع يماطل
اسد الدين فى تقرير ما كان بذل لنور الدين من المال واقطاع الجند وافراد ثلث البلاد
لنور الدين وهو يركب كل يوم الى اسد الدين ويسير معه ويعده ويمنيه وما يعدهم
الشيطان الا غرورا ثم انه عزم على ان يعمل دعوة يدعو اليها اسد الدين والامراء الذين
معه ويقبض عليهم ويستخدم من معهم من الجند فيمنع بهم البلاد من الفرنج فنهاه ابنه
الكامل وقال له والله لئن عزمت على هذا الامر لاعرفن شيركوه فقال له ابوه والله لئن لم
نفعل هذا لنقتلن جميعا فقال صدقت ولأن نقتل ونحن مسلمون والبلاد اسلامية خير
من أن نقتل وقد ملكها الفرنج فانه ليس بينك وبين عود الفرنج الا ان يسمعوا
بالقبض على شيركوه وحينئذ لو مشى العاضد الى نور الدين لم يرسل معه فارسا واحدا
ويملكون البلاد فترك ما كان عزم عليه ولما رأى العسكر النورى مطل شاور خافوا شره
فاتفق صلاح الدين يوسف بن ايوب وعز الدين جرديك وغيرهم على قتل شاور فنهاهم
اسد الدين فسكتوا وهم على ذلك العزم من قتله فاتفق ان شاور قصد عسكر اسد الدين
على عادته فلم يجده فى الخيام كان قد مضى يزور قبر الشافعى رضى الله تعالى عنه فلقيه
صلاح الدين يوسف وجرديك فى جمع من العسكر وخدموه واعلموه بان شيركوه فى زيارة
قبر الامام الشافعى فقال نمضى اليه فساروا جميعا فسايره صلاح الدين وجرديك والقوه
الى الارض عن فرسه فهرب اصحابه عنه فاخذ اسيرا فلم يمكنهم قتله بغير امر اسد الدين
فتوكلوا بحفظه وسيروا واعلموا اسد الدين فحضر ولم يمكنه الا اتمام ما عملوه وسمع الخليفة
العاضد صاحب مصر الخبر فارسل الى اسد الدين يطلب منه رأس شاور وتابع الرسل
بذلك فقتل وارسل رأسه الى العاضد فى السابع عشر من ربيع الآخر ودخل اسد
الدين القاهرة فرأى من اجتماع الخلق ما خافهم على نفسه فقال لهم امير المؤمنين يعنى
العاضد يأمركم بنهب دار شاور فتفرق الناس عنه اليها فنهبوها وقصد هو قصر العاضد
فخلع عليه خلع الوزارة ولقب الملك المنصور امير الجيوش وسار بالخلع الى دار الوزارة وهى
التى كان فيها شاور فلم ير فيها ما يقعد عليه واستقر فى الامر وغلب عليه ولم يبق له مانع ولا

منازع

والتمر والاغنام وهذا دأبه ودأب اسلافه من قبله على الدوام والاستمرار ورزقته المرصدة التى يزرعها وينفق
منها استمائة فدان فضبطوها
ولم يسمحوا له منها الا بمائة
فدان بعد التوسط والترجى
والتشفع وامثال ذلك بجرجا
واسيوط ومنفلوط وفرشوط
وغيرها واذا قال المتشفع
والمترجى للتمام ينبغى مراعاة
مثل هذا ومسامحته لانه
يطعم الطعام وتنزل بداره
الضيفان فيقول ومن كلفه
بذلك فيقال له وكيف يفعل
اذا نزلت به الضيوف على
حسب ما اعتادوه فيقول
يشترون ما يأكلون
بدراهمهم من اكياسهم او
يغلقون ابوابهم ويستقلون
بانفسهم وعيالهم ويقتصدون
فى معايشهم فيعتادون ذلك
وهذا الذى يفعلونه تبذير
واسراف ونحو ذلك على حسب
حالهم وشأنهم فى بلادهم
ويقول الديوان احق بهذا
فان عليه مصاريف ونفقات
ومهمات ومحاربات الاعداء
وخصوصا افتتاح بلاد الحجاز
ولما حضر ابراهيم باشا الى
مصر وكان ابوه على اهبة
السفر الى الحجاز حضر الكثير
من اهالى الصعيد يشكون
ما نزل بهم ويستغيثون
ويتشفعون بوجهاء المشايخ
وغيرهم فاذا خوطب الباشا
فى شئ من ذلك يعتذر بانه
مشغول البال واهتمامه
بالسفر وانه اناط امر الجهة القبلية واحكامها وتعلقاتها بابنه ابراهيم باشا وان الدولة

منازع واستعمل على الاعمال من يثق اليه من اصحابه واقطع البلاد لعساكره واما الكامل بن شاور فانه لما قتل أبوه دخل القصر هو واخوته معتصمين به فكان آخر العهد بهم فكان شيركوه يتاسف عليه كيف عدم لانه بلغه ماكان منه مع ابيه في منعه من قتل شيركوه وكان يقول وددت انه بقي لاحسن اليه جزاء اصنيعه

(ذكر وفاة اسد الدين شيركوه)

لما ثبت قدم اسد الدين وظن انه لم يبق له منازع اتاه اجله حتى اذا فرحوا بما أوتوا اخذناهم بغتة فتوفي يوم السبت الثاني والعشرين من جمادى الآخرة سنة اربع وستين وخمسمائة وكانت ولايته شهرين وخمسة ايام واما ابتداء امره وسبب اتصاله بنور الدين فانه كان هو واخوه نجم الدين ايوب ابنا شاذي من بلد دوين من أذربيجان واصلهما من الاكراد الزوادية وهذا القبيل هم اشرف الاكراد فقدما العراق وخدما مجاهد الدين بهروز شحنة بغداد فرأى من نجم الدين عقلا وافرا وحسن سيرة وكان اكبر من شيركوه فجعله مستحفظا لقلعة تكريت وهي له فسارا اليها ومعه اخوه شيركوه فلما انهزم اتابك الشهيد زنكي بن آقسنقر بالعراق من قراجا الساقي على ماذكرناه سنة ست وعشرين وخمسمائة وصل منهزما الى تكريت فخدمه نجم الدين واقام له السفن فعبر دجلة هناك وتبعه اصحابه فاحسن ايوب صحبتهم وسيرهم ثم ان شيركوه قتل انسانا بتكريت لملاحة جرت بينهما فاخرجهما بهروز من القلعة فسارا الى الشهيد زنكي فاحسن اليهما وعرف لهما خدمتهما واقطعهما اقطاعا حسنا فلما ملك قلعة بعلبك جعل ايوب مستحفظا بها فلما قتل الشهيد حصر عسكر دمشق بعلبك وهو بها فضاق عليه الامر وكان سيف الدين غازي بن زنكي مشغولا عنه باصلاح البلاد فاضطر الى تسليمها اليهم فسلمها على اقطاع ذكره فاجيب الى ذلك وصار من اكبر الامراء بدمشق واتصل اخوه اسد الدين شيركوه بنور الدين محمود بعد قتل زنكي وكان يخدمه في ايام والده فقربه وقدمه ورأى منه شجاعة يعجز غيره عنها فزاده حتى صار له حمص والرحبة وغيرهما وجعله مقدم عسكره فلما اراد نور الدين ملك دمشق امره فراسل اخاه ايوب وهو بها وطلب منه المساعدة على فتحها فاجاب الى ذلك على ما يراد منه على اقطاع ذكره له ولاخيه وقرى يتملكانها فاعطاهما ما طلبا وفتح دمشق على ماذكرناه ووفى لهما وصارا اعظم امراء دولته فلما أراد ان يرسل العساكر الى مصر لم ير لهذا الامر العظيم والمقام الخطر غيره فارسله ففعل ماذكرناه أولا وآخرا والله أعلم

(ذكر ملك صلاح الدين مصر)

لما توفي اسد الدين شيركوه كان معه صلاح الدين يوسف ابن اخيه ايوب بن شاذي قد سار معه على كره منه للمسير حكى لي عنه بعض اصدقائنا ممن كان قريبا اليه خصيصا به قال لما وردت كتب العاضد على نور الدين يستغيث به من الفرنج ويطلب ارسال

قلدته ولاية الصعيد فانا لا علاقة لي بذلك واذا خوطب ابنه اجابهم بعد المحاجة بما تقدم ذكره ونحو ذلك واذا قيل له هذا علي مسجد فيقول كشفت على المساجد فوجدتها خرابا والنظار عليها يأكلون الايراد والخزينة أولى منهم ويكفيهم انني أسامحهم فيما اكلوه في السنين الماضية والذي وجدته عامرا اطلقت له ما يكفيه وزيادة واني وجدت لبعض المساجد اطيانا واسعة وهي خراب ومعطلة والمسجد يكفيه مؤذن واحد وأجرته نصفان وامام مثل ذلك واما فرشه واسراجه فاني أرتب له راتبا من الديوان في كل سنة فاذا تكرر عليه الرجاء أحال الامر على أبيه ولا يمكن العود اليه لحركاته وتنقلاته وكثرة اشغاله وزوغانه ولما زاد الحال بكثرة المتشكين والواردين وبرز الباشا للسفر بل وسافر بالفعل فلم يمكث بعده ابنه الا اياما قليلة يبيت بالجيزة ليلة وعند اخيه ببولاق ليلة اخرى ثم سافر راجعا الى الصعيد يتمم ما بقي عليه لاهله من العذاب الشديد فانه فعل بهم فعل التتار عندما جالوا بالاقطار واذل اعزة اهله واساء اسوأ السوء معهم في فعله فيسلب نعمهم واموالهم ويأخذ ابقارهم واغنامهم ويحاسبهم على ما كان في تصرفهم واستهلكوه او يحتج عليهم بذنب لم يقترفوه ثم يفرض عليهم المغارم الهائلة والمقادير من الاموال التي ليست بايديهم

العسا كر احضرني واعلمني الحال وقال تمضي الى عمك اسد الدين بحمص مع رسولي
اليه ليحضر وتحثه انت على الاسراع فما يحتمل الامر التاخير ففعلت وخرجنا من حلب
فما كنا على ميل من حلب حتى لقيناه قادما في هذا المعنى فامره نور الدين بالمسير
فلما قال له نور الدين ذلك التفت عمي الي فقال لي تجهز يا يوسف فقلت والله
لو اعطيت ملك مصر ما سرت اليها فلقد قاسيت بالاسكندرية وغيرها ما لا انساه ابدا
فقال لنور الدين لابد من مسيره معي فتامر به فامرني نور الدين وانا استقيل وانقضى
المجلس وتجهز اسد الدين ولم يبق غير المسير قال لي نور الدين لابد من مسيرك مع عمك
فشكوت اليه الضائقة وعدم البرك فاعطاني ما تجهزت به فكانما اساق الى الموت
فسرت معه وملكها ثم توفي فملكني الله تعالى ما لا كنت اطمع في بعضه واما كيفية
ولايته فان جماعة من الامراء النورية الذين كانوا بمصر طلبوا التقدم على العسا كر
وولاية الوزارة العاضدية بعده منهم عين الدولة الياروقي وقطب الدين ينال وسيف
الدين المشطوب الهكاري وشهاب الدين محمود الحارمي وهو خال صلاح الدين وكل
واحد من هؤلاء يخطبها وقد جمع اصحابه ليغالب عليها فارسل العاضد الى صلاح
الدين احضره عنده وخلع عليه وولاه الوزارة بعد عمه وكان الذي حمله على ذلك ان
اصحابه قالوا له ليس في الجماعة اضعف ولا اصغر سنا من يوسف والراي ان يولى فانه
لا يخرج من تحت حكمنا ثم نضع على العساكر من يستميلهم الينا فيصير عندنا من
الجنود من نمنع بهم البلاد ثم ناخذ يوسف او نخرجه فلما خلع عليه لقب الملك الناصر
ولم يطعه احد من اولئك الامراء الذين يريدون الامر لانفسهم ولا اخدموه وكان الفقيه
عيسى الهكاري معه فسعى مع المشطوب حتى اماله اليه وقال له ان هذا الامر لا يصل
اليك مع عين الدولة والحارمي وغيرهما ثم قصد الحارمي وقال هذا صلاح الدين هو ابن
اختك وعزه وملكه لك وقد استقام له الامر فلا تكن اول من يسعى في اخراجه عنه
ولا يصل اليك فمال اليه ايضا ثم فعل مثل هذا بالباقين وكلهم اطاع غير عين الدولة
الياروقي فانه قال انا لا اخدم يوسف وعاد الى نور الدين بالشام ومعه غيره من الامراء
وثبت قدم صلاح الدين ومع هذا فهو نائب عن نور الدين وكان نور الدين يكاتبه بالامير
الاسفهسلار ويكتب علامته على راس الكتاب تعظيما عن ان يكتب اسمه وكان
لا يفرده بكتاب بل يكتب الامير الاسفهسلار صلاح الدين وكافة الامراء بالديار المصرية
يفعلون كذا واستمال صلاح الدين قلوب الناس وبذل الاموال فمالوا اليه واحبوه
وضعف امر العاضد ثم ارسل صلاح الدين يطلب من نور الدين ان يرسل اليه اخوته
واهله فارسلهم اليه وشرط عليهم طاعته والقيام بامره ومساعدته وكلهم فعل ذلك
واخذ اقطاعات الامراء المصريين فاعطاها اهله والامراء الذين معه وزادهم فازدادوا
له حبا وطاعة قد اعتبرت التواريخ فرايت كثيرا من التواريخ الاسلامية التي
يمكن ضبطها ورايت كثيرا من يبتدئ الملك تنتقل الدولة عن صلبه الى بعض اهله
واقاربه منهم اول الاسلام معاوية بن ابي سفيان اول من ملك من اهل بيته فتنتقل

الهاطائلة ويلزمهم بتحصيلها وغلاقها وتحصيلها فتعجز ايديهم عن الاعمام فعند ذلك يجرى عليهم انواع الآلام من
الضرب والتعليق والكي
بالنار والتحريق فانه بلغني
والعهدة على الناقل انه ربط
الرجل ممدودا على خشبة
طويلة وامسك بطرفيها
الرجال وجعلوا يقلبونه على
النار المضرمة مثل الكباب
وليس ذلك ببعيد على شاب
جاهل سنه دون العشرين عاما
وحضر من بلده ولم ير غير
ما هو فيه لم يؤدبه مؤدب ولا
يعرف شريعة ولا مامورات
ولا منهيات وسمعت ان قائلا
قال له وحق من اعطاك قال
ومن هو الذي اعطاني قال
له ربك قال له انه لم يعطني
شيئا والذي اعطاني ابي فلو
كان الذي قلت فانه كان
يعطيني وانا ببلدي وقد جئت
وعلى راسي قبع مزفت مثل
المقلاة فلهذا لم تبلغه دعوى
ولم يتخلق الا بالاخلاق التي
دربه عليها والده وهي تحصيل
المال باي وجه كان فانزل
باهل الصعيد الذل والهوان
فلقد كان به من المقادم
والهوارة كل شهم يستحي
الرئيس من مكالمته والنظر
اليه بالملابس الفاخرة
والاكراك السمور والخيول
المسومة والانعام والاتباع
والجند والعبيد والاكمام
الواسعة والمضايف والانعامات
والاغداقات والتصدقات
وخصوصا اكابرهم المشهورون وهمام وما ادراك ما همام وقد تقدم

الملك

الملك من اعقابه الى بنى مروان من بنى عمه ثم من بعده السفاح اول من ملك من بنى
العباس انتقل الملك من اعقابه الى اخيه المنصور ثم السامانية اول من استبد منهم
نصر بن احمد فانتقل الملك عنه الى اخيه اسمعيل بن احمد واعقابه ثم يعقوب الصفار
وهو اول من ملك من اهل بيته فانتقل الملك الى اخيه عمرو واعقابه ثم عماد الدولة
ابن بويه اول من ملك من اهله انتقل الملك عنه الى اخويه ركن الدولة وعز الدولة ثم
خلص فى اعقاب ركن الدولة ومعز الدولة ثم خلص فى اعقاب ركن الدولة ثم الدولة
السلجوقية اول من ملك منهم طغرلبك انتقل الملك الى اولاد اخيه داود ثم هذا
شيركوه كما ذكرناه انتقل الملك الى اعقاب اخيه ايوب ثم ان صلاح الدين لما انشا
الدولة وعظمها وصار كانه اول لها نقل الملك الى اعقاب اخيه العادل ولم يبق بيد اعقابه
غير حلب وهذه اعظم الدول الاسلامية ولولا خوف التطويل لذكرنا كثر من هذا والذى
اظنه السبب فى ذلك ان الذى يكون اول دولة يكثر ويأخذ الملك وقلوب من كان فيه
متعلقة به فلهذا يحرمه الله اعقابه ومن يفعل ذلك من اجلهم عقوبة له

ذكر وقعة السودان بمصر

فى هذه السنة فى اوائل ذى القعدة قتل مؤتمن الخلافة وهو خصى كان بقصر العاضد
اليه الحكم فيه والتقدم على جميع من يحويه فاتفق هو وجماعة من المصريين على
مكاتبة الفرنج واستدعائهم الى البلاد والتقوى بهم على صلاح الدين ومن معه وسيروا
الكتب مع انسان يثقون اليه واقاموا ينتظرون جوابه وسار ذلك القاصد الى البئر
البيضاء فلقيه انسان تركمانى فرأى معه نعلين جديدين فاخذهما منه وقال فى نفسه
لو كانا مما يلبسه هذا الرجل لكانا خلقين فانه رث الهيئة وارتاب به وبهما فاتى به
صلاح الدين ففتقهما فرأى الكتاب فيهما فقرأه وسكت عليه وكان مقصود مؤتمن
الخلافة ان يتحرك الفرنج الى الديار المصرية فاذا وصلوا اليها خرج صلاح الدين
فى العساكر الى قتالهم فيثور مؤتمن الخلافة بمن معه من المصريين على متخلفيهم
فيقتلونهم ثم يخرجون باجمعهم يتبعون صلاح الدين فياتونه من وراء ظهره والفرنج
من بين يديه فلا يبقى لهم باقية فلما قرأ الكتاب سأل عن كاتبه فقيل رجل يهودى
فاحضر فامر بضربه وتقريره فابتدأ واسلم واخبره الخبر واخفى صلاح الدين الحال
وان مؤتمن الخلافة استشعر فلازم القصر ولم يخرج منه خوفا واذا خرج لم يبعد من
صلاح الدين وصلاح الدين لا يظهر له شيئا من الطلب لئلا ينكر ذلك فلما طال الامر
خرج من القصر الى قرية له تعرف بالخرقانية للتنزه فلما علم به صلاح الدين ارسل اليه
جماعة فاخذوه وقتلوه واتوا برأسه وعزل جميع الخدم الذين يتولون امر قصر الخلافة
واستعمل على الجميع بهاء الدين قراقوش وهو خصى ابيض وكان لا يجرى فى القصر
صغير ولا كبير الا بامره فغضب السودان لقتل مؤتمن الخلافة للجنسية ولانه كان
يتعصب لهم فحشدوا وجمعوا فازدادت عدتهم على خمسين الفا وقصدوا حرب الاجناد

تخفض العالى وتعلى من سفل اللهم انا نعوذ بك من زوال النعم ونزول النقم

فى ترجمة مما يغنى عن الاعادة تخربت دور الجميع وتشتتوا وماتوا غرباء ومن عسر عليه مفارقة وطنه جرى عليه
ما جرى على غيره وصار فى عداد
المزارعين وقد رأيت بعض
بنى همام وقد حضروا الى
مصر ليعرضوا حالهم على
الباشا لعله يرفق بهم ويسامحهم
فى بعض ما ضبطه ابنه من
تعلقاتهم يتعيشون به وهم
اولاد عبد الكريم وشاهين
ولدى همام الكبير ومعهم
حريمهم وجواريهم وزوجة
عبد الكريم ويقولون لها
الست الكبيرة وهى ام
اولاده فلما وصلوا الى ساحل
مصر القديمة ورأى ارباب ديوان
المكس الجوارى وعدتهن
ثلاثة حجزوهن وطالبوهم
بكمركهن فقالوا هؤلاء جوارنا
للخدمة وليسوا مجلوبين
للبيع فلم يعبؤا بذلك وقبضوا
منهم ما قبضوه ثم انهم لم
يتمكنوا من الباشا وكان
اذذاك قد توجه الى الفيوم
وعاد الى العرضى مسافرا الى
الحجاز فاستمروا بمصر حتى
نفدت نفقاتهم ورأيتهم مرة
مارين بالشارع وهم مخلقنون
وفيهم صغير مراهق واتفق
انهم تفاقموا مع ابن عمهم وهو
عمر وشكوه الى مصطفى بك
دالى باشا بانه حاف عليهم فى
اشياء من استحقاقهم دعوى
مفلس على مفلس فاحضره
وحبسه مدة وما ادرى ما حصل
لهم بعد ذلك وهكذا

(واما من مات فى هذه السنة)

الصلاحية فاجتمع العسكر أيضا وقاتلوهم بين القصرين وكثر القتل فى الفريقين فارسل صلاح الدين الى محالهم المعروفة بالمنصورة فاحرقها على اموالهم واولادهم فلما اتاهم الخبر بذلك ولوا منهزمين فركبهم السيف واخذت عليهم افواه السكك فطلبوا الامان بعد ان كثر فيهم القتل فاجيبوا الى ذلك فاخرجوا من مصر الى الجيزة فعبر اليهم شمس الدولة اخو صلاح الدين الاكبر فى طائفة من العسكر فابادهم بالسيف ولم يبق منهم الا القليل الشريد وكفى الله تعالى شرهم والله اعلم

(ذكر ملك شملة فارس واخراجه عنها)

فى هذه السنة ملك شملة صاحب خوزستان بلاد فارس واخرج عنها وسبب ذلك ان زنكى بن دكلا صاحبها اساء السيرة مع عسكره فارسلوا الى شملة بخوزستان وحسنوا له قصد فارس فجمع عساكره وتجهز وسار اليها فخرج اليه زنكى بن دكلا ووقعت بينهم حرب خامر فيها اصحاب زنكى عليه فانهزم فى شرذمة من عسكره ونجا بنفسه وقصد الاكراد الشوانكار والتجا اليهم فاجاره صاحبها واحسن ضيافته ونزل شملة ببلاد فارس فملكها فاساء السيرة الى اهلها ونهب ابن اخيه ابن شنكا البلاد فتغيرت بواطن اهلها عليه واجتمع الى زنكى بعض العسكر الذين خامروا عليه لما رأوا من سوء سيرة شملة واستعاد زنكى بلاده ورجع الى ملكه وعاد شملة الى بلاد خوزستان

(ذكر ملك ايلدكز الرى)

فى هذه السنة ملك ايلدكز مدينة الرى والبلاد التى كانت بيد اينانج وسبب ذلك ان ايلدكز كان قد استقر الامر بينه وبين اينانج على مال يؤديه الى ايلدكز فمنعه سنتين فارسل ايلدكز يطلب المال فاعتذر بكثرة غلمانه وحاشيته فتجهز ايلدكز وقصد الرى فالتقاه اينانج وجاربه حربا عظيما فانهزم اينانج ومضى منهزما فتحصن بقلعة طبرك فحصره ايلدكز فيها وراسل سرا جماعة من مماليكه فاطمعهم فى الاقطاعات والاموال والاحسان العظيم ليقتلوا اينانج فقتلوه وكانوا جماعة كثيرة وسلموا البلد الى ايلدكز فرتب فيه عمر بن على ياغ وعاد الى همذان ولم يف للغلمان الذين قتلوا اينانج وسلموا البلد اليه بما وعدهم وقال مثل هؤلاء ينبغى ان لا يستخدموا وابعدهم عنه فتفرقوا فى البلاد فسار بعضهم وهو الذى تولى قتله الى خوارزمشاه فصلبه خوارزمشاه نكالا بما فعل بصاحبه

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة رؤى فى دار الخليفة رجل غريب فى الطريق التى يركب فيه وفى يده سكين صغيرة وفى يده الاخرى سكين كبيرة فاخذوه وقرروه فقال أنا من حلب فحبس وعوقب البواب ولم يعلم من أين دخل وفيها قبض ابن البلدى وزير الخليفة على الحسين بن محمد المعروف بابن السينى وعلى أخيه الاصغر وكانا ابنى عمة عضد الدين استاذ الدار وكان الاصغر عامل البيمارستان فقطعت يده ورجله قيل كان عنده

ذات الاستاذ الشهير والجهبذ النحرير ١٥٦ الرئيس المفضل والفريد المبجل نادرة عصره ووحيد دهره الشيخ شمس الدين محمد أبو الانوار بن عبد الرحمن المعروف بابن عارفين سبط بنى الوفاء وخليفة السادات الحنفاء وشيخ سجادتها ومحط رحال سيادتها وشهرته غنية عن مزيد الافصاح ومناقبه أظهر من البيان والايضاح وأمه السيدة صفية بنت الاستاذ جمال الدين يوسف ابى الارشاد بن وفا تزوج بها الخواجا عبد الرحمن المعروف بعارفين فاولدها المترجم وأخاه الشيخ يوسف وكان أسن منه فتربى مع اخيه فى حجر السيادة والصيانة والحشمة وقرأ القرآن وتولع بطلب العلم وحضر دروس اشياخ الوقت وتلقى طريقة اسلافه واورادهم واحزابهم عن خاله الاستاذ شمس الدين محمد ابو الاشراق ابن وفا عن عمه الشيخ عبد الخالق عن أبيه الشيخ يوسف ابى الارشاد عن والده ابى التخصيص عبد الوهاب الى آخر السند المنتهى الى الاستاذ ابى الحسن الشاذلى ولازم العلامة القدوة الشيخ موسى البحيرمى فحضر عليه كما ذكره فى برنامج شيوخه أم البراهين وشرح المصنف عليها والآجرومية وشرحها للشيخ خالد وشرح الستين مسئلة للعلال اهلى وهو اول اشياخه ثم لازم الشيخ خليلا المغربى فحضر عليه شرح ايساغوجى لشيخ الاسلام زكريا الانصارى

صنج يقبض بها ويحمل الى الديوان بالصنج الصحيحة وقيل غير ذلك وحمل الى البيمارستان فات به وكان شاعرا فن شعره وهو محبوس هذه الابيات

سلام على اهلى وصحبى وجلاسى * ومن فى فؤادى ذكرهم راسب راسى
أعالج فيكم كل هم ولا أرى * لداء همومى غير رؤيتكم آسى
لقد ابدت الايام لى كل شدة * تشيب لها الاكباد فضلا عن الراس
فيا ابنة عبد الله صبرا على الذى * لقيت فهذا الحكم من مالك الناس
فلو أبصرت عيناك ذلى بكيت لى * بدمع سوى بالمدامع رجاس
أقول لقلبى والهموم تنوشه * وقد حدثته النفس بالضر والياس
فلوهم طيف من خيالى يزوركم * لمانعه دون المغالق حراسى
وما حذرى الا على النفس لا على * سواها لا فى حلف فقر وافلاس

وفيها توفى المعمر بن عبد الواحد بن رجار ٣ أبو أحمد الاصفهانى الحافظ يروى عن أصحاب ابى نعيم وكان موته بالبادية ذاهبا الى الحج فى ذى القعدة وفى رجب منها توفى الشيخ أبو محمد الفارقى المتكلم على الناس وكان أحد الزهاد له كرامات كثيرة وكان يتكلم على الخاطر وكلامه مجموع مشهور وفيها مات جعفر الرقاص من ندماء دار الخلافة وفى شوال منها توفى القاضى أبو الحسن على بن يحيى القرشى الدمشقى وفى ذى الحجة توفى نجم الدين بن محمد بن على بن القاسم الشهرزورى قاضى الموصل وولى ابنه حجة الدين عبد القاهر القضاء

(ثم دخلت سنة خمس وستين وخمسمائة)

(ذكر حصر الفرنج دمياط)

فى هذه السنة فى صفر نزل الفرنج على مدينة دمياط من الديار المصرية وحصروها وكان الفرنج بالشام لما ملك أسد الدين شيركوه مصر قد خافوه وأيقنوا بالهلاك وكاتبوا الفرنج الذين بصقلية والاندلس وغيرها يستمدونهم ويعرفونهم ما تجدد من ملك الاتراك مصر وانهم خائفون على البيت المقدس منهم فارسلوا جماعة من القسوس والرهبان يحرضونهم على الحركة فامدوهم بالاموال والرجال والسلاح واتعدوا للنزول على دمياط ظنا منهم أنهم يملكونها ويتخذونها ظهرا يملكون به الديار المصرية فرد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا فالى أن دخلوا كان أسد الدين قد مات وملك صلاح الدين فاجتمعوا عليها وحصروها وضيقوا على من بها فارسل اليها صلاح الدين العساكر فى النيل وحشر فيها كل من عنده وأمدهم بالاموال والسلاح والذخائر وأرسل الى نور الدين يشكو ماهم فيه من المخافة ويقول انى ان تأخرت عن دمياط ملكها الفرنج وان سرت اليها خلفنى المصريون فى أهلها بالشر وخرجوا عن طاعتى وساروا فى أثرى والفرنج امامى فلا يبقى لنا باقية فسير نور الدين العساكر اليه أرسالا يتلو بعضها بعضا ثم سار هو بنفسه الى بلاد الفرنج الشامية فنهبها وأغار عليها واستباحها

وشرح العصام على السمرقندية والفاكهى على القطر ومتن التوضيح والاشمونى على الخلاصة ورسالة الوضع والمغنى وحضر دروس شيخ الشيوخ الشيخ أحمد المجيرى الملوى فى صحيح البخارى والشيخ عبد السلام على الجوهرة وأجازه بمروياته ومؤلفاته الاجازه العامة وكذلك أجازه الشيخ احمد الجوهرى الشافعى اجازة عامة واجازة خاصة بطريقة مولاى عبد الله الشريف ولازم وقرأ وشارك ولده الشيخ محمد الجوهرى الصغير وحضر ايضا دروس الاستاذ الحفنى فى شرح التلخيص للسعد التفتازانى وشرح التحرير لشيخ الاسلام وشرح الالفية لابن عقيل والاشمونى وحضر دروس الشيخ عمر الطحلاوى المالكى فى شرح الآجرومية للشيخ خالد وشيئا من شرح الهمزية للعلامة ابن حجر وشيئا من تفسير الجلالين والبيضاوى وحضر الشيخ مصطفى السندوبى الشافعى فى شرح ابن القاسم الغزى على ابى شجاع وعلى السيد البليدى فى شرح التهذيب للخبيصى وعلى الشيخ عطية الاجهورى الشافعى فى شرح الخطيب على أبى شجاع وشرح التحرير لشيخ الاسلام وتفسير الجلالين وعلى الشيخ محمد النادى شرح السلم لمصنفه وشرح التحرير وعلى الشيخ أحمد القوصى شرح الورقات الكبير لابن قاسم العبادى وسمع المسلسل بالاولية من عالم أهل المغرب فى وقته الشيخ محمد بن سودة التاودى الفاسى المالكى

فوصلت الغارات الى مالم تسكن تبلغه قبل لخلو البلاد من مانع فلما رأى الفرنج تتابع العساكر الى مصر ودخول نور الدين الى بلادهم ونهبها وتخريبها رجعوا خائبين لم يظفروا بشئ ووجدوا بلادهم خرابا وأهلها بين قتيل وأسير فكانوا موضع المثل خرجت النعامة تطلب قرنين رجعت بلا اذنين وكان مدة مقامهم على دمياط خمسين يوما أخرج فيها صلاح الدين اموالا لا تحصى حتى انه قال مارأيت اكرم من العاضد ارسل الى مرة لمقام الفرنج على دمياط الف الف دينار مصرية سوى الثياب وغيرها

(ذكر حصر نور الدين الكرك)

فى هذه السنة فى جمادى الآخرة سار نور الدين الى بلد الفرنج فحصر الكرك وهو من امنع المعاقل على طرف البر وكان سبب ذلك ان صلاح الدين ارسل الى نور الدين يطلب ان يرسل اليه والده نجم الدين ايوب فجهزه نور الدين وسيره وسير معه عسكرا واجتمع معه من التجار خلق كثير وانضاف اليهم من كان له مع صلاح الدين انس وصحبة فخاف نور الدين عليهم من الفرنج فسار فى عساكره الى الكرك فحصره وضيق عليه ونصب عليه المنجنيقات فاتاه الخبر ان الفرنج قد جمعوا له وساروا اليه وقد جعلوا فى مقدمتهم اليه ابن هنفرى وقريب بن الرقيق وهما فارسا الفرنج فى وقتهما فرحل نور الدين نحو هذين المقدمين ليلقاهما ومن معهما قبل ان يلحق بهما باقى الفرنج فلما قاربهما رجعا القهقرى واجتمعا بباقى الفرنج وسلك نور الدين وسط بلادهم ينهب ويحرق ما على طريقه من القرى الى ان وصل الى بلاد الاسلام فنزل على عشترا واقام ينتظر حركة الفرنج ليلقاهم فلم يبرحوا من مكانهم فاقام هو حتى اتاهم خبر الزلزلة الحادثة فرحل واما نجم الدين أيوب فانه وصل الى مصر سالما هو ومن معه وخرج العاضد الخليفة التقاه اكراما له

(ذكر غزوة لسرية نورية)

كان شهاب الدين الياس بن ايلغازى بن ارتق صاحب قلعة البيرة قد سار فى عسكره وهو فى مائتى فارس الى نور الدين وهو بعشترا فلما وصل الى قرية اللبوة وهى من عمل بعلبك ركب متصيدا فصادف ثلثمائة فارس من الفرنج قد ساروا للاغارة على بلاد الاسلام سابع عشر شوال فوقع بعضهم على بعض واقتتلوا واشتد القتال وصبر الفريقان لاسيما المسلمون فان الف فارس لا يصبرون لحملة ثلثمائة فارس افرنجية وكثر القتلى بين الطائفتين فانهزم الفرنج وعمهم القتل والاسر فلم يفلت منهم الامن لا يعتد به وسار شهاب الدين برؤس القتلى وبالاسرى الى نور الدين فركب نور الدين والعسكر فلقوهم فرأى نور الدين فى الرؤس راس مقدم الاسبتار صاحب حصن الاكراد وكان من الشجاعة بمحل كبير وكان شجا فى حلوق المسلمين

(ذكر الزلزلة وما فعلته بالشام)

فى هذه السنة ايضا ثانى عشر شوال كانت زلازل عظيمة متتابعة هائلة لم ير الناس مثلها

عند وروده مصر فى سنة اثنين وثمانين ومائة وألف بقصد الحج وكتب له اجازة بخطه مع سنده وأجازه أيضا بدلائل الخيرات وأحزاب الشاذلى وكذلك تلقى الاجازة من الاستاذ المسلك عبد الوهاب بن عبد السلام العفيفى المرزوقى وتلقى أيضا من امام الحرم المكى الشيخ ابراهيم ابن الرئيس محمد الزمزمى الاجازة بالمسبعات واستجازه هو ايضا بما لاسلافه من الاحزاب وكناه بابى الفوز وذلك فى سنة تسع وسبعين ومائة والف بمكة سنة حجة المترجم

(وصل) ولما مات السيد محمد ابو هادى وانقرضت بموته سلسلة اولاد الظهور وذلك فى سنة ست وسبعين ومائة والف تاقت نفس المترجم لخلافة بيتهم وتهيأ لذلك ولبس التاج ايضا والعصابة التى يجعلونها عليه فلم يتم له ذلك وعورض بسيدى احمد بن اسمعيل بك المعروف بالدالى المكنى بابى الامداد لانه فى طبقته فى النسب وامه السيدة ام الفخر ابنة الشيخ عبد الخالق باتفاق ارباب الحل والعقد لكونه من بيت الامارة وقد صار منزلهم كمنازل الامراء فى الاتساع والتانق والمجالس المزخرفة والقيعان والقصور وفى ضمنه البستان بالنخيل والاشجار وما يجتنى منها من الفواكه والثمار لان معظم الوجاهة والسيادة فى هذه الازمان بالمساكن الانيقة

ومن

وعمت اكثر البلاد من الشام والجزيرة والموصل والعراق وغيرها من البلاد واشدها كان بالشام فخربت كثيرا من دمشق وبعلبك وحمص وحماة وشيزر وبعرين وحلب وغيرها وتهدمت اسوارها وقلاعها وسقطت الدور على أهلها وهلك منهم ما يخرج عن الحد فلما اتاه الخبر سار الى بعلبك ليعمر ما انهدم من سورها وقلعتها فلما وصلها اتاه خبر باقي البلاد وخراب أسوارها وقلاعها وخلوها من أهلها فجعل ببعلبك من يعمرها ويحفظها وسار الى حمص ففعل مثل ذلك ثم الى حماة ثم الى بعرين وكان شديد الحذر على سائر البلاد من الفرنج ثم اتى مدينة حلب فرأى فيها من آثار الزلزلة ما ليس بغيرها من البلاد فانها كانت قد اتت عليها وبلغ الرعب ممن نجا كل مبلغ وكانوا لا يقدرون يأوون مساكنهم خوفا من الزلزلة فاقام بظاهرها وباشر عمارتها بنفسه فلم يزل كذلك حتى احكم اسوار البلاد وجوامعها واما بلاد الفرنج فان الزلازل ايضا عملت بها كذلك فاشتغلوا بعمارة بلادهم خوفا من نور الدين عليها فاشتغل كل منهم بعمارة بلاده خوفا من الآخر

(ذكر وفاة قطب الدين مودود بن زنكي وملك ابنه سيف الدين غازي)

في هذه السنة في ذي الحجة مات قطب الدين مودود بن زنكي بن آقسنقر صاحب الموصل بالموصل وكان مرضه حمى حادة ولما اشتد مرضه وصى بالملك بعده لابنه الاكبر عماد الدين زنكي وعدل عنه الى ابنه الآخر سيف الدين غازي وانما صرف الملك عن ابنه الاكبر عماد الدين زنكي بن مودود لان القيم بامور دولته والمقدم فيها كان خادما له يقال له فخر الدين عبد المسيح وكان يكره عماد الدين لانه كان طوع عمه نور الدين لكثرة مقامه عنده ولانه زوج ابنته وكان نور الدين يبغض عبد المسيح فاتفق فخر الدين وخاتون ابنة حسام الدين تمرتاش بن ايلغازي وهي والدة سيف الدين على صرف الملك عن عماد الدين الى سيف الدين فدخل عماد الدين الى عمه نور الدين مستنصرا به ليعينه على اخذ الملك لنفسه وتوفي قطب الدين وعمره نحو اربعين سنة وكان ملكه احدى وعشرين سنة وخمسة اشهر ونصفا وكان فخر الدين هو المدبر للامور والحاكم في الدولة وكان قطب الدين من احسن الملوك سيرة واعفهم عن اموال رعيته محسنا اليهم كثير الانعام عليهم محبوبا الى كبيرهم وصغيرهم عطوفا على شريفهم ووضيعهم كريم الاخلاق حسن الصحبة لهم فكأن القائل اراده بقوله

خلق كماء المزن طيب مذاقة * والروضة الغناء طيب نسيم
كالسيف لكن فيه حلم واسع * عمن جنى والسيف غير حليم
كالغيث الا أن وابل جوده * ابدا وجود الغيث غير مقيم
كالدهر الا أنه ذو رحمة * والدهر قاسي القلب غير رحيم

وكان سريع الانفعال للخير بطيا عن الشر جم المناقب قليل المعايب رحمه الله ورضي عنه وعن جميع المسلمين بمنه وكرمه انه جواد كريم

والملابس الفاخرة وكثرة الايراد والخدم والحشم خصوصا ان اقترن بذلك شئ من المزايا المتعدية من بذل الاحسان واكرام الضيفان فعند ذلك يصير به قطب الزمان وفريد العصر والاوان فلو فرضنا ان شخصا اجتمعت فيه اوصاف الكمالات المعنوية والمعارف اللدنية وخلا عما ذكر وكان صعلوكا قليل المال كثير العيال فلا يعد في الرجال ولا يلتفت اليه بحال حكم الهيئة واحكام ربانية فلما تقلدها سيدي احمد المذكور دون المترجم بقي متطلعا يسلي نفسه بالاماني ثم قصد الحج في سنة تسع وسبعين كما ذكر فلما عاد من الحج تزوج بوالدة الشيخ محمد ابي هادي واسكنها بمنزل ملاصق لدار الخليفة توصلا وتقربا لما موله ولم تطل مدة الشيخ ابي الامداد وتوفي سنة اثنتين وثمانين كما ذكرناه في ترجمته وعند ذلك لم يبق للمترجم معارض وقد مهد احواله وثبت امره مع من يخشى صولته ومعارضته من الاشياخ وغيرهم ودفن السيد احمد وركب المترجم في صبحها مع اشياخ الوقت والشيخ احمد البكري وجماعة الحزب ونقبائهم الى الرباط بالخرنفش ودخل الى خلوة جدهم فجلس بها ساعة وقرأ ارباب الحزب وظيفتهم ثم ركب مع المشايخ الى امير البلدة وكان اذ ذاك علي بك فخلع عليه وركبوا الى دارهم ومحل سيادتهم المعهودة واصبح متقلدا خلافة اسلافهم ومشيخة سجادتهم فكان لها

ذكر حالة ينبغى للملوك ان يحترزوا من مثلها

حدثنى والدى رحمه الله قال كنت أتولى جزيرة ابن عمر لقطب الدين كما علمتم فلما كان قبل موته بيسير أتانا كتاب من الديوان بالموصل يامرون بمساحة جميع بساتين العقيمة وهذه العقيمة هى قرية تحاذى الجزيرة منها دجلة ولها بساتين كثيرة بعضها يمسح فيؤخذ منه على كل جريب شئ معلوم وبعضها عليه خراج وبعضها مطلق من الجميع قال وكان لى فيها ملك كثير فكنت اقول ان المصلحة ان لا يغير على الناس شئ وما أقول هذا الاجل ملكى فاننى انا امسح ملكى وانما اريد ان يدوم الدعاء من الناس للدولة فجاءنى كتاب النائب يقول لابد من المساحة قال فاظهرت الامر وكان بها قوم صالحون لى بهم انس وبيننا مودة فجاءنى الناس كلهم واولئك معهم يطلبون المراجعة فاعلمتهم انى راجعت وما أجبت الى ذلك فجاءنى منهم رجلان اعرف صلاحهما وطلبا منى المعاودة ومخاطبة ثانية ففعلت فاصروا على المماسحة فعرفتهما الحال قال فما مضى الا عدة أيام واذ قد جاءنى الرجلان فلما رأيتهما ظننت انهما جا آ يطلبان المعاودة فعجبت منهما وأخذت اعتذر اليهما فقالا ما جئنا اليك فى هذا وانما جئنا نعرفك ان حاجتنا قضيت قال فظننت انهما قد ارسلا الى الموصل الى من يشفع لهما فقلت من الذى خاطب فى هذا بالموصل فقالا ان حاجتنا قد قضيت من السماء ولكافة أهل العقيمة قال فظننت أن هذا مما قد حدثا به نفوسهما ثم قاما عنى فلم يمض غير عشرة أيام واذا قد جاءنا كتاب من الموصل يامرون باطلاق المساجين والمحبوسين والمكوس ويامرون بالصدقة ويقال ان السلطان يعنى قطب الدين مريض يعنى على حالة شديدة ثم بعد يومين أو ثلاثة جاءنا الكتاب بوفاته فعجبت من قولهما واعتقدته كرامة لهما فصار والدى بعد ذلك يكثر اكرامهما واحترامهما ويزورهما

ذكر الحرب بين عساكر ابن عبد المؤمن وابن مردنيش

كان محمد بن سعيد بن مردنيش ملك شرق الاندلس قد اتفق هو والفرنج وامتنع على عبد المؤمن وابنه بعده فاستفحل امره لاسيما بعد وفاة عبد المؤمن فلما كان هذه السنة جهز اليه يوسف بن عبد المؤمن فجاسوا بلاده ونهبوها واخذوا مدينتين من بلاده واخافوا عساكره وجنوده واقاموا ببلاده مدة ينتقلون فيها ويجبون امواله

ذكر وفاة صاحب كرمان والخلف بين أولاده

فى هذه السنة توفى الملك طغرل بن قاورت صاحب كرمان واختلف اولاده بهرام شاه وارسلان شاه وهو الاكبر وجرى بينهما قتال انهزم فيه بهرام شاه الى خراسان فدخل على المؤيد صاحب نيسابور واستنجده فانجده بعساكر سار بها الى كرمان فجرى بين الاخوين حرب ظفر فيها بهرام شاه وهرب ارسلان شاه فقصد اصفهان مستجيرا بايلدكز فانفذ معه عسكرا فاستنقذوا البلاد من بهرام شاه وسلموها الى اخيه ارسلان شاه فعاد بهرام شاه الى نيسابور مستجيرا بالمؤيد صاحبها فاقام عنده فاتفق ان أخاه ارسلان شاه مات فسار

اهلا ومحلا وتقدم على اخيه الشيخ يوسف مع كونه اسن منه لما فيه من زيادة الفضيلة ولما ثبطه به من مخادعته وسلامة صدر أخيه وحسن ظنه فيه وانتظم امره واحسن سلوكه بشهامة وحشمة ورآسة وتؤدة وأدب مع الاشياخ والاقران وتحبب الى ارباب المظاهر والاكابر واستجلاب الخواطر وسلوك الطرائق الحميدة والتباعد عن الامور المخلة بالمروءة والاخذ بالحزم والرفق مع الاشتغال فى بعض الاحيان بالمطالعة والمذاكرة فى المسائل الدينية والادبية ومعاشرة الفضلاء ومجالستهم والمناقشة معهم فى النكات واقتناء الكتب من كل فن كل ذلك مع الجد والتحصيل للاسباب الدنيوية وما يتوصل به الى كثرة الايراد بحسن تداخل وجميل طريقة مبعدة عما يخل بالمقدار بحيث يقضى مرامه من العظيم وجميل الفضل له ويراسل ويكاتب ويشاح على ادنى شئ ويحاسب ولا يدفع لارباب الاقلام عوائدهم المقررة فى الدفاتر بل يرون ان اخذها منه من الكبائر وكذلك دواوين المكوس المبنى على الاجحاف فكل ما نسب له فيه سافه ومعاف وكلما طال الامد زاد المدد وخصوصا اذا تقلبت الدول وارتفعت السفل كان الاسبق القديم فى اعينهم هو الجليل العظيم وهم لديه صغار لا ينظر اليهم الا بعين الاحتقار ولما انقرضت بقايا الشيوخ الذين

الى كرمان فملكها واقام بها بغير منازع

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة كثرت الاذية من عبد الملك بن محمد بن عطاء وتطرق الى بلاد حلوان ونهب وافسدوا واخذ من الحجاج فانفذ اليه من بغداد عسكر فنازلوه في قلاعه وضايقوه ونهبوا امواله واموال اهله حتى اذعن بالطاعة ولا يعاود اذى الحجاج ولا غيرهم فعاد عنهم العسكر وفيها توفي مجد الدين ابو بكر بن الداية وهو رضيع نور الدين وكان أعظم الامراء منزلة عنده وله في اقطاعه حلب وحارم وقلعة جعبر فلما توفي رد نور الدين ما كان له الى أخيه شمس الدين علي بن الداية وفيها في شعبان توفي احمد بن صالح بن شافع أبو الفضل الجيلي وهو من مشهوري المحدثين (الجيلي) بالجيم والياء تحتها نقطتان

(ثم دخلت سنة ست وستين وخمسمائة)

(ذكر وفاة المستنجد بالله)

في هذه السنة تاسع ربيع الآخر توفي المستنجد بالله ابو المظفر يوسف بن المقتفي لامر الله ابي عبد الله محمد بن المستظهر بالله وقد تقدم باقي النسب في غير موضع وامه أم ولد اسمها طاوس وقيل نرجس رومية ومولده مستهل ربيع الآخر سنة عشر وخمسمائة وكان اسمر تام القامة طويل اللحية وكان سبب موته انه مرض واشتد مرضه وكان قد خافه استاذ الدار عضد الدين أبو الفرج بن رئيس الرؤساء وقطب الدين قايماز المقتفوي وهو حينئذ أكبر أمير ببغداد فلما اشتد مرض الخليفة اتفقا ووضعا الطبيب على ان يصف له ما يؤذيه فوصف له دخول الحمام فامتنع لضعفه ثم انه دخل واغلق عليه بابه فمات وهكذا سمعت عن غير واحد ممن يعلم الحال وقيل ان الخليفة كتب الى وزيره مع طبيبه ابن صفية يأمره بالقبض على استاذ الدار وقطب الدين وصلبهما فاجتمع ابن صفية باستاذ الدار واعطاه خط الخليفة فقال له تعود وتقول انني أوصلت الخط الى الوزير ففعل ذلك وحضر استاذ الدار قطب الدين ويزدن وأخاه تنامش وعرض الخط عليهم فاتفقوا على قتل الخليفة فدخل اليه يزدن وقايماز الحميدي فحملاه الى الحمام وهو يستغيث والقياه واغلقا الباب عليه وهو يصيح الى ان مات رحمه الله وكان وزيره ابا جعفر بن البلدي وبينه وبين استاذ الدار وبين قطب الدين عداوة مستحكمة لان المستنجد بالله كان يأمره باشياء تتعلق بهما فيفعلها فكانا يظنان انه هو الذي يسعى بهما فلما مرض المستنجد وارجف بموته ركب الوزير ومعه الامراء والاجناد وغيرهما بالعدد فلم يتحقق عنده خبر موته فارسل اليه عضد الدين يقول ان أمير المؤمنين قد خف ما به من المرض واقبلت العافية فخاف الوزير ان يدخل دار الخلافة بالجند فربما انكر عليه ذلك فعاد الى داره وتفرق الناس عنه وكان عضد الدين وقطب الدين قد استعدا للهرب لما ركب الوزير خوفا منه ان دخل الدار ان يأخذهما فلما عاد اغلق استاذ الدار ابواب الدار واظهر وفاة المستنجد واحضر هو وقطب الدين ابنه ابا محمد الحسن

كان يهابهم ويخضع لهم ويتأدب معهم وكانوا على طرائق الاقدمين في العفة والانجماع عما يخل بتعظيم العلم واهله والتباعد عن بني الدنيا الا بقدر الضرورة وخلف من بعدهم من هم على خلاف ذلك وهم اعاظم مدرسي الوقت فاحدقوا به واكثروا من التردد عليه وعلى موائده وبالغوا في تعظيمه وتقبيل يده ومدحوه بالقصائد البليغة طمعا في صلاته وجوائزه القليلة وحصول الشهرة لهم وزوال الخمول والتعارف بمن يتردد الى داره من الامراء والاكابر وزادهوا أيضا وجها ووجاهة بمجالستهم ولا يريهم فضلا بسعيهم اليه ويزداد كبرا وتيها وبلغ به انه لا يقوم لاكثرهم اذا دخل عليه ومنهم من يدخل بغاية الادب فيضم ثيابه ويقول عند مشاهدته يا مولاي يا واحد فيجيبه هو بقوله يا مولاي يا دائم يا علي يا حكيم فاذا حصل بالقرب منه بنحو ذراعين جثا على ركبتيه ومد يديه لتقبيل يده او طرف ثوبه واما الادون فلا يقبل الا طرف ثوبه وكذلك اتباعه وخدمه الخواص واذا كان من اهل الذمة او كبار المباشرين وقبلوا يده وخاطبهم في اشغاله وهم قيام وانصرفوا طلب الطست والابريق وغسل يده بالصابون لازالة اثر أفواههم ولا يجيب في رد تحية الا بقول خير خير ولا يقطع غالب اوقاته مع مجالسيه وخاصته

وبايعاه بالخلافة ولقباه المستضئ بامر الله وشرطا عليه شروطا ان يكون عضد الدين وزيرا وابنه كمال الدين استاذ الدار وقطب الدين امير العسكر فاجابهم الى ذلك ولم يتول الخلافة من اسمه الحسن الا الحسن بن علي بن ابي طالب والمستضئ بامر الله واتفقا في الكنية والكرم فبايعه اهل بيته البيعة الخاصة يوم توفي ابوه وبايعه الناس من الغد في التاج بيعة عامة واظهر من العدل اضعاف ما عمل ابوه وفرق اموالا جليلة المقدار وعلم الوزير ابن البلدي فسقط في يده وقرع سنه ندما على ما فرط في عوده حيث لا ينفعه واتاه من يستدعيه للجلوس للعزاء والبيعة للمستضئ فمضى الى دار الخلافة فلما دخلها صرف الى موضع وقتل وقطع قطعا والقي في دجلة رحمه الله واخذ جميع ما في داره فرأيا فيها خطوط المستنجد بالله يامره فيها بالقبض عليهما وخط الوزير قد راجعه في ذلك وصرفه عنه فلما وقفا عليها عرفا براءته مما كانا يظنان فيه فندما حيث فرطا في قتله وكان المستنجد بالله من احسن الخلفاء سيرة مع الرعية عادلا فيهم كثير الرفق بهم واطلق كثيرا من المكوس ولم يترك بالعراق منها شيئا وكان شديدا على اهل العيث والفساد والسعاية بالناس (بلغني) انه قبض على انسان كان يسعى بالناس فاطال حبسه فشفع فيه بعض اصحابه المختصين بخدمته وبذل عنه عشرة آلاف دينار فقال انا اعطيك عشرة آلاف دينار وتحضر لي انسانا آخر مثله لا كف شره عن الناس ولم يطلقه ورد كثيرا من الاموال على اصحابها ايضا وقبض على القاضي ابن المرخم واخذ منه مالا كثيرا فاعاده على اصحابه ايضا وكان ابن المرخم ظالما جائرا في احكامه

﴿ذكر ملك نور الدين الموصل واقرار سيف الدين عليها﴾

لما بلغ نور الدين محمودا وفاة اخيه قطب الدين مودود صاحب الموصل وملك ولده سيف الدين غازي الموصل والبلاد التي كانت لابيه بعد وفاته وقام فخر الدين عبد المسيح بالامر معه وتحكمه عليه وكان يبغض فخر الدين لما يبلغه عنه من خشونة سياسته فقال انا اولى بتدبير اولاد اخي وملكهم وسار عند انقضاء العزاء جريدة في قلة من العسكر وعبر الفرات عند قلعة جعبر مستهل المحرم من هذه السنة وقصد الرقة فحصرها واخذها ثم سار الى الخابور فملكه جميعه وملك نصيبين واقام بها يجمع العساكر فاتاه بها نور الدين محمد بن قرا ارسلان بن داود صاحب حصن كيفا وكثر جمعه وكان قد ترك اكثر عساكره بالشام لحفظ ثغوره فلما اجتمعت العساكر سار الى سنجار فحصرها ونصب عليها المجانيق وملكها وسلمها الى عماد الدين ابن اخيه قطب الدين وكان قد جاءته كتب الامراء الذين بالموصل سرا يبذلون له الطاعة ويحثونه على الوصول اليهم فسار الى الموصل فاتى مدينة بلد وعبر دجلة عندها مخاضة الى الجانب الشرقي وسار فنزل شرقي الموصل على حصن نينوى ودجلة بينه وبين الموصل ومن العجب انه يوم نزوله سقط من سور الموصل بدنة كبيرة وكان سيف الدين غازي قد سير عز الدين مسعود بن قطب الدين الى اتابك شمس الدين ايلدكز صاحب همذان وبلد الجبل واذربيجان واصفهان

والرى

ومسامريه الا بانتقاد اهل مصره وغيبة ثالب اهل عصره وتنبسط نفسه لذلك واليه يصغى كلا ان الانسان ليطغى وفي سنة تسعين ومائة والف ورد الى مصر عبد الرزاق افندي رئيس الكتاب ومن اكابر اهل الدولة فتداخل معه واصطحب به واهدى اليه هدايا واستدعاه واضافه وحضر في ذلك العام محمد باشا المعروف بالعزتي واليا على مصر فانهى اليه بمعونة الرئيس المذكور احتياج زاوية اسلافه للعمارة ودعا الباشا لزيارة قبورهم في يوم المولد المعتاد السنوي وذكر له المقصود واظهر له بعض الخلل وزين له ذلك الفعل وانه من تمام الشعائر الاسلامية والمشاهد التي يجب الاعتناء بشانها والسعي والطواف بحرمها وكان المعين والسفير والمساعد في ذلك ايضا شيخنا محدث العصر السيد محمد مرتضى وهو عند العثمانيين مقبول القول وكان عبد الرزاق الرئيس يتلقى عنه المسلسلات والاجازات وقرأ عليه مقامات الحريري فاجاب الباشا ووعد باتمام ذلك وكاتب الدولة وورد الامر باطلاق خمسين كيسا لمصرف العمارة من خزينة مصر فشرع في هدم حوائطها ووسعها عن وضعها الاصلي واندرس في جدرانها قبور ومدافن وحوطها وزخرفها بالنقوش وانواع الرخام الملون والمموه بالذهب والاعمدة الرخام ثم كاتب الدولة

والى وتلك الاعمال يستنجده على عمه نور الدين فارسل ايلدكز رسولا الى نور الدين ينهاه عن التعرض الى الموصل ويقول له ان هذه البلاد للسلطان فلا تقصدها فلم يلتفت اليه وقال للرسول قل لصاحبك انا اصلح لاولاد اخى منك فلم تدخل نفسك بيننا وعند الفراغ من اصلاح بلادهم يكون الحديث معك على باب همذان فانك قد ملكت هذه المملكة العظيمة واهملت الثغور حتى غلب الكرج عليها وقد بليت أنا ولى مثل ربع بلادك بالفرنج وهم اشجع العالم فاخذت معظم بلادهم وأسرت ملوكهم ولا يحل لى السكوت عنك فانه يجب علينا القيام بحفظ ما أهملت وازالة الظلم عن المسلمين فاقام نور الدين على الموصل فعزم من بها من الامراء على مجاهرة فخر الدين عبد المسيح بالعصيان وتسليم البلد الى نور الدين فعلم ذلك فارسل الى نور الدين فى تسليم البلد اليه على ان يقره بيد سيف الدين ويطلب لنفسه الامان ولماله فاجابه الى ذلك وشرط ان فخر الدين يأخذه معه الى الشام ويعطيه عنده اقطاعا يرضيه فتسلم البلد ثالث عشر جمادى الاولى من هذه السنة ودخل القلعة من باب السر لانه لما بلغه عصيان عبد المسيح عليه حلف ان لا يدخلها الا من احصن موضع فيها ولما ملكها أطلق ما بها من المكوس وغيرها من ابواب المظالم وكذلك فعل بنصيبين وسنجار والخابور وهكذا كان جميع بلاده من الشام ومصر ووصله وهو على الموصل يحاصرها خلعة من الخليفة المستضئ بامر الله فلبسها ولما ملك الموصل خلعها على سيف الدين ابن أخيه وأمره وهو بالموصل بعمارة الجامع النورى وركب هو بنفسه الى موضعه فرآه وصعد منارة مسجد ابى حاضر فاشرف منها على موضع الجامع فامر أن يضاف الى الارض التى شاهدها ما يجاورها من الدور والحوانيت وان لا يؤخذ منها شئ بغير اختيار أصحابه وولى الشيخ محمد الملا عمارته وكان من الصالحين الاخيار فاشترى الاملاك من أصحابها باوفر الاثمان وعمره فخرج عليه أموال كثيرة وفرغ من عمارته سنة ثمان وستين وخمسمائة وأما نور الدين فانه عاد الى الشام واستناب فى قلعة الموصل خصيا كان له اسمه كمشتكين ولقبه سعد الدين وأمر سيف الدين ان لا ينفرد عنه بقليل من الامور ولا بكثير وحكمه واقطع مدينة سنجار لعماد الدين ابن أخيه قطب الدين فلما فعل ذلك قال كمال الدين ابن الشهرزورى هذا طريق الى اذى يحصل لبيت اتابك لان عماد الدين كبير لا يرى طاعة سيف الدين وسيف الدين هو الملك لا يرى الاغضاء لعماد الدين فيحصل الخلف ويطمع الاعداء فكان كذلك على ما نذكره سنة سبعين وخمسمائة وكان مقام نور الدين بالموصل اربعة وعشرين يوما واستصحب معه فخر الدين عبد المسيح وغير اسمه فسماه عبد الله واقطعه اقطاعا كبيرا

﴿ذكر غزو صلاح الدين بلاد الفرنج وفتح ايلة﴾

وفى هذه السنة سار صلاح الدين ايضا عن مصر الى بلاد الفرنج فاغار على اعمال

وانهى ان ذلك القدر لم يكف وان العمارة لم تكمل والاحسان بالانعام فاطلقوا له خمسين كيسا اخرى وأنعم على هذا الوضع الذى هى عليه الآن وأنشأ حولها مساكن ومخادع ووسع القصر الملاصق لها المختص به لجلوسه ومواضع الحريم أيام المواليد ثم أرسل فى اثر ذلك كتخداه ووزيره الشيخ ابراهيم السندوبى الى دار السلطنة بمكاتبات وعرض لرجال الدولة والتمس رفع ما على قرية زفتا وغيرها مما فى حوزه من الالتزام من المال الميرى الذى يدفع الى الديوان فى كل سنة وكان ابراهيم المذكور غاية فى الدهاء والحيل الساسانية والتصنعات الشيطانية والتخليطات الوهمية وتقليبات الملامتية فتمم مرامه مما ابتدعه من المخرقة والايهامات الملفقة ولم يدفع ماجرت به العادة من العوائد بل اجتلب خلاف ذلك فوائد ولما حضر حسن باشا الجزايرلى الى مصر على رأس القرن وخرج الامراء المصريون الى الجهة القبلية واستباح أموالهم وقبض على نسائهم وأولادهم وأمر ببيعهم بسوق المزاد وبيعهم زاعما انهم أرقاء لبيت المال وفعل ذلك فاجتمع الاشياخ وذهبوا اليه فكان المخاطب له المترجم قائلا له أنت أتيت الى هذه البلدة وأرسلك السلطان الى اقامة العدل ورفع الظلم كما تقول او لبيع الاحرار وامهات الاولاد وهتك الحريم فقال هؤلاء أرقاء

عسقلان والرملة وهجم على ربض غزة فنهبه وأتاه ملك الفرنج فى قلة من العسكر مسرعين لرده عن البلاد فقاتلهم وهزمهم وافلت ملك الفرنج بعد ان اشرف ان يؤخذ اسيرا وعاد الى مصر وعمل مراكب مفصلة وحملها قطعا على الجمال فى البر وقصد ايلة فجمع قطع المراكب والقاها فى البحر وحصر ايلة برا وبحرا وفتحها فى العشر الاول من ربيع الآخر واستباح اهلها وما فيها وعاد الى مصر

(ذكر ما اعتمده صلاح الدين بمصر هذه السنة)

كان بمصر دار للشحنة تسمى دار المعونة يحبس فيها من يريد حبسه فهدمها صلاح الدين وبناها مدرسة للشافعية وازال ما كان فيها من الظلم وبنى دار العدل مدرسة للشافعية ايضا وعزل قضاة المصريين وكانوا شيعة واقام قاضيا شافعيا فى مصر فاستناب القضاة الشافعية فى جميع البلاد فى العشرين من جمادى الآخرة

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة اشترى تقى الدين عمر ابن أخى صلاح الدين منازل العز بمصر وبناها مدرسة للشافعية وفيها اغار شمس الدولة توران شاه اخو صلاح الدين على الاعراب الذين بالصعيد وكانوا قد أفسدوا فى البلاد ومدوا أيديهم فكفوا عما كانوا يفعلونه وفيها مات القاضى ابن الخلال من اعيان الكتاب المصريين وفضلائهم وكان صاحب ديوان الانشاء بها وفيها وقع حريق ببغداد فى درب المطبخ وفى خرابة ابن جردة وفيها توفى الامير نصر بن المستظهر بالله عم المستنجد بالله وجده وهو آخر من مات من أولاد المستظهر بالله وكان موته فى ذى القعدة ودفن فى الترب بالرصافة وفيها جعل ظهير الدين أبو بكر نصر بن العطار صاحب المخزن ببغداد ولقب ظهير الدين وفيها حج بالناس الامير طاشتكين المستنجدى وكان نعم الامير رحمه الله

(ثم دخلت سنة سبع وستين وخمسمائة)

(ذكر اقامة الخطبة العباسية بمصر وانقراض الدولة العلوية)

فى هذه السنة فى ثانى جمعة من المحرم قطعت خطبة العاضد لدين الله أبى محمد الامام عبد الله بن يوسف بن الحافظ لدين الله أبى الميمون عبد المجيد بن أبى القاسم محمد بن المستنصر بالله ابى تميم معد بن الظاهر لاعزاز دين الله ابى الحسن على بن الحاكم بامر الله ابى على المنصور ابن العزيز بالله ابى منصور بن نزار بن المعز لدين الله ابى تميم معد بن المنصور بالله ابى الظاهر اسمعيل بن القائم بامر الله ابى القاسم محمد بن المهدى بالله ابى محمد عبيد الله وهو اول العلويين من هذا البيت الذين خطب لهم بالخلافة وخوطبوا بامرة المؤمنين وكان سبب الخطبة العباسية بمصر ان صلاح الدين يوسف بن ايوب لما ثبت قدمه بمصر وازال المخالفين له وضعف امر الخليفة بها العاضد وصار قصره يحكم فيه صلاح الدين ونائبه قراقوش وهو خصى كان من اعيان الامراء الاسدية كلهم يرجعون اليه فكتب اليه نور الدين محمود بن زنكى يامره بقطع الخطبة

لبيت المال فقال له هذا لا يجوز ولم يقبل به احد فاغتاظ غيظا شديدا وطلب كاتب ديوانه وقال له اكتب أسماء هؤلاء وأخبر السلطان بمعارضتهم لاوامره فقال له السيد محمود البنوفرى اكتب ما تريد بل نحن نكتب أسماءنا بخطنا افافهم وانكف من اتمام قصده وأيضا تتبع أموالهم وودائعهم وكان ابراهيم بك الكبير قد أودع عند المترجم وديعة وكذلك مراد بك اودع عند محمد افندى البكرى وديعة وعلم ذلك حسن باشا فارسل عسكرا الى السيد البكرى فلم تسعه المخالفة وسلم ما عنده وارسل كذلك يطلب من المترجم وديعة ابراهيم بك فامتنع من دفعها وقال الان صاحبها حى وقد كتبت على نفسى وثيقة فلا اسلم ذلك مادام صاحبها فى قيد الحياة فاشتد غيظ الباشا منه وقصد البطش به فحماه الله منه ببركة الانتصار للحق فكان يقول لم ارق جميع المهالك التى وجدتها من اجترأ على مخالفتى مثل هذا الرجل فانه أحرق قلبى ولما ارتحل من مصر ورجع المصريون الى دولتهم حصل من مراد بك فى حق السيد البكرى ما حصل وغرمه مبلغا عظيما باع فيه اقطاعه فى نظير تفريطه فى وديعته واحتج عليه بامتناع نظيره وحصل له قهر ومرض بسببه وتسلسل به المرض حتى مات و يقال إن مراد بك ارسل اليه الحكيم ودس له السم فى العلاج ثم مات رحمه الله

العاضدية واقامة الخطبة المستضيئية فامتنع صلاح الدين واعتذر بالخوف من قيام اهل الديار المصرية عليهم لميلهم الى العلويين وكان صلاح الدين يكره قطع الخطبة لهم ويريد بقاءهم خوفا من نور الدين فانه كان يخافه ان يدخل الى الديار المصرية ياخذها منه فكان يريد ان يكون العاضد معه حتى ان قصده نور الدين امتنع به وباهل مصر عليه فلما اعتذر الى نور الدين بذلك لم يقبل عذره والح عليه بقطع خطبته والزمه الزاما لا فسحة له في مخالفته وكان على الحقيقة نائب نور الدين واتفق ان العاضد مرض هذا الوقت مرضا شديدا فلما عزم صلاح الدين على قطع خطبته استشار امراءه فمنهم من اشار به ولم يفكر في المصريين ومنهم من خافه الا انه ما يمكنه الا امتثال امر نور الدين وكان قد دخل الى مصر انسان اعجمي يعرف بالامير العالم رايته انا بالموصل فلما راى ماهم فيه من الاحجام وان احدا لا يتجاسر يخطب للعباسي قال انا ابتدى بالخطبة له فلما كان اول جمعة من المحرم صعد المنبر قبل الخطيب ودعا للمستضيء ففعلوا ذلك فلم ينتطح فيها عنزان وكتب بذلك الى سائر بلاد مصر ففعلوا وكان العاضد قد اشتد مرضه فلم يعلمه احد من اهله واصحابه بقطع الخطبة وقالوا ان عوفي فهو يعلم وان توفي فلا ينبغي ان نفجعه بمثل هذه الحادثة قبل موته فتوفي يوم عاشوراء ولم يعلم بقطع الخطبة ولما توفي جلس صلاح الدين للعزاء واستولى على قصر الخلافة وعلى جميع ما فيه فحفظه بهاء الدين قراقوش الذي كان قد رتبه قبل موت العاضد فحمل الجميع الى صلاح الدين وكان من كثرته يخرج عن الاحصاء وفيه من الاعلاق النفيسة والاشياء الغريبة ما تخلو الدنيا عن مثله ومن الجواهر التي لم توجد عند غيرهم فمنه الحبل الياقوت وزنه سبعة عشر درهما او سبعة عشر مثقالا انا لا اشك فانني رايته ووزنته واللؤلؤ الذي لم يوجد مثله ومنه النصاب الزمرد الذي طوله اربع اصابع في عرض عقد كبير ووجد فيه طبل كان بالقرب من موضع العاضد وقد احتاطوا بالحفظ فلما راوه ظنوه عمل لاجل اللعب فيه فسخروا من العاضد فاخذه انسان فضرب به فضرط فتضاحكوا منه ثم آخر كذلك وكان كل من ضرب به ضرط فالقاه احدهم فكسره فاذا الطبل لاجل القولنج فندموا على كسره لما قيل لهم ذلك وكان فيه من الكتب النفيسة المعدومة المثل ما لا يعد فباع جميع ما فيه ونقل اهل العاضد الى موضع من القصر ووكل بهم من يحفظهم واخرج جميع من فيه من امة وعبد فباع البعض واعتق البعض ووهب البعض وخلا القصر من سكانه كان لم يغن بالامس فسبحان الحي الدائم الذي لا يزول ملكه ولا تغيره الدهور ولا يقرب النقص حماه ولما اشتد مرض العاضد ارسل الى صلاح الدين يستدعيه فظن ذلك خديعة فلم يمض اليه فلما توفي علم صدقه فندم على تخلفه عنه وكان يصفه كثيرا بالكرم ولين الجانب وغلبة الخير على طبعه وانقياده وكان في نسبه تسع خطب لهم بالخلافة وهم الحافظ والمستنصر والظاهر والحاكم والعزيز والمعز والمنصور والقائم والمهدي ومنهم من لم يخطب له بالخلافة ابوه يوسف بن الحافظ وجد ابيه وهو الامير ابو القاسم محمد بن

وكانت منه هفوة ولابد للجواد من كبوة ومن لم ينظر في العواقب فليس له الدهر بصاحب حتى قيل انه هو الذي عرف حسن باشا عن ذلك لينال به زيادة في الحظوة عنده و يترك منها حصة لنفسه بقرينة ما ظهر عليه في عقب ذلك من التوسع وقد غلب على ظنه بل وظن غالب الناس انقراض المصريين وغفلوا عن تقلبات الدهر في كل حين واما المترجم فانه لما اخذ بالحزم سلم وورد الامانة الى صاحبها حين قدم وحسنت فيهم سيرته وزادت عندهم محبته وفي عقب ذلك نزل السيد محمد افندي البكري المذكور عن وظيفة نظر المشهد الحسيني للمترجم وارسل اليه بصندوق دفاتر الوقف وكان نظر المشهد بيدهم مدة طويلة ووعده المترجم بان يبدله عنه وظيفة النظر على وقف الشافعي فلما حصل الفراغ واحتوى على الدفاتر نكث وطمع في الوظيفتين بل ومد يده الى غيرهما لعدم من يعارضه ولا يدافعه من الامراء وغيرهم مثل نظر المشهد النفيسي والزينبي و باقي الاضرحة الكثيرة الايراد التي يصاد بها الدنيا من كل ناد وتاتيها الخلائق بالقربانات وانواع النذورات واخذ يحاسب المباشرين وخدمة الاضرحة المذكورة على الايرادات والنذورات ويحاققهم على الذرات ويسبهم ويشتمهم ويضربهم بالجريد الخوص على ارجلهم وفعل ذلك بالسيد بدوي

المستنصر وبقي من خطب له بالخلافة وليس من آبائه المستعلي والآمر والظافر والفائز وجميع من خطب له منهم بالخلافة اربعة عشر خليفة منهم بافريقية المهدى والقائم والمنصور والمعز الى ان سار الى مصر ومنهم بمصر المعز المذكور وهو أول من خرج اليها من افريقية والعزيز والحاكم والظاهر والمستنصر والمستعلي والآمر والحافظ والظافر والفائز والعاضد وجميع مدة ملكهم من حين ظهر المهدى بسجلماسة في ذي الحجة من سنة تسع وتسعين ومائتين الى ان توفي العاضد مائتان واثنتان وسبعون سنة وشهرا تقريبا وهذا دأب الدنيا لم تعط الا واستردت ولم تحل الا وتمررت ولم تصف الا وتكدرت بل صفوها لا يخلو من الكدر وكدرها قد يخلو من الصفو ونسال الله تعالى ان يقبل بقلوبنا اليه و يرينا الدنيا حقيقة و يزهدنا فيها و يرغبنا في الآخرة انه سميع الدعاء قريب من الاجابة ولما وصلت البشارة الى بغداد بذلك ضربت البشائر بها عدة أيام وزينت بغداد وظهر من الفرح والجذل ما لا حد عليه وسيرت الخلع مع عماد الدين صندل وهو من خواص الخدم المقتفوية والمقدمين في الدولة لنور الدين وصلاح الدين فسار صندل الى نور الدين وألبسه الخلعة وسير الخلعة التي لصلاح الدين وللخطباء بالديار المصرية والاعلام السود ثم ان هذا صندلا صار استاذ دار الخليفة المستضيء بامر الله ببغداد وكان يدري الفقه على مذهب الشافعي وسمع الحديث ورواه و يعرف اشياء حسنة وفيه دين وله معروف كثير وهو من محاسن بغداد

(ذكر الوحشة بين نور الدين وصلاح الدين باطنا)

في هذه السنة جرت امور اوجبت ان تاثر نور الدين من صلاح الدين ولم يظهر ذلك وكان سببه ان صلاح الدين يوسف بن ايوب سار عن مصر في صفر من هذه السنة الى بلاد الفرنج غازيا ونازل حصن الشوبك وبينه و بين الكرك يوم وحصره وضيق على من به من الفرنج وأدام القتال وطلبوا الامان واستمهلوه عشرة ايام فاجابهم الى ذلك فلما سمع نور الدين بما فعله صلاح الدين سار عن دمشق قاصدا بلاد الفرنج أيضا ليدخل اليها من جهة اخرى فقيل لصلاح الدين ان دخل نور الدين بلاد الفرنج وهم على هذه الحال انت من جانب ونور الدين من جانب ملكها ومتى زال الفرنج عن الطريق واخذ ملكهم لم يبق بديار مصر مقام مع نور الدين وان جاء نور الدين اليك وانت ههنا فلا بد لك من الاجتماع به وحينئذ يكون هو المتحكم فيك بما شاء ان شاء تركك اولا فقد لا تقدر على الامتناع عليه والمصلحة الرجوع الى مصر فرحل عن الشوبك عائدا الى مصر ولم ياخذه من الفرنج وكتب الى نور الدين يعتذر باختلال البلاد المصرية لامور بلغته عن بعض شيعة العلويين وانهم عازمون على الوثوب بها فانه يخاف عليها من البعد عنها ان يقوم اهلها على من تخلف بها فيخرجوهم وتعود ممتنعة واطال الاعتذار فلم يقبلها نور الدين منه وتغير عليه وعزم على قصد مصر واخراجه عنها وظهر

مباشر المشهد الحسيني وهو من وجهاء الناس الذين يخشى جانبهم ومشهور ومذكور في المصر وغيره وكان معظم انقباض السيد البكري ونزوله عن نظر المشهد ضيق صدره من المذكور ومناكدته له واستيلائه على المحل ومحصول الوقف والتقصير في مصارفه اللازمة و ينسب التقصير للناظر وكان رحمه الله عظيم الهمة يغلب عليه الحياء والمسامحة و يرى خلاف ذلك من سفاسف الامور فتنصل من ذلك وترك فعله لغيره فلما اوقع المترجم بالسيد بدوي و باقي عظماء السدنة ما اوقع انقمع الباقون وذلوا وخافوه اشد الخوف ووشوا على بعضهم البعض وطفق يطالبهم بالنذور والشموع والاغنام والعجول وما يتحصل من صندوق الضريح من المال وكانوا يختصون بذلك كله واقلهم في رفاهية من العيش وجمع المال مع السفالة والشحاذة حتى من الفقير المعدم المفلس والكسرة الناشفة وكان اذا أراد الايقاع بشخص او اهانته وخشي عاقبة ذلك أولوما يلحقه ممن ينتصر له مهد له الطريق من قبل الايقاع به فانه لما أراد ضرب السيد بدوي طاف على الشيخ العروسي وأمثاله وامرهم ما في نفسه وامتدت يده ايضا الى شهود بيت القاضي فكان اذا بلغه ان احدهم كتب حجة استبدال او اجارة بمكان مدة طويلة لناظر او مستحق وكان ذلك المكان

ذلك فسمع صلاح الدين الخبر فجمع اهله وفيهم ابوه نجم الدين ايوب وخاله شهاب الدين الحارمي ومعهم سائر الامراء واعلمهم ما بلغه من عزم نور الدين وحركته اليه واستشارهم فلم يجبه احد بكلمة واحدة فقام تقي الدين عمر ابن اخي صلاح الدين فقال اذا جاءنا قاتلناه ومنعناه عن البلاد ووافقه غيره من اهلهم فشتمهم نجم الدين ايوب وانكر ذلك واستعظمه وشتم تقي الدين واقعده وقال لصلاح الدين انا ابوك وهذا خالك شهاب الدين ونحن اكثر محبة لك من جميع من ترى والله لو رايت انا وهذا خالك نور الدين لم نمكث الا ان نقبل بين يديه ولو امرنا ان نضرب عنقك بالسيف لفعلنا فاذا كنا نحن هكذا فما ظنك بغيرنا وكل من تراه عندك من الامراء لو راى نور الدين وحده لم يتجاسروا على الثبات على سروجهم وهذه البلاد له ونحن مماليكه ونوابه فيها فان اراد سمعنا واطعنا والراي ان تكتب كتابا مع نجاب تقول فيه بلغني انك تريد الحركة لاجل البلاد فاي حاجة الى هذا يرسل المولى نجابا يضع في رقبتي منديلا وياخذني اليك وما ههنا من يمتنع وقام الامراء وغيرهم وتفرقوا على هذا فلما خلا به ايوب قال له باي عقل فعلت هذا اما تعلم ان نور الدين اذا سمع عزمنا على منعه ومحاربته جعلنا اهم الوجوه اليه وحينئذ لا تقوى عليه واما الآن اذا بلغه ما جرى وطاعتنا له تركنا واشتغل بغيرنا والاقدار تعمل عملها والله لو اراد نور الدين قصبة من قصب السكر لقاتلته انا عليها حتى امنعه او اقتل ففعل صلاح الدين ما اشار به فتركه نور الدين قصده واشتغل بغيره فكان الامر كما ظنه ايوب فتوفي نور الدين ولم يقصده وملك صلاح الدين البلاد وكان هذا من احسن الآراء واجودها

(ذكر غزوة الى الفرنج بالشام)

وفي هذه السنة خرج مركبان من مصر الى الشام فارستا بمدينة لاذقية فاخذهما الفرنج وهما مملوآن من الامتعة والتجارة وكان بينهم وبين نور الدين هدنة فنكثوا وغدروا فارسل نور الدين اليهم في المعنى واعادة ما اخذوه من اموال التجار فغالطوه واحتجوا بامور منها ان المركبين كانا قد انكسرا ودخلهما الماء وكان الشرط ان كل مركب ينكسر ويدخله الماء ياخذونه فلم يقبل مغالطتهم وجمع العساكر وبث السرايا في بلادهم بعضها نحو انطاكية وبعضها نحو طرابلس وحصر هو حصن عرقة وخرب ربضه وارسل طائفة من العسكر الى حصن صافيتا وعريمة فاخذهما عنوة ونهب وخرب وغنم المسلمون غنائم كثيرة وعادوا اليه وهو بعرقة فسار في العساكر جميعها الى ان قارب طرابلس ينهب ويخرب ويحرق ويقتل واما الذين ساروا الى انطاكية ففعلوا في ولايتها مثل ما فعل في ولاية طرابلس فراجعه الفرنج وبذلوا جميع ما اخذوه من المركبين وتجديد الهدنة معهم فاجابهم الى ذلك واعادوا ما اخذوا وهم صاغرون وقد خربت بلادهم وغنمت اموالهم

(ذكر وفاة ابن مردنيش وملك يوسف بن عبد المؤمن بلاده)

يؤول بعد انقراض مستحقيه اضر بهم من الاضرحة التي تحت نظره احضر ذلك الكاتب ١٦٧ ووبخه ولعنه ولو لم يحضر به وابطل تلك المكاتبة ومحاها من سجل القاضي او يصالحونه على تنفيذ ذلك مع انها لا تؤول الى تلك الجهة الا بعد سنين واعوام متطاولة وقد نص علماء الشرع على ان الوقف والنذر للقبور والاضرحة باطل فان قيل بصحته على الفقراء قلنا ان سدنة هذه الاضرحة ليسوا بفقراء بل هم الآن اغنى الناس والفقراء حقيقة خلافهم من اولاد الناس الذين لا كسب لهم والكثير من اهل العلم الخاملين والذين يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف ولما استولى المترجم على وظيفة نظر المشهد الحسيني قهر السيد بدوي المباشر المذكور واخذ داره كنه شرقي المسجد واخرجه منها وهدمها وانشاها دارا لنفسه ينزل بها ايام المولد المعتاد وياتي اليها في كل جمعة او جمعتين ولما تم بناؤها ونظامها وقرب وقت ايام المولد انتقل اليها بخدمه وحريمه وتقدم الى حكام الشرطة بامر الناس والمناداة على اهل الاسواق والحوانيت بالسهر بالليل ووقود السرج والقناديل خمس عشرة ليلة المولد وكان في السابق ليلة واحدة واحدثوا في تلك الليالي سيارات وجمعيات وطبولا وزمورا ومناور ومشاعل وجمع خلائق من اوباش العالم الذين ينتسبون الى الطرائق كالاحمدية

في هذه السنة توفي الامير محمد بن سعد بن مردنيش صاحب البلاد بشرق الاندلس وهي مرسية وبلنسية وغيرهما ووصى اولاده ان يقصدوا بعد موته الامير ابا يعقوب وكان قد اجتاز الى الاندلس في مائة الف مقاتل قبل موت ابن مردنيش فحين رآهم يوسف فرح بهم وسره قدومهم عليه وتسلم بلادهم وتزوج اختهم واكرمهم وعظم امرهم ووصلهم بالاموال الجزيلة واقاموا معه

(ذكر عبور الخطا جيحون والحرب بينهم وبين خوارزمشاه)

في هذه السنة عبر الخطا نهر جيحون يريدون خوارزم فسمع صاحبها خوارزمشاه ايل ارسلان بن اتسز فجمع عساكره وسار الى امرية ليقاتلهم ويصدهم فمرض واقام بها وسير بعض جيشه مع امير كبير اليهم فلقيهم فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزم الخوارزميون واسر مقدمهم ورجع به الخطا الى ماوراء النهر وعاد خوارزمشاه الى خوارزم مريضا

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة اتخذ نور الدين بالشام الحمام الهوادي وهي التي يقال لها المناسيب وهي تطير من البلاد البعيدة الى اوكارها وجعلها في جميع بلاده وسبب ذلك انه لما اتسعت بلاده وطالت مملكته وعرضت اكنافها وتباعدت اوائلها من اواخرها ثم انها جاورت بلاد الفرنج وكانوا ربما نازلوا حصنا من ثغوره فالى ان يصل الخبر ويصل اليهم قد بلغوا غرضهم منه فامر بالحمام ليصل الخبر اليه في يومه واجرى الجرايات على المرتبين لحفظها واقامتها فحصل منها الراحة العظيمة والنفع الكبير للمسلمين وفيها عزل الخليفة المستضيء بامر الله وزيره عضد الدين ابا الفرج بن رئيس الرؤساء لان قطب الدين قايماز الزمه بعزله فلم يمكنه مخالفته وفيها مات ابو محمد عبد الله بن احمد الخشاب اللغوي وكان قيما بالعربية وسمع الحديث وفيها مات البوري الفقيه الشافعي تفقه على محمد بن يحيى وقدم بغداد ووعظ وكان يذم الحنابلة وكثرت اتباعه فاصابه اسهال فمات هو وجماعة من اصحابه فقيل ان الحنابلة اعدوا له حلوا فاكل منها فمات وكل من اكل منها وفيها مات القرطبي ابو بكر يحيى بن سعدون بن تمام الازدي الاندلسي وكان اماما في القراءة والنحو وغيره من العلوم زاهدا عابدا انتفع به الناس في كثير من البلاد ولاسيما اهل الموصل فانه اقام بها وفيها توفي رحمه الله

(ثم دخلت سنة ثمان وستين وخمسمائة)

(ذكر وفاة خوارزمشاه ايل ارسلان وملك ولده سلطانشاه وبعده ولده الآخر تكش وقتل المؤيد وملك ابنه)

في هذه السنة توفي خوارزمشاه ايل ارسلان بن اتسز بن محمد بن انوشتكين قد عاد من قتال الخطا مريضا فتوفي وملك بعده سلطانشاه محمود ودبرت والدته المملكة والعساكر وكان ابنه الاكبر علاء الدين تكش مقيما في الجند قد اقطعه ابوه اياها فلما بلغه موت ابيه وتولية اخيه الصغير انف من ذلك وقصد ملك الخطا واستمده على اخيه واطمعه

في

والسعدية والشعيبية ويتجاوبون في وسط الطبول بالفاظ مستهجنة ينادون بها مشايخ طرقهم بكلمات وعبارات تشمئز منها الطباع وأمرهم بان يمروا من تحت داره ودعا أمراء البلدة في ظرف تلك الايام متفرقين ودعا عابدين باشا يوم المولد ولما سكن بتلك الدار وهي قبالة الميضاة والمراحيض فكان يتضرر من الرائحة فقصد ابطالها من تلك الجهة فاشترى دارا قبلي المسجد وهي بجانب حائط المسجد الجنوبية الفاصلة بينها وبين المسجد وأدخل منها جانبا في المسجد وزاد فيه مقدار باكية وجعلها مرتفعة عن أرض المسجد درجة لتمتاز عن البناء القديم وجعل به محرابا ومن خلفه خلوة يسلك اليها من باب بصدر الليوان المذكور الى فسحة لطيفة امام الخلوة وبالخلوة شباك مطل على الليوان الصغير الذي بقبة الضريح وانشا فيما بقي من الدار ميضاة ومراحيض وفتح لها بابا من داخل المسجد من آخره بجانب باب السبيل وأبطل الميضاة القديمة لانحراف مزاجه وتاذيه من رائحتها وتحول عبور الناس من داخل وخارج الى هذه الجديدة واتت عليها عدة ايام ففاحت الروائح على المصلين ومن بالمسجد وما انضاف الى ذلك أيضا من البلل والتقذير من أرجل الاوباش لقربها من المسجد فلغط الناس ومن يحضر في أوقات الصلاة

فى الاموال وذخائر خوارزم فسير معه جيشا كثيفا مقدمهم قرما فساروا حتى قاربوا
خوارزم فخرج سلطانشاه وأمه الى المؤيد واهدى له هدية جليلة المقدار ووعده أموال
خوارزم وذخائرها فاغتر بقوله وجمع جيوشه وسار معه حتى بلغ سوبرلى بليدة على
عشرين فرسخا من خوارزم وكان تكش قد عسكر بالقرب منها فتقدم اليهم فلما تراءى
الجمعان انهزم عسكر المؤيد وكسر المؤيد وأخذ اسيرا وجىء به الى خوارزمشاه تكش فامر
بقتله فقتل بين يديه صبرا وهرب سلطانشاه وأخذ الى دهستان فقصده خوارزمشاه تكش
فافتتح المدينة عنوة فهرب سلطانشاه واخذت امه فقتلها تكش وعاد الى خوارزم ولما عاد
المنهزمون الى نيسابور ملكوا طغانشاه ابابكر بن المؤيد واتصل به سلطانشاه ثم سار
من هنالك الى غياث الدين ملك الغورية فاكرمه وعظمه واحسن ضيافته واما علاء
الدين تكش فانه لما ثبت قدمه بخوارزم اتصلت به رسل الخطا بالاقتراحات والتحكم
كعادتهم فاخذته حمية الملك والدين وقتل احد اقارب الملك وكان قد ورد اليه ومعه
جماعة ارسله ملكهم فى مطالبة خوارزمشاه بالمال فامر خوارزمشاه اعيان خوارزم
فقتل كل واحد منهم رجلا من الخطا فلم يسلم منهم احد ونبذوا الى ملك الخطا عهده
وبلغ ذلك سلطانشاه فسار الى ملك الخطا واغتنم الفرصة بهذه الحال واستنجده على أخيه
علاء الدين تكش وزعم له أن أهل خوارزم معه يريدونه ويختارون ملكه عليهم ولو
رأوه لسلموا البلد اليه فسير معه جيشا كثيرا من الخطا مع قرما ايضا فوصلوا الى خوارزم
فحصروها فامر خوارزمشاه علاء الدين باجراء ماء جيحون عليهم فكادوا يغرقون
فرحلوا ولم يبلغوا منها غرضا ولحقهم الندم حيث لم ينفعهم ولاء سلطانشاه وعنفوه
فقال لقرما لو ارسلت معى جيشا الى مرو فاستخلصتها من يد دينار الغزى وكان قد استولى
عليها من حين كانت فتنة الغز الى الآن فسير معه جيشا فنزل على سرخس على غرة
من اهلها وهجم على الغز فقتل مقتلة عظيمة فلم يترك وابها احدا منهم والقى دينار
ملكهم نفسه فى خندق القلعة فاخرج منه ودخل القلعة وتحصن بها وسار سلطانشاه الى
مرو فملكها وعاد الخطا الى ماوراء النهر وجعل سلطانشاه دأبه قتال الغز والقتل فيهم
والنهب منهم فلما عجز دينار عن مقاومته ارسل الى نيسابور الى طغانشاه بن المؤيد
يقول له ليرسل اليه من يسلم اليه قلعة سرخس فارسل اليه جيشا مع امير اسمه قراقوش
فسلم اليه دينار القلعة ولحق بطغانشاه فقصد سلطانشاه سرخس وحصر قلعتها وبلغ
ذلك طغانشاه فجمع جيوشه وقصد سرخس فلما التقى هو وسلطانشاه فر طغان
شاه الى نيسابور وذلك سنة ست وسبعين وخمسمائة فاخلى قراقوش قلعة سرخس
ولحق بصاحبه وملكها سلطانشاه ثم أخذ طوس والزام وضيق الامر على طغان
شاه بعلو همته وقلة قراره وحرصه على طلب الملك وكان طغانشاه يحب الدعة ومعاقرة
الخمر فلم يزل الحال كذلك الى ان مات طغانشاه سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة فى المحرم
وملك ابنه سنجرشاه فغلب عليه مملوك جده المؤيد اسمه منكلى تكين فتفرق الامراء
أنفة من تحكمه واتصل اكثرهم بسلطانشاه وسار الملك دينار الى كرمان ومعه الغز

من أتراك خان الخليلي والتجار وشنعوا القالة وقاموا قومة واحدة و أغلقوا الباب وأبطلوا تلك الميضاة ومنعوا
من دخولها و ساعدهم
المتصوفون من اجناسهم
فانكسف بال المترجم لذلك
ولم يمكنه تنفيذ فعله وأعاد
الميضاة القديمة كما كانت
وجعل المستجدة مربطا للحمير
ويستغل اجرته بعد أن ازال
تلك الميضاة ومحا اثر ذلك
وكان بناء هذه الزيادة سنة
ست بعد المائتين ثم زاد فى
منزل سكنهم زيادة من ناحية
البركة المعروفة ببركة الفيل
خلف البستان أخذ فى تلك
الزيادة مقدارا كبيرا من
ارض البركة وانشاه مجلسا
مربعا منسعا مطلا على البركة
من جهتيه وبوسطه عامود
من الرخام وبلط دور قاعته
بالرخام وجعل به مخدعا
وخارجه فسحة كبيرة
وشبابيكها مطلة على البركة
وصارت القاعة القديمة
المعروفة بالغزال الملتفت
بابها فى ضمن الفسحة وبها
باب القيطون وسمى هذه
المنشية الاسعدية وبتلك
الفسحة باب يدخل منه الى
منافع ومرافق ثم من له التغيير
والتبديل لاوضاع البيت
من ناحية اخرى فهدم
الساتر على القاعة الكبيرة
وفسحتها وهى التى يسمونها
بام الافراح وهى من انشاء
الشيخ أبى التصبيص وهى
أعظم المجالس التى بدارهم مزخرفة بالنقوش الذهب والقيشانى الصينى

خلف ملكها واما منكلى تكين فانه اساء السيرة فى الرعية واخذ اموالهم وقتل بعض الامراء فسمع خوارزمشاه بذلك فسار اليه فحصره بنيسابور فى ربيع الاول سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة فحصرها شهرين فلم يظفر بها وعاد الى خوارزم ثم رجع سنة ثلاث وثمانين الى نيسابور فحصرها وطلبوا منه الامان فامنهم فسلموا البلد اليه فقتل منكلى تكين واخذ سنجرشاه واكرمه وانزله بخوارزم واحسن اليه فارسل الى نيسابور يستميل اهلها ليعود اليهم فسمع به خوارزمشاه فاخذ سنجرشاه فسمله وكان قد تزوج بامه وزوجه بابنته فماتت فزوجه باخته وبقى عنده الى ان مات سنة خمس وتسعين وخمسمائة ذكر هذا ابو الحسن بن ابى القاسم البيهقى فى كتاب مسارب التجارب وقد ذكر غيره من العلماء بالتواريخ هذه الحوادث مخالفة لهذا فى بعض الامور مع تقديم وتاخير ونحن نوردها فقال ان تكش خوارزمشاه بن ارسلان اخرج اخاه سلطان شاه من خوارزم وكان قد ملكها بعد موت ابيه فجاء الى مرو فملكها وازاح الغز عنها فخرجوا اياما ثم عادوا عليه فاخرجوه منها وانتهبوا خزانته وقتلوا اكثر رجاله فعبر الى الخطا فاستنجدهم وضمن لهم مالا وجاء بجيش عظيم فاخرج الغز عن مرو وسرخس ونسا وابيورد وملكها ورد الخطا فلما ابعدوا كاتب غياث الدين الغورى يطلب منه ان ينزل عن هراة وبوشنج وبادغيس وما والاها ويتوعده ان هو لم ينزل عن ذلك فاجابه غياث الدين يطلب منه اقامة الخطبة له بمرو وسرخس وما ملكه من بلاد خراسان فلما سمع الرسالة سار عن مرو وشن الغارات على بادغيس وبيوار وما والاها وحصر بوشنج ونهب الرساتيق وصادر الرعايا فلما سمع غياث الدين ذلك لم يرض لنفسه ان يسير هو بل سير ملك سجستان وكاتب ابن اخته بهاء الدين سام صاحب باميان باللحاق به لان اخاه شهاب الدين كان بالهند والزمان شتاء فجاء بهاء الدين ابن اخت غياث الدين وملك سجستان ومن معهما من العساكر ووافق ذلك وصول سلطان شاه الى هراة فلما علم بوصولهم عاد الى مرو من غير ان يقاتلها واحرق كل ما مر به من البلاد ونهب واقام بمرو الى الربيع واعاد مراسلة غياث الدين فى المعنى فارسل الى اخيه شهاب الدين يعرفه الحال فنادى فى عساكره بالرحيل لساعته وعاد الى خراسان واجتمع هو واخوه غياث الدين وملك سجستان وغيرهم من العساكر وقصدوا سلطان شاه فلما علم ذلك جمع عساكره واجتمع عليه من الغز والمفسدين وقطاع الطريق ومن عنده طمع خلق كثير فنزل غياث الدين ومن معه فى الطالقان ونزل سلطان شاه بمرو الرذ وتقدم عسكر الغورية اليه وتواعدوا للمصاف وبقوا كذلك شهرين والرسل تتردد بين غياث الدين وبين سلطان شاه وشهاب الدين يطلب من اخيه غياث الدين الاذن فى الحرب فلا يتركه وتقرر الامر على ان يسلم غياث الدين الى سلطان شاه بوشنج وبادغيس وقلاع بيوار وكره ذلك شهاب الدين وبهاء الدين صاحب باميان الا انهما لم يخالفا غياث الدين وفى آخر الامر حضر رسول سلطان شاه عند غياث الدين وحضر الامراء ليكتب العهد فقال الرسول ان سلطان شاه يطلب ان يحضر شهاب الدين وبهاء الدين هذا الامر فارسل غياث الدين

بجميع حيطانها والرخام الملون وبها الفسقية والسلسبيل والقمريات الملونة فكشف حائطها وادخل فسحتها فى رحبة الحوش وهدم القاعة الاخرى التى كان يصعد اليها بسلم من الفسحة الاخرى وابطل الحواصل التى اسفلها وساواها بالارض وعمل بها فسقية بالرخام ومرافقها من داخلها وبها باب يتوصل منه الى الحريم وسماها الانوادية نسبة لكنيته وامامها فسحة عظيمة ديوان بدكك وكراسى بجانب البستان وبها الطرقة والدهليز الممتد بوسط البستان الموصل الى القاعة المسماة بالغزال والاسعدية وهدم المقعد القديم الذى به العامود وقناطره وما كان بظاهر الحاصل المسمى بحاصل السجادة من الحواصل السفلية وجعله مسجدا يصلى فيه الجمعة ونصب فيه منبر الخطبة وذلك لبعد المساجد الجامعة عن داره وتعاظمه عن السعى الكثير والاختلاط بالعامة واخذ قطعة وافرة من بيت كتخدا الجاويشية ووسع بها البستان وغرس بها الاشجار والرياحين والثمار وافنى غالب عمره فى تحصيل الدنيا وتنظيم المعاش والرفاهية واقتناء كل مرغوب للنفس وشراء الجوارى والمماليك والعبيد والحبوش والخصيان والتانق فى المآكل والمشارب والملابس واستخراج الادهان والعطريات والمركبات المفرحة والمنعشة للقوة وتعاظم فى نفسه وتعالى على

اليهما

اليهما فاعاد الجواب اننا مماليكك ومهما تفعله لا يمكننا مخالفتك فبينما الناس مجتمعون فى تحرير الامر واذ قد اقبل مجد الدين العلوى الهروى اليه وكان خصيصا بغياث الدين بحيث يفعل فى ملكه ما يختار فلا يخالف فجاء العلوى وبيده فى يد الب غازى ابن اخت غياث الدين وقد كتبوا الكتاب وقد احضر غياث الدين اخاه شهاب الدين وبهاء الدين سام ملك الباميان فجاء العلوى كانه يسار غياث الدين ووقف فى وسط الحلقة وقال للرسول يا فلان تقول للسلطان شاه قد تم لك الصلح من جانب السلطان الاعظم ومن شهاب الدين وبهاء الدين و يقول لك العلوى خصمك انا ومولانا الب غازى بيننا و بينك السيف ثم صرخ صرخة ومزق ثيابه وحثى التراب على راسه وأقبل على غياث الدين وقال له هذا واحد طرده أخوه وأخرجه فريدا وحيدا لم نترك له ما ملكناه باسيافنا من الغز والاتراك والسنجرية فاذا سمع هذا عنا يجيء أخوه يطلب منازعته والهند وجميع ما بيدك فحرك غياث الدين رأسه ولم يفه بكلمة فقال ملك سجستان للعلوى اترك الامر ينصلح فاما لم يتكلم غياث الدين بمنع العلوى قال شهاب الدين لجاووشيته نادوا فى العسكر بالتجهز للحرب والتقدم الى مرو الروذ وقام وانشد العلوى بيتا من الشعر عجميا معناه ان الموت تحت السيوف أسهل من الرضا بالدنية فرجع الرسول الى سلطان شاه وأعلمه الحال فرتب عساكره للمصاف والتقى الفريقان واقتتلوا فصبروا للحرب فانهزم سلطان شاه وعسكره وأخذ أكثر اصحابه اسارى فاطلقهم غياث الدين ودخل سلطان شاه مرو فى عشرين فارسا ولحق به من أصحابه نحو ألف وخمسمائة فارس ولما سمع خوارزمشاه تكش بما جرى لاخيه سار من خوارزم فى الفى فارس وأرسل الى جيحون ثلاثة آلاف فارس يقطعون الطريق على أخيه ان أراد الخطا وجد فى السير ليقبض على أخيه قبل ان يقوى فاتت الاخبار سلطان شاه بذلك فلم يقدر على عبور جيحون الى الخطا فسار الى غياث الدين وكتب اليه يعلمه قصده اليه فكتب الى هراة وغيرها من بلاده باكرامه واحترامه وحمل الاقامات اليه ففعل به ذلك وقدم على غياث الدين والتقاه واكرمه وانزله معه فى داره وانزل اصحاب سلطان شاه كل انسان منهم عند من هو فى طبقته فانزل الوزير عند وزيره والعارض عند عارضه وكذلك غيره واقام عنده حتى انسلخ الشتاء فارسل علاء الدين بن خوارزمشاه الى غياث الدين يذكر ما صنعه اخوه سلطان شاه من تخريب بلاده وجمع العساكر عليه و يشير بالقبض عليه ورده اليه فانزل الرسول واذا قد اتى كتاب نائبه بهراة يخبره ان كتاب خوارزمشاه جاءه يتهدده فاجابه انه لا يظهر لخوارزمشاه انه اعلمه بالحال واحضر الرسول وقال له يقول لعلاء الدين اما قولك ان سلطان شاه اخرب البلاد واراد ملكها فلعمرى انه ملك وابن ملك وله همة عالية واذا اراد الملك فمثله اراده وللامور مدبر يوصلها الى مستحقها وقد التجا الى و ينبغى ان تنزاح عن بلاده وتعطيه نصيبه مما خلف ابوه ومن الاملاك التى خلف والاموال واحلف لكما يمينا على المودة والموافاة وتخطب لى بخوارزم وتزوج اخى

ابناء جنسه حتى انه ترفع على لبس التاج وحضور الهيا بالازهر ليلة المعراج وكذا الحضور فى مجلس وزدهم الذى هو محل عزهم وفخرهم وصار يلبس قاووقا بعمامة خضراء تشبها باكابر الامراء وبعدا عن التشبه بالمتعممين والفقهاء والمقرئين ولما طالت ايامه وماتت اقرانه والذين كان يستحى منهم ويهابهم وتقلبت عليه الدول واندرجت اكابر الامراء وتأمر اتباعهم ومماليكهم الذين كانوا يقومون على اقدامهم بين يدى مخاديمهم واسيادهم جلوس بالادب مع المترجم لاجرم كانت هيبته فى قلوبهم اعظم من أسلافهم واستصغاره هو لهم كذلك فكان يصدعهم بالكلام و ينفذ امره فيهم ويذكر الامير الكبير بقوله ولدنا الامير فلان وحوائجه عندهم مقضية وكلامه لديهم مسموع وشفاعته مقبولة واوامره نافذة فيهم وفى حواشيهم ورعاياتهم واتفق ان بعض اعاظم المباشرين من الاقباط توقف معه فى امر فاحضره ولعنه وسبه وكشف راسه وضربه على دماغه بزنجة من الجلد ولم يراع حرمة اميره وهو اذ ذاك امير البلد ولما شكا الى مخدومه ما فعل به قال له وما تريد ان اصنع بشيخ عظيم ضرب نصرانيا فرحم الله عظامهم واتفق ايضا ان جماعة من اولاد البلد ووجهائها اجتمعوا اليه فى نزل بعض اصحابهم وتباسطوا وافاخذ بعضهم يسخر ويقلد بعض اصحاب المظاهر فوشى

شهاب الدين باختك فلما سمع خوارزمشاه الرسالة امتعض لذلك وكتب الى غياث الدين كتابا يتهدده بقصد بلاده فجهز غياث الدين العساكر مع ابن اخت الب غازي وصاحب سجستان وسيرهما مع سلطان شاه الى خوارزم وكتب الى المؤيد صاحب نيسابور يستنجده وكان قد صار بينهما مصاهرة زوج المؤيد ابنه طغان شاه بابنة غياث الدين فجمع المؤيد عساكره واقام بظاهر نيسابور على طريق خوارزم وكان خوارزمشاه قد سار من خوارزم الى لقاء عسكر الغورية الذين مع اخيه سلطان شاه وقد نزلوا بطرف الرمل فبينما هو في مسيره اتاه خبر المؤيد انه قد جمع عساكره وانه على قصد خوارزم اذا فارقها فوقع في قلبه وعاد الى خوارزم فاخذ امواله وذخائره وعبر جيحون الى الخطا واخلى خوارزم فوقع بها خبط عظيم فحضر جماعة من اعيانها عند الب غازي وسالوه ارسال امير معهم يضبط البلد فخاف ان تكون مكيدة فلم يفعل فبينما هم على ذلك توفي سلطان شاه سلخ رمضان سنة تسع وثمانين وخمسمائة فكتب الب غازي الى غياث الدين يعلمه الخبر فكتب اليه يامره بالعود اليه فرجع ومعه اصحاب سلطان شاه فامر غياث الدين بان يستخدموا واقطع الاجناد الاقطاعات الجيدة وكلهم قابل احسانه بكفران وسنذكر باقي اخبارهم ولما سمع خوارزمشاه تكش بوفاة اخيه عاد الى خوارزم وارسل الى سرخس ومرو وشحناه فجهز اليهم امير هراة عمر المرغني جيشا فاخرجوهم وقال حتى نستاذن السلطان غياث الدين وارسل خوارزمشاه رسولا الى غياث الدين يطلب الصلح والمصاهرة وسير مع رسوله جماعة من فقهاء خراسان والعلويين ومعهم وجيه الدين محمود بن محمود وهو الذي جعل غياث الدين شافعيا وكان له عنده منزلة كبيرة فوعظوه وخوفوه الله تعالى واعلموه ان خوارزمشاه يراسلهم يتهددهم بانه يجيء بالاتراك والخطا ويستبيح حريمهم واموالهم وقالوا له اما ان تحضر انت بنفسك وتجعل مرو دار ملكك حتى ينقطع طمع الكافرين ويامن اهلها واما ان تصالح خوارزمشاه فاجاب الى الصلح وترك معارضة البلاد فلما سمع من بخراسان من الغز بذلك طمعوا في البلاد فعاودوا النهب والاحراق والتخريب فسمع خوارزمشاه فجمع عساكره وحضر بخراسان ودخل مرو وسرخس ونسا وابيورد وغيرها واصلح البلاد وتطرق الى طوس وهي للمؤيد صاحب نيسابور فجمع المؤيد جيوشه وسار اليه فلما سمع خوارزمشاه بمسيره اليه عاد الى خوارزم فلما وصل الى الرمل اقام بطرفه فلما سمع المؤيد بعودة خوارزمشاه طمع فيه وتبعه فلما سمع خوارزمشاه بذلك ارسل الى المناهل التي في البرية فالقى فيها الجيف والتراب بحيث لم يمكن الانتفاع بها فلما توسط المؤيد البرية طلب الماء فلم يجده فجاء خوارزمشاه اليه وهو على تلك الحال ومعه الماء على الجمال فاحاط به فاما عسكره فاستسلموا باسرهم وجيء بالمؤيد اسيرا الى خوارزمشاه فامر بضرب عنقه فقال له يا مخنث هذا فعال الناس فلم يلتفت اليه وقتله وحمل راسه الى خوارزم فلما قتل ملك نيسابور ملك ما كان له ابنه طغان شاه فلما كان من قابل جمع خوارزمشاه عساكره وسار الى نيسابور فحاصرها وقاتلها

للترجم بمجلسهم وانهم اذا رجوه في سفريتهم فتسماهم واحضرهم واحدا بعد واحد وعزرهم بالضرب والاهانة فكان كل قليل يقع في بيته الضرب والاهانة لافراد من الناس وكذلك فلاحو الحصص التي حازها والتزم بها فانه زاد في خراجهم عن شركائه ويفرض عليهم زيادات ويحبسهم عليها شهورا ويضربهم بالكرابيج وبالجملة فقد قلب الموضوع وغير الرسم المطبوع بعد ان كان منزلهم محل سلوك ورشاد وولاية واعتقاد فصار كبيت حاكم الشرطة يخافه من غلط ادنى غلطة ويتحاماه الناس من جميع الاجناس وجلساؤه ومرافقوه لا يعارضونه في شيء بل يوافقونه ولا يتكلمون معه الا بميزان وملاحظة الاركان ويتأدبون معه في رد الجواب وحذف كاف الخطاب ونقل الضمائر عن وضعها في غالب الالفاظ بل كلها حتى في الآثار المروية والاحاديث النبوية وغير ذلك من المبالغات وتحسين العبارات والوصف بالمناقب الجليلة والاوصاف الجميلة حتى ان السيد حسينا المنزلاوي الخطيب كان ينشئ خطبا يخطب بها يوم الجمعة التي يكون المترجم حاضرا فيها بالمشهد الحسيني وبزاويتهم ايام المولد ويدرج فيها الاطراء العظيم في المترجم والتوسل به في كشف المهمات وتفريج الكروب وغفران الذنوب حتى اني سمعت قائلا يقول بعد الصلاة لم يبق على

وقاتلها فتبعه طغان شاه واخذه وزوجه اخته وحمله معه الى خوارزم وملك نيسابور وما كان لطغان شاه وقوى امره هذا الذى ذكر فى هذه الرواية مخالف لما تقدم ولو امكن الجمع بين الروايتين لفعلت فان احدهما قد قدم ما اخره الآخر فلهذا اوردنا جميع ما قالاه وليعد البلاد عن الموصل لم اعلم اى القولين اصح لنذكره ونترك الآخر وانما اوردتها فى موضع واحد لان ايام سلطان شاه لم تطل له ولا عقابه حتى تتفرق على السنين فلهذا اوردتها متتابعة

(ذكر غارة الفرنج على بلد حوران وغارة المسلمين على بلد الفرنج)

فى هذه السنة فى ربيع الاول اجتمعت الفرنج وساروا الى بلد حوران من اعمال دمشق للغارة عليه وبلغ الخبر الى نور الدين وكان قد برز ونزل هو وعسكره بالكسوة فسار اليهم مجدا وقدم بمجموعه عليهم فلما علموا بقربه منهم دخلوا الى السواد وهو من اعمال دمشق أيضا ولحقهم المسلمون فتخطفوا من ساقتهم ونالوا منهم وسار نور الدين فنزل فى عشترا وسير منها سرية الى اعمال طبرية فشنوا الغارات عليها فنهبوا وسبوا واحرقوا وخربوا فسمع الفرنج ذلك فرحلوا اليهم ليمنعوا عن بلادهم فلما وصلوا كان قد فرغ المسلمون من نهبهم وغنيمتهم وعادوا وعبروا النهر وادركهم الفرنج فوقف مقابلهم شجعان المسلمين وحماتهم فقاتلوهم فاشتد القتال وصبر الفريقان الفرنج يرومون أن يلحقوا الغنيمة فيردوها والمسلمون يريدون ان يمنعوهم عنها ليمضوا بها من قد سار معها فلما طال القتال بينهم وأبعدت الغنيمة وسلمت مع المسلمين عاد الفرنج ولم يقدروا أن يستردوا منها شيئا

(ذكر مسير شمس الدولة الى بلد النوبة)

فى هذه السنة فى جمادى الاولى سار شمس الدولة توران شاه بن أيوب أخو صلاح الدين الاكبر من مصر الى بلد النوبة فوصل الى أول بلادهم ليتغلب عليه ويملكه وكان سبب ذلك ان صلاح الدين واهله كانوا يعلمون ان نور الدين كان على عزم الدخول الى مصر فاستقر الراى بينهم أنهم يتملكون اما بلاد النوبة أو بلاد اليمن حتى اذا وصل اليهم نور الدين لقوه وصدوه عن البلاد فان قووا على منعه أقاموا بمصر وان عجزوا عن منعه ركبوا البحر ولحقوا بالبلاد التى قد افتتحوها فجهز شمس الدولة وسار الى اسوان ومنها الى بلد النوبة فنازل قلعة اسمها ابريم فحصرها وقاتله اهلها فلم يكن لهم بقتال العسكر الاسلامى قوة لانهم ليس لهم جنة تقيهم السهام وغيرها من آلة الحرب فسلموها فملكها واقام بها ولم ير للبلاد دخلا يرغب فيه ويحتمل المشقة لاجله وقوتهم الذرة فلما راى عدم الحاصل وقشف العيش مع مباشرة الحروب ومعاناة التعب والمشقة تركها وعاد الى مصر بما غنم وكان عامة غنيمتهم العبيد والجوارى

(ذكر ظفر مليح بن ليون بالروم)

فى هذه السنة فى جمادى الاولى هزم مليح بن ليون الارمنى صاحب بلاد الدروب المجاورة

الخطيب الان يقول اركعوا واسجدوا واعبدوا وشيخ السادات ولما قدمت الفرنساوية الى الديار المصرية فى اوائل سنة ثلاث عشرة ومائتين والف لم يتعرضوا له فى شئ وراعوا جانبه وافرجوا عن تعلقاته وقبلوا شفاعاته وترددوا اليه كبيرهم واعاظمهم وعمل لهم ولائم وكنت اصاحبه فى الذهاب الى مساكنهم والتفرج على صنائعهم ونقوشهم وتصاويرهم وغرائبهم الى ان حضر ركب العثمانيين فى سنة خمسة عشرة وحصلت بينهم المصالحة على انتقال الفرنساوية من ارض مصر ورجوعهم الى بلادهم على شروط اشترطوها بينهم وبين وزير الدولة العثمانية (ومنها) حسابات تدفع اليهم واخرى تخصم عليهم وظن المترجم وخلافه اتمام الامر والارتحال لامحالة فعند ذلك لحقه الطمع فذكر مصلحة دفعها الكاتب جيشهم فى نظير الافراج عن تعلقاته وأرسل يطلبها من بوسليك مدبر الجمهور وكذلك ما قبضه ترجمانه فقال هذه عوائد لابد منها ودخلت فى حساب الجمهور وتغير خاطرهم منه وكانت منه هفوة ترتب عليها بينهم وبينه الجفوة ولما انتقض الصلح وحصلت المفاقمة ووقعت المحاربة فى داخل المدينة وترست العساكر الاسلامية واهل البلد فى النواحى والجهات وانقطع الجالب عن اهل البلد مدة ستة وثلاثين يوما التزم اغنياء الناس واصحاب المظاهر

لحلب عسكر الروم من القسطنطينية وسبب ذلك ان نور الدين كان قد استخدم مليحا
المذكور واقطعه اقطاعا سنيا وكان ملازم الخدمة لنور الدين ومشاهد الحروبه مع الفرنج
ومباشرها وكان هذا من جيد الراى وصائبه فان نور الدين لما قيل له فى معنى
استخدامه واعطائه الاقطاع فى بلاد الشام قال استعين به على قتال اهل ملته واريح
طائفة من عسكرى تكون بازائه لتمنعه من الغارة على البلاد المجاورة له وكان مليح ايضا
يتقوى بنور الدين على من يجاوره من الارمن والروم وكانت مدينة اذنة والمصيصة
وطرسوس بيد ملك الروم صاحب القسطنطينية فاخذها مليح منهم لانها تجاور بلاده
فسير اليه ملك الروم جيشا كثيفا وجعل عليهم بعض اعيان البطارقة من اقاربه فلقيهم
مليح ومعه طائفة من عسكر نور الدين فقاتلهم وصدقهم القتال وصابرهم فانهزمت
الروم وكثر فيهم القتل والاسر وقويت شوكة مليح وانقطع امل الروم من تلك البلاد
وارسل مليح الى نور الدين كثيرا من غنائمهم ومن الاسرى ثلاثين رجلا من مشهوريهم
واعيانهم فسير نور الدين بعض ذلك الى الخليفة المستضئ بامر الله وكتب يعتد بهذا
الفتح لان بعض جنده فعلوه

(ذكر وفاة ايلدكز)

فى هذه السنة توفى اتابك شمس الدين ايلدكز بهمذان وملك بعده ابنه محمد البهلوان
ولم يختلف عليه احد وكان ايلدكز هذا مملوكا للكمال السميرمى وزير السلطان محمود فلما
قتل الكمال كما ذكرناه سار ايلدكز الى السلطان محمود فلما ولى السلطان مسعود
السلطنة ولاه ارانية فمضى اليها ولم يعد يحضر عند السلطان مسعود ولا غيره ثم ملك اكثر
اذربيجان وبلاد الجبل وهمذان وغيرها واصفهان والرى وما والاهما من البلاد
وخطب بالسلطنة لابن امرأته ارسلانشاه بن طغرل وكان عسكره خمسين الف فارس
سوى الاتباع واتسع ملكه من باب تفليس الى مكران ولم يكن للسلطان ارسلان معه
حكم انما كان له جراية تصل اليه وبلغ من تحكمه عليه انه شرب ليلة فوهب ما فى
خزانته وكان كثيرا فلما سمع ايلدكز بذلك استعاده جميعا وقال له متى اخرجت المال
فى غير وجهه اخذته ايضا من غير وجهه وظلمت الرعية وكان ايلدكز عاقلا حسن السيرة
يجلس بنفسه للرعية ويسمع شكاويهم وينصف بعضهم من بعض

(ذكر وصول الترك الى افريقية وملكهم طرابلس وغيرها)

فى هذه السنة سار طائفة من الترك من ديار مصر مع قراقوش مملوك تقى الدين عمر بن
اخى صلاح الدين يوسف بن ايوب الى جبال نفوسة واجتمع به مسعود بن زمام المعروف
بمسعود البلاط وهو من اعيان الامراء هناك وكان خارجا عن طاعة عبد المؤمن فاتفقا
وكثر جمعهما ونزلا على طرابلس الغرب فحاصراها وضيقا على اهلها ثم فتحت فاستولى
عليها قراقوش واسكن اهله قصرها وملك كثيرا من بلاد افريقية ما خلا المهدية
وسفاقس وقفصة وتونس وما والاها من القرى والمواضع وصار مع قراقوش عسكر

الاطعام والانفاق على الجهاد بين والمقاتلين فى جهتهم ونواحيهم والتزم المترجم كفيره الانفاق على
من حوله فلما انقضت ايام
المحاربة وانتصر الفرنساوية
ورجع الوزير ومن معه الى
جهة الشام منهزمين فعند
ذلك انتقم الفرنساوية من
المبارزين لهم باخذ المال
بدلا عن الارواح وقبضوا
على المترجم وحبسوه واهانوه
اياما وفرضوا عليه قدرا عظيما
من المال قام بدفعه كما ذكرنا
ذلك مفصلا فى محله وقيل
ان الذى زاد الفرنساوية
اغراء به مراد بك حين اصطلح
معهم وعمل لهم ضيافة ببر
الجيزة وسببه انه لما دهمت
الفرنساوية وطلعوا
الاسكندرية ووصل الخبر
الى مصر اجتمع الامراء
بالمساطب وطلبوا المشايخ
ليشاوروا فى هذا الحادث
فتكلم المترجم وخاطبهم
بالتوبيخ وقال كل هذا سوء
فعالكم وظلمكم وآخر امرنا
معكم ملكتمونا للافرنج
وشافه مراد بك وخصوصا
بافعالك وتعديك انت
وامرائك على متاجرهم واخذ
بضائعهم واهانتهم فحقدها
عليه وكتمها فى نفسه حتى
اصطلح مع الفرنساوية والقى
اليهم ما القاه ففعلوا به ما ذكر
وذلك فى ثانى يوم الضيافة
فلما رجع العثمانية فى
السنة الثانية الى مصر بمعونة
الانكليز وصاروا بالقرب من المدينة حبسوا المترجم مع من حبس بالقلعة من ارباب المظاهر خوفا من احداثهم كثير

كثير فحكم على تلك البلاد بمساعدة العرب بما جبلت عليه من التخريب والنهب والافساد بقطع الاشجار والثمار وغير ذلك فجمع بها اموالا عظيمة وجعلها بمدينة قابس وقويت نفسه وحدثته بالاستيلاء على جميع افريقية لبعد ابى يعقوب بن عبد المؤمن صاحبها عنها وكان ما سنذكره ان شاء الله

❊(ذكر غزو ابن عبد المؤمن الفرنج بالاندلس)❊

فى هذه السنة جمع أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن عساكره وسار من اشبيلية الى الغزو فقصد بلاد الفرنج ونزل على مدينة رندى وهى بالقرب من طليلة شرقا منها وحصرها واجتمعت الفرنج على ابن الفنش ملك طليطلة فى جمع كثير فلم يقدموا على لقاء المسلمين فاتفق ان الغلاء اشتد على المسلمين وعدمت الاقوات عندهم وهم فى جمع كثير فاضطروا الى مفارقة بلاد الفرنج فعادوا الى اشبيلية وأقام يعقوب بها الى سنة احدى وسبعين وخمسمائة وهو على ذلك يجهز العساكر ويسيرها الى غزو بلاد الفرنج فى كل وقت فكان له فيها عدة وقائع وغزوات ظهر فيها العرب من الشجاعة ما لا يوصف وصار الفارس من العرب يبرز بين الصفين ويطلب مبارزة الفارس المشهور من الفرنج فلا يبرز اليه أحد ثم عاد أبو يعقوب الى مراكش

❊(ذكر نهب نهاوند)❊

فى هذه السنة نهب عسكر شملة نهاوند وسبب ذلك ان شملة كان أيام ايلدكز لا يزال يطلب منه نهاوند لكونها مجاورة بلاده ويبذل فيها الاموال فلا يجيبه الى ذلك فلما مات ايلدكز وملك بعده ولده محمد البهلوان وسار الى اذربيجان لاصلاحها انفذ شملة ابن اخيه ابن شنكا لاخذ نهاوند وبلغ أهل البلد الخبر فتحصنوا وحصرهم وقاتلوه وأفحشوا فى سبه فلما علم انه لا طاقة له بهم رجع الى تستر وهى قريبة منها وارسل أهل نهاوند الى البهلوان يطلبون منه نجدة فتأخرت عنهم فلما اطمأنوا خرج ابن شنكا من تستر فى خمسمائة فارس وسار يوما وليلة فقطع أربعين فرسخا حتى وصل الى نهاوند وضرب البوق وأظهر انه من أصحاب البهلوان لانه جاءهم من ناحيته ففتح أهل البلد له الابواب فدخله فلما توسط قبض على القاضى والرؤساء وصلبهم ونهب البلد وقطع أنف الوالى وأطلقه وتوجه نحو ماسبذان قاصدا للعراق

❊(ذكر قصد نور الدين بلاد قلج ارسلان)❊

فى هذه السنة سار نور الدين محمود بن زنكى الى مملكة عز الدين قلج ارسلان بن مسعود بن قلج ارسلان وهى ملطية وسيواس واقصرا وغيرها ملازما على حربه وأخذ بلاده منه وكان سبب ذلك ان ذا النون بن دانشمند صاحب ملطية وسيواس قصده قلج ارسلان وأخذ بلاده وأخرجه عنها طريدا فريدا فسار الى نور الدين مستجيرا به وملتجئا اليه فاكرم نزله وأحسن اليه وحمل له ما يليق أن يحمل الى الملوك ووعده النصرة والسعى فى رد ملكه اليه ثم انه أرسل الى قلج ارسلان يتشفع فى اعادة ملكه فلم يجبه الى ذلك فسار

فتنة بالبلدة ومات ولده الذى كان سماه محمد انور الله وهو معوق وعمره ٧٥ ١ فاذنوا له فى حضوره جنازة ولده فنزل وصحبته شخص حربى منهم فلازمه حتى واراه وعاد به ذلك الحربى الى القلعة وكان هذا الولد مراهقا له من العمر اثنتا عشرة سنة كان فى أمله ان يكون هو الخليفة فى بيتهم من بعده ويأبى الله الا ما يريد ولما انفصل الامر وارتحل الفرنساوية من ارض مصر ودخل اليها يوسف باشا الوزير ومن معه تقدم المترجم يشكو اليه حاله وما اصابه وادعى الفقر والاملاق مع ان الفرنساوية لم يحجزوا عنه شيئا من تعلقاته وايراده وجعل شكواه وما حصل له سلما للافراج عن جميع تعلقاته وايراده من غير حلوان كغيره من الناس وزاد على ذلك اشياء ومطالب ومسامحات ودعا الوزير الى داره وافراد رجال الدولة الذين بيدهم مقاليد الامور وعاد الى حالته فى التعاظم والكبرياء وارتحل الوزير بعد استقرار محمد باشا خسرو على ولاية مصر وكان معوجا وكذلك شريف افندى الدفتردار فرح فى غفلتهما واستكثر من التحصيل والايراد الى ان تقلبت الاحوال وعادت للمصريين فى سنة ثمان عشرة ثم خروجهم وما وقع من الحوادث التى تقدم ذكرها واستقر محمد على باشا وثبتت قدمه بمعونة العامة والسيد عمر مكرم بمملكة مصر وشرع فى تمهيد مقاصده فكان السيد عمر

بمانعه فدبر على اخراجه من مصر وجمع المشايخ واحضر المترجم وخلع عليه وقلده النقابة واخرج السيد عمر
من مصر منفيا الى دمياط
وذلك فى سنة اربع وعشرين
كما تقدم ووافق فعله ذلك غرض
المترجم بل ربما كان بمعونته
لحقده الباطنى على السيد
عمر وتشوفه الى النقابة
وادعائه انها كانت بيتهم
لكون الشيخ ابى هادى
تولاها اياما ثم تولاها بعده ابو
الامداد ثم نزل عنها لمحمد افندى
البكرى الكبير فلم يزل فى نفس
المترجم التطلع لنقابة الاشراف
ويصرح بقوله انها من
وظائفنا القديمة واحضر بها
مرسوما من دار السلطنة
واخفاه ولم يظهره مدة حياة
محمد افندى البكرى الكبير
فلما مات وتقلدها ولده محمد
افندى ادعاها واظهر المرسوم
وشاع خبر ذلك فاجتمع الجم
الغفير من الاشراف بالمشهد
الحسينى ممانعين وقائلين
لانرضاه نقيبا ولاحاكما علينا
فلم يتم له مراده فلما توفى محمد
افندى الصغير ظن انه لم يبق
له فيها منازع فلا يشعر الا وقد
تقلدها السيد عمر بمعونة
مراد بك وابراهيم بك لصحبته
معهما ومرافقته لهما فى
الغربة حين كان المصريون
بالصعيد فسكت على ضغن
وغيظ يخفيه تارة ويظهره
اخرى وخصوصا وهو يرى
ان السيد عمر فى ذلك دون ذلك بكثير فلما خرج الفرنساوية ودخل الوزير الى مصر وصحبته السيد عمر متقلدا

ومات

نور الدين اليه فابتدا بكيسون وبهنسى ومرعش ومرزبان فملكها وما بينها وكان ملكه
لمرعش أوائل ذى القعدة والباقى بعدها فلما ملكها سير طائفة من عسكره الى سيواس
فملكوها وكان قلج ارسلان لما سار نور الدين الى بلاده قد سار من طرفها التى تلى الشام
الى وسطها وراسل نور الدين يستعطفه ويسأله الصلح فتوقف نور الدين عن قصده رجاء
ان ينصلح الامر بغير حرب فاتاه عن الفرنج ما ازعجه فاجابه الى الصلح وشرط عليه ان
ينجده بعساكر الى الغزاة وقال له أنت مجاور الروم ولا تغزوهم وبيدك قطعة كبيرة من
بلاد الاسلام ولابد من الغزاة معى فاجابه الى ذلك وتبقى سيواس على حالها بيد نواب
نور الدين وهى لذى النون فبقى العسكر فى خدمة ذى النون الى ان مات نور الدين فلما
مات رحل عسكره عنها وعاد قلج ارسلان وملكها وهى بيد أولاده الى الآن سنة نيف
وعشرين وستمائة ولما كان نور الدين فى هذه السفرة جاءه رسول كمال الدين أبى الفضل
محمد بن عبد الله بن الشهرزورى من بغداد ومعه منشور من الخليفة بالموصل والجزيرة
وباربل وخلاط والشام وبلاد قلج ارسلان وديار مصر

(ذكر رحيل صلاح الدين من مصر الى الكرك وعوده عنها)

فى هذه السنة فى شوال رحل صلاح الدين يوسف بن أيوب من مصر بعساكرها جميعها
الى بلاد الفرنج يريد حصر الكرك والاجتماع مع نور الدين عليه والاتفاق على قصد
بلاد الفرنج من جهتين كل واحد منهما فى جهة بعسكره وسبب ذلك ان نور الدين لما أنكر
على صلاح الدين عوده من بلاد الفرنج فى العام الماضى وأراد نور الدين قصد مصر
واخذها منه أرسل يعتذر وبعد من نفسه بالحركة على ما يقرره نور الدين فاستقرت
القاعدة بينهما ان صلاح الدين يخرج من مصر ويسير نور الدين من دمشق فايهما سبق
صاحبه يقيم الى أن يصل الآخر اليه وتواعدا على يوم معلوم يكون وصولهما فيه فسار
صلاح الدين عن مصر لان طريقه أبعد وأشق ووصل الى الكرك وحصره وأما نور الدين
فانه لما وصل اليه كتاب صلاح الدين برحيله من مصر فرق الاموال وحصل الازواد
وما يحتاج اليه وسار الى الكرك فوصل الى الرقيم وبينه وبين الكرك مرحلتان فلما
سمع صلاح الدين بقربه خافه هو وجميع أهله واتفق رأيهم على العود الى مصر وترك
الاجتماع بنور الدين لانهم علموا انه ان اجتمعا كان عزله على نور الدين سهلا فلما عاد
أرسل الفقيه عيسى الى نور الدين يعتذر عن رحيله بانه كان قد استخلف أباه نجم الدين
أيوب على ديار مصر وانه مريض شديد المرض ويخاف أن يحدث حادث الموت فتخرج
البلاد عن أيديهم وأرسل معه من التحف والهدايا ما يجل عن الوصف فجاء الرسول الى
نور الدين وأعلمه ذلك فعظم عليه وعلم المراد من العود الا انه لم يظهر للرسول تأثرا بل قال
له حفظ مصر أهم عندنا من غيرها وسار صلاح الدين الى مصر فوجد أباه قد قضى نحبه
ولحق بربه وكلمة تقول لقائلها دعنى وكان سبب موت نجم الدين انه ركب يوما فرسا
بمصر فنفر به الفرس نفرة كبيرة شديدة فسقط عنه فحمل الى قصره وقيذا وبقى أياما

وفات في السابع والعشرين من ذي الحجة وكان خيراً عاقلاً حسن السيرة كريماً جواداً كثير الاحسان الى الفقراء والصوفية والمجالسة لهم وقد تقدم من ذكره وابتداء أمره وأمر اخيه شيركوه ما لا حاجة الى اعادته

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة زادت دجلة زيادة كثيرة أشرفت بها بغداد على الغرق في شعبان وسدوا أبواب الدروب ووصل الماء الى قبة أحمد بن حنبل ووصل الى النظامية ورباط شيخ الشيوخ واشتغل الناس بالعمل في القورج ثم نقص وكفي الناس شره وفيها وقعت النار ببغداد من درب بهروز الى باب جامع القصر ومن الجانب الآخر من بحر النحاس الى دار أم الخليفة وفيها أغار بنو حزن من خفاجة على سواد العراق وسبب ذلك ان الحماية كانت لهم لسواد العراق فلما تمكن يزدن من البلاد وتسلم الحلة أخذها منهم وجعلها لبني كعب من خفاجة وأغار بنو حزن على السواد فسار يزدن في عسكر ومعه الغضبان الخفاجي وهو من بني كعب لقتال بني حزن فبينما هم سائرون ليلا رمى بعض الجند الغضبان بسهم فقتله لفساده وكان في السواد فلما قتل عاد العسكر الى بغداد وأعيدت خفارة السواد الى بني حزن وفيها خرج ترجم الايوائي في جمع من التركمان في حياة ايلدكز وتطرق اعمال همذان ونهب الدينور واستباح الحريم وسمع ايلدكز الخبر وهو بنقجوان فسار مجداً فعلم ترجم من عسكره فقصده فهرب ترجم الى ان قارب بغداد وتبعه ايلدكز فظن الخليفة انها حيلة ليصل الى بغداد فجأة فشرع في جمع العساكر وعمل السور فارسل الى ايلدكز الخلع والالقاب الكبيرة فاعتذر انه لم يقصد الا كف ترجم وفيها مات الامير يزدن وهو من اكابر أمراء بغداد وكان يتشيع فوقع بسببه فتنة بين السنية والشيعة بواسط لان الشيعة جلسوا له للعزاء وأظهر السنية الشماتة به فآل الامر الى القتال فقتل بينهم جماعة ولما مات اقطع اخوه تنامش ما كان لاخيه وهي مدينة واسط ولقب علاء الدين وفيها ارسل نور الدين محمود بن زنكي رسولا الى الخليفة وكان الرسول القاضي كمال الدين ابا الفضل محمد بن عبد الله الشهرزوري قاضي بلاده جميعها مع الوقوف والديوان وحمله رسالة مضمونها الخدمة للديوان وما هو عليه من جهاد الكفار وفتح بلادهم ويطلب تقليداً بما بيده من البلاد مصر والشام والجزيرة والموصل وبما في طاعته كديار بكر وما يجاور ذلك كخلاط وبلاد قلج ارسلان وان يعطى من الاقطاع بسواد العراق ما كان لابيه زنكي وهو صريفين ودرب هرون والتمس ارضاً على شاطئ دجلة يبني بها مدرسة للشافعية ويوقف عليها صريفين ودرب هرون فاكرم كمال الدين اكراماً لم يكرمه رسول قبله واجيب الى ما التمسه فمات نور الدين قبل الشروع في بناء المدرسة رحمه الله

(ثم دخلت سنة تسع وستين وخمسمائة)

(ذكر ملك شمس الدولة زبيد وغيرها من بلاد اليمن)

علي باشا وصار بيده الحل والعقد والامر والنهي والمرجع في الامور الكلية والجزئية والمترجم يحقد عليه في الباطن ويظهر له خلافه وهو الآخر كذلك كقول الشاعر

أصادقه كرهاً ويظهر انه
صديقي كرهاً والعداوة تشتد
واست معتذر له بصداقة
كأنه مني بها ليس يعتد
وذلك لا في عالم وهو عالم
فعلى منه أتى مثله ضد
ولكنني اخشاه وهو يخافني
ففي بيد وبيننا البغض والود

فلما اخرج الباشا السيد عمر وتقلد المترجم النقابة وبلغ مأموله عند ذلك أظهر الكامن في نفسه وصرح بالمكروه في حق السيد عمر ومن ينتمي اليه او يواليه وسطر فيه عرضاً محضراً الى الدولة نسب اليه فيه انواعاً من الموبقات التي منها انه ادخل جماعة من الاقباط في دفتر الاشراف وقطع اناساً من الشرفاء المستحقين وصرف راتبهم للاقباط المدخلين ومنها انه تسبب في خراب الاقليم واثارة الفتن وموالاة البغاة المصريين وتطميعهم في المملكة حتى انه وعدهم بالهجوم على البلدة يوم قطع الخليج في غفلة الباشا والناس والعسكر وانه هو الذى اغرى المصريين على قتل على باشا برغل

قد ذكرنا قبل ان صلاح الدين يوسف بن ايوب صاحب مصر واهله كانوا يخافون من نور الدين محمود أن يدخل الى مصر فياخذها منهم فشرعوا في تحصيل مملكة يقصدونها ويتملكونها تكون عدة لهم ان اخرجهم نور الدين من مصر ساروا اليها واقاموا بها فسيروا شمس الدولة تورانشاه بن أيوب وهو اخو صلاح الدين الاكبر الى بلد النوبة فكان ماذكرناه فلما عاد الى مصر استأذنوا نور الدين في ان يسير الى اليمن لقصد عبد النبي صاحب زبيد لاجل قطع الخطبة العباسية فاذن في ذلك وكان بمصر شاعر اسمه عمارة من اهل اليمن فكان يحسن لشمس الدولة قصد اليمن ويصف البلاد له ويعظم ذلك في عينه فزاده قوله رغبة فيها فشرع يتجهز ويعد الازواد والروايا والسلاح وغيره من الآلات وجند الاجناد فجمع وحشد وسار عن مصر مستهل رجب فوصل الى مكة اعزها الله تعالى ومنها الى زبيد وفيها صاحبها المتغلب عليها المعروف بعبد النبي فلما قرب منها رآه اهلها فاستقل من معه فقال لهم عبد النبي كانكم بهؤلاء وقد حمي عليهم الحر فهلكوا الا اكلة رأس فخرج اليهم بعسكره فقاتلهم شمس الدولة ومن معه فلم يثبت اهل زبيد وانهزموا ووصل المصريون الى سور زبيد فلم يجدوا عليه من يمنعهم فنصبوا السلالم وصعدوا السور فملكوا البلد عنوة ونهبوه واكثروا النهب واخذوا عبد النبي اسيرا وزوجته المدعوة بالحرة وكانت امراة صالحة كثيرة الصدقة لاسيما اذا حجت فان فقراء الحاج كانوا يجدون عندها صدقة دارة وخيرا كثيرا ومعروفا عظيما فلما اسر شمس الدولة عبد النبي وسلم شمس الدولة عبد النبي الى بعض امرائه يقال له سيف الدولة مبارك بن كامل من بني منقذ اصحاب شيزر وامره ان يستخرج منه الاموال فاعطاه منها شيئا كثيرا ثم انه دلهم على قبر كان قد صنعه لوالده وبنى عليه بنية عظيمة وله هناك دفائن كثيرة فاعلمهم بها فاستخرجت الاموال من هناك وكانت جليلة المقدار واما الحرة فانها ايضا كانت تدلهم على ودائع لها فاخذ منها مالا كثيرا ولما ملكوا زبيد واستقر الامر لهم بها ودانت اهلها واقيمت فيها الخطبة العباسية اصلحوا احوالها وساروا الى عدن وهي على البحر ولها مرسى عظيم وهي فرضة الهند والزنج والحبشة وعمان وكرمان وكيش وفارس وغير ذلك وهي من جهة البر من امنع البلاد واحصنها وصاحبها انسان اسمه ياسر فلو اقام بها ولم يخرج عنها لعادوا خائبين وانما حمله جهله وانقضاء مدته على الخروج اليهم ومباشرة قتالهم فساروا اليهم وقاتلهم فانهزم ياسر ومن معه وسبقهم بعض عسكر شمس الدولة فدخلوا البلد قبل اهله فملكوه واخذوا صاحبها ياسرا اسيرا وارادوا نهب البلد فمنعهم شمس الدولة وقال ما جئنا لنخرب البلاد وانما جئنا لنملكها ونعمرها وننتفع بدخلها فلم ينهب احد منها شيئا فبقيت على حالها وثبت ملكه واستقر امره ولما مضى الى عدن كان معه عبد النبي صاحب زبيد ماسورا فلما دخل الى عدن قال سبحان الله كنت قد علمت اني ادخل الى عدن في موكب كبير فانا انتظر ذلك واسر به ولم اكن اعلم انني ادخلها على هذا الحال ولما فرغ شمس الدولة من أمر عدن عاد الى زبيد وحصر ما في الجبل من

الحصون

الطرابلسي حين قدم واليا على مصر وهو الذي كاتب الانكليز وطمعهم في البلاد مع الالفي حين حضر والى اسكندرية وملكوها ونصر الله عليهم العساكر الاسلامية وغير ذلك من عبارات عكس القضية وتنميق الاغراض النفسانية وكتب الاشياخ عليه خطوطهم وطبعوا فحتها ختومهم ما عدا الطحطاوي الحنفي فانه تنحى عن الشرور وامتنع من شهادة الزور فاوسعوه سخطا ومقتا وعزلوه من الافتا وقد تقدم خبر ذلك في حوادث سنة اربع وعشرين وانما المعنى باعادة ذلك هنا تتمة الترجمة المشار اليه وحذرا من نقصها مع النسيان لا كثر جلها فلو سلمت الفكرة من النسيان لفاقت سيرته كان وكان وفي سنة ست وعشرين انشا دارا عظيمة بجانب المنزل وصرف جملا من المال وانشا بها مجالس وقاعات ورواشن ومنافع ومرافق وفساقي وانشا فيها بستانا غرس فيه انواع الاشجار المثمرة وادخل به ما حازه من دور الامراء المتخربة وكان السيد خليل البكري اشترى دارا بدرب القرن وذلك بعد خروج الفرنساوية وتحول امره وعزله من مشيخة البكرية والنقابة وانشا بها بستانا انيقا وانشا قصرا برسم ولده مطلا على البستان فلما توفي السيد خليل تعدى على ولده سيدي احمد وقهره واخذ منه ذلك البستان بابخس الاثمان وخلطه ببستان الدار

الجديدة وبنى سوره واحاطه واقام حائطا بينه وبين دار المذكور وطمسها واعماها وسدت الحائط شبابيك ذلك القصر واظلمته ولم يزل كلما طال عمره زاد كبره وقل بره وتعدى شره ولما ضعفت قواه تقاعد عن القيام لاعاظم الناس اذا دخل عليه محتجا بالاعياء والضعف ولازم استعمال المنعشات والمركبات المفرحة ولا يصلح العطار ما أفسد الدهر (وفى شهر شوّال) من السنة التى توفى فيها احضر ابن اخيه سيدى احمد الذى تولى المشيخة بعده والبسه خلعة وتاجا وجعله وكيلا عنه فى نقابة الاشراف واركبه فرسا بعباءة وارسله الى الباشا صحبة سيدى محمد المعروف بابى دفية وامامه جاويشية النقابة على العادة فلما دخلا الى الباشا وعرفه المرسول بان عمه اقامه وكيلا عنه فقال مبارك فاشار اليه ان يلبسه خلعة فقال ان موكله البسه ولم يتقلدها بالاصالة ولو كنت قلدته انا كنت اخلع عليه والبسه فقام ونزل الى داره التى اسكنه بها عمه وهى الدار التى عند المشهد الحسينى وحضر اليه الناس للسلام والتهنئة وفى هذه السنة ايضا عن للمترجم ان يزيد فى المسجد الحسينى زيادة مضافة لزيادته الاولى التى كان زادها فى سنة ست ومائتين والف فهدم الحائط التى كان بناها الجنفوية وادخل القطعة التى كان عمل بها الميضاة و زاد بائكة أخرى وصف بها اواميد وصارت

الحصون فملك قلعة تعز وهى من احصن القلاع و بها تكون خزائن صاحب زبيد وملك ايضا قلعة التعكر والجند وغيرهما من المعاقل والحصون واستناب بعدن عزالدين عثمان بن الزنجبيلى وبزبيد سيف الدولة مبارك بن منقذ وجعل فى كل قلعة نائبا من اصحابه والقى ملكهم باليمن جرانه ودام واحسن شمس الدولة الى اهل البلاد واستصفى طاعتهم بالعدل والاحسان وعادت زبيد الى احسن احوالها من العمارة والامن بعد خرابها

(ذكر قتل جماعة من المصريين ارادوا الوثوب بصلاح الدين)

فى هذه السنة ثانى رمضان صلب صلاح الدين يوسف بن ايوب جماعة ممن اراد الوثوب به بمصر من أصحاب الخلفاء العلويين وسبب ذلك ان جماعة من الشيعة منهم عمارة بن ابى الحسن اليمنى الشاعر وعبد الصمد الكاتب والقاضى العويرس وداعى الدعاة وغيرهم من جند المصريين ورجالتهم السودان وحاشية القصر ووافقهم جماعة من أمراء صلاح الدين وجنده واتفق رأيهم على استدعاء الفرنج من صقلية ومن ساحل الشام الى ديار مصر على شئ بذلوه لهم من المال والبلاد فاذا قصدوا البلاد فان خرج صلاح الدين بنفسه اليهم ثاروا هم فى القاهرة ومصر واعادوا الدولة العلوية وعاد من معه من العسكر الذين وافقوهم عنه فلا يبقى له مقام مقابل الفرنج وان كان صلاح الدين يقيم ويرسل العساكر اليهم ثاروا به واخذوه اخذا باليد لعدم الناصر له وقال لهم عمارة وانا قد ابعدت أخاه الى اليمن خوفا ان يسد مسده وتجتمع الكلمة عليه بعده وارسلوا الى الفرنج وصقلية والساحل فى ذلك وتقررت القاعدة بينهم ولم يبق الا رحيل الفرنج وكان من لطف الله بالمسلمين ان الجماعة المصريين ادخلوا معهم زين الدين على بن نجا الواعظ والقاضى المعروف بابن نجية ورتبوا الخليفة والوزير والحاجب والداعى والقضاة الا ان بنى رزيك قالوا يكون الوزير منا و بنى شاور قالوا يكون الوزير منا فلما علم ابن نجا الحال حضر عند صلاح الدين واعلمه حقيقة الامر فامره بملازمتهم ومخالطتهم ومواطاتهم على ما يريدون يفعلونه وتعريفه ما يتجدد اولا باول ففعل ذلك وصار يطالعه بكل ما عزموا عليه ثم وصل رسول من ملك الفرنج بالساحل بهدية ورسالة وهو فى الظاهر اليه والباطن الى اولئك الجماعة وكان يرسل اليهم بعض النصارى وتاتيه رسلهم فاتى الخبر الى صلاح الدين من بلاد الفرنج بجلية الحال فوضع صلاح الدين على الرسول بعض من يثق اليه من النصارى وداخله فاخبره الرسول بالخبر على حقيقته فقبض حينئذ على المقدمين فى هذه الحادثة منهم عمارة وعبد الصمد الكاتب والعويرس وغيرهم وصلبهم وقيل فى كشف امرهم ان عبد الصمد المذكور كان اذا لقى القاضى الفاضل الصلاحى يخدمه ويتقرب اليه بجهده وطاقته فلقيه يوما فلم يلتفت اليه فقال القاضى الفاضل ما هذا الا لسبب وخاف أن يكون قد صار له باطن مع صلاح الدين فاحضر على بن نجا الواعظ واخبره الحال وقال أريد تكشف لى

الامر فهي في كشفه فلم يره من جانب صلاح الدين شيئا فعدل الى الجانب الآخر فكشف الحال وحضر عند القاضي الفاضل واعلمه فقال تحضر الساعة عند صلاح الدين وتنهي الحال اليه فحضر عند صلاح الدين وهو في الجامع فذكر له الحال فقام واخذ الجماعة وقررهم فاقروا فامر بصلبهم وكان عمارة بينه وبين الفاضل عداوة من أيام العاضد وقبلها فلما أراد صلبه قام القاضي الفاضل وخاطب صلاح الدين في اطلاقه فظن عمارة انه يحرض على هلاكه فقال لصلاح الدين يامولانا لا تسمع منه في حقي فغضب الفاضل وخرج وقال صلاح الدين لعمارة انه كان يشفع فيك فندم ثم اخرج عمارة ليصلب فطلب ان يمر به على مجلس الفاضل فاجتازوا به عليه فاغلق بابه ولم يجتمع به فقال عمارة

عبد الرحيم قد احتجب * ان الخلاص هو العجب

ثم صلب هو والجماعة ونودي في أجناد المصريين بالرحيل من ديار مصر ومفارقتها الى أقاصي الصعيد واحتيط على من بالقصر من سلالة العاضد وغيره من أهله وأما الذين نافقوا على صلاح الدين من جنده فلم يعرض لهم ولا أعلمهم انه علم بحالهم وأما الفرنج فان فرنج صقلية قصدوا الاسكندرية على مانذكره ان شاء الله تعالى لانهم لم يتصل بهم ظهور الخبر عند صلاح الدين واما فرنج الساحل الشامي فانهم لم يتحركوا لعلمهم بحقيقة الحال وكان عمارة شاعرا مفلقا فمن شعره

لو ان قلبي يوم كاظمة معي * لملكته وكظمت فيض الادمع
قلب كفاك من الصبابة انه * لبى نداء الظاعنين وما دعي
ما القلب أول غادر فالومه * هي شيمة الايام مذ خلقت معي
ومن الظنون الفاسدات توهمي * بعد اليقين بقاءه في أضلعي

وله أيضا

لي في هوى الرشا العذري اعذار * لم يبق لي مذ أقر الدمع انكار
لي في القدود وفي لثم الخدود وفي * ضم النهود لبانات وأوطار
هذا اختياري فوافق ان رضيت به * او لا فدعني وما أهوى وأختار

وله ديوان شعر مشهور في غاية الحسن والرقة والملاحة

(ذكر وفاة نور الدين محمود بن زنكي رحمه الله)

في هذه السنة توفي نور الدين محمود بن زنكي بن آقسنقر صاحب الشام وديار الجزيرة ومصر يوم الاربعاء حادي عشر شوال بعلة الخوانيق ودفن بقلعة دمشق ونقل منها الى المدرسة التي انشاها بدمشق عند سوق الخواصين ومن عجيب الاتفاق انه ركب ثاني شوال والى جانبه بعض الامراء الاخيار فقال له الامير سبحان من يعلم هل نجتمع هنا في العام المقبل ام لا فقال نور الدين لا تقل هكذا بل سبحان من يعلم هل نجتمع بعد شهر ام لا فمات نور الدين رحمه الله بعد احد عشر يوما ومات الامير قبل الحول فاخذ كل منهما

مع القديمة ليوانا واحدا وشرع في بناء دار عظيمة لينزل فيها وقت مجيئه هناك في أيام المولد وغيره عوضا عن الدار التي نزل عنها لابن اخيه فتكون هذه بعيدة عن روائح الميضاة القديمة وتكون بالشارع ويمر من تحتها مواكب الاشاير ولا يحتاجون الى تعديهم المسجد ودخولهم من طريق باب القبة وجعل بالحائط الفاصل بين الزيادة والدار المستجدة شبابيك مطلة على المسجد لينظر منها المجالس والوقودات من يكون بالدار من الحريم وغيرهم فما هو الا وقد قرب اتمام ذلك الا وقد زاد به الاعياء والمرض وانقطع عن النزول من الحريم وعن الزيادة ولم يبق الا اتمام الدار فيستعجل ويشتم المشد والمهندس وينسب اليهم اهمال استحثاث العمال ويقول قد قرب المولد ولم تكمل الدار فاين نجلس أيام المولد هذا وكل يوم يزيد مرضه وتورمت قدماه وضعف عن الحركة وهو يقول ذلك ويؤمل الحياة فلما زاد به الحال وتحقق الرحيل الى مغفرة المولى الجليل اوصى لاتباعه بدراهم ولذي الفقار الذي كان كتخدا الالفي والآن في خولة بستان الباشا الذي بشبرا بخمسمائة ريال ولكون زوجته خشداشة جريه وهما من جواري اسمعيل بك الكبير وليكون معينا لها ومساعدا في مهماتها ولسيدي محمد ابي دفية مثلها في نظير خدمته وتقيده وملازمته

بما

بما قاله وكان قد شرع يتجهز للدخول الى مصر لاخذها من صلاح الدين يوسف بن أيوب فانه راى منه فتورا فى غزو الفرنج من ناحيته وكان يعلم انه انما يمنع صلاح الدين من الغزو الخوف منه ومن الاجتماع به فانه يؤثر كون الفرنج فى الطريق ليمتنع بهم على نور الدين فارسل الى الموصل وديار الجزيرة وديار بكر يطلب العساكر للغزاة وكان عزمه أن يتركها مع ابن أخيه سيف الدين غازى صاحب الموصل والشام ويسير هو بعساكره الى مصر فبينما هو يتجهز لذلك اتاه امر الله الذى لا مرد له حكى لى طبيب كان يخدم نور الدين وهو من حذاق الاطباء قال استدعانى نور الدين فى مرضه الذى توفى فيه مع غيرى من الاطباء فدخلنا اليه وهو فى بيت صغير بقلعة دمشق وقد تمكنت الخوانيق منه وقارب الهلاك فلا يكاد يسمع صوته وكان يخلو فيه للتعبد فابتدا به المرض فلم ينتقل عنه فلما دخلنا ورأينا ما به قلت له كان ينبغى ان لا تؤخرا حضارنا الى ان يشتد بك المرض الآن وينبغى ان تعجل الانتقال من هذا الموضع الى مكان فسيح مضىء فله اثر فى هذا المرض وشرعنا فى علاجه واشرنا بالفصد فقال ابن ستين لا يفتصد وامتنع منه فعالجناه بغيره فلم ينجع فيه الدواء وعظم الداء ومات رحمه الله ورضى عنه وكان اسمر طويل القامة ليس له لحية الا فى حنكه وكان واسع الجبهة حسن الصورة حلو العينين وكان قد اتسع ملكه جدا وخطب له بالحرمين الشريفين وباليمن لما دخلها شمس الدولة بن ايوب وملكها وكان مولده سنة احدى عشرة وخمسمائة وطبق ذكره الارض بحسن سيرته وعدله وقد طالعت سير الملوك المتقدمين فلم ار فيها بعد الخلفاء الراشدين وعمر بن عبد العزيز احسن من سيرته ولا اكثر تحريا منه للعدل وقد اتينا على كثير من ذلك فى كتاب الباهر من اخباره ودولتهم ولنذكر ههنا نبذة لعل يقف عليها من له حكم فيقتدى به فمن ذلك زهده وعبادته وعلمه فانه كان لا ياكل ولا يلبس ولا يتصرف الا فى الذى يخصه من ملك كان له قد اشتراه من سهمه من الغنيمة ومن الاموال المرصدة لمصالح المسلمين ولقد شكت اليه زوجته من الضائقة فاعطاها ثلاث دكاكين فى حمص كانت له يحصل له منها فى السنة نحو العشرين دينارا فلما استقلتها قال ليس لى الا هذا وجميع ما بيدى انا فيه خازن للمسلمين لا اخونهم فيه ولا اخوض نار جهنم لاجلك وكان يصلى كثيرا بالليل وله فيه اوراد حسنة وكان كما قيل

جمع الشجاعة والخشوع لربه * ما احسن المحراب فى المحراب

وكان عارفا بالفقه على مذهب ابى حنيفة ليس عنده فيه تعصب وسمع الحديث واسمعه طلبا للاجر واما عدله فانه لم يترك فى بلاده على سعتها مكسا ولا عشرا بل اطلقها جميعها فى مصر والشام والجزيرة والموصل وكان يعظم الشريعة ويقف عند احكامها واحضره انسان الى مجلس الحكم فمضى معه اليه وارسل الى القاضى كمال الدين بن الشهرزورى يقول قد جئت محاكما فاسلك معى ما تسلك مع الخصوم وظهر الحق له فوهبه الخصم الذى احضره وقال اردت ان اترك له ما يدعيه انما خفت ان يكون الباعث لى على ذلك الكبر والانفة من الحضور الى مجلس الشريعة فحضرت ثم وهبته ما يدعيه وبنى

له واوصى ان لا يغسل الا على سريره المندى الذى كان ينام عليه فى حياته ليكون مخالفا للعالم حتى فى حال الموت فلما كان يوم الاحد ثامن عشر ربيع الاول من السنة انقضى نحبه وتوفى الى رحمة الله تعالى وقت العصر وبات بالمنزل ميتا فلما اصبح يوم الاثنين غسل وكفن كما اوصى على السرير وخرجوا بجنازته من المنزل ووصلوا بها الى الازهر فصلى عليه بعد ما انشد المنشد مرثية من انشاء العلامة الشيخ حسن العطار وجعل براعة استهلالها الاشارة الى ما كان عليه المترجم من التعاظم والتفاخر فقال *

سلام على الدنيا فقد ذهب الفخر

ثم حمل الى مشهد اسلافه بالقرافة ودفن فى التربة التى اعدها لنفسه بجانب مقام جدهم وتقلد مشيخة سجادتهم فى ذلك اليوم السيد احمد ابن الشيخ يوسف وهو ابن عمه وعصبته وكنيته ابو الاقبال باجماع من الخاص والعام وجلس هو واخوه سيدى يحيى لتلقى العزاء وفى الصباح حضر الى الرباط بالخرنفش وكان بزاوية الرباط المذكور خلوة جدهم اقام بها حين حضر من الغرب الى مصر وعادتهم اذا تولى شخص منهم المشيخة لا بد ان ياتى فى الصباح ويدخل الخلوة فيجلس بها حصة لطيفة فيتبرك ويتلبس الولاية فلما كان المترجم هدم حائط تلك الخلوة زاعما انه خاتمة اوليائه وانه لم يات من يصلح للمشيخة سواه وكانه اخذه

دار العدل فى بلاده وكان يجلس هو والقاضى فيها ينصف المظلوم ولو انه يهودى من الظالم ولو انه ولده او اكبر امير عنده واما شجاعته فاليها النهاية وكان فى الحرب يأخذ قوسين وتركشين ليقاتل بها فقال له القطب النساوى الفقيه بالله عليك لا تخاطر بنفسك وبالاسلام فان اصبت فى معركة لا يبقى من المسلمين احد الا اخذه السيف فقال له نور الدين ومن محمود حتى يقال له هذا من قبلى من حفظ البلاد والاسلام ذلك الله الذى لا اله الا هو واما ما فعله من المصالح فانه بنى اسوار مدن الشام جميعها وقلاعها منها دمشق وحمص وحماة وحلب وشيزر وبعلبك وغيرها وبنى المدارس الكثيرة الحنفية والشافعية وبنى الجامع النورى بالموصل وبنى البيمارستانات والخانات فى الطرق وبنى الخانكاهات فى جميع البلاد واوقف على الجميع الوقوف الكثيرة سمعت ان حاصل وقفه كل شهر تسعة آلاف دينار صورى وكان يكرم العلماء واهل الدين ويعظمهم ويقوم اليهم ويجلسهم معه وينبسط معهم ولا يرد لهم قولا ويكاتبهم بخط يده وكان وقورا مهيبا مع تواضعه وبالجملة فحسناته كثيرة ومناقبه غزيرة لا يحتملها هذا الكتاب

(ذكر ملك ولده الملك الصالح)

لما توفى نور الدين قام ابنه الملك الصالح اسمعيل بالملك بعده وكان عمره احدى عشرة سنة وحلف له الامراء والمقدمون بدمشق واقام بها واطاعه الناس بالشام وصلاح الدين بمصر وخطب له بها وضرب السكة باسمه وتولى تربيته الامير شمس الدين محمد بن عبد الملك المعروف بابن المقدم وصار مدبر دولته فقال له كمال الدين صاحب مصر هو من اصحاب نور الدين والمصلحة ان نشاوره فى الذى نفعله ولا نخرجه من بيننا فيخرج عن طاعتنا ويجعل ذلك حجة علينا وهو اقوى منا لانه قد انفرد اليوم بملك مصر فلم يوافق هذا القول اغراضهم وخافوا ان يدخل صلاح الدين ويخرجهم فلم يمض غير قليل حتى وردت كتب صلاح الدين الى الملك الصالح يعزيه ويهنئه بالملك وارسل دنانير مصرية عليها اسمه ويعرفه ان الخطبة والطاعة له كما كانت لابيه فلما سار سيف الدين غازى صاحب الموصل وملك البلاد الجزرية على ما نذكره فارسل صلاح الدين ايضا الى الملك الصالح يعتبه حيث لم يعلمه قصد سيف الدين بلاده واخذها ليحضر فى خدمته ويكف سيف الدين وكتب الى كمال الدين والامراء يقول لو ان نور الدين يعلم ان فيكم من يقوم مقامى او يثق اليه مثل ثقته الى لسلم اليه مصر التى هى اعظم ممالكه وولاياته ولو لم يعجل عليه الموت لم يعهد الى احد بتربية ولده والقيام بخدمته غيرى واراكم قد تفردتم بمولاى وابن مولاى دونى وسوف اصل الى خدمته واجازى انعام والده بخدمة يظهر اثرها واجازى كلا منكم على سوء صنيعه فى ترك الذب عن بلاده وتمسك ابن المقدم وجماعة الامراء بالملك الصالح ولم يرسلوه الى حلب خوفا ان يغلب عليهم شمس الدين على بن الداية فانه كان اكبر الامراء النورية وانما منعه من الاتصال به

بذلك عهدا وميثاقا ولم يعلم ان ربه لم يزل خلاقا وان الولاية ليست بفعل العبد ولا بالسعى والقصد قال تعالى فى محكم آياته الله اعلم حيث يجعل رسالاته وقال سبحانه الا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون وان اولياؤه الا المتقون نسأله التوفيق والهداية والحفظ من اسباب الغواية ولما كان ذلك واحبوا اجراء العادة القديمة حضر المتولى وصحبته اشياخ الوقت والسيد محمد المحروقى وجماعة الحزب وغيرهم من المتفرجين وقد جعلوا على محل الخلوة ساترا بدل الحائط المهدوم ودخل المتولى خلفها وقرا جماعة الحزب شيئا من القرآن ثم قام النقيب مع الشيخ البكرى فقلقوا الشيخ فخرج على الحاضرين متطيلسا وصافحهم وركب بصحبتهم الى القلعة فخلع عليه كتخدابك خلعة سمور وقاموا ونزلوا الى زاويتهم بالقرافة وامامهم جماعة الحزب وجاويشية النقابة فجلسوا حصة وقرؤا اجزاءهم ثم ركب ورجع الى المنزل وجلس مع اخيه لعمل المأتم والقراءة الجمعية على العادة وارسل كتخدابك ساعيا بخبر موته الى الباشا بالفيوم لانه لما سافر الى جهة قبلى ووصل الى ناحية بنى سويف ركب بغلة سريعة العدو وركب خلفه خواصه بالهجن والبغال فوصلها فى اربع ساعات وانقطع اكثر والقيام

والقيام بخدمته مرض لحقه وكان هو واخوته بحلب وامرها اليهم وعساكرها معهم في
حياة نور الدين وبعده ولما عجز عن الحركة ارسل الى الملك الصالح يدعوه الى حلب
ليمتنع به البلاد الجزرية من سيف الدين ابن عمه قطب الدين فلم يمكنه الامراء الذين معه
من الانتقال الى حلب لما نذكره

ذكر ملك سيف الدين البلاد الجزرية

كان نور الدين قبل ان يمرض قد ارسل الى البلاد الشرقية الموصل وديار الجزيرة
وغيرها يستدعي العساكر منها للغزاة والمراد غيرها وقد تقدم ذكره فسار سيف الدين
غازي بن قطب الدين مودود بن زنكي صاحب الموصل في عساكره وعلى مقدمته الخادم
سعد الدين كمشتكين الذي كان قد جعله نور الدين بقلعة الموصل مع سيف الدين
فلما كانوا ببعض الطريق وصلت الاخبار بوفاة نور الدين فاما سعد الدين فانه كان
في المقدمة فهرب جريدة واما سيف الدين فاخذ كل ما كان له من برك وغيره وعاد الى
نصيبين فملكها وارسل الشحن الى الخابور فاستولوا عليه واقطعه وسار هو الى حران
فحصرها عدة ايام وبها مملوك لنور الدين يقال له قايماز الحراني فامتنع بها واطاع
بعد ذلك على ان تكون حران له ونزل الى خدمة سيف الدين فقبض عليه واخذ حران
منه وسار الى الرها فحصرها وملكها وكان بها خادم خصي اسود لنور الدين فسلمها
وطلب عوضها قلعة الزعفران من اعمال جزيرة ابن عمر فاعطيها ثم اخذت منه ثم صار
الى ان يستعطي ما يقوم به ويقوته وسير سيف الدين الى الرقة فملكها وكذلك سروج
واستكمل جميع بلاد الجزيرة سوى قلعة جعبر فانها كانت منيعة وسوى رأس عين
فانها كانت لقطب الدين صاحب ماردين وهو ابن خال سيف الدين فلم يتعرض اليها
وكان شمس الدين علي بن الداية وهو اكبر الامراء النورية بحلب مع عساكرها فلم يقدر
على العبور الى سيف الدين ليمنعه من اخذ البلاد لفالج كان به فارسل الى دمشق يطلب
الملك الصالح فلم يرسل اليه لما نذكره ولما ملك سيف الدين الجزيرة قال له فخر الدين
عبد المسيح وكان قد وصل اليه من سيواس بعد موت نور الدين وهو الذي اقر له الملك
بعد ابيه فظن ان سيف الدين يرعى له ذلك فلم يجن ثمرة ما غرس وكان عنده كبعض
الامراء فقال له الرأي ان تعبر الى الشام فليس به مانع فقال له كبير امرائه وهو امير يقال له
عز الدين محمود المعروف بزلفندار قد ملكت اكثر مما كان لابيك والمصلحة ان تعود
فرجع الى قوله وعاد الى الموصل ليقضي الله امرا كان مفعولا

ذكر حصر الفرنج بانياس وعودهم عنها

لما مات نور الدين محمود صاحب الشام اجتمعت الفرنج وساروا الى قلعة بانياس من
اعمال دمشق فحصروها فجمع شمس الدين محمد بن عبد الملك بن المقدم العسكر عنده
بدمشق فخرج عنها فراسلهم ولاطفهم ثم اغلظ لهم في القول وقال لهم ان انتم صالحتمونا
وعدتم عن بانياس فنحن على ما كنا عليه والا فنرسل الى سيف الدين صاحب

المتوجهين معه ومات منهم سبعة عشر هجينا ورجع الساعي بعد ثلاثة ايام بجواب الرسالة ومضمونها
عدم التعرض لورثة المتوفى
حتى يقدم الباشا من غيبته
فبقي الامر على السكوت
اربعة عشر يوما وحضر
الباشا ليلة الاحد ثامن ربيع
الآخر فبمجرد وصوله الى
الجيزة ارسل بالختم على منزلهم
فما يشعرون الا وحسين
كتخدا الكتخدا بك وبيت
المال واصل اليهم ومعه
آخرون فختموا على المجالس
التي بالحريم ومجالس الجلوس
الرجالي ختموا على خزائنه
وقبضوا على الكاتب القبطي
المسمى عبد القدوس
والفراش وحبسوهما وعدى
الباشا من ليلته الى بر مصر
وطلع الى القلعة فركب اليه
في صبحها المشايخ وصحبتهم
ابن اخي المتوفى وهو الذي
تولى المشيخة فخاطبوه
وقالوا له كلاما معناه ان بيوت
الاشياخ مكرمة ولم تجر العادة
بالختم على اماكنهم وخصوصا
ان هذا المتوفى كان عظيما
في بابه وانتم اخبر به وكان
لكم به مزيد عناية ومراعاة
فقال نعم اني لا اريد اهانة بيتهم
ولا اطمع في شيء مما يتعلق
بمشيختهم ولا وظائفهم القديمة
ولا يخفاكم ان المتوفى كان
طماعا وجماعا للمال وطالت
مدته وحاز التزامات واقطاعات
وكان لا يحب قرابته ولا
يحسن لهم بشيء بل كتب ما حازه لزوجته وهي جارية نهاية ثمنها الفا قرش او اقل او اكثر ولم يكتب لاولاد اخيه

الموصل ونعلمه ونصالحه ونستنجده ونرسل الى صلاح الدين بمصر فنستنجده ونقصد بلادكم من جهاتها كلها ولا تقومون لنا وأنتم تعلمون ان صلاح الدين كان يخاف ان يجتمع بنور الدين والآن فقد زال ذلك الخوف واذا طلبناه الى بلادكم فلا يمتنع فعلموا صدقه فصالحوه على شئ من المال أخذوه واسرى اطلقه والهم كانوا عند المسلمين وتقررت الهدنة فلما سمع صلاح الدين بذلك انكره واستعظمه وكتب الى الملك الصالح والامراء الذين معه يقبح لهم ما فعلوه ويبذل من نفسه قصد بلاد الفرنج ومقارعتهم وازعاجهم عن قصد شئ من بلاد الملك الصالح وكان قصده أن يصير له طريق الى بلاد الشام ليتملك البلاد والامراء الشاميون انما صالحوا الفرنج خوفا منه ومن سيف الدين غازى صاحب الموصل فانه كان قد أخذ البلاد الجزرية وخافوا منه ان يعبر الى الشام فرأوا صلح الفرنج اصلح من ان يجئ هذا من الغرب وهذا من الشرق وهم مشغولون عن ردهم

❁(ذكر عدة حوادث)❁

فى هذه السنة فى المحرم وقع الحريق ليلا ببغداد فاحترق أكثر الظفرية ومواضع غيرها ودام الحريق الى بكرة وطفئت النار وفيها فى شعبان بنى ابن شنكا وهو ابن أخى شملة صاحب خوزستان قلعة بالقرب من الماهكى ليتقوى بها على الاستيلاء على تلك الاعمال فسير اليه الخليفة العساكر من بغداد لمنعه فالتقوا فحمل بنفسه على الميمنة فهزمها واقتتل الناس قتالا عظيما وأسر ابن أخى شملة وحمل رأسه الى بغداد فعلق بباب النوبى وهدمت القلعة وفيها فى رمضان وكان الزمان ربيعا توالت الامطار فى ديار بكر والجزيرة والموصل فدامت اربعين يوما ما رأينا الشمس فيها غير مرتين كل مرة مقدار لحظة وخربت المساكن وغيرها وكثر الهدم ومات تحته كثير من الناس وزادت دجلة زيادة عظيمة وكان اكثرها ببغداد فانها زادت على كل زيادة تقدمت منذ بنيت بغداد بذراع وكسر وخاف الناس الغرق وفارقوا البلد وأقاموا على شاطئ دجلة خوفا من انفتاح القورج وغيره وكانوا كلما انفتح موضع بادروا بسده ونبع الماء فى البلاليع وخرب كثيرا من الدور ودخل الماء الى البيمارستان العضدى ودخلت السفن من الشبابيك التى له فانها كانت قد تقلعت فمن الله تعالى على الناس بنقص الماء بعد ان أشرفوا على الغرق وفيها فى جمادى الاولى كانت الفتنة ببغداد بين قطب الدين قايماز والخليفة وسببها ان الخليفة أمر باعادة عضد الدين بن رئيس الرؤساء الى الوزارة فمنع منه قطب الدين وأغلق باب النوبى وباب العامة وبقيت دار الخليفة كالمحاصرة فاجاب الخليفة الى ترك وزارته فقال قطب الدين لا أقنع الا باخراج عضد الدين من بغداد فامر بالخروج منها فالتجأ الى صدر الدين شيخ الشيوخ عبد الرحيم بن اسمعيل فاخذه الى رباطه وأجاره ونقله الى دار الوزير بقطفتا فاقام بها ثم عاد الى بيته فى جمادى الآخرة وفيها سقط الامير أبو العباس أحمد ابن الخليفة وهو الذى صار خليفة من قبة عالية الى أرض

شيئا فلا يصح ان أمة تختص بذلك كله والخزينة اولى به لاحتياجات مصاريف العساكر ومحاربة الخوارج واستخلاص الحرمين وخزينة السلطان وانا ارفع الختم رعاية لخواطركم فدعوا له وقاموا الى مجلس الكتخدا وخلع على الشيخ المتولى فروة سمور اخرى وقلد السيد محمدا الدواخلى نقابة الاشراف وخلع عليه فروة سمور عوضا عن سيدى احمد ابى الاقبال المتولى على خلافة السادات فانفصل من النقابة ونزلت الجاويشية ولوازم النقابة مثل باش جاويش والكاتب امام الدواخلى وخلفه وقلد السيد المحروقى نظارة المشهد الحسينى عوضا عن المتوفى وكان فرغ بها لابن اخيه فلم ينفذ الباشا ذلك وفى ثانى يوم حضر الاعوان الى بيت السادات وفكوا الختوم وطلبوا سقاء الحريم فاخذوه معهم وأوجعوه بالضرب وأحضروا البناء وسالوهما عن محل الخبايا ثم رجعوا الى المنزل ففتحوا مخباة مسدوده بالبناء فوجدوا بها قوالب مساند قطيفة غير محشوة ووجدوا نحاسا وقطنا واوانى صينى فتركوا ذلك وذهبوا وأبقوا بالدار عدة من العسكر فباتوا بها ثم رجعوا فى ثالث يوم وفتحوا مخباة اخرى فوجدوا بها اكياسا مربوطة فظنوا بداخلها المال ففتحوها فوجدوا بها بن قهوة وبغيرها صابون وشمع وعسل ولم يجدوا اشيئا من المال فتركوا تلك الاشياء ونزلوا الى قاعة التاج

التاج ومعه غلام له اسمه نجاح فالقى نفسه بعده وسلم ابن الخليفة ونجا فقيل لنجاح لم القيت نفسك فقال ما كنت اريد البقاء بعد مولاى فرعى له الامير أبو العباس ذلك فلما صار خليفة جعله شرابيا وصارت الدولة جميعها بحكمه ولقبه الملك الرحيم عز الدين وبالغ فى الاحسان اليه والتقديم له وخدمه جميع الامراء بالعراق والوزراء وغيرهم وفيها فى رمضان وقع ببغداد برد كبار ما رأى الناس مثله فهدم الدور وقتل جماعة من الناس وكثيرا من المواشى فوزنت بردة منه فكانت سبعة ارطال وكان عامته كالنارنج يكسر الاغصان هكذا ذكره أبو الفرج بن الجوزى فى تاريخه والعهدة عليه وفيها كانت وقعة عظيمة بين المؤيد صاحب نيسابور وبين شاه مازندران قتل فيها كثير من الطائفتين فانهزم شاه مازندران ودخل المؤيد بلاد الديلم وخربها وفتك باهلها وعاد عنها وفيها وقعت وقعة كبيرة بين أهل باب البصرة وأهل باب الكرخ وسببها ان الماء لما زاد سكر أهل باب الكرخ سكرا رد الماء عنهم فغرق مسجد فيه شجرة فانقلعت فصاح أهل الكرخ انقلعت الشجرة لعن الله العشرة فقامت الفتنة فتقدم الخليفة الى علاء الدين تنامش فمال على أهل باب البصرة لانه كان شيعيا واراد دخول المحلة فمنعه أهلها واغلقوا الابواب ووقفوا على السور واراد احراق الابواب فبلغ ذلك الخليفة فانكره أشد انكار وأمر باعادة تنامش فعاد ودامت الفتنة اسبوعا ثم انفصل الحال من غير توسط سلطان وفيها عبر ملك الروم خليج القسطنطينية وقصد بلاد قلج ارسلان فجرى بينهما حرب استظهر فيها المسلمون فلما رأى ملك الروم عجزه عاد الى بلده وقد قتل من عسكره وأسر جماعة كثيرة وفيها فى جمادى الاولى مات أحمد بن على بن المعمر بن محمد بن عبد الله أبو عبد الله العلوى الحسينى نقيب العلويين ببغداد وكان يلقب الظاهر وسمع الحديث الكثير ورواه وكان حسنة أهل بغداد وفيها توفى الحافظ أبو العلاء الحسن بن أحمد بن محمد العطار الهمذانى سافر الكثير فى طلب الحديث وقراءة القرآن واللغة وكان من اعيان المحدثين وكان له قبول عظيم ببلده عند العامة والخاصة

❁(ثم دخلت سنة سبعين وخمسمائة)❁

❁(ذكر وصول اسطول صقلية الى مدينة الاسكندرية وانهزامهم منها)❁

فى هذه السنة ظفر أهل الاسكندرية وعسكر مصر باسطول الفرنج من صقلية وكان سبب ذلك ما ذكرناه من ارسال أهل مصر الى ملك الفرنج بساحل الشام والى صاحب صقلية ليقصدوا ديار مصر ليثوروا بصلاح الدين ويخرجوه من مصر فجهز صاحب صقلية اسطولا كثيرا عدته مائتا شينى تحمل الرجالة وستة وثلاثون طريدة تحمل الخيل وستة مراكب كبار تحمل آلة الحرب واربعون مركبا تحمل الازواد وفيها من الراجل خمسون ألفا ومن الفرسان ألف وخمسمائة منها خمسمائة تركبلى وكان المقدم عليهم ابن عم صاحب صقلية وسيره الى الاسكندرية من ديار مصر فوصلوا

بجلوسه وفقدوا الخزانة فوجدوا بها نقودا فعدوها وحصروها فبلغت مائة وسبعة وعشرين كيسا فاخذوها ثم سعى السيد محمد المحروقى فى مصالحة الباشا حتى قرر عليهم الف كيس وخمسين كيسا وخمسة اكياس برانى ابيت المال وخصموا منها الذى وجدوه بالخزانة وطولبوا بالباقى وذلك بعد التشديد والتهديد على الزوجة وتوعدوها بالتغريق فى البحر ان لم تظهر المال وامر الكاتب بحساب ايراده ومصرفه فى كل سنة وما صرفه فى الابنية وينظر ما يتبقى بعد ذلك فى مدة سنين ماضية فلم يزل السيد محمد المحروقى يدافع ويسعى حتى تقرر القدر المذكور والتزم هو بدفعه وحولت عليه الحوالات وضبط الباشا حصص الالتزام التى كتبت باسم الزوجة ومنها قلقشندة بالقليوبية وسوادة ودفرينة بالجهة القبلية وغير ذلك وبعد انقضاء عدة الزوجة استاذن السيد المحروقى الباشا فى عقد نكاحها على ابن أخى المتوفى الذى هو السيد احمد ابو الاقبال الذى تولى خلافة بيتهم فاذن بذلك فحضر فى الحال واجرى العقد بعد ان حكمت عليه بطلاق التى فى عصمته وهى جاريتها زوجته بها فى حياة عمه ورزق منها اولادا واستقر المشار اليه فى المنزل خليفة وشيخا على سجادتهم ومحل سيادتهم وسكن معه اخوه سيدى يحيى زادهما الله توفيقا وخيرا

اليها فى السادس والعشرين من ذى الحجة سنة تسع وستين على حين غفلة من أهلها وطمانينة فخرج أهل الاسكندرية بسلاحهم وعدتهم ليمنعوهم من النزول وابعدوا عن البلد فمنعهم الوالى عليهم من ذلك وأمرهم بملازمة السور ونزل الفرنج الى البر مما يلى البحر والمنارة وتقدموا الى المدينة ونصبوا عليها الدبابات والمنجنيقات وقاتلوا أشد قتال وصبر لهم أهل البلد ولم يكن عندهم من العسكر الا القليل ورأى الفرنج من شجاعة اهل الاسكندرية وحسن سلاحهم ماراعهم وسيرت الكتب بالحال الى صلاح الدين يستدعونه لدفع العدو عنهم ودام القتال اول يوم الى آخر النهار ثم عاود الفرنج القتال اليوم الثانى وجدوا ولازموا الزحف حتى وصلت الدبابات الى قريب السور ووصل ذلك اليوم من العساكر الاسلامية كل من كان فى اقطاعه وهو قريب من الاسكندرية فقويت بهم نفوس اهلها واحسنوا القتال والصبر فلما كان اليوم الثالث فتح المسلمون باب البلد وخرجوا منه على الفرنج من كل جانب وهم غارون وكثر الصياح من كل الجهات فارتاع الفرنج واشتد القتال فوصل المسلمون الى الدبابات فاحرقوها وصبروا للقتال فانزل الله نصره عليهم وظهرت اماراته ولم يزل القتال الى آخر النهار ودخل أهل البلد اليه وهم فرحون مستبشرون بما رأوا من تباشير الظفر وقوتهم وفشل الفرنج وفتورحربهم وكثرة القتل والجراح فى رجالتهم وأما صلاح الدين فانه لما وصله الخبر سار بعساكره وسير مملوكا له ومعه ثلاثة جنائب ليجد السير عليها الى الاسكندرية يبشر بوصوله وسير طائفة من العسكر الى دمياط خوفا عليها واحتياطا لها فسار ذلك المملوك فوصل الاسكندرية من يومه وقت العصر والناس قد رجعوا من القتال فنادى فى البلد بمجىء صلاح الدين والعساكر مسرعين فلما سمع الناس ذلك عادوا الى القتال وقد زال مابهم من تعب وألم الجراح وكل منهم يظن ان صلاح الدين معه فهو يقاتل قتال من يريد ان يشاهد قتاله وسمع الفرنج بقرب صلاح الدين فى عساكره فسقط فى أيديهم وازدادوا تعبا وفتورا فهاجمهم المسلمون عند اختلاط الظلام ووصلوا الى خيامهم فغنموها بما فيها من الاسلحة الكثيرة والتحملات العظيمة وكثر القتل فى رجالة الفرنج فهرب كثير منهم الى البحر وقربوا شوانيهم الى الساحل ليركبوا فيها فسلم بعضهم وركب وغرق بعضهم وغاص بعض المسلمين فى الماء وخرق بعض شوانى الفرنج فغرقت فخاف الباقون من ذلك فولوا هاربين واحتمى ثلثمائة من فرسان الفرنج على رأس تل فقاتلهم المسلمون الى بكرة ودام القتال الى ان أضحى النهار فغلبهم أهل البلد وقهروهم فصاروا بين قتيل واسير وكفى الله المسلمين شرهم

(ذكر خلاف الكنز بصعيد مصر)

وفى اول هذه السنة خالف الكنز بصعيد مصر واجتمع اليه من رعية البلاد والسودان والعرب وغيرهم خلق كثير وكان هناك أمير من الصلاحية فى اقطاعه وهو أخو الامير

واتفاقا واشرق نجم المتصدر على افق السعادة اشراقا فهو ابو الاقبال المتحلى بالجمال والكمال فى المهد ينطق عن سعادة جده أثر النجابة واضح البرهان ان الهلال اذا رايت نموه ايقنت ان سيزيد فى اللمعان

(ومات) الشيخ الناسك محمد بن عبد الرحمن اليوسى المغربى ورد الى مصر وحج ورجع ونزل بدار الحاج مصطفى المحبين العطار منجمعا عن خلطة الناس والسعى على طريقة حميدة ومذاكرة حسنة ويأتى اليه الناس يزورونه ويتبركون به ويسالونه الدعاء ويستفهمون منه مسائل فيجيب كل انسان بما يتيسر منه بتواضع وانكسار وتزهيد فى الدنيا وعرض سنينا وتوفى يوم الثلاثاء ثامن عشرين المحرم وصلى عليه بالازهر فى مشهد حافل ودفن بجانب الخطيب الشربينى بتربة المجاورين وهى القرافة الكبرى

(ثم دخلت سنة تسع وعشرين ومائتين وألف)

(استهل المحرم بيوم الجمعة)

فيه فى ليلة الجمعة ثامنه وردت مكاتبات من الديار الحجازية وفيها الاخبار بان الباشا قبض على الشريف غالب أمير مكة وقبض على اولاده الثلاثة واربعة عبيد طواشية من عبيده وارسلهم الى جدة وانزلهم فى مركب من مراكبه وهى واصلة بهم والذى وصل بالخبر وصل فى مركب صغيرة تسمى السنبوك سبقتهم فى الحضور الى

الى

السويس واخبروا أيضا فى المكاتبة انه لما قبض عليهم أحضر يحيى ابن ١٨٧ الشريف سرور وقلده الامارة عوضا عن عمه غالب وقبضوا ايضا على وزيره الذى بجدة واصحبوه معهم وقلد مكانه فى الكمارك شخصا من الاتراك يسمى على الوجاقلى فلما وصل الهجان بهذه المكاتبة الى السيد محمد المحروقى ليلا ركب من وقته الى كتخدا بك فى بيته واطلعه على المكاتبات فلما طلع النهار نهار يوم الجمعة ضربوا عدة مدافع من القلعة اعلاما وسرورا بذلك (وفيه) احتفل كتخدا بك بعمل مهم ايضا لزواج اسمعيل باشا ابن محمد على باشا ومحمد بك الدفتردار على ابنة الباشا واسمعيل باشا على ابنة عارف بك ابن خليل باشا التى احضرها صحبته من اسلامبول وقد تقدم ذكر العقد عليهما فى ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان من السنة الماضية قبل توجه الباشا الى الحجاز فالزم كتخدا بك السيد محمد المحروقى بتنظيم الفرح والاحتياجات واللوازم واتفقوا على ان يكون نصبة الفرح ببركة الازبكية تجاه بيت حريم الباشا وطاهر باشا وتعمل الولائم واجتماع المدعوين ببيت طاهر باشا والمطبخ بجوار ثب بيت الصابونجى وارسلوا اوراق التنابيه للمدعوين على طبقات الناس بالترتيب ونصبوا بوسط البركة عدة صوارى لاجل الوقدات والقناديل التى تعمل عليها التصاوير من القناديل فترى من البعد

أبى الهيجاء السمين فقتله الكنز فعظم قتله على أخيه وهو من اكبر الامراء واشجعهم فسار الى قتال الكنز وسير معه صلاح الدين جماعة من الامراء وكثيرا من العسكر فوصلوا الى مدينة طود فاحتمت عليهم فقاتلوا من بها وظفروا بهم وقتلوا منهم كثيرا وذلوا بعد العز وقهروا واستكانوا ثم سار العسكر بعد فراغهم من طود الى الكنز وهو فى طغيانه يعمه فقاتلوه فقتل هو ومن معه من الاعراب وغيرهم وأمنت بعده البلاد واطمان اهلها

❋(ذكر ملك صلاح الدين دمشق)❋

فى هذه السنة سلخ ربيع الاول ملك صلاح الدين يوسف بن ايوب مدينة دمشق وسبب ذلك ان نور الدين لما مات وملك ابنه الملك الصالح بعده كان بدمشق وكان سعد الدين كمشتكين قد هرب من سيف الدين غازى الى حلب كما ذكرناه فاقام بها عند شمس الدين على بن الداية فلما استولى سيف الدين على البلاد الجزرية خاف ابن الداية أن يعبر الى حلب فيملكها فارسل سعد الدين الى دمشق ليحضر الملك الصالح ومعه العساكر الى حلب فلما قارب دمشق سير اليه شمس الدين محمد بن المقدم عسكرا فنهبوه وعاد منهزما الى حلب فاخلف عليه ابن الداية عوض ما أخذ منه ثم ان الامراء الذين بدمشق نظروا فى المصلحة فعلموا ان مسيره الى حلب اصلح للدولة من مقامه بدمشق فارسلوا الى ابن الداية يطلبون ارسال سعد الدين ليأخذ الملك الصالح فجهزه وسيره ❋ وعلى نفسها براقش تجنى ❋ فسار الى دمشق فى المحرم من هذه السنة وأخذ الملك الصالح وعاد الى حلب فلما وصلوا اليها قبض سعد الدين على شمس الدين بن الداية واخوته وعلى رئيس بن الخشاب رئيس حلب ومقدم الاحداث بها ولولا مرض شمس الدين بن الداية لم يتمكن من ذلك واستبد سعد الدين بتربية الملك الصالح فخاف ابن المقدم وغيره من الامراء الذين بدمشق وقالوا ان استقر أمر حلب أخذ الملك الصالح وسار به الينا وفعل مثل ما فعل بحلب وكاتبوا سيف الدين غازى صاحب الموصل ليعبر الفرات اليهم ليسلموا اليه دمشق فلم يفعل وخاف ان تكون مكيدة عليه ليعبر الفرات ويسير الى دمشق فيمنع عنها ويقصده ابن عمه وعسكر حلب من وراء ظهره فيهلك أشار عليه بهذا زلفندار عز الدين والجبان يقدر البعيد من الشر قريبا ويرى الجبن حزما كما قال

يرى الجبناء ان الجبن حزم ❋ وتلك طبيعة الرجل الجبان

ولما أشار عليه بهذا الرأى زلفندار قبله وامتنع من قصد دمشق وراسل سعد الدين والملك الصالح وصالحهما على ما أخذه من البلاد فلما امتنع عن العبور الى دمشق عظم خوفهم وقالوا حيث صالحهم سيف الدين لم يبق لهم مانع عن المسير الينا فكاتبوا حينئذ صلاح الدين يوسف بن أيوب صاحب مصر واستدعوه ليملكوه عليهم وكان كبيرهم فى ذلك شمس الدين بن المقدم ومن أشبه أباه فما ظلم وقد ذكرنا مخامرة أبيه فى تسليم سنجار سنة أربع وأربعين وخمسمائة فلما وصلت الرسل الى صلاح الدين بذلك لم يلبث وسار جريدة فى سبعمائة فارس والفرنج فى طريقه فلم يبال بهم فلما وصل

أرض الشام قصد بصرى وكان بها حينئذ صاحبها وهو من جملة من كاتبه فخرج ولقيه فلما رأى قلة من معه خاف على نفسه واجتمع بالقاضي الفاضل وقال ما أرى معكم عسكرا وهذا بلد عظيم لا يقصد بمثل هذا العسكر ولو منعكم من به ساعة من النهار أخذكم أهل السواد فان كان معكم مال سهل الامر فقالوا ههنا مال كثير يكون خمسين ألف دينار فضرب صاحب بصرى على رأسه وقال هلكتم واهلكتمونا وجميع ما كان معهم عشرة آلاف دينار ثم سار صلاح الدين الى دمشق فخرج كل من بها من العسكر اليه فلقوه وخدموه ودخل البلد ونزل في دار والده المعروفة بدار العقيقي وكانت القلعة بيد خادم اسمه ريحان فاحضر صلاح الدين كمال الدين بن الشهرزوري وهو قاضي البلد والحاكم في جميع اموره من الديوان والوقف وغير ذلك وأرسله الى ريحان ليسلم القلعة اليه وقال انا مملوك الملك الصالح وما جئت الا لانصره واخدمه واعيد البلاد التي أخذت منه اليه وكان يخطب له في بلاده كلها فصعد كمال الدين الى ريحان ولم يزل معه حتى سلم القلعة فصعد صلاح الدين اليها وأخذ ما فيها من الاموال وأخرجها واتسع بها وثبت قدمه وقويت نفسه وهو مع هذا يظهر طاعة الملك الصالح ويخاطبه بالمملوك والخطبة والسكة باسمه

(ذكر ملك صلاح الدين مدينتي حمص وحماة)

لما استقر ملك صلاح الدين لدمشق وقرر أمرها استخلف بها أخاه سيف الاسلام طغدكين بن ايوب وسار الى مدينة حمص مستهل جمادى الاولى وكانت حمص وحماة وقلعة بعرين وسلمية وتل خالد والرها من بلد الجزيرة في اقطاع الامير فخر الدين مسعود الزعفراني فلما مات نور الدين لم يمكنه المقام بها لسوء سيرته في أهلها ولم يكن له في قلاع هذه البلاد حكم انما فيها ولاة لنور الدين وكان بقلعة حمص وال يحفظها فلما نزل صلاح الدين على حمص حادي عشر الشهر المذكور راسل من فيها بالتسليم فامتنعوا فقاتلهم من الغد فملك البلد وأمن أهله وامتنعت عليه القلعة وبقيت ممتنعة الى ان عاد من حلب على ما نذكره ان شاء الله وترك بمدينة حمص من يحفظها ويمنع من بالقلعة من التصرف وان تصعد اليهم ميرة وسار الى مدينة حماة وهو في جميع أحواله لا يظهر الا طاعة الملك الصالح بن نور الدين وانه انما خرج لحفظ بلاده عليه من الفرنج واستعادة ما أخذه سيف الدين غازي صاحب الموصل من البلاد الجزرية فلما وصل الى حماة ملك المدينة مستهل جمادى الآخرة وكان بقلعتها الامير عز الدين بن جورديك وهو من المماليك النورية فامتنع من التسليم الى صلاح الدين فارسل اليه صلاح الدين يعرفه ما هو عليه من طاعة الملك الصالح وانما يريد حفظ بلاده عليه فاستحلفه جورديك على ذلك وسيره الى حلب في اجتماع الكلمة على طاعة الملك الصالح وفي اطلاق شمس الدين علي وحسن وعثمان أولاد الداية من السجن فسار جورديك الى حلب واستخلف بقلعة حماة أخاه ليحفظها فلما وصل جورديك الى حلب قبض عليه كمشتكين وسجنه

صورة مركب اوسبعين متقابلين او شجرة او محمل على جمل او كتابة مثل ماشاء الله ونحو ذلك وصفوا بوسط البركة عدة مدافع صفين متقابلين ونصب بهلوان الحبل حبله اوله من تجاه بيت الباشا وآخره برأس المنارة التي جهة حارة النفوالة خلف رصيف الخشاب حيث الابنية المتخربة في الحوادث الماضية بالقرب من القشلة وعمارات محمد باشا خسرو والتي لم تكمل وبهلوان آخر شامي بالناحية الاخرى وانتقل السيد محمد المحروقي من داره الى بيت الشرايبي تجاه جامع أزبك لاجل مباشرة المهمات فلما اصبح يوم السبت وهو يوم الابتداء ودعوة الاشياخ رتبوهم فرقتين فرقة تاتي ضحوة النهار واخرى بعد العصر واجتمع بالازبكية أصناف أرباب الملاعيب والمغزلكين والجنباذية والحبيظية والحواة والقرداتية والرقاصين والبرامكة وغير ذلك أصناف وأشكال فاحتفلت واقبل من كل ناحية اصناف الناس رجال ونساء واقارب واباعدوا كابر واصاغر وعساكر وفلاحون ويهود ونصارى وادوام لاجل التفرج حتى ازدحمت الطرق الموصلة الى الازبكية من جميع النواحي باصناف الناس الذاهبين والراجعين والمترددين واستمر ضرب المدافع من ليلة السبت المذكور الى ليلة الجمعة التالية الاخرى ليلا ونهارا والحرائق والنفوط والسواريخ

فلما

فلما علم أخوه بذلك سلم القلعة الى صلاح الدين فملكها

(ذكر حصر صلاح الدين حلب وعوده عنها وملك قلعة حمص وبعلبك)

لما ملك صلاح الدين حماة سار الى حلب فحصرها ثالث جمادى الآخرة فقاتله اهلها وركب الملك الصالح وهو صبي وعمره اثنتا عشرة سنة وجمع أهل حلب وقال لهم قد عرفتم احسان ابي اليكم ومحبته لكم وسيرته فيكم وانا يتيمكم وقد جاء هذا الظالم الجاحد احسان والدي اليه يأخذ بلادي ولا يراقب الله تعالى ولا الخلق وقال من هذا كثيرا وبكى فأبكى الناس فبذلوا له الاموال والانفس واتفقوا على القتال دونه والمنع عن بلده وجدوا في القتال وفيهم شجاعة قد ألفوا الحرب واعتادوها حيث كان الفرنج بالقرب منهم فكانوا يخرجون ويقاتلون صلاح الدين عند جبل جوشن فلا يقدر على القرب من البلد وأرسل سعد الدين الى سنان مقدم الاسماعيلية وبذل له أموالا كثيرة ليقتلوا صلاح الدين فارسلوا جماعة منهم الى عسكره فلما وصلوا رآهم امير اسمه خمارتكين صاحب قلعة بوقبيس فعرفهم لانه جارهم في البلاد كثير الاجتماع بهم والقتال لهم فلما رآهم قال لهم ما الذي اقدمكم وفي اي شيء جئتم فجرحوه جراحات مثخنة وحمل احدهم على صلاح الدين ليقتله فقتل دونه وقاتل الباقون من الاسماعيلية فقتلوا جماعة ثم قتلوا وبقي صلاح الدين محاصرا لحلب الى سلخ جمادى الآخرة ورحل عنها مستهل رجب وسبب رحيله ان القمص الصنجيلي صاحب طرابلس كان قد اسره نور الدين على حارم سنة تسع وخمسين وخمسمائة وبقي في الحبس الى هذه السنة فاطلقه سعد الدين بمائة ألف وخمسين ألف دينار صورية وألف اسير فلما وصل الى بلده اجتمع الفرنج عليه يهنئونه بالسلامة وكان عظيما فيهم من اعيان شياطينهم فاتفق ان مرى ملك الفرنج لعنه الله مات اول هذه السنة وكان اعظم ملوكهم شجاعة واجودهم رأيا ومكرا ومكيدة فلما توفي خلف ابنا مجذوما عاجزا عن تدبير الملك فملكه الفرنج صورة لا معنى تحتها وتولى القمص ريمند تدبير الملك الحل والعقد عن أمره يصدرون فارسلوا اليه من حلب يطلبون منه ان يقصد بعض البلاد التي بيد صلاح الدين ليرحل عنهم فسار الى حمص ونازلها سابع رجب فلما تجهز لقصده اسمع صلاح الدين الخبر فرحل عن حلب فوصل الى حماة ثامن رجب بعد نزول الفرنج على حمص بيوم ثم رحل الى الرستن فلما سمع الفرنج بقربه رحلوا عن حمص ووصل صلاح الدين اليها فحصر القلعة الى ان ملكها في الحادي والعشرين من شعبان من السنة فصار اكثر الشام بيده ولما ملك حمص سار منها الى بعلبك وبها خادم اسمه يمن وهو وال عليها من أيام نور الدين فحصرها صلاح الدين فارسل يمن يطلب الامان له ولمن عنده فامنهم صلاح الدين وتسلم القلعة رابع عشر رمضان من السنة المذكورة

(ذكر حصر سيف الدين اخاه عماد الدين بسنجار)

لما ملك صلاح الدين دمشق وحمص وحماة كتب الملك الصالح اسمعيل بن نور الدين

في الليل ولعبت أرباب الملاعيب والبهلوانات على الحبال وكذلك احتفل النصارى وعملوا وقدات وحراقات تجاه حاراتهم ومساكنهم وصادف ذلك عيد الميلاد وعملوا لهم مراجيح وملاعيب (وفي اثناء ذلك) وقع التنبيه على أصحاب الحرف والصنائع بعمل عربات مشكلة وممثلة بحرفتهم وصنائعهم ليمشوا بها في زفة العروس فاعتنى أهل كل حرفة وصناعة بتنميق وتزيين شكله وتباهوا وتناظروا وتفاخروا على بعضهم البعض فكان كل من سولت له نفسه وحدثه الشيطان باحداث شيء فعله وذهب الى المتعينين لذلك فيعطيه ورقة لان ذلك لم يكن لاناس مخصوصة او عدد مقدر بل بتحكماتهم والزام بعضهم البعض فيفرض رئيس الحرفة على أشخاص أهلها فرائض ودراهم يجمعها منهم وينفقها على العربة وما يلزمها من أخشاب وحبال وحمير او خيل اورجال يسحبونها وما يكتريه او يستعيره لزينتها من المزركشات والمقصبات والطلعيات وادوات الصنعة التي تتميز بها عن غيرها فتصير في الشكل كأنها حانوت والبائع جالس فيها كالحلواني وامامه الاواني فيها انواع الحلوا والسكري وحوله اواني الملبس واقماع السكر معلقة حوله والشربات والشربتلي والعطار والحريري والعقاد البلدي والرومي والزيات

الى ابن عمه سيف الدين غازى بن قطب الدين مودود يستنجده على صلاح الدين و يطلب ان يعبر اليه ليقصدوا صلاح الدين و يأخذوا البلاد منه فجمع سيف الدين عساكره وكاتب أخاه عماد الدين زنكى صاحب سنجار و يأمره ان ينزل اليه بعساكره ليجتمعوا على المسير الى الشام فامتنع من ذلك وكان صلاح الدين قد كاتب عماد الدين وأطمعه فى الملك لانه هو الكبير فحمله الطمع على الامتناع على أخيه فلما راى سيف الدين امتناعه جهز اخاه عز الدين مسعودا فى عسكر كثير هو معظم عسكره وسيره الى الشام وجعل المقدم على العسكر أكبر امير معه يقال له عز الدين محمود و يلقب أيضا زلفندار وجعله المدبر للامر وسار سيف الدين الى سنجار فحصرها فى شهر رمضان وقاتلها وجد فى القتال وامتنع عماد الدين بها وجد فى حفظها والذب عنها فدام الحصار عليها فبينما هو يحاصرها أتاه الخبر بانهزام عسكره الذى مع اخيه عز الدين مسعود من صلاح الدين فراسل حينئذ اخاه عماد الدين وصالحه على ما بيده ورحل الى الموصل وثبت قدم صلاح الدين بعد هذه الهزيمة وخافه الناس وترددت الرسل بينه وبين سيف الدين غازى فى الصلح فلم يستقر حال

●(ذكر انهزام سيف الدين من صلاح الدين وحصره مدينة حلب)●

فى هذه السنة سار عسكر سيف الدين مع أخيه عز الدين وعز الدين زلفندار الى حلب واجتمع معهما عساكر حلب وساروا كلهم الى صلاح الدين ليحاربوه فارسل صلاح الدين الى سيف الدين يبذل تسليم حمص وحماة وان يقر بيده مدينة دمشق وهو فيها نائب الملك الصالح فلم يجب الى ذلك وقال لابد من تسليم جميع ما اخذ من بلاد الشام والعود الى مصر وكان صلاح الدين يجمع عساكره ويتجهز للحرب فلما امتنع سيف الدين من اجابته الى ما بذل سار فى عساكره الى عز الدين مسعود وزلفندار فالتقوا تاسع عشر رمضان بالقرب من مدينة حماة بموضع يقال له قرون حماة وكان زلفندار جاهلا بالحروب والقتال غير عالم بتدبيرها مع جبن فيه الا انه قد رزق سعادة وقبولا من سيف الدين فلما التقى الجمعان لم يثبت العسكر السيفى وانهزم والايلوى أخو على اخيه وثبت عز الدين أخو سيف الدين بعد انهزام اصحابه فلما راى صلاح الدين ثباته قال اما ان هذا أشجع الناس او انه لا يعرف الحرب وامر اصحابه بالحملة عليه فحملوا فازالوه عن موقفه وتمت الهزيمة وتبعهم صلاح الدين وعسكره حتى جازوا معسكرهم وغنموا منهم غنائم كثيرة وآلة وسلاحا عظيما ودواب فارهة وعادوا بعد طول البيكار مستريحين وعاد المنهزمون الى حلب وتبعهم صلاح الدين فنازلهم بها محاصرا لها ومقاتلا وقطع حينئذ خطبة الملك الصالح بن نور الدين وأزال اسمه عن السكة فى بلاده ودام محاصرا لهم فلما طال الامر عليهم راسلوه فى الصلح على ان يكون له ما بيده من بلاد الشام ولهم ما بايديهم منها فاجابهم الى ذلك وانتظم الصلح ورحل عن حلب فى العشر الاول من شوال ووصل الى حماة ووصلت اليها بها خلع الخليفة مع رسوله

والحداد والنجار والخياط والقزاز والحبالك والنشار وهو ينشر الخشب بمنشاره المعلق والطحان والفران ومعه الفرن وهو يخبز فيه والفطاطرى والجزار وحوله لحم الغنم ومثله جزار الجاموس والكبابجى والنيفاوى وقلاء الجبن والسمك و الجيارين والجباسين بالجبس والثور يدور به وهو ماش بالعربة والبناء والمبلط والمبيض النحاس والبناء والسمكرى فتمته احدى وتسعون عربة وفيهم حتى المراكبي فى قنجة كبيرة كاملة العدة والقلوع تمشى على الارض على العجل خلاف اربع عربات المختصة بالعروس فلما كان يوم الاربعاء سحبوا تلك العربات وانجروا بوا كبهم وطبولهم وزمورهم وامام كل عربة أهل حرفتها وصناعها مشاة خلف الطبول والزمور وهم مزينون بالملابس وملابسهم الفاخرة وأكثرها مستعارة فكانوا ينزلون الى البركة من ناحية باب الهواء ويمرون من تحت بيت الباشا الى ناحية رصيف الخشاب وباقى كبير الحرفة بورقته الى المتعينين لملاقاتهم فينعم عليه بخلعة ودراهم فيعطى البعض شال كشميرى والغنى فضة والبعض طاقة تفصيلة قطنى اواربعة اذرع جوخ على قدر مقام الصنعة واهلها واستمر مرورهم من اول النهار الى بعد الغروب واصطفوا بأسرهم عند رصيف الخشاب ولما اصبح يوم الخميس

(ذكر ملك صلاح الدين قلعة بعرين)

فى هذه السنة فى العشر الآخر من شوال ملك صلاح الدين قلعة بعرين من الشام وكان صاحبها فخر الدين مسعود بن الزعفرانى وهو من أكابر الامراء النورية فلما رأى قوة صلاح الدين نزل منها واتصل بصلاح الدين وظن ان صلاح الدين يكرمه ويشاركه فى ملكه ولا ينفرد عنه بامر مثل ما كان مع نور الدين فلم ير من ذلك شيئا ففارقه ولم يكن بقى له من اقطاعه التى كانت له فى الايام النورية غير بعرين ونائبه بها فلما صالح صلاح الدين الملك الصالح بحلب عاد الى حماة وسار منها الى بعرين وهى قريبة منها فحصرها ونصب عليها المجانيقات وأدام قتالها فسلمها واليها بالامان فلما ملكها عاد الى حماة فاقطعها خاله شهاب الدين محمود بن تكش الحارمى وأقطع حمص ناصر الدين ابن عمه شيركوه وسار منها الى دمشق فدخلها أواخر شوال من السنة

(ذكر ملك البهلوان مدينة تبريز)

فى هذه السنة ملك البهلوان بن ايلدكز مدينة تبريز وهى من جملة بلاد آقسنقر الاحمديلى وسبب ذلك ان البهلوان سار الى مراغة وحصرها وكان ابن آقسنقر الاحمديلى قد مات ووصى بالملك لابنه فلك الدين فقصده البهلوان ونزل على قلعة روين دز وحصرها فامتنعت عليه فتركها وحصر مراغة وسير أخاه قزل ارسلان فى جيش الى مدينة تبريز فحصرها أيضا وكان البهلوان يقاتل أهل مراغة فظفر وابطائفة من عسكره فخلع عليهم صدر الدين قاضى مراغة وأطلقهم فحسن ذلك عند البهلوان وشرع القاضى فى الصلح على ان يسلم واتبريز الى البهلوان فاجيب الى ذلك واستقرت القاعدة عليه وحلف كل واحد منهما لصاحبه وتسلم البهلوان تبريز وأعطاها اخاه قزل ارسلان ورحل عن مراغة بعسكره

(ذكر وفاة شملة)

فى هذه السنة مات شملة التركمانى صاحب خوزستان وكان قد كثرت ولايته وعظم شانه وبنى عدة حصون وبقى كذلك زيادة على عشرين سنة وكان سبب موته انه قصد بعض التركمان ففعلوا بذلك فاستغاثوا بشمس الدين البهلوان بن ايلدكز صاحب عراق العجم فسير اليهم جيشا فاقتتلوا فاصاب شملة سهم ثم اخذ اسيرا وولده وابن اخيه وتوفى بعد يومين وهو من التركمان الافشرية ولما مات ملك ابنه بعده

(ذكر هرب قطب الدين قايماز من بغداد)

فى هذه السنة فى شوال سير علاء الدين تنامش وهو من اكابر الامراء ببغداد وكان قطب الدين قايماز زوج اخته عسكرا الى العراق فنهبوا اهله وبالغوا فى اذاهم فجاء منهم جماعة الى بغداد واستغاثوا فلم يغاثوا لضعف الخليفة مع قايماز وتنامش وتحكمهما عليه فقصدوا جامع القصر واستغاثوا فيه ومنعوا الخطيب وفاتت الصلاة أكثر الناس فانكر الخليفة ماجرى فلم يلتفت قطب الدين وتنامش الى ما فعل واحتقروه فلاجرم لم يمهلهم

رتبوا امر والزفة ومن لترتيبها اشخاصا ومنهم السيد محمد درب الشمسى وهو كبير المنظمين وكان خروجها من بيت الحريم وهو الذى كان سكن الشيخ خليل البكرى وذهبوا وانجروا الى طريق الموسكى على تحت الربع الى باب زويلة الى الغورية الى بين القصرين الى سوق مرجوش الى باب الحديد الى بولاق الى سراية اسمعيل باشا التى جددوها قبلى بولاق قريبا من الشون فلم تصل الى منزلها الا عند الغروب وكان فى اول الزفة طائفة من العسكر الدلاة ثم والى الشرطة ثم المحتسب ثم موكب اغات الينكجرية وبعدهم المساخر والنقاقير وعدتها عشرة نقاقير وعلى كل نقارة نفصيلة ثم العربات المذكورة وفيها أيضا تجار الغورية وطائفة تجار خان الخليلى فى موكب حفل وتجار الحمزاوى من نصارى الشوام وغيرهم وكان يوما مشهودا اجتمعت فيه الخلائق للفرجة فى طرقها حتى طريق بولاق واكترى الناس الاماكن المطلة على الشارع والحوانيت باغلى الاثمان ولما وصلت العروس الى قصرها ضربوا عدة مدافع من بولاق والازبكية والجيزة وكان العزم على عمل المهم الثانى والابتداء فيه من يوم السبت الذى بعد الجمعة فرسم وابتاخيره الى الجمعة الاخرى لتاخر ام العريس ومن يصحبها من النساء واقن ببولاق تلك الجمعة واستمرت

الله تعالى لاحتقارهم الدعاء وازدرائهم أهله فلما كان خامس ذى القعدة قصد قطب الدين قايماز أذى ظهير الدين بن العطار وكان صاحب المخزن وهو خاص الخليفة وله به عناية تامة فلم يراع الخليفة فى صاحبه فارسل اليه يستدعيه ليحضر عنده فهرب فاحرق قطب الدين داره وحالف الامراء على المساعدة والمظاهرة له وجمعهم وقصد دار الخليفة ليعلمه ان ابن العطار فيها فلما علم الخليفة ذلك ورأى الغلبة صعد الى سطح داره وظهر للعامة وأمر خادما فصاح واستغاث وقال للعامة مال قطب الدين لكم ودمه لى فقصد الخلق كلهم دار قطب الدين للنهب فلم يمكنه المقام لضيق الشوارع وغلبة العامة فهرب من داره من باب فتحه فى ظهرها لكثرة الخلق على بابها وخرج من بغداد ونهبت داره وأخذ منها من الاموال مالا يعد ولا يحصى فرؤى فيها من التنعم ما ليس لاحد مثله فمن جملة ذلك ان بيت الطهارة الذى كان له فيه سلسلة ذهب من السقف الى محاذى وجه القاعد على الخلاء وفى اسفلها كرة كبيرة ذهب مخرمة محشوة بالمسك والعنبر ليشمها اذا قعد فتشبث الانسان وقطعها ودخل بعض الصعاليك فاخذ عدة اكياس مملوءة دنانير وكان الاقوياء قد وقفوا على الابواب يأخذون ما يخرج به الناس فلما أخذ ذلك الصعلوك الاكياس قصد المطبخ فاخذ منه قدرا مملوءة طبيخا وألقى الاكياس فيها وحملها على رأسه والناس يضحكون منه فيقول انا أريد شيئا اطعمه عيالى اليوم فنجا بما معه فاستغنى بعد ذلك فظهر المال ولم يبق من نعمة قطب الدين فى ساعة واحدة قليل ولا كثير ولما خرج من البلد تبعه تنامش وجماعة من الامراء فنهبت دورهم ايضا واخذت أموالهم واحرق أكثرها وسار قطب الدين الى الحلة ومعه الامراء فسير الخليفة اليه صدر الدين عبد الرحيم شيخ الشيوخ فلم يزل به يخدعه حتى سار عن الحلة الى الموصل على البر فلحقه ومن معه عطش عظيم فهلك أكثرهم من شدة الحر والعطش ومات قطب الدين قبل وصوله الى الموصل فحمل ودفن بظاهر باب العمادى وقبره مشهور هنالك وهذا عاقبة عصيان الخليفة وكفران الاحسان والظلم وسوء التدبير فانه ظلم اهل العراق وكفر احسان الخليفة الذى كان قد غمره ولو أقام بالحلة وجمع العساكر وعاد بغداد لاستولى على الامور كلها كما كان فان عامة بغداد كانوا يريدونه وكان قوى بالاحسان على البلاد فاطاعوه ولما مات فى ذى الحجة وصل علاء الدين تنامش الى الموصل فاقام مديدة ثم أمره الخليفة بالقدوم الى بغداد فعاد اليها وبقى بها الى ان مات بغير اقطاع وكان هذا آخر أمرهم ولما أقام قطب الدين بالحلة امتنع الحاج من السفر فتاخروا الى ان رحل منها فدخلوا من الكوفة فى ثمانية عشر يوما وهذا ما لم يسمع بمثله وفات كثيرا منهم الحج ولما هرب قطب الدين خلع الخليفة على عضد الدين الوزير واعيد الى الوزارة قال بعض الشعراء فى قطب الدين وتنامش هذه الابيات

ان كنت معتبرا بملك زائل * وحوادث عنقية الادلاج
فدع العجائب والتواريخ الاولى * وانظر الى قيمازو بن افاج

قصبة الصوارى والحبال والآلات على تجاهها بالازبكية (وفى يوم الاحد سابع عشره) وصل السيد غالب شريف مكة الى مصر القديمة وقد أتت به السفينة من القلزم الى مرساة ثغر القصير فتلقاه ابراهيم باشا وحضر صحبته الى قنا وقوص ثم ركب النيل بمن معه من أولاده وعبيده والعسكر الواصلين صحبته وحضر الى مصر القديمة فلما وصل الخبر الى كتخدا بك ضربوا عدة مدافع من القلعة اعلاما بوصوله واكراما على حد قوله تعالى ذق انك أنت العزيز الكريم وركب صالح بك السلحدار واحمد أغا اخو كتخدا بك فى طائفة لملاقاته واحضاره وهيؤا له مكانا بمنزل أحمد أغا اخى كتخدا بك بعطفة ابن عبد الله بك بخط السروجية لينزل فيه وانتظره الكتخدا هنالك وصحبته بونابارته الخازندار ومحمود بك ومحو بك وابراهيم أغا أغات الباب والسيد محمد المحروقى فلما وصل الى الدار نزل الكتخدا والجماعة ولاقوه عند سلم الركوبة وقبلوا يده ولزم الكتخدا يده تحت ابطه حتى صعد الى محل الجلوس الذى أعدوه له واستمر الكتخدا قائما على قدميه حتى أذن له فى الجلوس هو وباقى الجماعة وعرفه الكتخدا عن السيد محمد المحروقى فتقدم وقبل يده فقام له وسلم عليه وجلس بحذاء الكتخدا ليترجم عنه فى الكلام ويؤانسوه ويطمنوا خاطره ثم ان الكتخدا

عطف الزمان عليهما فسقاهما * من كاسه صرفا بغير مزاج
فتبدد لو ابعد القصور وظلها * ونعيمها بهامه وفجاج
فليحذر الباقون من امثالها * نكبات دهر خائن مزعاج

وكان قطب الدين كريما طلق الوجه محبا للعدل والاحسان كثير البذل للمال والذى كان جرى منه انما كان يحمله عليه فخر الدين قيماز ولم يكن بارادته

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة مات زعيم الدين صاحب المخزن واسمه يحيى بن عبد الله بن محمد بن المعمر ابن جعفر ابو الفضل وحج بالناس عدة سنين واليه الحكم فى الطريق وناب من الوزارة وتنقل فى هذه الاعمال اكثر من عشرين سنة وكان يحفظ القرآن

(ثم دخلت سنة احدى وسبعين وخمسمائة)

(ذكر انهزام سيف الدين من صلاح الدين)

فى هذه السنة عاشر شوّال كان المصاف بين سيف الدين غازى بن مودود وبين صلاح الدين يوسف بن ايوب بتل السلطان على مرحلة من حلب على طريق حماة وانهزم سيف الدين وسبب ذلك انه لما انهزم اخوه عز الدين مسعود من صلاح الدين فى العام الماضى وصالح سيف الدين اخاه عماد الدين صاحب سنجار عاد الى الموصل وجمع عساكره وفرق فيهم الاموال واستنجد صاحب حصن كيفا وصاحب ماردين وغيرهما فاجتمعت معه عساكر كثيرة بلغت عدتهم ستة آلاف فارس فسار الى نصيبين فى ربيع الاوّل من هذه السنة واقام بها فاطال المقام حتى انقضى الشتاء وهو مقيم فضجر العسكر ونفدت نفقاتهم وصار العود الى بيوتهم مع الهزيمة أحب اليهم من الظفر لما يتوقعونه ان ظفروا من طول المقام بالشام بعد هذه المدة ثم سار الى حلب فنزل اليه سعد الدين كمشتكين الخادم مدبر دولة الملك الصالح ومعه عسكر حلب وكان صلاح الدين فى قلة من العساكر لانه كان صالح الفرنج فى المحرم من هذه السنة على ما نذكره ان شاء الله وقد سير عساكره الى مصر فارسل يستدعيها فلو عاجلوه لبلغوا غرضهم منه لكنهم تريثوا وتأخروا عنه فجاءته عساكره فسار من دمشق الى ناحية حلب ليلقى سيف الدين فالتقى العسكران بتل السلطان وكان سيف الدين قد سبقه فلما وصل صلاح الدين كان وصوله العصر وقد تعب هو وأصحابه وعطشوا فالقوا انفسهم الى الارض ليس فيهم حركة فاشار على سيف الدين جماعة بقتالهم وهم على هذا الحال فقال زلفندار ما بنا هذه الحاجة الى قتال هذا الخارجى فى هذه الساعة غدا بكرة نأخذهم كلهم فترك القتال الى الغد فلما اصبحوا اصطفوا للقتال فجعل زلفندار وهو المدبر للعسكر السيفى اعلامهم فى وهدة من الارض لا يراها الا من هو بالقرب منها فلما لم يرها الناس ظنوا ان السلطان قد انهزم فلم يثبتوا وانهزموا ولم يلو اخ على أخيه ولم يقتل بين الفريقين مع كثرتهم غير رجل واحد ووصل سيف الدين الى حلب وترك بها أخاه عز الدين مسعودا فى جمع من

اعتذر له باشتغاله باحوال الدولة واستأذنه فى الذهاب الى ديوانه وعرفه أن اخاه ١٩٣ ينوب عنه فى الخدمة ولوازمه فقبل عذره وقام منصرفا هو وباقى الجماعة ماعدا السيد محمد المحروقى ومحمود بك فان الكتخدا أمرهما بالتخلف عنده ساعة فجلسا معه وتغديا بصحبته ومعه أولاده الثلاثة وعبيده ثم انصرفا الى منزلهما ولم يأذن الكتخدا لاحد من الاشياخ أو غيرهم من التجار بالسلام عليه والاجتماع به والذى بلغنا فى كيفية القبض عليه انه لما ذهب الباشا الى مكة واستمر هو وابنه طوسون باشا مع الشريف غالب على المصادقة والمسالمة والمصافاة وجدد معه العهود والايمان فى جوف الكعبة بان لا يخون احد صاحبه وكان الباشا يذهب اليه فى قلة وهو الآخر يأتى اليه والى ابنه كذلك واستمروا على ذلك خمسة عشر يوما من ذى القعدة دعاه طوسون باشا اليه فاتى اليه كعادته فى قلة فوجد بالدار عساكر كثيرة فعندما استقر به المجلس وصل عابدين بك فى عدة وافرة وطلع الى المجلس فدنا منه واخذ الجنبية من حزامه وقال له انت مطلوب للدولة فقال سمعا وطاعة ولكن حتى اقضى اشغالى فى ظرف ثلاثة ايام واتوجه فقال لا سبيل الى ذلك والسفينة حاضرة فى انتظارك فحصل فى

جماعة الشريف وعبيده رجة وصعدوا على ابراج سرايته وادادوا الحرب فارسل اليهم الباشا يقول لهم ان

العسكر ولم يقم هو وعبر الفرات وسار الى الموصل وهو لا يصدق انه ينجو وظن ان صلاح الدين يعبر الفرات ويقصده بالموصل فاستشار وزيره جلال الدين ومجاهد الدين قايماز فى مفارقة الموصل والاعتصام بقلعة عقر الحميدية فقال له مجاهد الدين ارأيت ان ملكت الموصل عليك اتقدر ان تمتنع ببعض ابراج الفصيل فقال لا فقال برج فى الفصيل خير من العقر وما زال الملوك ينهزمون ويعاودون الحرب واتفق هو والوزير على شد ازره وتقوية قلبه فثبت ثم اعرض عن زلفندار وعزله واستعمل مكانه على امارة الجيوش مجاهد الدين قايماز على ما نذكره ان شاء الله وقد ذكر العماد الكاتب فى كتاب البرق الشامى فى تاريخ الدولة الصلاحية أن سيف الدين كان عسكره فى هذه الوقعة عشرين ألف فارس ولم يكن كذلك انما كان على التحقيق يزيدون على ستة آلاف فارس اقل من خمسمائة فانى وقفت على جريدة العرض وترتيب العسكر للمصاف ميمنة وميسرة وقلبا وجاليشية وغير ذلك وكان المتولى لذلك والكاتب له أخى مجد الدين ابا السعادات المبارك بن محمد بن عبد الكريم رحمه الله وانما قصد العماد أن يعظم أمر صاحبه بانه هزم بستة آلاف عشرين الفا والحق احق ان يتبع ثم ياليت شعرى كم هى الموصل واعمالها الى الفرات حتى يكون لها وفيها عشرون الف فارس

(ذكر ما ملكه صلاح الدين بعد الكسرة من بلاد الصالح بن نور الدين)

لما انهزم سيف الدين وعسكره ووصلوا الى حلب عاد سيف الدين الى الموصل كما ذكرناه وترك بحلب اخاه عز الدين مسعودا فى طائفة من العسكر نجدة للملك الصالح واما صلاح الدين فانه لما استولى على اثقال العسكر الموصلى هو وعسكره وغنموها واتسعوا بها وقووا سار الى بزاعة فحصرها وقاتله من بالقلعة ثم تسلمها وجعل فيها من يحفظها وسار الى مدينة منبج فحصرها آخر شوال وبها صاحبها قطب الدين ينال بن حسان المنبجى وكان شديد العداوة لصلاح الدين والتحريض عليه والاطماع فيه والطعن فيه فصلاح الدين حنق عليه مهدد له فاما المدينة فلكها ولم تمتنع عليه وبقى القلعة وبها صاحبها قد جمع اليها الرجال والسلاح والذخائر فحصره صلاح الدين وضيق عليه وزحف الى القلعة فوصل النقابون الى السور فنقبوها وملكوها عنوة وغنم العسكر الصلاحى كل ما فيها واخذ صاحبها اسيرا فاخذ صلاح الدين كل ماله واصبح فقيرا لا يملك نقيرا ثم اطلقه صلاح الدين فسار الى الموصل فاقطعه سيف الدين غازى مدينة الرقة ولما فرغ صلاح الدين من منبج سار الى قلعة اعزاز فنازلها ثالث ذى القعدة من السنة وهى من احصن القلاع وامنعها فنازلها وحصرها واحاط بها وضيق على من فيها ونصب عليها المنجنيقات وقتل عليها كثير من العسكر فبينما صلاح الدين يوما فى خيمة لبعض امرائه يقال له جاولى وهو مقدم الطائفة الاسدية اذ وثب عليه باطنى فضربه بسكين فى راسه فجرحه فلولا ان المغفر الزرد كان تحت

القلنسوة

وقع منكم حرب احرقت البلدة وقتلت استاذكم وارسل لهم ايضا الشريف يكفهم عن ذلك وكان بها اولاده الثلاثة فحضر اليهم الشيخ احمد تركى وهو من خواص الشريف وخدمهم وقال لهم لم يكن هناك باس وانما والدكم مطلوب فى مشاورة مع الدولة ويعود بالسلامة وحضرة الباشا يريد ان يقلد كبيركم نيابة عن ابيه الى حين رجوعه ولم يزل حتى انخدع كبيرهم لكلامه وقاموا معه فذهب بهم الى محل خلاف الذى به والدهم محتفظا بهم وفى الوقت احضر الباشا الشريف يحيى بن سرور وهو ابن اخى الشريف غالب وخلع عليه وقلده امارة مكة ونودى فى البلدة باسمه وعزل الشريف غالب بحسب الاوامر السلطانية واستمر الشريف غالب أربعة أيام عند طوسون باشا ثم اركبوه واصحبوا معه عدة من العسكر وذهبوا به وباولاده الى بندر جدة وانزلوهم السفينة وساروا بها من ناحية القصير من صعيد مصر وحضر كما ذكر (وفى يوم الاربعاء) وصل قاصد من الديار الرومية وعلى يده مثالان فعمل كتخدا بك ديوانا فى صبيحة يوم الخميس حادى عشرينه وقرئ ذلك وهما مثالان يتضمن أحدهما التقرير لمحمد على باشا على ولاية مصر على السنة الجديدة والثانى فى الاخبار والبشارة باستيلاء العثمانيين على بلاد العرب ولما فرغوا من قراءتهما

القلنسوة لقتله فامسك صلاح الدين يد الباطنى بيده الا انه لا يقدر على منعه من الضرب بالكلية انما يضرب ضربا ضعيفا فبقى الباطنى يضرب به فى رقبته بالسكين وكان عليه كزاغند فكانت الضربات تقع فى زيق الكزاغند فتقطعه والزردية تمنعها من الوصول الى رقبته لبعد اجله فجاء امير من امرائه اسمه يازكش فامسك السكين بكفه فجرحه الباطنى ولم يطلقها من يده الى ان قتل الباطنى وجاء آخر من الاسماعيلية فقتل ايضا وثالث فقتل وركب صلاح الدين الى خيمته كالمذعور لا يصدق بنجاته ثم اعتبر جنده فمن انكره ابعده ومن عرفه اقره على خدمته ولازم حصار اعزاز ثمانية وثلاثين يوما كل يوم اشد قتالا مما قبله وكثرت النقوب فيها فاذعن من بها وسلموا القلعة اليه فتسلمها حادى عشر ذى الحجة

(ذكر حصر صلاح الدين مدينة حلب والصلح عليها)

لما ملك صلاح الدين قلعة اعزاز رحل الى حلب فنازلها منتصف ذى الحجة وحصرها وبها الملك الصالح ومن معه من العساكر وقد قام العامة فى حفظ البلد القيام المرضى بحيث انهم منعوا صلاح الدين من القرب من البلد لانه كان اذا تقدم للقتال خسر هو واصحابه وكثر الجراح فيهم والقتل وكانوا يخرجون ويقاتلونه ظاهر البلد فترك القتال واخلد للمطاولة وانقضت سنة احدى وسبعين ودخلت سنة اثنتين وسبعين وهو محاصر لها ثم ترددت الرسل بينهم فى الصلح فى العشرين من المحرم فوقعت الاجابة اليه من الجانبين لان اهل حلب خافوا من طول الحصار فانهم ربما ضجروا وضعفوا وصلاح الدين رأى انه لا يقدر على الدنو من البلد ولا على قتال من به فاجاب ايضا وتقررت القاعدة فى الصلح للجميع للملك الصالح ولسيف الدين صاحب الموصل ولصاحب الحصن ولصاحب ماردين وتحالفوا واستقرت القاعدة ان يكونوا كلهم عونا على الناكث الغادر فلما انفصل الامر رحل من حلب بعد ان اعاد قلعة اعزاز الى الملك الصالح فانه اخرج الى صلاح الدين اختا له صغيرة طفلة فاكرمها صلاح الدين وحمل لها شيئا كثيرا وقال لها ما تريدين قالت اريد قلعة اعزاز وكانوا قد علموها ذلك فسلمها اليهم ورحل الى بلد الاسماعيلية

(ذكر الفتنة بمكة وعزل اميرها واقامة غيره)

فى هذه السنه فى ذى الحجه كان بمكة حرب شديدة بين امير الحاج طاشتكين وبين الامير مكثر بن عيسى امير مكة وكان الخليفة قد امر امير الحاج بعزل مكثر واقامة اخيه داود مقامه وسبب ذلك انه كان قد بنى قلعة على جبل ابى قبيس فلما سار الحاج من عرفات لم يبيتوا بالمزدلفة وانما اجتازوا بها فلم يرموا الجمار انما بعضهم رمى بعضها وهو سائر ونزلوا الابطح فخرج اليهم ناس من اهل مكة فحاربوهم وقتل من الفريقين جماعة وصاح الناس الغزاة الى مكة فهجموا عليها فهرب امير مكة مكثر فصعد الى القلعة التى بناها على جبل ابى قبيس فحصروه بها ففارقها وسار عن مكة وولى اخوه داود الامارة

ضربوا عدة مدافع من القلعة وفى عصرية ذلك اليوم حضر حريم الباشا من بولاق الى الازبكية فى عربات فضربوا لحضورهن مدافع من الازبكية وشرعوا فى عمل المهم الثانى لابنة الباشا على الدفتردار وافتتحوا ذلك من ليلة السبت على النسق المتقدم وعملوا العزائم والولائم واحتفلوا ازيد من المهم الاول واحضروا الشريف غالبا واعدوا له مكانا ببيت الشرايبي على حدته هو واولاده ليتفرجوا على الملاعيب والبهلوانات نهارا والشنك والحراقات ليلا وعلى الشريف واولاده الحرس ولا يجتمع بهم احد على الوجه والصورة التى كانوا عليها بالمنزل الذى انزلوا فيه فلما كان فى يوم الاربعاء اجتمع ارباب العربات واصحابها وقد زادوا عن الاولى خمسة عشر عربة وفيهم معمل الزجاج وباتوا بنواحى البركة على النسق المتقدم ونصبوا لهم خياما تقيهم من البرد والمطر لان الوقت شاتٍ ولما اصبح يوم الخميس انجرت العربات وموكب الزفة من ناحية باب الهواء على قنطرة الموسكى على باب الخرق على درب الجماميز وعطفوا من الصليبة على المظفر على السروجية على قصبة رضوان بك على باب زويلة على شارع الغورية على الجمالية على سوق مرجوش على بين السورين على الازبكية على باب الهواء الى المنزل الذى اعدوه لها وهو بيت ابنة اسمعيل بك

ونهب كثيرا من الحاج وأخذوا من اموال التجار المقيمين بها شيئا كثيرا واحرقوا دورا كثيرة ومن اعجب ماجرى فيها ان انسانا زراقا ضرب دارا بقارورة نفط فاحرقها وكانت لايتام فاحرقت مافيها ثم أخذ قارورة أخرى ليضرب بها مكانا آخر فاتاه حجر فاصاب القارورة فكسرها فاحترق هو بها فبقى ثلاثة ايام يعذب بالحريق ثم مات

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة فى شهر رمضان انكسفت الشمس جميعها وأظلمت الارض حتى بقى الوقت كانه ليل مظلم وظهرت الكواكب وكان ذلك ضحوة النهار يوم الجمعة التاسع والعشرين منه وكنت حينئذ صبيا بظاهر جزيرة ابن عمر مع شيخ لنا من العلماء اقرأ عليه الحساب فلما رأيت ذلك خفت خوفا شديدا وتمسكت به فقوى قلبى وكان عالما بالنجوم أيضا وقال لى الآن ترى هذا جميعه انصرف فانصرف سريعا وفيها ولى الخليفة المستضئ بامر الله حجبة الباب أباطالب نصر بن على الناقد وكان يلقب فى صغره قنبرا فصاروا يصيحون به ذلك اذا ركب فامر الخليفة ان يركب معه جماعة من الاتراك ويمنعون الناس من ذلك فامتنعوا فلما كان قبل العيد خلع عليه ليركب فى الموكب فاشترى جماعة من أهل بغداد من القنابر شيئا كثيرا وعزموا على ارسالها فى الموكب اذا رأوا ابن الناقد فانهى ذلك الى الخليفة وقيل له يصير الموكب ضحكة فعزله وولى ابن المعوج وفيها فى ذى الحجة يوم العيد وقعت فتنة ببغداد بين العامة وبين الاتراك بسبب أخذ جمال النحر فقتل بينهم جماعة ونهب شئ كثير من الاموال ففرق الخليفة أموالا جليلة فيمن نهب ماله وفيها زلزلت بلاد العجم من جهة العراق الى ماوراء الرى وهلك فيها خلق كثير وتهدمت دور كثيرة وأكثر ذلك كان بالرى وقزوين وفيها فى ربيع الآخر استوزر سيف الدين غازى صاحب الموصل جلال الدين ابا الحسن ابن جمال الدين محمد بن على وكان جمال الدين وزير البيت الاتابكى وقد تقدمت أخباره وهو المشهور بالجود والافضال ولما ولى جلال الدين الوزارة ظهرت منه كفاية عظيمة ومعرفة تامة بقوانين الوزارة وله مكاتبات وعهود حسنة مدونة مشهورة وكان جوادا فاضلا خيرا وكان عمره لما ولى الوزارة خمسا وعشرين سنة وفيها فى ذى الحجة استناب سيف الدين أيضا عنه بقلعة الموصل مجاهد الدين قايماز وفوض اليه الامور وكان قبل ذلك اليه الامر بمدينة اربل واعمالها وكان رحمه الله من صالحى الامراء وأرباب المعروف بنى كثيرا من الجوامع والخانات فى الطرق والقناطر على الانهار والربط وغير ذلك من أبواب البر وكان دائم الصدقة كثير الاحسان عادل السيرة رحمه الله وفيها قبض الخليفة على سنجر المقتفوى استاذ الدار ورتب مكانه أبا الفضل هبة الله ابن على بن هبة الله بن الصاحب وفيها فى رمضان قدم شمس الدولة تورانشاه بن ايوب الذى ملك اليمن الى دمشق ولما سمع ان أخاه صلاح الدين ملكها حن الى الوطن والاتراب ففارق اليمن وسار الى الشام وأرسل من الطريق الى اخيه صلاح الدين يعلمه بوصوله وكتب فى الكتاب شعرا من قول ابن المنجم المصرى

وهى بنت ابراهيم بك وكانت متزوجة باسمعيل بك ولما مات تزوج بها مملوكه محمد أغا ويعرف بالالفى وقد تولى اغاوية مستحفظان فى هذه الدولة واعتنى بهذه الدار وعمر بها مكانين بداخل الحريم وزخرفهما ونقشهما نقشا بديعا صناعة صناع العجم واستمروا فى نقشها سنتين ولما ماتت المذكورة فى اوائل هذه السنة واستمر هوساكنا فيها وانزل الباشا عنده القاضى المنفصل عن قضاء مصر المعروف ببهجة افندى وقاضى مكة صادق افندى حين حضر من اسلامبول ثم امره الباشا بالخروج منها واخلائها لاجل ان يسكن بها ابنته هذه المزفوفة فخرج منها فى اوائل شوّال وكذلك سافر القاضيان الى الحجاز بصحبة الباشا وعند ذلك بيضوها وزادوا فى زخرفتها وفرشوها بانواع الفرش الفاخرة ونقلوا اليها جهاز العروس والصناديق وماقدم اليها من الهدايا والامتعة والجواهر والتحف من الاعيان ونسائهم حتى من نساء الامراء المصريين المنكوبين وقد تكلفوا فوق طاقتهم وباعوا واستدانوا وغرموا فى النقوط والتقادم والهدايا فى هذين المهمين ما اصبحوا به مجردين ومديونين وكان اذا قدمت احدى المشهورات منهن هديتها رضوها على ام العروسين التى هى زوجة الباشا فقلبت مافيها من المصاغ الجوهر والمقصبات والى

والى صلاح الدين اشكوانني * من بعده مضنى الجوانح مولع
جزعا لبعد الدارمنه ولم أ كن * لولا هواه لبعد دار اجزع
فلأركبن اليه متن عزائمى * ويخب بى ركب الغرام ويوسع
ولاقطعن من النهار ه واجرا * قلب النهار بحرها يتقطع
ولاسرين الليل لايسرى به * طيف الخيال ولا البروق اللمع
واقدمن اليه قلبي مخبرا * انى بجسمى من قريب اتبع
حتى اشاهد منه اسعد طلعة * من افقها صبح السعادة يطلع

وفى هذه السنة فى المحرم برز صلاح الدين من دمشق وقد عظم شانه بما ملكه من بلاد الشام وبكسره عسكر الموصل فخافه الفرنج وغيرهم وعزم على دخول بلادهم ونهبها والاغارة عليه فارسلوا اليه يطلبون الهدنة معه فاجابهم اليها وصالحهم فامر العساكر المصرية بالعود الى مصر والاستراحة الى ان يعاود طلبهم وشرط عليهم انه متى أرسل يستدعيهم لايتاخرون فساروا اليها وأقاموا بها الى ان استدعاهم للحرب مع سيف الدين على ماذكرناه وفيها مات ابو الحسن على بن عساكر البطائحى المقرى وكان قد سمع الحديث الكثير ورواه وكان نحويا جيدا وفى ذى الحجة منها توفى ابو سعد محمد ابن سعيد بن محمد بن الرزاز سمع الحديث ورواه وله شعر جيد فمن ذلك انه كتب اليه بعض اصدقائه مكاتبة وضمنها شعرا فاجابه

يامن اياديه تغنى من يعددها * وليس يحصى مداها من لها يصف
عجزت عن شكر ما أوليت من كرم * وصرت عبدا ولى فى ذلك الشرف
اهديت منظوم شعر كله درر * فى كل ناظم عقد عنده يقف
اذا أتيت ببيت منه كان لنا * قصرا ودر المعانى فوقه شرف
وان أتيت أنا بيتا يناقضه * أتيت لكن ببيت سقفه يكف
ما كنت منه ولامن أهله أبدا * وانما حين ادنو منه اقتطف

(ثم دخلت سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة)

(ذكر نهب صلاح الدين بلد الاسماعيلية)

لما رحل صلاح الدين من حلب على ماذكرناه قبل قصد بلاد الاسماعيلية فى المحرم ليقاتلهم بما فعلوه من الوثوب عليه وارادة قتله فنهب بلادهم وخربه واحرقه وحصر قلعة مصياث وهى اعظم حصونهم واحصن قلاعهم فنصب عليها المنجنيقات وضيق على من بها ولم يزل كذلك فارسل سنان مقدم الاسماعيلية الى شهاب الدين الحارمى صاحب حماة وهو خال صلاح الدين يساله ان يدخل بينهم ويصلح الحال ويشفع فيهم ويقول له ان لم تفعل قتلناك وجميع أهل صلاح الدين فشفع فيهم وسال الصفح عنهم فاجابه الى ذلك وصالحهم ورحل عنهم وكان عسكره قد ملوا من طول البيكار وقد امتلأت أيديهم من غنائم عسكر الموصل ونهب بلد الاسماعيلية فطلبوا العود الى بلادهم للاستراحة فاذن لهم وسار هو الى مصر مع عسكره الا انه كان قد طال عهده عنها

وغيرها فان اعجبتها تركتها والا امرت بردها قائلة هذا مقام فلانة التى كانت بنت امير مصر او زوجته فتتكلف المسكينة للزيادة ونحو ذلك مع مايلحقها من كسر الخاطر وانكساف البال ثم ادخلوا العروس الى تلك الدار عندما وصلت بالزفة (ومما حصل) انه قبل مرور موكب الزفة بيومين طاف اصحاب الشرطة ومعهم رجال وبايديهم مقياس فكلما مروا بناحية اوطريق يضيق عن القياس هدموا ماعارضهم من مساطب الدكاكين اوغيرها من الجهتين لاتساع الطريق لمرور العربات والملاعيب وغيرها فاتلفوا كثيرا من الابنية ونودى فى يوم الاربعاء بزينة الحوانيت والطرق التى تمر عليها الزفة بالعروس (ومما حصل) من الحوادث السماوية ان فى يوم الخميس المذكور عندما توسطت الزفة فى مرورها بوسط المدينة اطبق الجو بالغيام وامطرت السماء مطرا غزيرا حتى تبحرت الطرق وتوحلت الارض وابتلت الخلائق من النساء والرجال المتجمعين للفرجة وخصوصا الكائنين بالسقائف وفوق الحوانيت والمساطب واما المتعينون للمشى فى الموكب ولابد الذين لامفرلهم من ذلك ولامهرب فاختل نظامهم وابتلت ثيابهم وتكدرت طباعهم وانتقضت اوضاعهم وزادت وساوسهم وتلفت ملابسهم وهطل الغيث على الابريسم والحرير والشالات الكرخانه والسليمى

والكشمير وما زينت به الغربات من أنواع ١٩٨ المزركش والمقصبات ونفذت على من بداخلها من القيان والاغانى الحسان وكثير من الناس وقع بعدما تزحلق وصار ثوبه بالوحل أبلق ومنهم من ترك الزفه وولى هاربا فى عطفه يمسح يديه فى الحيط مما تلطخ بهما من الرطاريط وتعارجت الحمير وتعثرت البياجير وانهدم تنور الزجاج ولم ينفع به العلاج وتلف للناس شئ كثير ولا يدفع قضاء الله حيلة ولا تدبير ولم تصل العروس الى دارها الا قبيل دنو الشمس من غروبها وعند ذلك انجلى الجو وانكشفت بيوت النو ووافق ذلك اليوم ثالث عشر طوبه من شهور القبط المسوبه وحصل بذلك الغيث العميم النفع لمزارع الغلة والبرسيم (وفيه) وردت مكاتبات من العقبة فيها الاخبار بوصول قافلة الحج صحبة المحمل وأميرها مصطفى بك دالى باشا (وفى يوم الجمعة) تاسع عشرينه وصل كثير من الحجاج الاتراك وغيرهم وردوا فى البحر الى بندر السويس ووصل تابع قهوجى باشا واخبر عنه انه فارق مخدومه من العقبة ونزل فى مركب مع أم عابدين بك وحضر الى السويس

(واستهل شهر صفر بيوم الاحد سنة ١٢٢٩) فمما وقع فى ذلك اليوم من الحوادث ان صناع البارود الكائنين بباب اللوق عملوا

ولم يمكنه المضى اليها فيما تقدم خوفا على بلاد الشام فلما انهزم سيف الدين وحصر هو حلب وملك بلادها واصطلحوا أمن على البلاد فسار الى مصر وأمر ببناء سور على مصر والقاهرة والقلعة التى على جبل المقطم دوره تسعة وعشرون الف ذراع وثلثمائة ذراع بالذراع الهاشمى ولم يزل العمل فيه الى ان مات صلاح الدين

(ذكر ظفر للمسلمين بالفرنج وللفرنج بالمسلمين)

كان شمس الدين محمد بن عبد الملك بن المقدم صاحب بعلبك فاتاه خبر ان جمعا من الفرنج قد قصدوا البقاع من اعمال بعلبك واغاروا عليها فسار اليهم وكمن لهم فى الشعراء والغياض وأوقع بهم وقتل فيهم واكثر واسر نحو مائتى رجل منهم وسيرهم الى صلاح الدين وكان شمس الدولة توران شاه اخو صلاح الدين وهو الذى ملك اليمن قد وصل الى دمشق كما ذكرناه وهو فيها فسمع ان طائفة من الفرنج قد خرجوا من بلادهم الى اعمال دمشق فسار اليهم ولقيهم عند عين الجر فى تلك المروج فلم يثبت لهم وانهزم عنهم فظفروا بجمع من اصحابه فاسر وهم منهم سيف الدين ابو بكر بن السلار وهو من اعيان الجند الدمشقيين واجترأ الفرنج بعدها وانبسطوا فى تلك الولاية وجبروا الكسر الذى ناله منهم ابن المقدم

(ذكر عصيان صاحب شهرزور على سيف الدين وعوده الى طاعته)

فى هذه السنة عصى شهاب الدين محمد بن بزان صاحب شهرزور على سيف الدين غازى وكان فى طاعته وتحت حكمه وكان سبب ذلك ان مجاهد الدين قايماز كان متوليا مدينة اربل وكان بينه وبين ابن بزان عداوة محكمة فلما استناب سيف الدين مجاهد الدين بالموصل خاف ابن بزان ان يناله منه أذى فاظهر الامتناع من النزول الى الخدمة فارسل اليه جلال الدين وزير سيف الدين كتابا يامره بمعاودة الطاعة ويحذره عاقبة المخالفة وهو من أحسن الكتب وأبلغها فى هذا المعنى ولولا خوف التطويل لذكرته فليطلب من مكاتباته فلما وصل اليه الكتاب والرسول بادر الى حضور الخدمة بالموصل وزال الخلف

(ذكر فرج بعد شدة يتعلق بالتاريخ)

بالقرب من جزيرة ابن عمر حصن منيع من امنع المعاقل اسمه فنك وهو على رأس جبل عال وهو للاكراد البشنوية له بايديهم نحو ثلثمائة سنة وكان صاحبه هذه السنة أميرا منهم اسمه ابراهيم وله أخ اسمه عيسى قد اخرجه وهو لا يزال يسعى فى أخذه من أخيه ابراهيم فاطاعه بعض بطانة ابراهيم وفتح باب السر ليلا وأصعد منه الى رأس القلعة نيفا وعشرين رجلا فقبضوا على ابراهيم ومن عنده ولم يكن عنده الا نفر من خواصه وهذه قلة على صخرة كبيرة مرتفعة عن سائر القلعة ارتفاعا كثيرا وبها يسكن الامير واهله وخواصه وباقى الجند فى القلعة تحت القلة فلما قبضوا ابراهيم جعلوه فى خزانة وضربه بعضهم بسيف فى يده على عاتقه فلم يصنع شيئا فلما جعل فى الخزانة وكل به

رجلين وصعد الباقون الى سطح القلة ولا يشكون ان القلعة لهم لا مانع عنها ووصل
من الغد بكرة الامير عيسى ليتسلم القلعة وبينه وبينها دجلة وكانت امرأة الامير ابراهيم فى
خزانة اخرى وفيها شباك حديد ثقيل يشرف الى القلعة فجذبته بيدها فانقلع وجند
زوجها فى القلعة لا يقدرون على شئ فلما قلعت الشباك ارادت ان تدلى حبلا ترفع
به الرجال اليها فلم يكن عندها غير ثياب خام فوصلت بعضها ببعض ودلتها الى القلعة
وشدت طرفيها عندها فى عود فاصعدت اليها عشرة رجال ولم يكن يراهم الذين على
السطح ورأى الامير عيسى وهو على جانب دجلة الرجال يصعدون فصاح هو ومن معه
الى أولئك الذين على السطح ليحذروا وكان كلما صاحوا صاح أهل القلعة لتختلف
الاصوات فلا يفهم الذين على السطح فينزلون ويمنعون من ذلك فلما اجتمع عندها
عشرة رجال أرسلت مع خادم عندها الى زوجها قدح شراب وامرته ان يقرب منه
كأنه يسقيه الشراب ويعرفه الحال ففعل ذلك وجلس بين يديه ليسقيه وعرفه الحال
فقال ازدادوا من الرجال فاصعدت عشرين رجلا وخرجوا من عندها فاخذ ابراهيم بيده الى
الرجلين الموكلين به فاخذ شعورهما وامر الخادم بقتلهما وكان عنده فقتلهما بسلاحهما
فخرج واجتمع باصحابه وارادوا فتح القلعة ليصعد اليه أصحابه من القلة فلم يجد
المفاتيح وكانت مع أولئك الرجال الذين على السطح فاضطروا الى الصعود الى سطح
القلعة ليأخذوا أصحاب عيسى فعلموا الحال فجاؤا ووقفوا على رأس المرق فلم يقدر
احد يصعد فاخذ بعض أصحاب ابراهيم ترسا وجعله على رأسه وحصل فى
الدرجة وصعد وقاتل القوم على رأس المرق حتى صعد أصحابه فقتلوا الجماعة
وبقى منهم رجل القى نفسه من السطح فنزل الى اسفل الجبل فتقطع فلما
رأى عيسى ما حل باصحابه عاد خائبا مما امله واستقر الامير ابراهيم فى قلعته على
حاله

(ذكر نهب البندنيجين)

فى هذه السنة وصل الملك الذى بخوزستان عند شملة وهو ابن ملكشاه بن محمود الى
البندنيجين فخربها ونهبها وقتل فى الناس وسبى حريمهم وفعل كل قبيح ووصل الخبر
الى بغداد فخرج الوزير عضد الدين وعرض العسكر ووصل عسكر الحلة وواسط مع
طاشتكين امير الحاج ويزغلى وساروا نحو العدو فلما سمع بوصولهم فارق مكانه وعاد
وكان معه من التركمان جمع كثير فنهبهم عسكر بغداد ورجعوا من غير امر بالعود فانكر
عليهم ذلك وامروا بالعود الى مواقفهم فعادوا الاوائل شهر رمضان وقد رجع الملك
فنهب من البندنيجين ما كان سلم فى الاول ووقعت بينهم وبين الملك وقعة ثم افترقوا
فمضى الملك وفارق ولاية العراق

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة فى جمادى الاولى اقيمت الصلاة فى الجامع الذى بناه فخر الدولة بن المطلب

نحو عشرة أحمال من الجمال اوعية مملاة بارودا وهى الظروف المصنوعة ١٩٩ من الجلود التى تسمى البطط يريدون بها
القلعة فروامن باب الخرق
الى ناحية تحت الربع فلما
وصلوا تجاه معمل الشمع
وبصحبة الجمال شخص
عسكرى فتشاجر مع الجمال
ورد عليه القول فحنق منه
فضربه بفرد الطبنجة فاصابت
احدى البطط فالتهبت
بالنار وسرت الى باقى الاحمال
فالتهب الجميع وصعد الى
عنان السماء فاحترقت
السقيفة المظلة على الشارع
وما بناحيتها من البيوت
والذى اسفلها من الحوانيت
وكذلك من صادف مروره
فى ذلك الوقت واحترق ذلك
العسكرى والجمال فمن
احترق واتفق مرور امرأة
من النساء المحتشمات مع
رفيقتها فاحترقت ثيابها مع
رفيقتها وذهبت تجرى والنار
ترعى فيها وكانت دارها بالقرب
من تلك الناحية فلما وصلت
الى الدار حتى احترق ما عليها
من الثياب واحترق اكثر
جسدها ووصلت الاخرى
بعدها وهى محترقة وعريانة
فماتت من ليلتها ولحقتها
الاخرى فى ضحوة اليوم الثانى
ومات فى هذه الحادثة اكثر
من المائة نفس من رجال
ونساء وأطفال وصبيان واما
الجمال فاخذوها الى بيت
الى الشوارب وهى سود محترقة الجلود وفيها من خرجت عينه فاما يعالجوها او ينحروها وكل هذا الذى

بقصر المأمون غربى بغداد وفيها أمر صلاح الدين ببناء المدرسة التى على قبر الشافعى رضى الله عنه بمصر وعمل بالقاهرة بيمارستان ووقف عليهما الوقوف العظيمة الكبيرة وفيها رأيت بالموصل خروفين ببطن واحد دور أسين ورقبتين وظهرين وثمانى قوائم كانهما خروفان ببطن واحد ووجه أحدهما الى وجه الآخر وهذا من العجائب وفيها انقض كوكب اضاءت له الارض اضاءة كثيرة وسمع له صوت عظيم وبقى أثره فى السماء مقدار ساعة وذهب وفيها توفى تاج الدين ابو على الحسن بن عبد الله بن المظفر ابن رئيس الرؤساء أخو الوزير عضد الدين وزير الخليفة وفيها فى المحرم توفى القاضى كمال الدين أبو الفضل محمد بن عبد الله بن القاسم الشهرزورى قاضى دمشق وجميع الشام واليه الوقوف بها والديوان وكان جوادا فاضلا رئيسا ذا عقل ومعرفة فى تدبير الدول رحمه الله ورضى عنه

(ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة)

(ذكر انهزام صلاح الدين بالرملة)

فى هذه السنة فى جمادى الاولى سار صلاح الدين يوسف بن ايوب من مصر الى ساحل الشام لقصد غزاة بلاد الفرنج وجمع معه عساكره وجنوده فلم يزالوا يجدون السير حتى وصلوا الى عسقلان فى الرابع والعشرين منه فنهبوا وأسروا وقتلوا واحرقوا وتفرقوا فى تلك الاعمال مغيرين فلما رأوا أن الفرنج لم يظهر لهم عسكر ولا اجتمع لهم من يحمى البلاد من المسلمين طمعوا وانبسطوا وساحوا فى الارض آمنين ووصل صلاح الدين الى الرملة عازما على ان يقصد بعض حصونهم ليحصره فوصل الى نهر فازدحم الناس للعبور فلم يرعهم الا والفرنج قد أشرفت عليهم بأطلابها وابطالها وكان مع صلاح الدين بعض العسكر لان اكثرهم تفرقوا فى طلب الغنيمة فلما رآهم وقف لهم فيمن معه وتقدم بين يديه محمد ابن أخى صلاح الدين فباشر القتال بنفسه بين يدى عمه فقتل من أصحابه جماعة وكذلك من الفرنج وكان لتقى الدين ولد اسمه احمد وهو من أحسن الشباب أول ما تكاملت لحيته فامره ابوه بالحملة عليهم فحمل عليهم وقاتلهم وعاد سالما قد اثر فيهم اثرا كثيرا فامره بالعودة اليهم ثانية فحمل عليهم فقتل شهيدا ومضى حميدا رحمه الله ورضى عنه وكان اشد الناس قتالا ذلك اليوم الفقيه عيسى رحمه الله وتمت الهزيمة على المسلمين وحمل بعض الفرنج على صلاح الدين فقاربه حتى كاد يصل اليه فقتل الفرنجى بين يديه وتكاثر الفرنج عليه فمضى منهزما يسير قليلا ويقف ليلحقه العسكر الى ان دخل الليل فسلك البرية الى أن مضى فى نفر يسير الى مصر ولقوا فى طريقهم مشقة شديدة وقل عليهم القوت والماء وهلك كثير من دواب العسكر جوعا وعطشا وسرعة سير وأما العسكر الذين كانوا دخلوا بلاد الفرنج فى الغارة فان اكثرهم ذهب ما بين قتيل وأسير وكان من جملة من اسر الفقيه عيسى الهكارى وهو من اعيان الاسدية وكان جمع العلم والدين والشجاعة واسر ايضا اخوه الظهير وكانا قد سارا منهزمين فضلا الطريق

فاخذا

حصل من الحرق والموت والهدم فى طرفة عين (وفى ثانيه) يوم الاثنين وصل مصطفى بك امير ركب الحجاج الى مصر وترك الحجاج بالدار الحمراء فبات فى داره واصبح عائدا الى البركة فدخل مع المحمل يوم الاربعاء ودخل الحجاج واتبعهم بحيث انه اخذ المسافة فى احد وعشرين يوما وسبب حضور المذكور انه ذهب بعساكره وعساكر الشريف من الطائف الى ناحية تربة والمتأمر عليها امرأة فحاربتهم وانهزم منها شر هزيمة فحنق عليه الباشا وامره بالذهاب الى مصر مع المحمل (وفيه) ارسل الباشا يستدعى ثنتين او ثلاثة عينهن من محاظيه وصحبتهن خمسة من الجوارى السود الاسطاوات فى الطبخ وعمل انواع الفطور فارسلوهن فى ذلك اليوم الى السويس وصحبتهن نفيسة القهرمانة وهى من جواريه ايضا وكانت زوجا للقاضى اوغلى المحتسب الذى مات بالحجاز فى العام الماضى (وفيه) ايضا وصل حريم الشريف غالب فعينوا له دارا يسكنها مع حريمه جهة سويقة العزى فسكنها ومعه اولاده وعليهم المحافظون واستولى الباشا على موجودات الشريف غالب من نقود وامتعة وودائع ومخبآت وشركات وتجارات وبن وبهار ونقود بمكة وجدة والمخا واليمن شئ لا يعلم قدره الا الله

فاخذ هو ومعه جماعة من اصحابه وبقوا سنين فى الاسر فافتدى صلاح الدين الفقيه عيسى بستين الف دينار وجماعة كثيرة من الاسرى ووصل صلاح الدين الى القاهرة نصف جمادى الآخرة ورأيت كتابا كتبه صلاح الدين بخط يده الى اخيه شمس الدولة توران شاه وهو بدمشق يذكر الوقعة وفى أوله

ذكرتك والخطى يخطر بيننا * وقد نهلت منا المثقفة السمر

ويقول فيه لقد أشرفنا على الهلاك غير مرة وما أنجانا الله سبحانه منه الا لأمر يريده سبحانه

* وما ثبتت الا وفى نفسها أمر *

(ذكر حصر الفرنج مدينة حماة)

فى هذه السنة فى جمادى الاولى حصر الفرنج أيضا مدينة حماة وسبب ذلك انه وصل من البحر الى الساحل الشامى كند كبير من الفرنج من أكبر طواغيتهم فرأى صلاح الدين بمصر قد عاد منهزما فاغتنم خلو البلاد لان شمس الدولة بن أيوب كان بدمشق ينوب عن صلاح الدين وليس عنده كثير من العسكر وكان أيضا كثير الانهماك فى اللذات مائلا الى الراحات فجمع ذلك الكند الفرنجى من بالشام من الفرنج وفرق فيهم الاموال وسار الى مدينة حماة فحصرها وبها صاحبها شهاب الدين محمود الحارمى خال صلاح الدين وهو مريض شديد المرض وكان طائفة من العسكر الصلاحى بالقرب منها فدخلوا اليها واعانوا من بها وقاتل الفرنج على البلد قتالا شديدا وهجموا بعض الايام على طرف منه وكادوا يملكون البلد قهرا وقسرا فاجتمع اهل البلد مع العسكر الى تلك الناحية واشتد القتال وعظم الخطب على الفريقين واستقتل المسلمون وحاموا عن الانفس والاهل والمال فاخرجوا الفرنج من البلد الى ظاهره ودام القتال ظاهر البلد ليلا ونهارا وقويت نفوس المسلمين حين اخرجوهم من البلد وطمعوا فيهم وأكثروا فيهم القتل فرحل الفرنج حينئذ خائبين وكفى الله المسلمين شرهم فساروا الى حارم فحصروها وكان مقامهم على حماة اربعة ايام ولما رحل الفرنج عن حماة مات صاحبها شهاب الدين الحارمى وكان له ابن من احسن الناس شبابا مات قبله بثلاثة ايام

(ذكر قتل كمشتكين وحصر الفرنج حارم)

فى هذه السنة قبض الملك الصالح بن نور الدين على سعد الدين كمشتكين وكان المتولى لامر دولته والحاكم فيها وسبب قبضه انه كان بحلب انسان من اعيان اهلها يقال له ابو صالح بن العجمى وكان مقدما عند نور الدين محمود فلما مات نور الدين تقدم ايضا فى دولة ولده الملك الصالح وصار بمنزلة الوزير الكبير المتمكن لكثرة اتباعه بحلب وصار كل من كان يحسد كمشتكين انضم الى صالح وقووا جنانه وكثروا سواده وكان عنده اقدام وجراءة فصار واحد الدولة بحلب ومن يصدر الجماعة عن رايه وامره فبينما هو فى بعض الايام فى الجامع وثب به الباطنية فقتلوه ومضى شهيدا وتمكن بعده سعد الدين وقوى حاله فلما قتل احال الجماعة قتله على سعد الدين وقالوا هو وضع الباطنية

واخرجوا حريمه وجواريه من سرايته عاطلين من الثياب بعدما فتشوهن تفتيشا فاحشا وهتك حرمته فل اللهم مالك الملك هذا الشريف غالب انتزع من مملكته وخرج من دولته وسيادته واموالة وذخائره وانسل من ذلك كله كالشعرة من العجين حتى انه لما ركب وخرج مع العسكر وهم متوجهون به الى جدة اخذوا ما فى جيوبه فليعتبر من يعتبر وكل الذى وقع له وما سيقع له بعد من التغريب وغيره فيما جناه من الظلم ومخالفة الشريعة والطمع فى الدنيا وتحصيلها باى طريق نسال الله السلامة وحسن العاقبة (وفى يوم الخميس) خامسه طاف الاغا أيضا باسواق المدينة وامامه المناداة على ابواب الخانات والوكائل من التجار بانهم لا يتعاملون فى بيع البن والبهار الا بحساب الريال المتعارف فى معاملة الناس وهو الذى يصرف تسعين نصفا الان باعة البن لا يسمون فى بيعه الا الفرانسه ولا يقبضون فى ثمنه الا اياها باعيانها ولا يقبلون خلافها من جنس المعاملات فيحصل بذلك تعب للمتسببين الفقراء والقطاعين ومن يشترى بالقنطار او دونه فهذه المناداة بدفع المشترى ما يشاء من جنس المعاملات قروشا او ذهبا او فرانسه اواى صنف من المعاملات ويحسبه المعاملة والريال المعروف بين الناس الذى صرفه

عليه حتى قتلوه وذكروا ذلك للملك الصالح ونسبوه الى العجز وانه ليس له حكم وان سعد الدين قد تحكم عليه واحتقره واستصغره وقتل وزيره ولم يزالوا به حتى قبض عليه وكانت قلعة حارم لسعد الدين قد اقطعه اياها الملك الصالح فامتنع من بها بعد قبضه وتحصنوا فيها فسير سعد الدين اليها تحت الاستظهار ليامر اصحابه بتسليمها الى الملك الصالح فامرهم بذلك فامتنعوا فعذب كمشتكين واصحابه يرونه ولا يرحمونه فمات فى العذاب واصر اصحابه على الامتناع والعصيان فلما راى الفرنج ذلك ساروا الى حارم من حماة فى جمادى الاولى على ما ذكرناه ظنا منهم انهم لا ناصر لهم وان الملك الصالح صبى قليل العسكر وصلاح الدين بمصر فاغتنموا هذه الفرصة ونازلوها واطالوا المقام عليها مقدار بعة اشهر ونصبوا عليها المنجنيقات والسلالم فلم يزالوا كذلك الى ان بذل لهم الملك الصالح مالا وقال لهم ان صلاح الدين واصل الى الشام وربما يسلم القلعة من بها اليه فاجابوا حينئذ الى الرحيل عنها فلما رحلوا عنها سير اليها الملك الصالح جيشا فحصروها وقد بلغ الجهد منهم بحصار الفرنج وصار واكانهم طلائع وكان قد قتل من اهلها وجرح كثير فسلموا القلعة الى الملك الصالح فاستناب بها مملوكا كان لابيه اسمه سرخك

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة فى المحرم خطب للسلطان طغرل بن ارسلان بن طغرل بن محمد بن ملكشاه المقيم عند ايلدكز بهمذان وكان ابوه ارسلان قد توفى وفيها سابع شوال هبت ببغداد ريح عظيمة فزلزلت الارض واشتد الامر على الناس حتى ظنوا ان القيامة قد قامت فبقى ذلك ساعة ثم انجلت وقد وقع كثير من الدور ومات فيها جماعة كثيرة وفيها رابع ذى القعدة قتل عضد الدين أبو الفرج محمد بن عبد الله بن هبة الله بن المظفر بن رئيس الرؤساء أبى القاسم بن المسلمة وزير الخليفة وكان قد عزم على الحج فعبر دجلة ليسير وعبر معه ارباب مناصب وهو فى موكب عظيم وتقدم الى أصحابه ان لا يمنعوا عنه أحدا فلما وصل الى باب قطيبا لقيه كهل فقال انا مظلوم وتقدم ليسمع الوزير كلامه فضربه بسكين فى خاصرته فصاح الوزير قتلنى ووقع عن الدابة وسقطت عمامته فغطى راسه بكمه وضرب الباطنى بسيف وعاد الى الوزير فضربه واقبل حاجب الباب ابن المعوج لينصر الوزير فضربه الباطنى بسكين وقيل بل ضربه رفيق كان للباطنى ثم قتل الباطنى ورفيقه وكان لهما رفيق ثالث فصاح وبيده سكين فقتل ولم يعمل شيئا وأحرقوا ثلاثتهم وحمل الوزير الى دار له هناك وحمل حاجب الباب مجروحا الى بيته فمات هو والوزير وحمل الوزير فدفن عند ابيه بمقبرة الرباط عند جامع المنصور وكان الوزير قد رأى فى المنام انه معانق عثمان بن عفان وحكى عنه ولده انه اغتسل قبل خروجه وقال هذا غسل الاسلام وأنا مقتول بلا شك وكان مولده فى جمادى الاولى سنة اربع عشرة وخمسمائة وكان ابوه استاذ دار المقتفى لامر الله فلما مات ولى هو مكانه فبقى كذلك الى ان مات المقتفى فاقره المستنجد على ذلك ورفع قدره فلما ولى المستضىء استوزره وكان حافظا للقرآن سمع الحديث وله معروف كثير وكانت داره مجمعا للعلماء وختمت أعماله بالشهادة وهو على

تسعون نصف فضة واذا سمى سعر القنطار فلا يسمى الا بهذا الريال وهذه المشاداة باشارة السيد محمد المحروقى بسبب ما كان يقع من تعطيل الاسباب (وفيه) سافر محمود بك وصحبته المعلم غالى للكشف عن قياس الاراضى البحرية التى نزل اليها القياسون بصحبة مباشريهم من النصارى والمسلمين من وقت انحسار الماء من الاراضى وانتشروا بالاقاليم البحرية وهم يقيسون بقصبة تنقص عن القصبة القديمة (وفى يوم الاثنين) تاسعه وصل حريم الشريف غالب من السويس فانزلوهن ببيت السيد محمد المحروقى وعدتهن خمسة احداهن جارية بيضاء والاربعة حبشيات ومعهن جوارى سود وطواشية وحضر اليهم سيدهم وصحبته احمد اغا اخو كتخدا بك وصحبتهم نحو العشرين نفرا من العسكر واستمر الجميع مقيمين بمنزل المذكور وهو يجرى عليهم النفقات اللائقة بهم والمصاريف وفصل لهم كساوى من مقصبات وكشميرى وتفاصيل هندية (وفى يوم السبت) رابع عشره خرج محو بك الى ناحية الآثار بعساكره ليسافر من ساحل القصير الى الحجاز باستدعاء الباشا فاستمر مقيما هناك عدة ايام لمخالفة الريح وارتحل فى اواخره وفى أوائل هذا الشهر بل والذى قبله عملوا كورنتينه فى اسكندرية ودمياط

(واستهل شهر ربيع الاول ١٢٢٩) فيه رجع محمود بك والمعلم غالى من سرحتهما (وفيه) انتقل الشريف غالب بعياله من بيت السيد محمد المحروقى الى المنزل الذى أعدوه له وهو بيت لطيف باشا بسويقة العزى بعد ما اصلحوه و بيضوه واسكنوه به وعليه اليسق والعسكر الملازمون لبابه (وفيه) أبرز كتخدا بك فرمانا وصل اليه من الباشا يتضمن ضبط جميع الالتزام لطرف الباشا ورفع أيدى الملتزمين عن التصرف بل الملتزم يأخذ فائظه من الخزينة فلما أشيع ذلك ضج الناس وكثر فيهم اللغط واجتمعوا على المشايخ فطلعوا الى كتخدا بك وسألوه فقال ذم وورد من أفندينا أمر بذلك ولا يمكنني مخالفته فقالوا له كيف تقطعون معايش الناس وأرزاقهم وفيهم أرامل وعواجز وللواحدة قيراط اونصف قيراط يتعيشن من ايراده فينقطع عنهن فقال يأخذن الفائظ من الخزينة العامرة فرادوه وناقشوه وهو يهون و يقرب و يبعد الى ان قالوا له نكتب للباشا عرضحال وننتظر الجواب فاجابهم الى ذلك من باب المسايرة وفك المجلس وشرع الشيخ المهدى فى ترصيف العرضحال فكتبوه وختموا عليه بعد امتناع البعض الذى ليس له التزام وكثر اللغط فيهم بسبب ذلك (وفى خامسه) حضر جمع كثير من النساء الملتزمات الى الجامع

قصد الحج وفيها كانت فتنة ببغداد وسببها انه حضر قوم من مسلمى المدائن الى بغداد فشكوا من يهودها وقالوا لنا مسجد نؤذن فيه ونصلى وهو مجاور الكنيسة فقال لنا اليهود قد آذيتمونا بكثرة الاذان فقال المؤذن ما نبالى بذلك فاختصموا وكانت فتنة استظهر فيها اليهود فجاء المسلمون يشكون منهم فامر ابن العطار وهو صاحب المخزن بحبسهم ثم اخرجوا فقصدوا جامع القصر واستغاثوا قبل صلاة الجمعة فخفف الخطيب الخطبة والصلاة فعادوا يستغيثون فاتاهم جماعة من الجند ومنعوهم فلما رأى العامة ما فعل بهم غضبوا نصرة للاسلام فاستغاثوا وقالوا أشياء قبيحة وقلعوا طوابيق الجامع و رجموا الجند فهربوا ثم قصد العامة دكاكين المخلطين لان أكثرهم يهود فنهبوها وأراد حاجب الباب منعهم فرجموه فهرب منهم وانقلب البلد وخربوا الكنيسة التى عند دار البساسيرى وأحرقوا التوراة وأمر الخليفة أن تنقض الكنيسة التى بالمدائن وتجعل مسجدا ونصب بالرحبة اخشاب ليصلب عليها قوم من المفسدين فظنها العامة نصبت تخويفا لهم لاجل ما فعلوا فعلقوا عليها فى الليل جرذانا ميتة وأخرج جماعة من الحبس لصوص فصلبوا عليها وفيها فى شعبان قبض سيف الدين غازى صاحب الموصل على وزيره جلال الدين على بن جمال الدين لغير جرم ولا عجز ولا لتقصير بل لعجز سيف الدين فان جلال الدين كان بينه و بين مجاهد الدين قايماز مشاحنة فقال مجاهد الدين لسيف الدين لابد من قبض الوزير فقبض عليه كارها لذلك ثم شفع فيه ابن رئيس آمد لصهورة بينهما فاخرج وسار الى آمد فمرض بها وعاد الى دنيسر فمات سنة خمس وسبعين وعمره سبع وعشرون سنة وحمل الى مدينة النبى صلى الله عليه وسلم فدفن عند والده فى الرباط الذى بناه بها وكان رحمه الله من محاسن الدنيا جمع كرما وعلما ودينا وعفة وحسن سيرة واستحلفه سيف الدين أنه لا يمضى الى صلاح الدين لانه خاف ان يمضى اليه للمودة التى كانت بين جمال الدين و بين نجم الدين أيوب واسد الدين شيركوه فبلغنى ان صلاح الدين طلبه فلم يقصده لليمين وفيها اجتمع الفرنج طائفة منهم وقصدوا اعمال حمص فنهبوها وغنموا وأسروا وسبوا فسار ناصر الدين محمد بن شيركوه صاحب حمص وسبقهم ووقف على طريقهم وكمن لهم فلما وصلوا اليه خرج اليهم هو والكمين ووضعوا السيف فيهم فقتل أكثرهم وأسر جماعة من مقدميهم ومن سلم منهم لم يفلت الا وهو مثخن بالجراح واسترد منهم جميع ما غنموا وافرده على أصحابه وفيها فى ربيع الآخر توفى صدقة بن الحسين الحداد الذى ذيل تاريخ الزاغونى ببغداد وفيها فى جمادى الاولى توفى محمد بن احمد بن عبد الجبار الفقيه الحنفى المعروف بالمشطب ببغداد

(ثم دخلت سنة اربع وسبعين وخمسمائة)

(ذكر قصد الفرنج مدينة حماة ايضا)

فى هذه السنة فى ربيع الاول سار جمع كثير من الفرنج بالشام الى مدينة حماة وكثر

جمعهم من الفرسان والرجالة طمعا فى النهب والغارة فشنوا الغارة ونهبوا وخربوا القرى واحرقوا وأسروا وقتلوا فلما سمع العسكر المقيم بحماة ساروا اليهم وهم قليل متوكلين على الله تعالى فالتقوا واقتتلوا وصدق المسلمون القتال فنصرهم الله تعالى وانهزم الفرنج وكثر القتل والاسر فيهم واستردوا ما غنموه من السواد وكان صلاح الدين قد عاد من مصر الى الشام فى شوّال من السنة المتقدمة وهو نازل بظاهر حمص فحملت الرؤس والاسرى والاسلاب اليه فامر بقتل الاسرى فقتلوا

•(ذكر عصيان ابن المقدم على صلاح الدين وحصر بعلبك وأخذ البلد منه)•

فى هذه السنة عصى شمس الدين محمد بن عبد الملك المقدم على صلاح الدين ببعلبك وكانت له قد سلمها اليه صلاح الدين لما فتحها جزاء له حيث سلم اليه ابن المقدم دمشق على ما سبق ذكره فلم تزل بيده الى الآن فطلب شمس الدولة محمد بن أيوب أخو صلاح الدين منه بعلبك وألح عليه فى طلبها لان تربيته ومنشاه كان بها وكان يحبها ويختارها على غيرها من البلاد وكان الاكبر فلم يمكن صلاح الدين مخالفته فامر شمس الدين بتسليمها الى أخيه ليعوضه عنها فلم يجب الى ذلك وذكر العهود التى له وما اعتمده معه من تسليم البلاد اليه فلم يصغ اليه وألح فى أخذها وسار ابن المقدم اليها واعتصم بها فوجه اليه صلاح الدين عسكرا وحصره بها مدة ثم رحل عنها من غير ان يأخذها وترك عليه عسكرا يحصره فلما طال عليه الحصار أرسل الى صلاح الدين يطلب العوض عنها ليسلمها اليه فعوضه عنها وسلمها فاقطعها صلاح الدين اخاه شمس الدولة

•(ذكر الغلاء والوباء العام)•

فى هذه السنة انقطعت الامطار بالكلية فى سائر البلاد الشامية والجزيرة والعراقية والديار البكرية والموصل وبلاد الجبل وخلاط وغير ذلك واشتد الغلاء وكان عاما فى سائر البلاد فبيعت الغرارة الحنطة بدمشق وهى اربعة عشر مكوكا بالموصلى بعشرين دينارا صورية عتق وكان الشعير بالموصل كل ثلاث مكاكى بدينار أميرى وفى سائر البلاد ما يناسب ذلك واستسقى الناس فى اقطار الارض فلم يسقوا وتعذرت الاقوات واكلت الناس الميتة وما ناسبها ودام كذلك الى آخر سنة خمس وسبعين ثم تبعه بعد ذلك وباء شديد عام ايضا كثر فيه الموت وكان مرض الناس شيئا واحدا وهو السرسام وكان الناس لا يلحقون يدفنون الموتى الا ان بعض البلاد كان أشد من البعض ثم ان الله تعالى رحم العباد والبلاد والدواب وارسل الامطار وأرخص الاسعار ومن عجيب ما رأيت انى قصدت رجلا من العلماء الصالحين بالجزيرة لاسمع عليه شيئا من حديث النبي صلى الله عليه وسلم فى شهر رمضان سنة خمس وسبعين والناس فى اشد ما كانوا غلاء وقنوطا من الامطار وقد توسط الربيع ولم تجئ قطرة واحدة من المطر فبينا انا جالس ومعى جماعة ننتظر الشيخ واذ قد اقبل انسان تركمانى قد اثر عليه الجوع وكانه قد اخرج من قبر فبكى وشكا الجوع فارسلت من يشترى له

الأزهر وصرخوا فى وجوه الفقهاء وأبطلوا الدروس وبددوا محافظهم وأوراقهم فتفرقوا وذهبوا الى دورهم وكان قد اجتمع معهم الكثير من العامة واستمروا فى هرج الى بعد العصر ثم جاءهم من يقول لهم كلاما كذبا سكن به حدتهم فانفض الجمع وذهب النساء وهن يقلن ناتى فى كل يوم على هذا المنوال حتى يفرجوا لنا عن حصصنا ومعايشنا وأرزاقنا وفى ظن الناس وغفلتهم ان فى الاناء بقية أو انهم يدفعون الرزية وما علموا ان البساط قد انطوى وكل قد ضل واضل وغوى ومال عن الصراط واتبع الهوى وكاب الجور قد كشر أنيابه وعوى ولم يجد له طاردا ولا معارضا ولا معاندا ولما وصل الخبر الى كتخدا بك طلب بعض المشايخ وقال له ما خبر هذه الجمعية بالازهر فقال له بسبب ما بلغهم عن قطع معاشهم قال ومن قطع معاشهم وانما انتم الذين تسلطونهم على هذه الفعال لاغراضكم ولابد أنى استخبر على من أغراهم واخرج من حقه وطلب على أغا الوالى وقال له اخبرنى عن هؤلاء النساء من أى البيوت فقال وما علمى ومن يميزهن وغالبهن او اكثرهن نساء العساكر ولا قدرة لى على منعهن وانفض المجلس وبردت همتهم وانكمشوا وشرعوا فى تنفيذ ما أمر وابه وترتيبه وتنظيمه (وفيه) حضر محمود بك والمعلم غالى فاقاما اياما وسافرا فى ثالث عشره (وفيه) احضروا خبزا

خبر افتتاح احضاره لعدمه وهو يبكي ويتمرغ على الارض ويشكو الجوع فلم يبق فينا
الامن بكى رحمة له وللناس فتغيمت السماء وجاءت نقط من المطر متفرقة فضج الناس
واستغاثوا ثم جاء الخبر فاكل التركماني بعضه واخذ الباقي ومشى واشتد المطر ودام المطر
من تلك الليلة

(ذكر غارات الفرنج على بلاد المسلمين)

في هذه السنة في ذي القعدة اجتمع الفرنج وساروا الى بلد دمشق مع ملكهم فاغاروا
على اعمالها فنهبوها واسروا وقتلوا وسبوا فارسل صلاح الدين فرخشاه ولد اخيه في
جمع من العسكر اليهم وأمره انه اذا قاربهم يرسل اليه يخبره على جناح طائر ليسير اليه
وتقدم اليه أن يامر أهل البلاد بالانتزاح من بين يدي الفرنج فسار فرخشاه في عسكره
يطلبهم فلم يشعر الا والفرنج قد خالطوه فاضطر الى القتال فاقتتلوا أشد قتال رآه الناس
والقى فرخشاه نفسه عليهم وغشى الحرب ولم يكلها الى سواه فانهزم الفرنج ونصر
المسلمون عليهم وقتل من مقدميهم جماعة ومنهم هنفري وما ادراك ما هنفري كان
يضرب به المثل في الشجاعة والراي في الحرب وكان بلاء صبه الله على المسلمين فاراح
الله من شره وقتل غيره من اضرابه ولم يبلغ عسكر فرخشاه الف فارس وفيها ايضا اغار
البرنس صاحب انطاكية ولاذقية على حشير المسلمين بشيزر واخذه واغار صاحب
طرابلس على جمع كثير من التركمان فاجحف باموالهم وكان صلاح الدين على بانياس
على مانذكره ان شاء الله فسير ولد اخيه تقي الدين عمر الى حماة وابن عمه ناصر الدين محمد
ابن شيركوه الى حمص وامرهما بحفظ البلاد وحياطة اطرافها من العدو رحمهم الله
تعالى

(ذكر عدة حوادث)

ليلة النصف من ربيع الآخر انكسف القمر نحو ثلث الليل الاخير وغاب منكسفا
وفيها ايضا في التاسع والعشرين انكسفت الشمس وقت العصر فغربت منكسفة وفي
هذه السنة في شعبان توفي الحيص بيص الشاعر واسمه سعد بن محمد بن سعد ابو الفوارس
وكان قد سمع الحديث ومدح الخلفاء والسلاطين والاكابر وشعره مشهور فمنه قوله

كلما اوسعت حلمي جاهلا * أوسع الفحش له فحش المقال
واذا شاردة فهت بها * سبقت مر النعامى والشمال
لا تلمني في شقائي بالعلا * رغد العيش لربات الحجال
سيف عز زانه رونقه * فهو بالطبع غني عن صقال

وفي المحرم ماتت شهدة بنت احمد بن عمر بن الابري وسمعت الحديث من السراج وطراد
وغيرهما وعمرت حتى قاربت مائة سنة وسمع عليها خلق كثير الحديث لعلو اسنادها

(ثم دخلت سنة خمس وسبعين وخمسمائة)

(ذكر تخريب الحصن الذي بناه الفرنج عند مخاضة الاحزان)

حسن أغا محرم المعروف بنجاتي من اقليم المنوفية وهو مريض وتوفي في ثاني يوم ودفن (وفي خامس عشره) مر الاغا والوالي واغات التبديل وهم يامرون الناس بكنس الاسواق ورشها حالا في ذلك الوقت من غير تاخير فابتدر الناس ونزلوا من حوانيتهم وبايديهم المكانس يكنسون بها تحت حوانيتهم ثم يرشونها (وفي تاسع عشره) حضر الشريف عبد الله ابن الشريف سرور ارسله الباشا الى مصر من ناحية القصير منفيا من أرض الحجاز فانزلوه بمنزل احمد اغا لاظ كتخدا بك محجورا عليه ولم يجتمع بعمه ولم يره (وفيه) كثر الطلب للريال الفرانسه بسبب احتياج دار الضرب وما يرسل الى الباشا من ذلك والزموا التجار باحضار جملة من ذلك وياخذون بدلها قروشا فوزعوا مقادير على افرادهم بما يخصه وجمعوا ما قدروا عليه منها (وفيه) شنق شخص يسمى صالحا عند باب زويلة واستمر معلقا يومين وسبب ذلك انه يدعي الجذب والولاية وتزوج بامراة واخذ متاعها ومالها وحصل لها خلل في عقلها فانهوا أمره الى كتخدا بك فامر بحبسه واستخلصوا منه جانبا مما أخذه من متاع المراة وكثر كلام الناس في حقه فامر الكتخدا بشنقه (وفي اواخره) حضر ابراهيم بك ابن الباشا من الجهة القبلية ونزل بالبيت الذي اشتراه بناحية الجمالية بدرب المسمط وهو

بيوت احمد بن محرم * (واستهل شهر ربيع الثاني بيوم الاربعاء سنة ١٢٢٩) * (وفي ليلة الاثنين ثامنه) حضر مميش اغا من ناحية الحجاز برسالة من عند الباشا باستعجال حسن باشا بالحضور الى الحجاز وكان قبل ذلك بايام ارسل يطلب سبعة آلاف عسكري وسبعة آلاف كيس فشرع كتخدا بك في استكتاب اشخاص من اخلاط العالم ما بين مغاربة وصعايدة وفلاحي القرى فكان كل من ضاق به الحال في معاشه يذهب ويعرض نفسه فيكتبونه وان كان وجيها جعله اميرا على مائة او مائتين ويعطيه اكياسا يفرقها في انفاره ويشتري فرسا وسلاحا ويتقلد بسيف وطبنجات وكذلك انفاره ويلبسون قناطيش ولباسا مثل لبس العسكر ويعلق له زنة بارود تحت ابطه ويأخذ على كتفه بندقية ويمشون امام كبيرهم مثل الموكب وفيهم اشخاص من الفعلة الذين يستعملون في شيل التراب والطين في العمائر وبرابرة وارسل الكتخدا الى الفيوم وغيرها بطلب رجال من امثال ذلك وجمعوا الكثير من ارباب الصنائع مثل الخبازين والفرانين والنجارين والحدادين والبيطارة وغيرهم من ارباب الصنائع ويسحبونهم قهرا فاغلق الفرانون مخابزهم وتعطل خبيز خبز الناس اياما (وفيه) وورد الطلب لحسن باشا فشرع في تشهيل احواله ولوازم سفره ثم حضر مميش اغا باستعجاله

كان الفرنج قد بنوا حصنا منيعا يقارب بانياس عند بيت يعقوب عليه السلام بمكان يعرف بمخاضة الاحزان فلما سمع صلاح الدين بذلك سار من دمشق الى بانياس واقام بها وبث الغارات على بلاد الفرنج ثم سار الى الحصن وحصره ليخبره ثم يعود اليه عند اجتماع العساكر فلما نازل الحصن قاتل من به من الفرنج ثم عاد عنه فلما دخلت سنة خمس وسبعين لم يفارق بانياس بل اقام بها وخيله تغير على بلاد العدو وارسل جماعة من عسكره مع جالبي الميرة فلم تشعر الا والفرنج مع ملكهم قد خرجوا عليهم فارسلوا الى صلاح الدين يعرفونه الخبر فسار في العساكر مجدا حتى وافاهم وهم في القتال فقاتل الفرنج قتالا شديدا وحملوا على المسلمين عدة حملات كادوا يلونهم عن مواقفهم ثم انزل الله نصره على المسلمين وهزم المشركين وقتلت منهم مقتلة كثيرة ونجا ملكهم فريدا واسر منهم كثير منهم ابن بيرزان صاحب الرملة ونابلس وهو اعظم الفرنج محلا بعد الملك واسروا ايضا اخا صاحب جبيل وصاحب طبرية ومقدم الداوية ومقدم الاسبتارية وصاحب جينين وغيرهم من مشاهير فرسانهم وطواغيتهم فاما ابن بيرزان فانه فدى نفسه بمائة الف وخمسين الف دينار صورية واطلاق الف اسير من المسلمين وكان اكثر العمل في هذا اليوم لعز الدين فرخشاه ابن اخي صلاح الدين وحكي عنه قال ذكرت في تلك الحال بيتي المتنبي وهما

فان تكن الدولات قسما فانها * لمن يرد الموت الزؤام تؤول

ومن هون الدنيا على النفس ساعة * وللبيض في هام الكماة صليل

فهان الموت في عيني فالقيت نفسي اليه وكان ذلك سبب الظفر ثم عاد صلاح الدين الى بانياس من موضع المعركة وتجهز للدخول الى ذلك الحصن ومحاصرته فسار اليه في ربيع الاول واحاط به وقوي طمعه بالهزيمة المذكورة في فتحه وبث العساكر في بلاد الفرنج للاغارة ففعلوا ذلك وجمعوا من الاخشاب والزرجون شيئا كثيرا ليجعله متارس للمنجنيقات فقال له جاولي الاسدي وهو مقدم الاسدية ومن اكابر الامراء الراي اننا نجربهم بالزحف اول مرة ونذوق قتال من به وننظر الحال معهم فان استضعفناهم والا فنصب المنجنيقات ما يفوت فقبل رايه وامر فنودي بالزحف اليه والجد في قتاله فزحفوا واشتد القتال وعظم الامر فصعد انسان من العامة بقميص خلق في باشورة الحصن وقاتل على السور لما علاه وتبعه غيره من اضرابه ولحق بهم الجند فملكوا الباشورة فصعد الفرنج حينئذ منها الى اسوار الحصن ليحموا نفوسهم وحصنهم الى ان ياتيهم المدد وكان الفرنج قد جمعوا بطبرية فالح المسلمون في قتال الحصن خوفا من وصول الفرنج اليهم وازاحتهم عنه وادركهم الليل فامر صلاح الدين بالمبيت بالباشورة الى الغد ففعلوا فلما كان الغد اصبحوا نقبوا الحصن وعمقوا النقب واشعلوا النيران فيه وانتظروا سقوط السور فلم يسقط لعرضه فانه كان تسعة اذرع بالنجاري يكون الذراع ذراعا ونصفا فانتظروه يومين فلم يسقط فامر صلاح الدين باطفاء النار التي في النقب فحمل الماء والقي عليها فطفئت وعاد النقابون فنقبوا وخرقوا السور والقوا

فيه

فيه النار فسقط يوم الخميس لست بقين من ربيع الاول ودخل المسلمون الحصن عنوة وأسروا كل من فيه واطلقوا من كان به من اسارى المسلمين وقتل صلاح الدين كثيرا من اسرى الفرنج وأدخل الباقين الى دمشق فحبسوا وأقام صلاح الدين بمكانه حتى هدم الحصن وعفى اثره والحقه بالارض وكان قد بذل للفرنج ستين الف دينار مصرية ليهدموه بغير قتال فلم يفعلوا ظنا منهم انه اذا بقى بناؤه تمكنوا به من كثير من بلاد الاسلام واما الفرنج فاجتمعوا بطبرية ليحموا الحصن فلما اتاهم الخبر باخذه فت في اعضادهم فتفرقوا الى بلادهم واكثر الشعراء فيه فمن ذلك قول صديقنا النشو بن نفاذة رحمه الله

هلاك الفرنج اتى عاجلا * وقد آن تكسير صلبانها
ولو لم يكن قد دنا حتفها * لما عمرت بيت احزانها

وقول على بن محمد الساعاتى الدمشقى

اتسكن أوطان النبيين عصبة * تمين لدى أيمانها وهى تحلف
نصحتكم والنصح للدين واجب * ذروا بيت يعقوب فقد جاء يوسف

(ذكر الحرب بين عسكر صلاح الدين وعسكر قلج ارسلان)

فى هذه السنة كان الحرب بين عسكر صلاح الدين يوسف بن أيوب ومقدمهم ابن أخيه تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب وبين عسكر الملك قلج ارسلان بن مسعود بن قلج ارسلان صاحب بلاد قونية واقصرا وسببها ان نور الدين محمود بن زنكى بن آقسنقر رحمه الله كان قد أخذ قديما من قلج ارسلان حصن رعبان وكان بيد شمس الدين بن المقدم الى الآن فطمع فيه قلج ارسلان بسبب ان الملك الصالح بحلب بينه وبين صلاح الدين فارسل اليه من يحصره فاجتمع عليه جمع كثير يقال كانوا عشرين ألفا فارسل اليهم صلاح الدين تقى الدين فى ألف فارس فواقعهم وقاتلهم وهزمهم واصلح حال تلك الولاية وعاد الى صلاح الدين ولم يحضر معه تخريب حصن الاحزان فكان يفتخر ويقول هزمت بالف مقاتل عشرين ألفا

(ذكر وفاة المستضىء بامر الله وخلافة الناصر لدين الله)

فى هذه السنة فى ثانى ذى القعدة توفى الامام المستضىء بامر الله أمير المؤمنين ابو محمد الحسن بن يوسف المستنجد رضى الله عنه وامه ام ولد ارمنية تدعى غضة وكانت خلافته نحو تسع سنين وسبعة أشهر وكان مولده سنة ست وثلاثين وخمسمائة وكان عادلا حسن السيرة فى الرعية كثير البذل للاموال غير مبالغ فى أخذ ما جرت العادة باخذه وكان الناس معه فى أمن عام واحسان شامل وطمأنينة وسكون لم يروا مثله وكان حليما قليل المعاقبة على الذنوب محبا للعفو والصفح عن المذنبين فعاش حميدا ومات سعيدا رضى الله عنه فلقد كانت ايامه كما قيل

كأن ايامه من حسن سيرته * مواسم الحج والاعياد والجمع

واستعجال المطلوبات من الاموال وغيرها (وفيه) قبضوا على اليهود الموردين الذين يوردون الذهب والفضة لدار الضرب بسبب احضار الفرانسه وقد قلت بايدى الناس جدا الكثرة أخذها والطلب لها وانقطاع مجيئها من بلادها فحبسوهم وضربوهم ونزلوا فى أسواحال متحيرين وذلك ان راتب الضربخانه سبعة آلاف فى كل يوم عنها ثلاثة وستون الف درهم وقدرها ثلاث مرات من النحاس يضربون ذلك قروشا حتى بلغ سعر النحاس القراضة مائة وعشرين نصفا فضة (وفى تاسعه) حضر محمود بك الدويدار والمعلم غالى من سرحتهما الى مصر وهما المتأمران على مباشرة قياس الاراضى وتشهيل المال المفروض وسبب حضورهما ان ابراهيم باشا أرسل بطلبهما للحضور ليتشاور معهما فى أمر فاقاما أربعة أيام وعادا راجعين الى شغلهما (وفى منتصفه) سافر ابراهيم باشا عائدا الى اسيوط وذهب صحبته اخوه اسمعيل باشا والبيكات الصغار خوفا وهروبا من الطاعون (وفيه) كمل تعمير الجامع الذى عمره دبوس اوغلى الذى بقرب داره التى بغيط العدة وهو جامع جوهر العينى وكان قد تخرب فهدمه جميعه وانشاه وزخرفه ونقل لعمارته انقاضا كثيرة واخشابا ورخاما من بيت ابى الشوارب وعمل به منبرا بديع الصنعة واستخلص جهة اوقافه اطيانا واماكن

من واضح اليد (وفيه) ارسلوا جملة اخشاب الى الحجاز مطلوبة الى الباشا (وفيه) ايضا نادوا على سكان الجيزة بالخروج منها بعد عصر يوم السبت ومن لا يريد الخروج فلا يخرج بعد ذلك ومن خرج فلا يدخل وامهلوهم الى الغروب فخرجوا بامتعتهم واطفالهم واولادهم واووا بهم الى خارج البلدة وبات الاكثر منهم تحت السماء لضيق الوقت على الرحيل الى بلدة اخرى وخرج ايضا الكثير من عساكرهم واتباعهم ممن لا يريد المقام والحبس فكانوا كلما وجدوا من حمل متاعه من اهل البلدة على حمار ايذهب الى جهة يستقر بها رموا به الى الارض واخذوا الحمار وحصل لاهل الجيزة في تلك الليلة ما لا مزيد عليه من الكرب والجلاء عن اوطانهم وكل ذلك بمجرد وهم مع قلة وجود الطعن الا النزر اليسير (وفي ثالث عشرينه) سافرت خزينة المال المطلوبة الى الباشا الى جهة السويس وأصحبوا معها عدة كبيرة من عسكر الدلاة لخفارتها وقدرها ألفان وخمسمائة كيس جميعها قروش

(شهر جمادى الاولى سنة ١٢٢٩)

(استهل بيوم الجمعة) في ثالثه خرج حسن باشا بعساكره ونزل بوطاقه وخيامه التي نصبت له بالعادلية قبل خروجه بيومين (وفي رابعه) وصلت هجانة من ناحية الحجاز بطلب حسين بك دالي باشا واخشاب

ووزراؤه عضد الدين ابو الفرج بن رئيس الرؤساء الى ان قتل في ذي القعدة سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة ولما قتل حكم في الدولة ظهير الدين ابو بكر منصور بن نصر المعروف بابن العطار وكان خيرا حسن السيرة كثير العطاء وتمكن تمكنا كثيرا فلما مات المستضيء قام ظهير الدين بن العطار في أخذ البيعة لولده الناصر لدين الله أمير المؤمنين فلما تمت البيعة صار الحاكم في الدولة استاذ الدار مجد الدين أبا الفضل بن الصاحب وفي سابع ذي القعدة قبض على ابن العطار ظهير الدين ووكل عليه في داره ثم نقل الى التاج وقيد ووكل به وطلبت ودائعه وأمواله وفي ليلة الاربعاء ثامن عشر ذي القعدة أخرج ميتا على رأس حمال سرا فغمز به بعض الناس فثار به العامة فالقوه عن رأس الحمال وكشفوا سوأته وشدوا في ذكره حبلا وسحبوه في البلد وكانوا وضعوا بيده مغرفة يعني انها قلم وقد غمسوها في العذرة ويقولون وقع لنا يا مولانا الى غير هذا من الافعال الشنيعة ثم خلص من أيديهم ودفن هذا فعلهم به مع حسن سيرته فيهم وكفه عن اموالهم وأعراضهم وسيرت الرسل الى الآفاق لاخذ البيعة فسير صدر الدين شيخ الشيوخ الى البهلوان صاحب همذان واصفهان والري وغيرها فامتنع من البيعة فراجعه صدر الدين وأغلظ له في القول حتى انه قال لعسكره في حضرته ما هذا عليكم طاعة مالم يبايع أمير المؤمنين بل يجب عليكم ان تخلعوه من الامارة وتقاتلوه فاضطر الى البيعة والخطبة وأرسل رضي الدين القزويني مدرس النظامية الى الموصل لاخذ البيعة فبايع صاحبها وخطب للخليفة الناصر لدين الله في السنة

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة هبت ريح سوداء مظلمة بالديار الجزرية والعراق وغيرها وعمت أكثر البلاد من الظهر الى ان مضى من الليل ربعه وبقيت الدنيا مظلمة لا يكاد الانسان يبصر صاحبه وكنت حينئذ بالموصل فصلينا العصر والمغرب والعشاء الآخرة على الظن والتخمين وأقبل الناس على التضرع والتوبة والاستغفار وظنوا ان القيامة قد قامت فلما مضى مقدار ثلث الليل زال ذلك الظلام والعتمة التي غطت السماء فنظرنا فرأينا النجوم فعلمنا مقدار ما مضى من الليل لان الظلام لم يزد بدخول الليل وكان كل من يصل من جهة من الجهات يخبر بمثل ذلك وفيها في ذي القعدة نزل شمس الدولة اخو صلاح الدين عن بعلبك وطلب عوضا عنها الاسكندرية فاجابه صلاح الدين الى ذلك واقطع بعلبك لعز الدين فرخشاه ابن أخيه فسار اليها وجمع أصحابه وأغار على بلاد الفرنج حتى وصل الى قلعة صفد وهي مطلة على طبرية فسبى وأسر وغنم وخرب وفعل في الفرنج افاعيل عظيمة وأما شمس الدولة فانه سار الى مصر وأقام بالاسكندرية واذا أراد الله ان يقبض رجلا بارض جعل له اليها حاجة فانه اقام بها الى ان مات بها وفيها قارب الجامع الذي بناه مجاهد الدين قايماز بظاهر الموصل من جهة باب الجسر الفراغ واقيمت فيه الصلوات الخمس والجمعة وهو من احسن الجوامع وفيها توفي احمد ابن عبد الرحمن الصوفي شيخ رباط الزوزني وسمع الحديث وكان يصوم الدهر وعبد

الحق

الحق بن عبد الخالق بن يوسف سمع الحديث ورواه وهو من بيت الحديث والقاضى عمر بن على بن الخضر ابو الحسن الدمشقى سمع الحديث ورواه وولى قضاء الحريم وعلى بن احمد اليزيدى سمع الحديث الكثير وله وقف كتب كثيرة ببغداد وكان زاهدا خيرا صالحا ومحمد بن على بن حمزة بن على الاقساسى نقيب العلويين بالكوفة وكان ينشد كثيرا

رب قوم فى خلائقهم * عرر قد صير واغررا
ستر المال القبيح لهم * سترى ان زال ما سترا

ومحمد بن محمد بن عبد الكريم المعروف بابن سديد الدولة الانبارى كاتب الانشاء بعد أبيه وأبو الفتوح نصر بن عبد الرحمن الدامغانى الفقيه كان مناظرا حسن المناظرة كثير العبادة ودفن عند قبر أبي حنيفة

(ثم دخلت سنة ست وسبعين وخمسمائة)

(ذكر وفاة سيف الدين صاحب الموصل وولاية أخيه عز الدين بعده)

فى هذه السنة ثالث صفر توفى سيف الدين غازى بن مودود بن زنكى صاحب الموصل وديار الجزيرة وكان مرضه السل وطال به ثم أدركه فى آخره برسام ومات ومن عجيب ما يحكى ان الناس خرجوا سنة خمس وسبعين يستسقون لانقطاع الغيث وشدة الغلاء وخرج سيف الدين فى موكبه فثار به الناس وقصدوه بالاستغاثة وطلبوا منه ان يأمر بالمنع من بيع الخمر فاجابهم الى ذلك فدخلوا البلد وقصدوا مساكن الخمارين وخربوا ابوابها ودخلوها ونهبوها واراقوا ما بها من خمور وكسروا الظروف وعملوا ما لا يحل فاستغاث اصحاب الدور الى نواب السلطان وخصوا بالشكوى رجلا من الصالحين يقال له ابو الفرج الدقاق ولم يكن فى الذى فعله العامة من النهب وما لا يجوز فعله انما هو اراق الخمور ونهى العامة عن الذى يفعلونه فلم يسمعوا منه فلما شكى الخمارون منه احضر بالقلعة وضرب على رأسه فسقطت عمامته فلما اطلق لينزل من القلعة نزل مكشوف الراس فارادوا تغطيته بعمامته فلم يفعل وقال والله لا غطيت رأسى حتى ينتقم الله لى ممن ظلمنى فلم يمض غير ايام حتى توفى الزردار الذى تولى اذاه ثم يعقبه مرض سيف الدين واستمر الى ان مات وعمره حينئذ نحو ثلاثين سنة وكانت ولايته عشر سنين وثلاثة أشهر وكان حسن الصورة مليح الشباب تام القامة أبيض اللون وكان عاقلا وقورا قليل الالتفات اذا ركب واذا جلس عفيفا لم يذكر عنه ما ينافى العفة وكان غيورا شديد الغيرة لا يدخل دوره غير الخدم الصغار فاذا كبر احدهم منعه وكان لا يحب سفك الدماء ولا أخذ الاموال على شح فيه وجبن ولما اشتد مرضه اراد ان يعهد بالملك لابنه معز الدين سنجر شاه وكان عمره حينئذ اثنتى عشرة سنة فخاف على الدولة من ذلك لان صلاح الدين يوسف بن أيوب كان قد تمكن بالشام وقوى أمره وامتنع أخوه عز الدين مسعود بن مودود من الاذعان لذلك والاجابة اليه فاشار الامراء الاكابر ومجاهد الدين قايماز بان يجعل الملك بعده فى عز الدين أخيه لما هو

واحتياجات وجمال والذى أخبر به المخبرون عن الباشا وعساكره ان طوسون باشا وعابدين بك ركبوا بعساكرهم على ناحية تربة التى بها المرأة التى يقال لها غالية فوقعت بينهم حروب ثمانية ايام ثم رجعوا منهزمين ولم يظفروا بطائل ولان العرب بان نفرت طباعهم من الباشا لما حصل منه فى حق الشريف من القبض عليه وهاجوا لكثير من الاشراف وانضموا الى الاخصام وتفرقوا فى النواحى ومنهم شخص يقال له الشريف راجح فاتى من خلف العسكر وقت قيام الحرب وحاربهم ونهب الذخيرة والاحمال وقطع عنهم المدد واخبروا أن الجمال قل وجودها عند الباشا ويشتريها من العربان المسالمين له باغلى ثمن واخبروا أيضا انه واقع بالحرمين غلاء شديد لقلة الجالب واحتكار الباشا للغلال الواصلة اليه من مصر فيبيعه حتى على عسكره باغلى ثمن مع التحجير على المسافرين والحجاج فى استصحابهم شيئا من الحب والدقيق فيفتشون متاعهم فى السويس ويأخذون ما يجدونه معهم مما يتزودون به فى سفرهم من القمح أو الدقيق وما يكون معهم من الفرانسه لنفقتهم واعطوهم بدلها من القروش (وفيه) بلغ صرف الريال الفرانسه من الفضة العددية ثمانمائة وعشرين نصفا عنها ثمانية قروش والمنخفض عشرون قرشا وقل وجود

عليه من كبر السن والشجاعة والعقل وقوة النفس وان يعطى ابنيه بعض البلاد ويكون مرجعهما الى عز الدين عمهما والمتولى لامرهما مجاهد الدين قايماز ففعل ذلك وجعل الملك فى اخيه واعطى جزيرة ابن عمر وقلاعها لولده سنجرشاه وقلعة عقر الحميدية لولده الصغير ناصر الدين كسك فلما توفى سيف الدين ملك بعده الموصل والبلاد أخوه عز الدين وكان المدبر لدولة مجاهد الدين وهو الحاكم فى الجميع واستقرت الامور ولم يختلف اثنان

(ذكر مسير صلاح الدين لحرب قلج ارسلان)

فى هذه السنة سار صلاح الدين يوسف بن أيوب من الشام الى بلاد قلج ارسلان بن مسعود بن قلج ارسلان وهى ملطية وسيواس وما بينهما وقونية ليحاربه وسبب ذلك ان نور الدين محمد بن قرا ارسلان بن داود صاحب حصن كيفا وغيره من ديار بكر كان قد تزوج ابنة قلج ارسلان المذكور وبقيت عنده مدة ثم انه احب مغنية فتزوجها ومال اليها وحكمت فى بلاده وخزائنه واعرض عن ابنة قلج ارسلان وتركها انسيا منسيا فبلغ اباها الخبر فعزم على قصد نور الدين واخذ بلاده فارسل نور الدين الى صلاح الدين يستجير به ويسأله كف يد قلج ارسلان عنه فارسل صلاح الدين الى قلج ارسلان فى المعنى فاعاد الجواب انى كنت قد سلمت الى نور الدين عدة حصون تجاور بلاده لما تزوج ابنتى فحيث آل الامر معه الى ما يعلمه فانا اريد ان يعيد الى ما اخذه منى وترددت الرسل بينهما فلم يستقر حال فيما فهادن صلاح الدين الفرنج وسار فى عساكره وكان الملك الصالح اسمعيل بن نور الدين محمود بحلب فتركها ذات اليسار وسار على تل باشر الى رعبان فأتاه بها نور الدين محمد وأقام عنده فلما سمع قلج ارسلان بقربه منه أرسل اليه أكبر أمير عنده ويقول له ان هذا الرجل فعل مع ابنتى كذا ولا بد من قصد بلاده وتعريفه محل نفسه فلما وصل الرسول واجتمع بصلاح الدين وادى الرسالة امتعض صلاح الدين لذلك واغتاظ وقال للرسول قل لصاحبك والله الذى لا اله الا هو لئن لم يرجع لاسيرن الى ملطية وبينى وبينها يومان ولا أنزل عن فرسى الا فى البلد ثم أقصد جميع بلاده وآخذها منه فرأى الرسول أمرا شديدا فقام من عنده وكان قد رأى العسكر وما هو عليه من القوة والتجمل وكثرة السلاح والدواب وغير ذلك ليس عنده ما يقاربه فعلم انه ان قصدهم أخذ بلادهم فارسل اليه من الغد يطلب ان يجتمع به فاحضره فقال له اريد ان أقول شيئا من عندى ليس رسالة عن صاحبى وأحب ان تنصفنى فقال له قل قال يا مولانا ما هو قبيح بمثلك وأنت من أعظم السلاطين واكبرهم شانا ان تسمع الناس عنك أنك صالحت الفرنج وتركت الغزو ومصالح المملكة واعرضت عن كل ما فيه صلاح لك ولرعيتك وللمسلمين عامة وجمعت العساكر من اطراف البلاد البعيدة والقريبة وسرت وخسرت أنت وعساكرك الاموال العظيمة لاجل قحبة مغنية ما يكون عذرك عند الله تعالى ثم عند الخليفة وملوك الاسلام وكافة العالم

الفرانسه والمشخص بل والمحبوب المصرى بايدى الناس جدا ثم نودى على أن يصرف الريال بسبعة قروش والمشخص بستة عشر قرشا وشددوا فى ذلك ونكلوا بمن يخالف ذلك وعاقبوا من زاد على ذلك فى قبض اثمان المبيعات وأطلقوا فى الناس جواسيس وعيونا فمن عثروا عليه فى مبيع أو غيره انه قبض بالزيادة أحاطوا به واخذوه وعاقبوه بالحبس والضرب والتسمير وربما أرسلوا من طرفهم اشخاصا متنكرين يأتى احدهم للبائع فيساومه السلعة كانه مشتر ويدفع له فى ضمن الثمن ريالا أو مشخصا ويحسبه بحسابه الاول ويناكره فى ذلك فربما تجاوز البائع خوفا من بوار سلعته وخصوصا اذا كانت البيعة رابحة أو بيعة استفتاح على زعم الباعة وقلة الزبون بسبب وقف حال الناس وافلاسهم فما هو الا أن يتباعد عنه يسيرا فما يشعر الا وهو بين يدى الاعوان ويلاقى وعده (وفى منتصفه) وصلت قافلة من السويس وفيها جملة من العسكر المتمرضين ونحو العشرة من كبارهم نفاهم الباشا الى مصر وفيهم جوأوغلى ودالى حسن وعلى اغا درملى وترجوا وحسن اغا زرجنلى ومصطفى ميسوا واحمد اغا قبودان (وفيه ايضا) خرج عسكر المغاربة ومن معهم من الاجناس المختلفة الى مصر العتيقة ليذهبوا من ناحية القصير الى الحجاز واما محبوبك فانه لم يزل بقنا

واحسب

واحسب أن أحدا ما يواجهك بهذا أما يعلمون ان الامر هكذا ثم احسب ان قلج ارسلان مات وهذه ابنته قد أرسلتني اليك تستجيرك وتسالك أن تنصفها من زوجها فان فعلت فهو الظن بك ان لا تردها فقال والله الحق بيدك وان الامر لكما تقول ولكن هذا الرجل دخل علي واستجار بي ويقبح بي تركه لكنك أنت اجتمع به واصلح الحال بينكم على ما تحبون وانا اعينكم عليه واقبح فعله ووعد من نفسه بكل جميل فاجتمع الرسول بصاحب الحصن وتردد القول بينهم فاستقر ان صاحب الحصن يخرج المغنية عنه بعد سنة وان كان لا يفعل ينزل صلاح الدين عن نصرته ويكون هو وقلج ارسلان عليه واصطلحوا على ذلك وعاد صلاح الدين عنه الى الشام وعاد نور الدين الى بلاده فلما انقضت المدة اخرج نور الدين المغنية عنه فتوجهت الى بغداد وأقامت بها الى ان ماتت

(ذكر قصد صلاح الدين بلد ابن ليون الارمني)

وفيها قصد صلاح الدين بلد ابن ليون الارمني بعد فراغه من امر قلج ارسلان وسبب ذلك ان ابن ليون الارمني كان قد استمال قوما من التركمان وبذل لهم الاموال فامرهم ان يرعوا مواشيهم في بلاده وهي بلاد حصينة كلها حصون منيعة والدخول اليها صعب لانها مضايق وجبال وعرة ثم غدر بهم وسبي حريمهم وأخذ اموالهم واسر رجالهم بعد ان قتل منهم من حان اجله ونزل صلاح الدين على النهر الاسود وبث الغارات على بلاده فخاف ابن ليون على حصن له على رأس جبل ان يؤخذ فخربه واحرقه فسمع صلاح الدين بذلك فاسرع السير اليه فادركه قبل ان ينقل ما فيه من ذخائر واقوات فغنمها وانتفع المسلمون بما غنموه فارسل ابن ليون يبذل اطلاق من عنده من الاسرى والسبي واعادة اموالهم على ان يعودوا عن بلاده فاجابه صلاح الدين الى ذلك واستقر الحال واطلق الاسرى واعيدت اموالهم وعاد صلاح الدين عنه في جمادى الآخرة

(ذكر ملك يوسف بن عبد المؤمن مدينة قفصة بعد خلاف صاحبها عليه)

في هذه السنة سار ابو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن الى افريقية وملك قفصة وكان سبب ذلك ان صاحبها علي بن المعز بن المعتز لما رأى دخول الترك الى افريقية واستيلاءهم على بعضها وانقياد العرب اليهم طمع أيضا في الاستبداد والانفراد عن يوسف وكان في طاعته فاظهر ما في نفسه وخالفه واظهر العصيان ووافقه اهل قفصة فقتلوا كل من كان عندهم من الموحدين اصحاب أبي يعقوب وكان ذلك في شوال سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة فارسل والي بجاية الى يوسف بن عبد المؤمن يخبره باضطراب امور البلاد واجتماع كثير من العرب الى قراقوش التركي الذي دخل الى افريقية وقد تقدم ذكر ذلك وما جرى في قفصة من قتل الموحدين ومساعدة اهل قفصة صاحبهم على ذلك فشرع في سد الثغور التي يخافها بعد مسيره فلما فرغ من جميع ذلك تجهز

القلة المراكب بالقصير التي تحملهم الى الحجاز (وفي سادس عشره) وصلت قافلة وفيها انفار من اهل مكة والمدينة وسفار وبضائع تجار وبن وأقمشة وبياض شيء كثير وقد أتت الى جدة من تجارات الشريف غالب ولم يبلغهم خبر الشريف غالب وما حصل له فلما حضر واوضع الباشا يده عليه جميعه وأرسله الى مصر فتولى ذلك السيد محمد المحروقي وفرقها على التجار بالثمن الذي قدره عليهم والزمهم أن لا يدفعوه الا فرانسه (وفي هذا الشهر) وصل الخبر بموت الشيخ مسعود كبير الوهابية وتولى مكانه ابنه عبد الله (وفيه) خرج طائفة الكتبة والاقباط والروزنامجي والجاجرتية وذهب الجميع الى جزيرة شلقان ليحرروا دفاتر على الروك الذي راكوه من قياس الاراضي وزيادة الاطيان وجفل الكثير من الفلاحين واهالي الارياف وتركوا أوطانهم وزروعهم وهالهم هذا الواقع لكونهم لم يعتادوه ويالفوه وباعوا مواشيهم ودفعوا اثمانها في الذي طلع عليهم في الزيادات الهائلة وسيعودون مثل الكلاب ويعتادون سلخ الاهاب وأما الملتزمون فبقوا حيارى باهتين وارتفع أيدي تصرفهم في حصصهم ولا يدرون عاقبة أمرهم منتظرين رحمة ربهم وآن وقت الحصاد وهم ممنوعون من ضم زروعهم وساياهم الى ان أذن لهم الكتخدا بذلك وكتب لهم أوراقا وتوجهوا بانفسهم

العسكر وسار الى افريقية سنة خمس وسبعين ونزل على مدينة قفصة وحصرها ثلاثة اشهر وهى بلد حصينة واهلها انجاد وقطع شجرها فلما اشتد الامر على صاحبها واهلها خرج منها مستخفيا لم يشعر به احد من اهل قفصة ولا من عسكره وسار الى خيمة يوسف وعرف حاجبه انه قد حضر الى امير المؤمنين يوسف فدخل الحاجب واعلم يوسف بوصول صاحب قفصة الى باب خيمته فعجب منه كيف اقدم على الحضور عنده بغير عهد وأمر بادخاله عليه فدخل وقبل يده وقال قد حضرت أطلب عفو امير المؤمنين عنى وعن أهل بلدى وان يفعل ما هو اهله واعتذر فرق له يوسف فعفا عنه وعن اهل البلد وتسلم المدينة أول سنة ست وسبعين وسير على بن المعز صاحبها الى بلاد المغرب فكان فيها مكرما عزيزا واقطعه ولاية كبيرة ورتب يوسف لقفصة طائفة من أصحابه الموحدين وحضر مسعود بن زمام امير العرب عند يوسف ايضا فعفا عنه وسيره الى مراكش وسار يوسف الى المهدية فاتاه بها رسول ملك الفرنج صاحب صقلية يلتمس منه الصلح فهادنه عشر سنين وكانت بلاد افريقية مجدبة فتعذر على العسكر القوت وعلف الدواب فسار الى المغرب مسرعا والله اعلم

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة توفى شمس الدولة توران شاه بن ايوب اخو صلاح الدين الاكبر بالاسكندرية وكان قد أخذها من أخيه اقطاعا فاقام بها فتوفى وكان له اكثر بلاد اليمن ونوابه هناك يحملون اليه الاموال من زبيد وعدن وما بينهما من البلاد والمعاقل وكان اجود الناس واسخاهم كفا يخرج كل ما يحمل اليه من أموال اليمن ودخل الاسكندرية وحكمه فى بلاد اخيه صلاح الدين وامواله نافذ ومع هذا فلما مات كان عليه نحو مائتى الف دينار مصرية دين فوفاها أخوه صلاح الدين عنه لما دخل الى مصر فانه لما بلغه خبر وفاته سار الى مصر فى شعبان من السنة واستخلف بالشام عز الدين فرخشاه ابن اخيه شاهنشاه وكان عاقلا حازما شجاعا وفيها توفى ابو طاهر أحمد بن محمد بن سلفة الاصفهانى بالاسكندرية وكان حافظ الحديث وعالما به سافر فى طلب الكثير وتوفى أيضا فى المحرم على بن عبد الرحيم المعروف بابن العصار اللغوى ببغداد وسمع الحديث وكان من اصحاب ابن الجواليقى

(ثم دخلت سنة سبع وسبعين وخمسمائة)

(ذكر غزاة الى بلد الكرك من الشام)

فى هذه السنة سار فرخشاه نائب صلاح الدين بدمشق الى أعمال كرك ونهبها وسبب ذلك ان البرنس ارناط صاحب الكرك كان من شياطين الفرنج ومردتهم وأشدهم عداوة للمسلمين فتجهز وجمع عسكره ومن امكنه الجمع وعزم على المسير فى البر الى تيماء ومنها الى مدينة النبى صلى الله عليه وسلم للاستيلاء على تلك النواحى الشريفة فسمع عز الدين فرخشاه ذلك فجمع العساكر الدمشقية وسار الى بلده ونهبه وخربه وعاد

أو من يهرب من مخدومه وأراد ضم زرعه ولم ٢١٢ يجد من يطيعه بهم وتطاولوا عليهم بالالسنه فيقول الحرفوش منهم اذا دعى للشغل باجرته روح انظر غيرى أنا مشغول فى شغلى انتم ايش بقالكم فى البلاد قد انقضت أيامكم احنا صرنا فلاحين الباشا وقد كانوا مع الملتزمين أذل من العبيد المشترى فربما ان العبد يهرب من سيده اذا كلفه فوق طاقته أو اهانه بالضرب وأما الفلاح فلا يمكنه ولا يسهل به ان يترك وطنه وأولاده وعياله ويهرب واذا هرب الى بلدة أخرى واستعلم استاذه مكانه أحضره قهرا وازداد ذلا ومقتا واهانة وكان من طرائقهم انه اذا آن وقت الحصاد والتخضير طلب الملتزم أو قائم مقامه الفلاحين فينادى عليهم الغفير أمس اليوم المطلوبين فى صبحه بالتبكير الى شغل الملتزم فمن تخلف لعذر أحضره الغفير أو المشد وسحبه من شنبه واشبعه سبا وشتما وضربا وهو المسمى عندهم بالعونة والسخرة واعتادوا ذلك بل يرونه من اللازم الواجب وهذا خلاف ما يلقونه من الاذلال والتحكم من مشايخهم والشاهد والنصرانى الصراف وهو العمدة والعهدة خصوصا عند قبض المال فيغالطهم ويناكرهم وهم له أطوع من استاذهم وامره نافذ فيهم فيا مرقائمقام بحبس من شاء أو ضربه ويحتج عليهم بيواقى لا يدفعها واذا غلق احدهم ما عليه من المال الذى وجب عليه فى قائمة

الى

الى طرف بلادهم واقام بها ليمنع البرنس من المسلمين فامتنع من مقصده فلما طال مقام كل واحد منهما في مقابلة الآخر علم البرنس ان المسلمين لا يعودون حتى تفرق جمعه وانقطع طمعه من الحركة فعاد فرخشاه الى دمشق وكفى الله المؤمنين شر الكفار

* (ذكر تلبيس ينبغي أن يحتاط من مثله) *

كان سيف الدولة مبارك بن كامل بن منقذ الكناني ينوب عن شمس الدولة أخي صلاح الدين باليمن وتحكم في الاموال والبلاد بعد ان فارقها شمس الدولة كما ذكرنا وكان هواه بالشام لانه وطنه فارسل الى شمس الدولة يطلب الاذن له في المجيء اليه فاذن له في المجيء فاستناب بزبيد اخاه حطان بن كامل بن منقذ الكناني وعاد الى شمس الدولة وكان معه بمصر فمات شمس الدولة وبقي مع صلاح الدين فقيل عنه انه أخذ اموال اليمن وادخرها وسعى به اعداؤه فلم يعارضه صلاح الدين فلما كان هذه السنة وصلاح الدين بمصر اصطنع سيف الدولة طعاما وعمل دعوة كبيرة ودعا اليها اعيان الدولة الصلاحية بقرية تسمى العدوية وارسل اصحابه يتجهزون من البلد ويشترون ما يحتاجون اليه من الاطعمة وغيرها فقيل لصلاح الدين ان ابن منقذ يريد الهرب واصحابه يتزودون له ومتى دخل اليمن اخرجه عن طاعتك فارسل صلاح الدين فاخذه والناس عنده وحبسه فلما سمع صلاح الدين جلية الحال علم ان الحيلة تمت لاعدائه في قبضه فخفف ما كان عنده وسهل امره وصانعه على ثمانين ألف دينار مصرية سوى ما لحقها من الحمل لاخوة صلاح الدين واصحابه واطلقه واعاده الى منزلته وكان اديبا شاعرا

* (ذكر ارسال صلاح الدين العساكر الى اليمن) *

في هذه السنة سير صلاح الدين جماعة من امرائه منهم صارم الدين قتلغ ابه والي مصر الى اليمن للاختلاف الواقع بها بين نواب اخيه شمس الدولة وهم عز الدين عثمان بن الزنجيلي والي عدن وحطان بن منقذ والي زبيد وغيرهما فانه لما بلغهم وفاة صاحبهم اختلفوا وجرت بين عز الدين عثمان وبين حطان حرب وكل واحد منهما يروم ان يغلب الآخر على ما بيده واشتد الامر فخاف صلاح الدين أن يطمع اهل البلاد فارسل هؤلاء الامراء اليها واستولى قتلغ ابه على زبيد وازال حطان عنها ثم مات قتلغ ابه فعاد حطان الى امارة زبيد واطاعه الناس لجوده وشجاعته

* (ذكر وفاة الملك الصالح وملك ابن عمه عز الدين مسعود مدينة حلب) *

في هذه السنة في رجب توفي الملك الصالح اسمعيل بن نور الدين محمود صاحب حلب بها وعمره نحو تسع عشرة سنة ولما اشتد مرضه وصف له الاطباء شرب الخمر للتداوي فقال لا أفعل حتى استفتي الفقهاء فاستفتى فافتاه فقيه من مدرسي الحنفية بجواز ذلك فقال له أرأيت ان قدر الله تعالى بقرب الاجل أيؤخره شرب الخمر فقال له الفقيه لا فقال والله لا لقيت الله سبحانه وقد استعملت ما حرمه علي ولم يشربه فلما

المصروف وطلب من المعلم ورده وهي ورقة الغلاق وعده لوقت آخر حتى يحرر حسابه فلا يقدر الفلاح على مراددته خوفا منه فاذا ساله من بعد ذلك قال له بقي عليك حبتان من فدان أو نحو ثمان أو نحو ذلك ولا يعطيه ورقة الغلاق حتى يستوفي منه قدر المال او يصانعه بالهدية والرشوة وغير ذلك أمور وأحكام خارجة عن ادراك البهيمية فضلا عن البشرية كالشكاوى ونحوها وذلك كما اذا تشاجر احدهم مع آخر على أمر جزئي بادر احدهم بالحضور الى الملتزم وتمثل بين يديه قائلا اشكو اليك فلانا بمائة ريال مثلا فبمجرد قوله ذلك يامر بكتابة ورقة خطابا الى قائمقام او المشايخ باحضار ذلك الرجل المشتكى واستخلاص القدر الذي ذكره الشاكي قليلا او كثيرا او حبسه وضربه حتى يدفع ذلك القدر ويرسل الورقة مع بعض اتباعه ويكتب بهامشها كراء طريقه قليلا او كثيرا ويسمونه حق الطريق فعند وصوله اول شيء يطالب به الرجل حق الطريق المعين ثم الشكوى فان بادر ودفعها والا حبس اوحضر به المعين الى بيت استاذه فيوعده الحبس و يعاقبه بالضرب حتى يوفي القدر الذي تلفظ به الشاكي وان تاخر عن حضوره او حضور المعين اردفه بآخر وحق طريق الآخر كذلك ويسمونها الاستعجالة وغير ذلك احكام وامور غير معقولة المعنى قد ربوا عليها واعتادوها لا يرون

ايس من نفسه احضر الامراء وسائر الاجناد ووصاهم بتسليم البلد الى ابن عمه عز الدين مسعود بن مودود بن زنكى واستحلفهم على ذلك فقال له بعضهم ان عماد الدين ابن عمك ايضا وهو زوج اختك وكان والدك يحبه ويؤثره وهو تولى تربيته وليس له غير سنجار فلو اعطيته البلد لكان أصلح وعز الدين له من البلاد من الفرات الى همذان ولا حاجة به الى بلدك فقال له ان هذا لم يغب عنى ولكن قد علمتم ان صلاح الدين قد تغلب على عامة بلاد الشام سوى ما بيدى ومتى سلمت حلب الى عماد الدين يعجز عن حفظها وان ملكها صلاح الدين لم يبق لاهلنا معه مقام وان سلمتها الى عز الدين أمكنه حفظها بكثرة عساكره وبلاده فاستحسنوا قوله وعجبوا من جودة فطنته مع شدة مرضه وصغر سنه ثم مات وكان حليما كريما عفيف اليد والفرج واللسان ملازما للدين لا يعرف له شئ مما يتعاطاه الملوك والشباب من شرب خمر أو غيره حسن السيرة فى رعيته عادلا فيهم ولما قضى نحبه ارسل الامراء الى اتابك عز الدين يستدعونه الى حلب فسار هو ومجاهد الدين قايماز الى الفرات وارسل أحضر الامراء عنده من حلب فحضروا وساروا جميعا الى حلب ودخلها فى العشرين من شعبان وكان صلاح الدين حينئذ بمصر ولولا ذلك لزاحمهم عليها وقاتلهم فلما اجتاز فى طريقه اليها من الفرات كان تقى الدين عمر ابن اخى صلاح الدين بمدينة منبج فسار عنها هاربا الى حماة وثار أهل حماة ونادوا بشعار عز الدين فاشار عسكر حلب على عز الدين بقصد دمشق واطمعوه فيها وفى غيرها من بلاد الشام واعلموه محبة اهلها له ولاهل بيته فلم يفعل وقال بيننا يمين فلا نغدر به واقام بحلب عدة شهور ثم سار عنها الى الرقة

(ذكر تسليم حلب الى عماد الدين واخذ سنجار عوضا عنها)

لما دخل عز الدين الى الرقة جاءته رسل اخيه عماد الدين صاحب سنجار يطلب ان يسلم اليه حلب ويأخذ عوضا عنها مدينة سنجار فلم يجبه الى ذلك ولج عماد الدين فى ذلك وقال ان سلمتم الى حلب والا سلمت انا سنجار الى صلاح الدين فاشار حينئذ جماعة من الامراء بتسليمها اليه وكان اشدهم فى ذلك مجاهد الدين قايماز فلم يمكن عز الدين مخالفته لتمكنه فى الدولة وكثرة عساكره وبلاده واعاجل مجاهد الدين على ذلك خوفه من عز الدين لانه عظم فى نفسه وكثر معه العسكر وكان الامراء الحلبيون لا يلتفتون الى مجاهد الدين ويسلكون معه من ترك الادب ما يفعله عسكر الموصل فاستقر الامر على تسليم حلب الى عماد الدين واخذ سنجار عوضا عنها فسار عماد الدين فتسلمها وسلم سنجار الى اخيه وعاد الى الموصل وكان صلاح الدين بمصر قد بلغه خبر ملك عز الدين حلب فعظم الامر عليه وخاف ان يسير منها الى دمشق وغيرها ويملك الجميع وأيس من حلب فلما بلغه ملك عماد الدين لها برز من مصر من يومه وسار الى الشام وكان من الوهن على دولة عز الدين ما نذكره ان شاء الله

(ذكر حصر صاحب ماردين قلعة البيرة ومصرها جاحبها مع صلاح الدين)

فيها باسا ولا عيا وقد سلط الله على هؤلاء الفلاحين بسوء افعالهم وعدم ديانتهم وخيانتهم واضرارهم لبعضهم البعض من لا يرحمهم ولا يعفو عنهم كما قال فيهم البدر الحجازى وسبعة بالفلح قد انزلت لما حووه من قبيح الفعال شيوخهم أستاذهم والمشد والقتل فيما بينهم والقتال مع النصارى كاشف الناحيه وزد عليها كدهم فى اشتغال وفقرهم ما بين عينيهم مع اسوداد الوجه هذا النكال واذا التزم بهم ذو رحمة ازدروه فى أعينهم واستهانوا به وبخدمه وماطلوه فى الخراج وسموه باسماء النساء وتمنوا زوال التزامه بهم وولاية غيره من الجبارين الذين لا يخافون ربهم ولا يرحمهم لينالوا بذلك اغراضهم بوصول الاذى لبعضهم وكذلك اشياخهم اذا لم يكن الملتزم ظالما يتمكنون هم ايضا من ظلم فلاحيهم لانهم لم يحصل لهم رواج الا بطلب الملتزم الزيادة والمغارم فيأخذون لانفسهم فى ضمنها ما احبوا وربما وزعوا خراج اطيانهم ووزراعاتهم على الفلاحين وقد انخرم هذا الترتيب بما حدث فى هذه الدولة من قياس الاراضى والفدن وما سيحدث بعد ذلك من الاحداثات التى تبدو قرائنها شيئا بعد شئ (وفى ثانى عشرينه) برز حسن بك دالى باشا خيامه الى خارج باب النصر وخرج هو فى ثانى يوم فى موكب ونزل بوطاقه ليتوجه الى الحجاز على طريق

كانت قلعة البيرة وهى مطلة على الفرات من ارض الجزيرة لشهاب الدين الارتقى وهو ابن عم قطب الدين ايلغازى بن البى بن تمرتاش بن ايلغازى بن ارتق صاحب ماردين وكان فى طاعة نور الدين محمود بن زنكى صاحب الشام فمات شهاب الدين وملك القلعة بعده ولده وصار فى طاعة عز الدين مسعود صاحب الموصل فلما كان هذه السنة ارسل صاحب ماردين الى عز الدين يطلب منه ان ياذن له فى حصر البيرة واخذها فاذن له فى ذلك فسار فى عسكره الى قلعة سميساط وهى له ونزل بها وسير العسكر الى البيرة فحصرها فلم يظفر منها بطائل الا انهم لازموا الحصار فارسل صاحبها الى صلاح الدين وقد خرج من ديار مصر على ما نذكره يطلب منه ان ينجده ويرحل العسكر الماردانى عنه ويكون هو فى خدمته كما كان أبوه فى خدمة نور الدين فاجابه الى ذلك وأرسل رسولا الى صاحب ماردين يشفع فيه ويطلب ان يرحل عسكره عنه فلم يقبل شفاعته واشتغل صلاح الدين بما نذكره من الفرنج فلما رأى صاحب ماردين طول مقام عسكره على البيرة ولم يبلغوا منها غرضا أمرهم بالرحيل عنها وعاد الى ماردين فسار صاحبها الى صلاح الدين وكان معه حتى عبر معه الفرات على ما نذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة كثرت المنكرات ببغداد فاقام حاجب الباب جماعة لاراقة الخمور واخذ المفسدات فبينما امرأة منهن فى موضع علمت بمجىء اصحاب حاجب الباب فاضطجعت وأظهرت انها مريضة وارتفع أنينها فرأوها على تلك الحال فتركوها وانصرفوا فاجتهدت بعدهم ان تقوم فلم تقدر وجعلت تصيح الكرب الكرب الى ان ماتت وهذا من اعجب ما يحكى وفيها فى عاشر ذى الحجة توفى الامير همام الدين تتر صاحب قلعة تكريت بالمزدلفة كان قد استخلف الامير عيسى ابن اخى مودود وحج فتوفى ودفن بالمعلى مقبرة مكة وفيها فى شعبان توفى عبد الرحمن بن محمد بن ابى سعيد ابو البركات النحوى المعروف بابن الانبارى ببغداد وله تصانيف حسنة فى النحو وكان فقيها صالحا وفيها توفى ابراهيم بن محمد بن مهران الفقيه الشافعى بجزيرة ابن عمر وكان فاضلا كثير الورع

(ثم دخلت سنة ثمان وسبعين وخمسمائة)

(ذكر مسير صلاح الدين الى الشام واغارته على الفرنج)

فى هذه السنة خامس المحرم سار صلاح الدين عن مصر الى الشام ومن عجيب ما يحكى من التطير انه لما برز من القاهرة اقام بخيمته حتى تجتمع العساكر والناس عنده واعيان دولته والعلماء وارباب الآداب فمن بين مودع له وسائر معه وكل منهم يقول شيئا فى الوداع والفراق وما هم بصدده من السفر وفى الحاضرين معلم لبعض اولاد

البر (وفى ليلة الاربعاء) سابع عشر يته قبل الغروب بنحو نصف ساعة وصل جراد كثير مثل الغمام وصار يتساقط على الدور والاسطحة والازقة مثل الغمام وافسد كثيرا من الاشجار وانقطع اثره فى ثانى يوم (وفى يوم الاثنين) عاشره ارتحل حسن باشا من ناحية الشيخ قمر الى بركة الحج (وفى) منتصفه حضر الروزنامجى والافندية بعد ان استملى منهم القبط الدفاتر واسماء الملتزمين ومقاد ير حصصهم ثم حضر محمود بك والمعلم غالى ومن معهم من الكتبة الاقباط وظهر للناس عند حضورهم نتيجة ما صنعوه ونظموه ورتبوه من قياس الاراضى وروك البلاد وهو ان الاراضى زادت فى القياس بالقصبة التى قاسوا بها وحددوها مقدار الثلث او الربع حتى قاسوا الرزق الاحباسية باسماء اصحابها ومزارعيها واطيان الوسايا على حدتها حتى الاجران وما لا يصلح للزراعة وما يصلح من البور الصالح وغير الصالح فلما تم ذلك حسبوها بزياداتها بالافدنة ثم جعلوها ضرائب منها ضريبة خمسة عشر ريالا واربعة عشر واثنى عشر واحد عشر وعشرة مال الفدان بحسب جودة الاقليم والارض فبلغ ذلك مبلغا عظيما بحيث ان البلدة التى كانت يفرض عليها فى مغارم الفرض التى كانوا افرضوها قبل ذلك فى سنيهم الماضية و يتشكى منها الفلاحون والملتزمون

ويستغيثون ويبقى منها بواقي ويعجزون عنها الف ريال طلع عليها في هذه اللفة عشرة آلاف ريال الى مائة الف
وأقل وأكثر وأحضر
الكتخدا ابراهيم اغا الرزاز
والشيخ احمد يوسف وخلع
عليهما خلعتين وجعلوا لهما
ديوانا خاصا لمن يلتزم بالقدر
الذى تحرر على حصته التى فى
تصرفه فيعطونه ورقة تصرف
ويكتب على نفسه وثيقة
بأجل معلوم يقوم بدفع ذلك
ويتصرف فى حصته بشرط
ان لا يكون له الأطيان
الاوسية ان شاء زرعها واخذ
غلتها وان شاء ايجرها لمن شاء
وليس له من مال الخراج الا
المال الحر المعين بسند
الديوان المعروف بالتقسيط
ومازاد فى قياس الارض من
طين الفلاحة والاوسية فهو
للميرى قل او كثر واما الرزق
الاحباسية المرصدة على البر
والصدقة ولاهل المساجد
والاسبلة والمكاتب
والخيرات فانهم مسحوها
بقياسهم فما وجدوه زائدا
من الحد الاصلى جعلوه
للديوان ومابقى قيدوه وحرروه
باسم واضع اليد عليها واسم
واقفها وزارعها اوما عليه
المزارع الحاضر وقت القياس
وسؤال المباشرين وقرروا
عليها المال مثل ضريبة
البلد فان اثبتها اصحابها وكان
بيده سند جديد من أيام
الوزير وشريف افندى وما
بعده على سبقه لوقت تاريخه قيدوا له نصف مال تاجرها والنصف الثانى الباقى

فاخرج راسه من بين الحاضرين وانشد

تمتع من شميم عرار نجد * فما بعد العشية من عرار

فانقبض صلاح الدين بعد انبساطه وتطير وتنكد المجلس على الحاضرين فلم يعد اليها الى ان مات مع طول المدة ثم سار عن مصر وتبعه من التجار واهل البلاد ومن كان قصد مصر من الشام بسبب الغلاء بالشام وغيره عالم كثير فلما سار جعل طريقه على ايلة فسمع ان الفرنج قد جمعوا له ليحاربوه ويصدوه عن المسير فلما قارب بلادهم سير الضعفاء والاثقال مع أخيه تاج الملوك بورى الى دمشق وبقى هو فى العساكر المقاتلة لاغير فشن الغارات باطراف بلادهم واكثر ذلك ببلاد الكرك والشوبك فلم يخرج اليه منهم احد ولا أقدم على الدنو منه ثم سار فى دمشق فوصلها حادى عشر صفر من السنة

(ذكر ملك المسلمين شقيفا من الفرنج)

فى هذه السنة ايضا فى صفر فتح المسلمون بالشام شقيفا من الفرنج يعرف بحبس جلدك وهو من اعمال طبرية مطل على السواد وسبب فتحه ان الفرنج لما بلغهم مسير صلاح الدين من مصر الى الشام جمعوا له وحشدوا الفارس والراجل واجتمعوا بالكرك بالقرب من الطريق لعلهم ينتهزون فرصة أو يظفرون بنصرة وربما عاقوا المسلمين عن المسير بان يقفوا على بعض المضايق فلما فعلوا ذلك خلت بلادهم من ناحية الشام فسمع فرخشاه الخبر فجمع من عنده من عساكر الشام ثم قصد بلاد الفرنج واغار عليها ونهب دبورية ومايجاورها من القرى وأسر الرجال وقتل واكثر وسبى النساء وغنم الاموال وفتح منهم الشقيف وكان على المسلمين منه أذى شديد ففرح المسلمون بفتحه فرحا عظيما وارسل الى صلاح الدين بالبشارة فلقيه فى الطريق ففت ذلك فى عضد الفرنج وانكسرت شوكتهم

(ذكر ارسال سيف الاسلام الى اليمن وتغلبه عليه)

فى هذه السنة سير صلاح الدين أخاه سيف الاسلام طغدكين الى بلاد اليمن وامره بتملكها وقطع الفتن بها وفوض اليه امرها وكان بها حطان بن منقذ كما ذكرناه قبيل وكتب عز الدين عثمان الزنجيلى متولى عدن الى صلاح الدين يعرفه باختلال البلاد ويشير بارسال بعض أهله اليها لان حطان كان قوى عليه فخافه عثمان فجهز صلاح الدين اخاه سيف الاسلام وسيره الى بلاد اليمن فوصل الى زبيد فخافه حطان بن منقذ واستشعر منه وتحصن فى بعض القلاع فلم يزل به سيف الاسلام يؤمنه ويهدى اليه ويتلطفه حتى نزل اليه فاحسن صحبته وعمل معه مالم يكن يتوقعه من الاحسان فلم يثق حطان به وطلب منه دستورا ليقصد الشام فامتنع من اجابته اظهارا للرغبة فى كونه عنده فلم يزل حطان يراجعه حتى أذن له فاخرج اثقاله وامواله ودوابه واهله وأصحابه وكل ماله وسير الجميع بين يديه فلما كان الغد دخل الى سيف الاسلام ليودعه فقبض عليه واسترجع جميع ماله فاخذه عن آخره لم يسلم منه قليل ولا كثير ثم سجنه فى بعض القلاع

وكان

وكان آخر العهد به فقيل انه قتله وكان فى جملة ما أخذه منه من الاموال الذهب العين فى سبعين غلافا زردية مملوأة ذهبا عينا واما عز الدين عثمان الزنجبيلى فانه لما سمع ما جرى على حطان خاف فسار نحو الشام خائفا يترقب وسير معظم امواله فى البحر فصادفهم مراكب فيها اصحاب سيف الاسلام فاخذوا كل ما لعز الدين ولم يبق له الا ما صحبه فى الطريق وصفت زبيد وعدن وما معهما من البلاد لسيف الاسلام

(ذكر اغارة صلاح الدين على الغور وغيره من بلاد الفرنج واعمالها)

لما وصل صلاح الدين الى دمشق كما ذكرناه اقام اياما يريح ويستريح هو وجنده ثم سار الى بلاد الفرنج فى ربيع الاول فقصد طبرية فنزل بالقرب منها وخيم فى الاقحوانة من الاردن وجاءت الفرنج بجموعها فنزلت بطبرية فسير صلاح الدين فرخشاه ابن أخيه الى بيسان فدخلها قهرا وغنم ما فيها وقتل وسبى وجف الغور غارة شعواء فعم اهله قتلا وأسرا وجاءت العرب فاغارت على جينين واللجون وتلك الولاية حتى قاربوا مرج عكا وسار الفرنج من طبرية فنزلوا تحت جبل كوكب فتقدم صلاح الدين اليهم وارسل العساكر عليهم يرمونهم بالنشاب فلم يبرحوا ولم يتحركوا للقتال فامر ابنى أخيه تقى الدين عمر وعز الدين فرخشاه فحملا على الفرنج فيمن معهما فقاتلوا قتالا شديدا ثم ان الفرنج انحازوا على حاميتهم فنزلوا غفربلا فلما رأى صلاح الدين ما قد اثخن فيهم وفى بلادهم عاد عنهم الى دمشق

(ذكر حصر بيروت)

ثم انه سار عن دمشق الى بيروت فنهب بلدها وكان قد امر الاسطول المصرى بالمجىء فى البحر اليها فساروا ونازلوها واغاروا عليها وعلى بلدها وسار صلاح الدين فوافاهم ونهب ما لم يصل الاسطول اليه وحصرها عدة ايام وكان عازما على ملازمتها الى ان يفتحها فاتاه الخبر وهو عليها ان البحر قد ألقى بطسة للفرنج فيها جمع عظيم منهم الى دمياط كانوا قد خرجوا لزيارة البيت المقدس فاسروا من بها بعد ان غرق منهم كثير فكان عدة الاسرى الفا وستمائة وستا وسبعين اسيرا فضربت بذلك البشائر

(ذكر عبور صلاح الدين الفرات وملكه ديار الجزيرة)

فى هذه السنة عبر صلاح الدين الفرات الى الديار الجزرية وملكها وسبب ذلك ان مظفر الدين كوكبرى بن زين الدين على بن بكتكين وهو مقطع حران كان قد اقطعه اياها عز الدين اتابك المدينة والقلعة تقوية واعتمادا ارسل الى صلاح الدين وهو يحاصر بيروت يعلمه أنه معه محب لدولته ووعده النصرة له اذا عبر الفرات ويطمعه فى البلاد ويحثه على الوصول فسار صلاح الدين عن بيروت ووصل مظفر الدين تترى اليه يحثه على المجىء فجد صلاح الدين فى السير مظهرا انه يريد حصر حلب تسترا للحال فلما قارب الفرات سار اليه مظفر الدين فعبر الفرات واجتمع به فقصد البيرة وهى قلعة منيعة على الفرات من الجانب الجزرى وكان صاحبها قد سار مع صلاح الدين وفى

الديوان ورسموا الكاتب الرزق ان يعمل ديوانا لذلك ومعه عدة من الكتبة ويأتى اليه الناس باوراق سنداتهم فمن وجد بيده سندا جديدا كتب له صورة قيد الكشف بموجب ما هو بيده فتره فى ورقة فيذهب بها الى الديوان فيقيدون ذلك بعد البحث والتعنت من الطرفين ويقع الاشتباه الكثير فى اسماء اربابها واسماء حيضانها وغيطانها فيكلفون صاحب الحاجة باثبات ما ادعاه ويكتب له أوراقا لمشايخ الناحية وقاضيها باثبات ما يدعيه ويعود مسافرا ويقاسى ما يقاسيه من مشقة السفر والمصرف ومعا كسة المشايخ وقاضى الناحية ثم يعود الى الديوان بالجواب ثم يمكن الاحتجاج عليه بحجة اخرى وربما كان سعيه وتعبه على فدان واحد او اقل او اكثر وازدحم الناس على بيت كاتب الرزق وانفتح له بذلك باب لانه لا يكتب كشفا حتى يأخذ عليه دراهم تعينت على قدر الافدنة واضاع الكثير من الناس ما تلقوه عن اسلافهم وما كانوا يرتزقون منه واهملوا تجديد السندات واتكلوا على ما بايديهم من السندات القديمة لجهلهم او ظنهم انقضاء الامر وعدم دوام الحال وتغير الدولة وعود النسق الاول او لفقرهم وعدم قدرتهم على ما يتدعوه من كثرة المصاريف التى تصرف على تجديد السند

طاعته وقد ذكرنا سبب ذلك فبل فعبر هو وعسكره الفرات على الجسر الذى عند البيرة وكان عز الدين صاحب الموصل ومجاهد الدين لما بلغهما وصول صلاح الدين الى الشام قد جمعا العسكر وسارا الى نصيبين ليكونا على اهبة واجتماع لئلا يتعرض صلاح الدين الى حلب ثم تقدما الى دارا فنزلا عندها لحفظ ما هماعلى امر لم يكن فى الحساب فلما بلغهما عبور صلاح الدين الفرات عادا الى الموصل وارسلا الى الرها عسكرا يحميها ويمنعها فلما اسمع صلاح الدين ذلك قوى طمعه فى البلاد ولما عبر صلاح الدين الفرات كاتب الملوك اصحاب الاطراف ووعدهم وبذل لهم البذول على نصرته فاجابه نور الدين محمد بن قرا ارسلان صاحب الحصن الى ما طلب منه لقاعدة استقرت بينهما لما كان نور الدين عنده بالشام فانه استقر الحال ان صلاح الدين يحصر آمد ويملكها ويسلمها اليه وسار صلاح الدين الى مدينة الرها فحصرها فى جمادى الاولى وقاتلها أشد قتال فحدثنى بعض من كان بها من الجند انه عد فى غلاف رمح اربعة عشر خرقا وقد خرقته السهام ووالى الزحف عليها وكان بها حينئذ مقطع وهو الامير فخر الدين مسعود الزعفرانى فحيث رأى شدة القتال اذعن الى التسليم وطلب الامان وسلم البلد وصار فى خدمة صلاح الدين فلما ملك المدينة زحف الى القلعة فسلمها اليه الدزدار الذى بها على مال أخذه فلما ملكها اسلمها الى مظفر الدين مع حران ثم سار عنها على حران الى الرقة فلما وصل اليها كان بها مقطعها قطب الدين ينال بن حسان المنبجى فسار عنها الى عز الدين اتابك وملكها صلاح الدين وسار الى الخابور وقرقيسيا وماكسين وعرابان فملك جميع ذلك فلما استولى على الخابور جميعه سار الى نصيبين فملك المدينة لوقتها وبقيت القلعة فحصرها عدة ايام فملكها ايضا واقام بها يصلح شأنها ثم اقطعها اميرا كان معه يقال له ابو الهيجاء السمين وسار عنها ومعه نور الدين صاحب الحصن وأتاه الخبر ان الفرنج قصدوا دمشق ونهبوا القرى ووصلوا الى داريا وارادوا تخريب جامعها فارسل النائب بدمشق اليهم جماعة من النصارى يقول لهم ان اخربتم الجامع جددنا عمارته واخربنا كل بيعة لكم فى بلادنا ولا نمكن احدا من عمارتها فتركوه ولما وصل الخبر الى صلاح الدين بذلك أشار عليه من يتعصب لعز الدين بالعود فقال يخربون قرى ونملك عوضها بلادا ونعود نعمرها ونقوى على قصد بلادهم ولم يرجع فكان كما قال

(ذكر حصر صلاح الدين الموصل)

لما ملك صلاح الدين نصيبين جمع امراءه وارباب المشورة عنده واستشارهم باى البلاد يبدأ وايها يقصد بالموصل ام بسنجار ام بجزيرة ابن عمر فاختلفت آراؤهم فقال له مظفر الدين كوكبرى بن زين الدين لا ينبغى ان يبدأ بغير الموصل فانها فى أيدينا لا مانع لها فان عز الدين ومجاهد الدين متى سمعا بمسيرنا اليها تركاها وساراعنها الى بعض القلاع الجبلية ووافقه ناصر الدين محمد ابن عمه شيركوه وكان قد بذل لصلاح الدين مالا كثيرا ليقطعه الموصل اذا ملكها وقد اجابه صلاح الدين الى ذلك فاشار بهذا الرأى

واشتغال مال الحماية التى قدرها شريف افندى على أراضى الرزق عن كل فدان عشرة انصاف او خمسة فكثير من الناس استعظم ذلك واعتمد على أوراقه القديمة فضاعت عليه رزقته وانحلت وأخذها الغير والذى لم يرض بالتوت بل ولا حصل حظه رضى بالولاش وكان الشان فى امر الرزق ان أراضيها تزيد عن موقوع أراضى البلاد زيادة كثيرة وخراجها أقل من خراج اراضى البلاد الذى يقال له المال الحر الاصلى وليس عليها مصاريف ولا مغارم ولا تكاليف فالمزارع من الفلاحين اذا كان تحت يده تاجر رزقة او رزقتين فانه يكون مغبوطا ومحسودا فى اهل بلاده ويدفع لصاحب الاصل القدر النزر والمزارع يتلقى ذلك سلفا عن خلف ولا يقدر صاحب الاصل ان يزيد عليه زيادة وخصوصا اذا كانت تحت يد بعض مشايخ البلاد فلا يقدر احد ان يتعدى عليه من الفلاحين ويستأجرها من صاحبها وان فعل لا يقدر على حمايتها والكثير من الرزق واسعة القياس جدا ومالها قليل جدا وخصوصا فى الاراضى القبلية فان غالبها رزق وشراوى ومتاخرات لم يمسح ولم يعلم لها فدادين ولا مقادير وقد تزيد ايضا بانحسار البحر عن سواحلها وكذلك فى البلاد البحرية ولكن دون ذلك ومعظم اراضى الرزق القبلية مرصدة على جهات الاوقاف

لهواه

لهواه فسار صلاح الدين الى الموصل وكان عز الدين صاحبها ومجاهد الدين نائبه قد جمعا بالموصل العساكر الكثيرة ما بين فارس وراجل واظهرا من السلاح وآلات الحصار ما حارت له الابصار وبذلا الاموال الكثيرة واخرج مجاهد الدين من ماله كثيرا واصطلى الامور بنفسه فاحسن تدبيرها وشحنوا ما بقى بايديهم من البلاد كالجزيرة وسنجار والموصل واربل وغيرها من البلاد بالرجال والسلاح والاموال وسار صلاح الدين حتى قارب الموصل وترك عسكره وانفرد هو ومظفر الدين وابن عمه ناصر الدين بن شيركوه ومعهم نفر من اعيان دولته وقربوا من البلد فلما قربوا ورآه وحققه رأى ما هاله وملأ صدره وصدور اصحابه فانه رأى بلدا عظيما كبيرا ورأى السور والفصيل قد ملئا من الرجال وليس فيها شرافة الا وعليها رجل يقاتل سوى من عليه من عامة البلد المتفرجين فلما رأى ذلك علم انه لا يقدر على اخذه وانه يعود خائبا فقال لناصر الدين ابن عمه اذا رجعنا الى العسكر فاحمل ما بذلت من المال فنحن معك على القول فقال قد رجعت عما بذلت من المال فان هذا البلد لا يرام فقال له ولمظفر الدين غررتمانى واطمعتمانى فى غير مطمع ولو قصدت غيره قبله لكان اسهل اخذا بالاسم والهيبة التى حصلت لنا ومتى نازلناه وعدنا منه ينكسر ناموسنا ويفل حدنا وشوكتنا ثم رجع الى عسكره وصبح البلد وكان نزوله عليه فى رجب فنازله وضايقه ونزل محاذى باب كندة وانزل صاحب الحصن بباب الجسر وانزل اخاه تاج الملوك عند الباب العمادى وانشب القتال فلم يظفر وخرج اليه يوما بعض العامة فنالوا منه ولم يمكن عز الدين ومجاهد الدين احدا من العسكر يخرجون لقتال بل الزموا الاسوار ثم ان تقى الدين اشار على عمه صلاح الدين بنصب منجنيق فقال مثل هذا البلد لا ينصب عليه منجنيق ومتى نصبناه اخذوه ولو خربنا برجا وبدنة من يقدر على الدخول للبلد وفيه هذا الخلق الكثير فالح تقى الدين وقال نجربهم به فنصب منجنيقا فنصب عليه من البلد تسعة منجنيقات وخرج جماعة من العامة فاخذوه وجرى عنده قتال كثير فاخذ بعض العامة لالكة من رجليه فيها المسامير الكثيرة ورمى بها اميرا يقال له جاولى الاسدى مقدم الاسدية وكبيرهم فاصاب صدره فوجد لذلك الما شديدا واخذ اللالكة وعاد من القتال الى صلاح الدين وقال قد قاتلنا اهل الموصل بحماقات ما رأينا بعد مثلها والقى اللالكة وحلف انه لا يعود يقاتل عليها انفة حيث ضرب بها ثم ان صلاح الدين رحل من قرب البلد ونزل متأخرا خوفا من البيات فانه اقربه كان لا يأمن ذلك وكان سببه ايضا ان مجاهد الدين اخرج فى بعض الليالى جماعة من باب السر الذى للقلعة ومعهم المشاعل فكان احدهم يخرج من الباب وينزل الى دجلة مما يلى عين الكبريت ويطفئ المشعل فرأى العسكر الناس يخرجون فلم يشكوا فى الكبسة فحملهم ذلك على الرحيل والتأخر ايتعذر البيات على اهل الموصل وكان صدر الدين شيخ الشيوخ رحمه الله قد وصل اليه قبل نزوله على الموصل ومعه بشير الخادم وهو من خواص الخليفة الناصر لدين الله فى الصلح فاقاما معه على الموصل

بعمرو غيرها والواضعون ايديهم عليها لا يدفعون لجهاتها ولا لمستحقيها الا ما هو مرتب ومقرر من الزمن الاول السابق وهو شئ قليل وليتهم لو دفعوه فان فى اوقاف السلاطين المتقدمة القطعة من الاراضى التى عبرتها اكثر من الف فدان وخراجها خمسون زكيبة والزكيبة خمس ويبات او من الدراهم الفان فضة واقل او اكثر وهى تحت يد بعض كبراء البلاد يزرعها وياخذ منها الالوف من الارادب من اجناس الغلال ويضن ويبخل بدفع ذلك القدر اليسير لجهة وقفه ويكسر السنة على السنة فان كانت يد صاحب الاصل قوية او كان واضع اليد فيه خيرية وقليل ما هم دفع لاربابها ثمنها بعد ان يرد الخمسين الى الاربعين بالتكسير والخلط ثم يبخس الثمن جدا فان كان ثمن الاردب اربعمائة حسبه باربعين نصفا او اقل فيعود ثمن الخمسين زكيبة الى ثمن زكيبتين وقس على ذلك والذى يكون تحت يده شئ من اطيان هذه الاوقاف وورثها من بعده ذريته فزرعوها وتقاسموها معتقدين ملكيتها تلقوها بالارث من مورثهم ولا يرون ان لاحد سواهم فيها حقا ولا يرون بهم دفع شئ لاربابه ولو قل الا قهرا وبالجملة ما اصاب الناس الا ما كسبت ايديهم ولا جنوا الا ثمرات اعمالهم وكان معظم ادارات دوائر عظماء النواحى وتوسعاتهم

وترددت الرسل الى عز الدين ومجاهد الدين في الصلح فطلب عز الدين اعادة البلاد التي أخذت منهم فاجاب صلاح الدين الى ذلك بشرط ان تسلم اليه حلب فامتنع عز الدين ومجاهد الدين ثم نزل عن ذلك واجاب الى تسليم البلاد بشرط ان يتركوا انجاد صاحب حلب عليه فلم يجيبوا الى ذلك أيضا وقال عز الدين هو أخي وله العهود والمواثيق ولا يسعني ان امكنها ووصلت ايضا رسل قزل ارسلان صاحب اذربيجان ورسل شاه ارمن صاحب خلاط في المعنى فلم ينتظم امر ولا تم صلح فلما رأى صلاح الدين انه لا ينال من الموصل غرضا ولا يحصل على غير العناء والتعب وان من بسنجار من العساكر الموصلية يقطعون طريق من يقصدونه من عساكره واصحابه سار من الموصل اليها

(ذكر ملكه مدينة سنجار)

لما سار صلاح الدين عن الموصل الى سنجار سير مجاهد الدين اليها عسكرا قوة لها ونجدة فسمع بهم صلاح الدين فمنعهم من الوصول اليها واوقع بهم واخذ سلاحهم ودوابهم وسار اليها ونازلها وكان بها شرف الدين اميرا ميران هندوا اخو عز الدين صاحب الموصل في عسكر معه فحصر البلد وضايقه والح في قتاله فكاتبه بعض امراء الاكراد الذين به من الزوزانية وخامر معه واشار بقصده من الناحية التي هو بها ليسلم اليه البلد فطرقه صلاح الدين ليلا فسلم اليه ناحيته فملك الباشورة لا غير فلما سمع شرف الدين الخبر استكان وخضع وطلب الامان فامن ولو قاتل على تلك الناحية اخرج العسكر الصلاحي عنها ولو امتنع بالقلعة لحفظها ومنعها ولكنه عجز فلما طلب الامان اجابه صلاح الدين اليه فامنه وملك البلد وسار شرف الدين ومن معه الى الموصل واستقر جميع ما ملكه صلاح الدين بملك سنجار فانه كان قصد ان يسترده المواصلة اذا فارقه لانه لم يكن فيه حصن غير الرها لا غير فلما ملك سنجار صارت على الجميع كالسور واستناب بها اسعد الدين بن معين الدين انر وكان من اكابر الامراء واحسنهم صورة ومعنى

(ذكر عود صلاح الدين الى حران)

لما ملك صلاح الدين سنجار وقرر قواعدها سار الى نصيبين فلقيه اهلها شاكين من ابي الهيجاء السمين بما كان من ظلمه متاسفين على دولة عز الدين وعدله فيهم فلما سمع ذلك انكر على ابي الهيجاء ظلمه وعزله عنهم واخذه معه وسار الى حران وفرق عساكره ليستريحوا وبقي جريدة في خواصه وثقات اصحابه وكان وصوله اليها اوائل ذي القعدة من السنة

(ذكر اجتماع عز الدين وشاه ارمن)

في هذه السنة في ذي الحجة اجتمع اتابك عز الدين صاحب الموصل وشاه ارمن صاحب خلاط على قتال صلاح الدين وسبب ذلك ان رسل عز الدين ترددت الى شاه ارمن يستنجده ويستنصره على صلاح الدين فارسل شاه ارمن الى صلاح الدين عدة رسل

ومضايفهم من هذه الارزاق التي كانت تحت ايديهم بغير استحقاق الى ان سلط الله عليهم من استحوذ على جميع ذلك وسلب عنهم ما كانوا فيه من النعمة وتشتتوا في النواحي وتغربوا عن اوطانهم وخربت دورهم ومضايفهم وذهبت سيادتهم وكم أهلكنا قبلهم من قرن هل تحس منهم من أحد او تسمع لهم ركزا وفي بعض الارزاق من مات اربابه وخربت جهاته ونسي امره وبقي تحت يد من هو تحت يده من غير شئ اصلا وقد اخبرني بنحو ذلك شمس الدين ابن جودة من مشايخ برما بالمنوفية عند ما أحضر الى مصر في وقت هذا النظام انه كان في حوزهم الف فدان لا علم للملتزم ولا غيره بها وذلك خلاف ما بايديهم من الرزق التي يزرعونها بالمال اليسير وخلاف المرصد على مساجد بلادهم التي لم يبق لها اثر وكذلك الاسبلة وغيرها واطيانهم تحت ايديهم من غير شئ وخلاف فلاحتهم القاهرة بالمال القليل لمصارف الحج لانها كانت من جملة البلاد الموقوفة على مهمات امير الحاج وقد انتسخ ذلك كله (وفيه) اخبر المخبرون ان مراكب الموسم وصلت في هذا العام الى جدة وكان لها مدة سنين ممتنعة عن الوصول خوفا من جور الشريف وزواله وتملك الدولة البلاد وظنهم فيهم العدل فاطمانوا وعبوا متاجرهم

في

فى الشفاعة اليه بالكف عن الموصل ومايتعلق بعز الدين فلم يجبه الى ذلك وغالطه فارسل اليه اخيرا مملوكه سيف الدين بكتمر الذى ملك خلاط بعد شاه ارمن فاتاه وهو يحاصر سنجار يطلب اليه ان يتركها ويرحل عنها وقال له ان رحل عنها والا فتهدده بقصده ومحاربته فابلغه بكتمر الشفاعة فسوفه فى الجواب رجاء ان يفتحها فلما راى بكتمر ذلك ابلغه الرسالة بالتهديد وفارقه غضبان ولم يقبل منه خلعة ولا صلة واخبر صاحبه الخبر وخوفه عاقبة الاهمال والتوانى عن صلاح الدين فسار شاه ارمن من خلاط وكان مخيما بظاهرها وسار الى ماردين وصاحبها حينئذ قطب الدين بن نجم الدين البى وهو ابن اخت شاه ارمن وابن خال عز الدين وحموه لان عز الدين كان قد زوج ابنة قطب الدين وحضر مع شاه ارمن دولتشاه صاحب بدليس وارزن وسار اتابك عز الدين من الموصل فى عسكره جريدة من الاثقال وكان صلاح الدين قد ملك سنجار وسار عنها الى حران وفرق عساكره فلما سمع باجتماعهم سير الى تقى الدين ابن اخيه وهو بحماة يستدعيه فوصل اليه مسرعا واشار عليه بالرحيل وحذره منه آخرون وكان هوى صلاح الدين فى الرحيل فرحل الى راس عين فلما سمعوا برحيله تفرقوا فعاد شاه ارمن الى خلاط واعتذر بانى اجمع العساكر واعود ورجع عز الدين الى الموصل واقام قطب الدين بماردين وسار صلاح الدين فنزل بحرزم تحت ماردين عدة ايام

(ذكر الظفر بالفرنج فى بحر عيذاب)

فى هذه السنة عمل البرنس صاحب الكرك اسطولا وفرغ منه بالكرك ولم يبق الا جمع قطعه بعضها الى بعض وحملها الى بحر ايلة وجمعها فى اسرع وقت وفرغ منها وشحنها بالمقاتلة وسيرها فساروا فى البحر وافترقوا فرقتين فرقة اقامت على حصن ايلة يحصرونه ويمنعون اهله من ورود الماء فنال اهله شدة شديدة وضيق عليهم واما الفرقة الثانية فانهم ساروا نحو عيذاب وافسدوا فى السواحل ونهبوا واخذوا ما وجدوا من المراكب الاسلامية ومن فيها من التجار وبغتوا الناس فى بلادهم على حين غفلة منهم فانهم لم يعهدوا بهذا البحر فرنجيا لا تاجرا ولا محاربا وكان بمصر الملك العادل ابو بكر بن ايوب ينوب عن اخيه صلاح الدين فعمر اسطولا وسيره وفيه جمع كثير من المسلمين ومقدمهم حسام الدين لؤلؤ الحاجب وهو متولى الاسطول بديار مصر وكان مظفرا فيه شجاعا كريما فسار لؤلؤ مجدا فى طلبهم فابتدا بالذين على ايلة فانقض عليهم انقضاض العقاب على صيده فقاتلهم فقتل بعضهم واسر الباقى وسار من وقته بعد الظفر يقص اثر الذين قصدوا عيذاب فلم يرهم وكانوا قد اغاروا على ما وجدوه بها وقتلوا من لقوه عندها وساروا الى غير ذلك المرسى ليفعلوا كما فعلوا فيه وكانوا عازمين على الدخول الى الحجاز مكة والمدينة حرسهما الله تعالى واخذ الحاج ومنعهم عن البيت الحرام والدخول بعد ذلك الى اليمن فلما وصل لؤلؤ الى عيذاب ولم يرهم سار يقفو اثرهم فبلغ رابغ وساحل الجوزاء وغيرهما فادركهم بساحل الجوزاء فاوقع بهم هناك

وحضروا الى جدة فجمع الباشا مكوسهم فبلغت اربعة وعشرين لكا والك الواحد مائة الف فرانسا فيكون اربعة وعشرين مائة الف فرانسا فقبضها منهم بضائع ونقودا وحسب البضائع بابخس الاثمان ثم التفت الى التجار الذين اشتروا البضائع وقال لهم انى طلبت منكم مرارا ان تقرضونى المال فادعيتم الافلاس ولما حضر الموسم بادرتم باخذه وظهرت اموالكم التى كنتم تبخلون بها فلابد ان تقرضونى ثلثمائة الف فرانسه فصالحوه على مائتى الف دفعوها له نقودا وبضائع مشترواتهم حسبها لهم العشرة ستة ثم فرض على اهل المدينة ثلاثين الف فرانسه

(واستهل شهر رجب سنة ١٢٢٩)

فى خامسه ضربوا عدة مدافع واخبروا بوصول بشارة وان عساكرهم حاربوا قنفدة واستولوا عليها ولم يجدوا بها غير اهلها (وفى سادسه) سار حسين بك دالى باشا بعساكره الخيالة برا (وفيه) عزم على السفر والد محرم بك زوج ابنة الباشا الى بلاده وذلك بعد عوده من الحجاز فارسلوا الى الاعيان تنبيها بالامر لهم بهاداته ففعلوا وعبوا له بقجا وبناوارزا واقمشة هندية وحلاوية كل امير على قدر مقامه (وفى ليلة الاثنين) تاسعه حصلت فى وقت اذان العشاء زلزلة نحو دقيقتين وكان المؤذنون طلعوا على المنارات وشرعوا فى الاذان فلما اهتزت بهم

فلما راوا العطب وشاهدوا الهلاك خرجوا الى البر واعتصموا ببعض تلك الشعاب فنزل لؤلؤ من مراكبه اليهم وقاتلهم أشد قتال وأخذ خيلا من الاعراب الذين هناك فركبها وقاتلهم فرسانا ورجالة فظفر بهم وقتل اكثرهم وأخذ الباقين اسرى وأرسل بعضهم الى منى لينحروا بها عقوبة لمن رام اخافة حرم الله تعالى وحرم رسوله صلى الله عليه وسلم وعاد بالباقين الى مصر فقتلوا جميعهم

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة فى جمادى الاولى توفى عز الدين فرخشاه ابن اخى صلاح الدين وكان ينوب عنه بدمشق وهو ثقته من أهله وكان اعتماده عليه اكثر من جميع اهله وامرائه وكان شجاعا كريما فاضلا عالما بالادب وغيره وله شعر جيد من بين اشعار الملوك وكان ابتداء مرضه انه خرج من دمشق الى غزو الفرنج فمرض وعاد مريضا فمات ووصل خبر موته الى صلاح الدين وقد عبر الفرات الى الديار الجزرية فاعاد شمس الدين محمد بن المقدم الى دمشق ليكون مقدما على عسكرها وفيها مات فخر الدولة ابو المظفر بن الحسن بن هبة الله بن المطلب كان ابوه وزير الخليفة وأخوه استاذ الدار فتصوف هو من زمن الصبا وبنى مدرسة ورباطا ببغداد عند عقد المصطنع وبنى جامعا بالجانب الغربى منها وفيها توفى الامير ابو منصور هاشم ولد المستضىء بامر الله ودفن عند أبيه وفيها توفى أبو العباس أحمد بن على بن الرفاعى من سواد واسط وكان صالحا ذا قبول عظيم عند الناس وله من التلامذة ما لا يحصى

(ثم دخلت سنة تسع وسبعين وخمسمائة)

(ذكر ملك صلاح الدين آمد وتسليمها الى صاحب الحصن)

قد ذكرنا نزول صلاح الدين بحوزم تحت ماردين فلم ير اطمعه وجهاو سار عنها الى آمد على طريق البارعية وكان نور الدين محمد بن قرا ارسلان يطالبه فى كل وقت بقصدها وأخذها وتسليمها اليه على ما استقرت القاعدة بينهما فوصل الى آمد سابع عشر ذى الحجة من سنة ثمان وسبعين ونازلها وأقام يحاصرها وكان المتولى لامرها والحاكم فيها بهاء الدين بن نيسان وكان صاحبها وليس له من الامر شئ مع ابن نيسان فلما نازلها صلاح الدين اساء ابن نيسان التدبير ولم يعط الناس من الذخائر شيئا ولا فرق فيهم دينارا واحدا ولا قوتا وقال لاهل البلد قاتلوا عن نفوسكم فقال له بعض اصحابه ليس العدو بكافر حتى يقاتلوا عن نفوسهم فلم يفعل شيئا وقاتلهم صلاح الدين ونصب المنجنيقات وزحف اليها وهى الغاية فى الحصانة والمنعة بها وبسورها يضرب المثل وابن نيسان على حاله من الشح بالمال وتصرفه تصرف من ولت سعادته وأدبرت دولته فلما رأى الناس ذلك منه تهاونوا بالقتال وجنحوا الى السلامة وكانت ايام ابن نيسان قد طالت وثقلت على اهل البلد لسوء سيرته وضنه وتضييقه عليهم فى مكاسبهم فالناس كارهون لها محبون لانقراضها وامر صلاح الدين ان يكتب على السهام الى اهل البلد يعدهم الخير والاحسان

ظن كل من كان على منارة سقوطها فاسرعوا بالنزول فلما علموا انها زلزلة طلعوا واعادوا الاذان وسقط من شرائف الجامع الازهر شرافة وتحركت الارض ايضا فى خامس ساعة من الليل ولكن دون الاولى وكذلك وقت الشروق هزة لطيفة (وفى حادى عشره) هرب الشريف عبد الله ابن الشريف سرور فى وقت الفجرية ولم يشعروا بهروبه الا بعد الظهر فلما بلغ كتخدا بك الخبر فتكدر لذلك وارسل الى مشايخ الحارات وغيرهم وبث العربان فى الجهات فلما كان ليلة السبت حضروا به فى وقت الغروب وقد حجزوه بحلوان واتوا به الى بيت السيد محمد المحروقى فاخذه الى كتخدا بك فارسله الى بيت اخيه احمد اغا ومن ذلك الوقت ضيقوا عليه ومنعوه من الخروج والدخول بعد ان كان مطلق السراح يخرج من بيت احمد اغا ويذهب الى بيت عمه الشريف غالب ويعود وحده فعند ذلك ضيقوا عليه وعلى عمه ايضا (وفى يوم الخميس تاسع عشره) حضر المشايخ عند كتخدا بك وعاودوه فى الخطاب فيما احدثوه على الرزق وعرفوه انه يلزم من هذا الاحداث ابطال المساجد والشعائر فتنصل من ذلك وقال هذا شئ لا علاقة لى فيه وهذا شئ امر به افندينا ومحمود بك والمعلم غالى ثم كلموه ايضا فى صرف الجامكية المعروفة بالسائرة والدعاوى للفقراء والعامة

والاحسان ان اطاعوه ويتهددهم ان قاتلوه فزادهم ذلك تقاعدا وتخاذلا واحبوا
ملكه وتركوا القتال فوصل النقابون الى السور فنقبوه وعلقوه فلما راى الجند
واهل البلد ذلك طمعوا فى ابن نيسان واشتطوا فى المطالب فحين صارت الحال الى ذلك
اخرج ابن نيسان نساءه الى القاضى الفاضل وزير صلاح الدين يساله أن ياخذ له
الامان ولاهله وماله وان يؤخره ثلاثة ايام حتى ينقل ماله بالبلد من الاموال والذخائر
فسعى له الفاضل فى ذلك فاجابه صلاح الدين اليه فسلم البلد فى العشر الاول من المحرم
هذه السنة وأخرج خيمه الى ظاهر البلد ورام نقل ماله فتعذر ذلك عليه لزوال حكمه عن
أصحابه واطراحهم أمره ونهيه فارسل الى صلاح الدين يعرفه الحال ويساله مساعدته
على ذلك فامده بالدواب والرجال فنقل البعض وسرق البعض وانقضت الايام الثلاث
قبل الفراغ فمنع من الباقى وكانت ابراج المدينة مملوأة من أنواع الذخائر فتركها بحالها
ولو أخرج البعض منها لحفظ البلد وسائر نعمه وأمواله لكن اذا أراد الله أمرا هيأ
اسبابه فلما تسلمها صلاح الدين سلمها الى صاحب الحصن نور الدين فقيل له قبل تسليمها
ان هذه المدينة فيها من الذخائر ما يزيد على ألف ألف دينار فلو أخذت ذلك واعطيته
جندك وسلمت البلد اليه فارغا لكان راضيا فانه لا يطمع فى غيره فامتنع من ذلك
وقال ما كنت لاعطيه الاصل وابخل بالفرع فلما تسلم نور الدين البلد اصطنع دعوة
عظيمة ودعا اليها صلاح الدين وامراءه ولم يكن دخل البلد وقدم له ولاصحابه من التحف
والهدايا اشياء كثيرة

(ذكر ملك صلاح الدين تل خالد وعينتاب من اعمال الشام)

لما فرغ صلاح الدين من أمر آمد سار الى الشام وقصد تل خالد وهو من اعمال حلب
فحصرها ورماها بالمنجنيق فنزل أهلها وطلبوا الامان فامنهم وتسلمها فى المحرم ايضا ثم
سار منها الى عينتاب فحصرها وبها ناصر الدين محمد وهو اخو الشيخ اسمعيل الذى كان
خازن نور الدين محمود بن زنكى وصاحبه وكان قد سلمها اليه نور الدين فبقيت معه الى
الآن فلما نازله صلاح الدين ارسل اليه يطلب ان يقر الحصن بيده ويتنزل الى خدمته
ويكون تحت حكمه وطاعته فاجابه صلاح الدين الى ذلك وحلف له عليه فنزل اليه
وصار فى خدمته وكان ايضا فى المحرم من هذه السنة

(ذكر وقعتين مع الفرنج فى البحر والشام)

فى هذه السنة فى العاشر من المحرم سار اسطول المسلمين من مصر فى البحر فلقوا بطسة فيها
نحو ثلثمائة من الفرنج بالسلاح التام ومعهم الاموال والسلاح الى فرنج الساحل
فقاتلوهم وصبر الفريقان وكان الظفر للمسلمين واخذوا الفرنج أسرى فقتلوا بعضهم
وابقوا بعضهم أسرى وغنموا ما معهم وعادوا الى مصر سالمين وفيها أيضا سارت عصابة
كبيرة من الفرنج من نواحى الداروم الى نواحى مصر ليغيروا وينهبوا فسمع بهم المسلمون
فخرجوا اليهم على طريق صدر وايلة فانتزح الفرنج من بين أيديهم فنزلوا بماء يقال

فوعدهم بصرفها وقت ما يحصل المال فان الخزينة فارغة من المال (وفى يوم السبت) حضر محمود بك والمعلم غالى من مرحتهما فذهب اليهما المشايخ فى ثانى يوم ثم خاطبوهما بالكلام فى شان الرزق فأجابهم المعلم غالى بقوله يا اسيادنا هذا امر مفروغ منه بامر افندينا من عام اوّل من قبيل سفره فلا تتعبوا خاطركم و واجب عليكم مساعدته خصوصا فى خلاص كعبتكم ونبيكم من ايدى الخوارج فلم يردوا عليه جوابا وانصرفوا (وفى يوم الاحد تاسع عشرينه) حصل كسوف شمس وكان ابتداؤه بعد الشروق ومقداره قريبا من ثلثى الجرم وتم انجلاؤه فى ثانى ساعة من النهار وكانت الشمس ببرج السرطان أربعا وعشرين درجة فى حادى عشر ابيب القبطى (وفيه) وصلت القافلة من ناحية السويس واخبر الواصلون عن واقعة قنفذه وما حصل بها بعد دخول العسكر اليها وذلك انهم لما ركبوا عليها برا وبحرا وكبيرهم محمود بك وزعيم اوغلى وشريف اغا فوجدوها خالية فطلعوا اليها وملكوها من غير ممانع ولا مدافع وليس بها غير أهلها وهم اناس ضعاف فقتلوهم وقطعوا آذانهم وأرسلوها الى مصر ليرسلوها الى اسلامبول وعندما علم العربان بمجىء الاتراك خلوا امنها ويقال لهم عرب العسير وترافعوا عنها وكبيرهم يسمى

له السبيلة وسبقوا المسلمين اليه فاتاهم المسلمون وهم عطاش قد أشرفوا على الهلاك فرأوا الفرنج قد ملكوا الماء فانشأ الله سبحانه وتعالى بلطفه سحابة عظيمة فمطروا منها حتى رووا وكان الزمان قيظا والحر شديد في برمهلك فلما رأوا ذلك قويت نفوسهم ووثقوا بنصر الله لهم وقاتلوا الفرنج فنصرهم الله عليهم فقتلوهم ولم يسلم منهم الا الشريد الفريد وغنم المسلمون ما معهم من سلاح ودواب وعادوا منصورين قاهرين بفضل الله

(ذكر ملك صلاح الدين حلب)

في هذه السنة سار صلاح الدين من عينتاب الى حلب فنزل عليها في المحرم أيضا في الميدان الاخضر واقام به عدة ايام ثم انتقل الى جبل جوشن فنزل باعلاه واظهر انه يريد ان يبني مساكن له ولاصحابه وعساكره واقام عليها اياما والقتال بين العسكرين كل يوم وكان صاحب حلب عماد الدين زنكي بن مودود بن زنكي ومعه العسكر النوري وهم مجدون في القتال فلما رأى كثرة الخرج كانه شح بالمال فحضر يوما عنده بعض اجناده وطلب وامنه شيئا فاعتذر بقلة المال عنده فقال له بعضهم من يريد ان يحفظ مثل حلب يخرج الاموال ولو باع حلى نسائه فمال حينئذ الى تسليم حلب واخذ العوض منها وارسل مع الامير طمان الياروقي وكان يميل الى صلاح الدين انه يسلم حلب ويأخذ عوضها سنجار ونصيبين والخابور والرقة وسروج وجرت اليمين على ذلك وباعها باوكس الاثمان أعطى حصنا مثل حلب واخذ عوضها قرى ومزارع فنزل منها ثامن عشر صفر وتسلمها صلاح الدين فعجب الناس كلهم من ذلك وقبحوا ما أتى حتى ان بعض عامة حلب احضر اجانة وماء وناداه أنت لا يصلح لك الملك وانما يصلح لك ان تغسل الثياب واسمعوه المكروه واستقر ملك صلاح الدين بملكها وكان مزلزلا فثبت قدمه بتسلمها وكان على شفا جرف هار واذا أراد الله أمرا فلا مرد له وسار عماد الدين الى البلاد التي اعطيها فتسلمها واخذ صلاح الدين حلب واستقر الحال بينهما ان عماد الدين يحضر في خدمة صلاح الدين بنفسه وعسكره اذا استدعاه لا يحتج بحجة ومن الاتفاقات العجيبة ان محيي الدين بن الزكي قاضي دمشق مدح صلاح الدين بقصيدة منها

وفتحكم حلبا بالسيف في صفر * مبشر بفتوح القدس في رجب

فوافق فتح القدس في رجب سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة على ما نذكره ان شاء الله تعالى ومما كتبه القاضي الفاضل في المعنى عن صلاح الدين فاعطيناه عن حلب كذا وكذا وهو صرف على الحقيقة أعطيناه الدراهم ونزلنا عن القرى وأحرزنا العواصم وكتب ايضا أعطيناه ما لم يخرج عن اليد يعني انه متى شاء أخذه لعدم حصانته وكان في جملة من قتل على حلب تاج الملوك بوري أخو صلاح الدين الاصغر وكان فارسا شجاعا كريما حليما جامعا لخصال الخير ومحاسن الاخلاق طعن في ركبته فانفكت فمات منها بعد ان استقر الصلح بين عماد الدين وصلاح الدين على تسليم حلب قبل ان يدخلها صلاح الدين فلما استقر منه الصلح حضر صلاح الدين عند أخيه يعوده وقال له

طامى فلما استقر بها الاتراك ومضى عليهم بها نحو ثمانية أيام رجعوا عليهم واحاطوا بهم ومنعوهم الماء فعند ذلك ركبوا عليهم وحاربوهم فانهزموا وقتل الكثير منهم ونجا مجو بك بنفسه في نحو سبعة انفار وكذلك زعيم اوغلي وشريف اغا فنزلوا في سفينة وهربوا فغضب الباشا وقد كان أرسل لهم نجدة من الشفاسية الخيالة ففر بهم العرب ورجعوا منهزمين من ناحية البر وتواتر هذا الخبر

(واستهل شهر شعبان بيوم الثلاثاء سنة ١٢٢٩)

في ثانيه حضر مميش أغا من الديار الحجازية وعلى يده فرمانات خطابا لدبوس اوغلي وآخرين يستدعيهم الى الحضور بعساكرهم وكان دبوس اوغلي في بلده البراس فتوجه اليه الطلب وكذلك شرع كتخدا بك في استكتاب عساكر اتراك ومغاربة وعربان وغير ذلك (وفي رابعه) سافر طائفة من العسكر وأرسل كتخدا بك يمنع الحجاج الواردين من بلاد الروم وغيرهم من النزول الى السفائن الكائنة بساحل السويس والقصير وبان يخلوها لاجل نزول العساكر المسافرين وبتاخير الحجاج وذلك انه لما وصلت البشائر الى الديار الرومية بفتح الحرمين وخلاص مكة وجدة والطائف والمدينة ووصول ابن مضيان والمضايفي وغيرهم الى دار السلطنة وهروب الوهابيين الى بلادهم فعملوا ولائم وافراحا وتهاني

هذه حلب قد اخذناها وهى لك فقال ذلك لو كان وانا حى ووالله لقد اخذتها غالية حيث تفقد مثل فبكى صلاح الدين وابكى ولما خرج عماد الدين الى صلاح الدين وقد عمل له دعوة احتفل فيها فبينما هم فى سرور اذ جاء انسان فاسر الى صلاح الدين بموت اخيه فلم يظهر هلعا ولا جزعا وأمر بتجهيزه سرا ولم يعلم عماد الدين ومن معه فى الدعوة واحتمل الحزن وحده لئلا يتنكد ما هم فيه وكان هذا من الصبر الجميل

(ذكر فتح صلاح الدين حارم)

لما ملك صلاح الدين حلب كان بقلعة حارم وهى من اعمال حلب بعض المماليك النورية واسمه سرخك وولاه عليها الملك الصالح عماد الدين فامتنع من تسليمها الى صلاح الدين فراسله صلاح الدين فى التسليم وقال له اطلب من الاقطاع ما اردت ووعده الاحسان فاشتط فى الطلب وترددت الرسل بينهم فراسل الفرنج ليحتمى بهم فسمع من معه من الاجناد انه يراسل الفرنج فخافوا ان يسلمها اليهم فوثبوا عليه وقبضوه وحبسوه وراسلوا صلاح الدين يطلبون منه الامان والانعام فاجابهم الى ما طلبوا وسلموا اليه الحصن فرتب به دزدارا بعض خواصه واما باقى قلاع حلب فان صلاح الدين أقر عينتاب بيد صاحبها كما تقدم وأقطع تل خالد لامير يقال له داروم الياروقى وهو صاحب تل باشر واما قلعة اعزاز فان عماد الدين اسمعيل كان قد خربها فاقطعها صلاح الدين لامير يقال له سليمان بن جندر فعمرها وأقام صلاح الدين بحلب الى ان فرغ من تقرير قواعدها واحوالها ودواوينها واقطع اعمالها وأرسل منها فجمع العساكر من جميع بلاده

(ذكر القبض على مجاهد الدين وما حصل من الضرر بذلك)

فى هذه السنة فى جمادى الاولى قبض عز الدين مسعود صاحب الموصل على نائبه مجاهد الدين قايماز وكان اليه الحكم فى جميع البلاد واتبع فى ذلك هوى من أراد المصلحة لنفسه ولم ينظر فى مضرة صاحبه وكان الذى أشار بذلك عز الدين محمود زلفندار وشرف الدين أحمد بن أبى الخير الذى كان أبوه صاحب الغراف وهما من أكابر الامراء فلما أراد القبض عليه لم يقدم على ذلك لقوة مجاهد الدين فاظهر انه مريض وانقطع عن الركوب عدة أيام فدخل اليه مجاهد الدين وحده وكان خصيا لا يمتنع من الدخول على النساء فلما دخل عليه قبض عليه وركب لوقته الى القلعة فاحتوى على الاموال التى لمجاهد الدين وخزائنه وولى زلفندار قلعة الموصل بعد مجاهد الدين وجعل ابن صاحب الغراف أمير حاجب وحكمهما فى دولته وكان تحت حكم مجاهد الدين حينئذ اربل وأعمالها ومعه فيها زين الدين يوسف بن زين الدين على وهو صبى صغير ليس له من الحكم شئ والحكم والعسكر الى مجاهد الدين وتحت حكمه أيضا جزيرة ابن عمر وهى لمعز الدين سنجر شاه بن سيف الدين غازى بن مودود وهو أيضا صبى والحكم والنواب والعسكر لمجاهد الدين وبيده أيضا شهرزور وأعمالها ونوابه فيها ودقوقا ونائبه فيها وقلعة عقر الحميدية

وكتبت مراسيم سلطانية الى بلاد الروملى والاناضول بالبشائر بالفتح والاذن والترخيص والاطلاق لمن يريد الحج الى الحرمين بالأمن والامان والرفاهية والراحة فتحركت همم مريدى الحج لانهم متشوقين وهم ممنوعون ومتخوفون من ورود الحج فعند ذلك أقبلوا أفواجا بحريمهم وأولادهم ومتاعهم حتى ان كثيرا من المتصوفين منهم باع داره وتعلقاته وعزم على الحج والمجاورة بالحرمين باهله وعياله ولم يبلغهم استمرار الحروب وما بالحرمين من الغلاء والقحط الا عند وصولهم الى ثغر اسكندرية ولم يحققوها الا بعد فوقعوا فى حيرة ما بين مصدق ومكذب فمنهم من قصد السفر ولم يرجع عن عزمه وسلم الامر لله ومنهم من تأخر بمصر الى ان ينكشف له الحال وقرروا على كل شخص من المسافرين فى مراكب السويس عشرين فرانسه وذلك خلاف اجرة متاعه وما يتزوده فى سفره فانهم يزنونه بالميزان وعلى كل اقة قدر معلوم من الدراهم واما من يسافر فى بحر النيل على جهة القصير فى مراكب الباشا فيؤخذ على رأس كل شخص من مصر القديمة الى ساحل قنا ثلاثون قرشا ثم عليه اجرة حمله من قنا الى القصير ثم اجرة بحر القلزم ان وجد سفينة حاضرة والا تأخر اما بالقصير او السويس حتى يتيسر له النزول ويقاسى

ونائبه فيها ولم يبق لعز الدين مسعود بعد ان اخذ صلاح الدين البلاد الجزرية سوى الموصل وقلعتها ابد مجاهد الدين وهو على الحقيقة المالك واسمه عز الدين فلما قبض عليه امتنع صاحب اربل من طاعة عز الدين واستبد وكذلك ايضا صاحب جزيرة ابن عمر وارسل الخليفة الى دقوقا فحصرها واخذها ولم يحصل لعز الدين مسعود غير شهرزود والعقر وصارت اربل والجزيرة اضر شئ على صاحب الموصل وارسل صاحبها الى صلاح الدين بالطاعة له والكون فى خدمته وكان الخليفة الناصر لدين الله قد أرسل صدر الدين شيخ الشيوخ ومعه بشير الخادم الخاص الى صلاح الدين فى الصلح مع عز الدين صاحب الموصل وسير عز الدين معه القاضى محيي الدين أبا حامد بن الشهرزورى فى المعنى فاجاب صلاح الدين الى ذلك وقال ليس لكم مع الجزيرة واربل حديث فامتنع محيي الدين من ذلك وقال هما لنا فلم يجب صلاح الدين الى الصلح الا بان تكون اربل والجزيرة معه فلم يتم امره وقوى طمع صلاح الدين فى الموصل بقبض مجاهد الدين فلما رأى صاحب الموصل الضرر بقبض مجاهد الدين قبض على شرف الدين أحمد بن صاحب الغراف وزلفندار لعقوبتهما ثم أخرج مجاهد الدين على ما نذكره ان شاء الله

(ذكر غزو بيسان)

لما فرغ صلاح الدين من أمر حلب جعل فيها ولده الملك الظاهر غازى وهو صبي وجعل معه الامير سيف الدين يازكج وكان أكبر الامراء الاسدية وسار الى دمشق وتجهز للغزو ومعه عساكر الشام والجزيرة وديار بكر وسار الى بلد الفرنج فعبر نهر الاردن تاسع جمادى الآخرة من السنة فرأى أهل تلك النواحى قد فارقوها خوفا فقصد بيسان فاحرقها وخربها وأغار على ما هناك فاجتمع الفرنج وجاؤا الى قبالته فحين رأوا كثرة عساكره لم يقدموا عليه فاقام عليهم وقد استندوا الى جبل هناك وخندقوا عليهم فاحاط بهم وعساكر الاسلام ترميهم بالسهام وتناوشهم القتال فلم يخرجوا وأقاموا كذلك خمسة أيام وعاد المسلمون عنهم سابع عشر الشهر لعل الفرنج يطمعون ويخرجون فيستدرجونهم ليبلغوا منهم غرضا فلما رأى الفرنج ذلك لم يطمعوا أنفسهم فى غير السلامة وأغار المسلمون على تلك الاعمال يمينا وشمالا ووصلوا فيها الى ما لم يكونوا يطمعون فى الوصول اليه والاقدام عليه فلما كثرت الغنائم معهم رأوا العود الى بلادهم بما غنموا مع الظفر أولى فعادوا الى بلادهم على عزم الغزو

(ذكر غزو الكرك وملك العادل حلب)

لما عاد صلاح الدين والمسلمون من غزوة بيسان تجهزوا لغزو الكرك فسار اليه فى العساكر وكتب الى أخيه العادل أبى بكر بن أيوب وهو نائبه بمصر يأمره بالخروج بجميع العساكر الى الكرك وكان العادل قد أرسل الى صلاح الدين يطلب منه مدينة حلب وقلعتها فاجابه الى ذلك وأمره ان يخرج معه باهله وماله فوصل صلاح

الدين

ما يقاسيه فى مدة انتظاره وخصوصا فى الماء وغلوه ونموردانه ولا يسافر شخص و يتحرك من مصر الا باذن كتخدا بك و يعطيه مرسوما بالاذن وبلغنى أن الذين خرجوا من اسلامبول خاصة بقصد الحج نحو العشرة آلاف خلاف من وصل من بلاد الرومنلى والاناضول وغيرهما وحضر الكثير من اعيانهم مثل امام السلطان وغيره فنزل البعض بمنزل عثمان اغا وكيل دار السعادة سابقا والبعض بمنزل السيد محمد المحروقى و بيت شيخ السادات ومنهم من استأجر دورا فى الخانات والوكائل (وفيه) حضر قاصد من باب الدولة وعلى يده مرسوم مضمونه الامر باسترجاع ما اخذ من الشريف غالب من المال والذخائر اليه وكان الباشا ارسل الى الدولة بسبحتى لؤلؤ عظام من موجودات الشريف فحضر بهما ذلك القبجى وردهما الى الشريف غالب ثم سافر ذلك القبجى بالاوامر الى الباشا بالحجاز (وفى سابعه) وصلت هجانة باستعجال العساكر وتوالى حضور الهجانة بخصوص الاستعجال (وفى يوم السبت تاسع عشره) أنزلوا الشريف غالبا الى بولاق بحريمه وأولاده وعبيده وكان قد وصل الى مصر أغا معين بقصد سفر المذكور الى سلانيك فنزل بصحبته الى بولاق وصالحوه عما أخذ منه من المال وغيره بخمسمائة كيس فارادوا دفعها له قروشا فامتنع قائلا

الدين الى الكرك فى رجب ووافاه أخوه العادل فى العسكر المصرى وكثر جمعه وعظم من حصره وصعد معه المسلمون الى ربضه وملكوه وحصروا الحصن من الربض وتحكموا عليه فى القتال ونصب عليه سبع منجنيقات لا تزال ترمى بالحجارة ليلا ونهارا وكان صلاح الدين يظن ان الفرنج لا يمكنونه من حصر الكرك وانهم يبذلون جهدهم فى رده عنه فلم يستصحب معه من آلات الحصار ما يكفى لمثل ذلك الحصن العظيم والمعقل المنيع فرحل عنه منتصف شعبان وسير تقى الدين ابن أخيه الى مصر نائبا عنه ليتولى ما كان أخوه العادل يتولاه واستصحب أخاه العادل معه الى دمشق وأعطاه مدينة حلب وقلعتها وأعمالها ومدينة منبج وما يتعلق بها وسيره اليها فى شهر رمضان من السنة واحضر ولده الظاهر منها الى دمشق

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة فتح الرباط الذى بنته ام الخليفة بالمأمونية وفيها فى ذى الحجة توفى مكرم ابن بختيار أبو الخير الزاهد ببغداد وروى الحديث وكان كثير البكاء وفى جمادى الآخرة توفى محمد بن بختيار بن عبد الله ابو عبد الله المولد الشاعر ويعرف بالابله فمن جملة شعره

اراق دمعى لا بل اراق دمى * ظلما بظلم من ريقه الشبم
ذو قامة كالقضيب ناضرة * وناظر من سقامه سقمى
حصلت من وعده على اصدق الشـ * ـوعد ومن وصله على التهم

(ثم دخلت سنة ثمانين وخمسمائة)

(ذكر اطلاق مجاهد الدين من الحبس وانهزام العجم)

فى هذه السنة فى المحرم اطلق اتابك عز الدين صاحب الموصل مجاهد الدين قايماز من الحبس بشفاعة شمس الدين البهلوان صاحب همذان وبلاد الجبل وسيره الى البهلوان وأخيه قزل يستنجدهما على صلاح الدين فسار الى قزل اولا وهو صاحب اذربيجان فلم يمكنه من المضى الى البهلوان وقال مهما تختاره انا افعله وجهز معه عسكرا كثيرا نحو ثلاثة آلاف فارس وساروا نحو اربل ليحصروها فلما قاربوها افسدوا فى البلاد وخربوها ونهبوا واخذوا النساء قهرا ولم يقدر مجاهد الدين على منعهم فسار اليهم زين الدين يوسف صاحب اربل فى عسكره فلقيهم وهم متفرقون فى القرى ينهبون ويحرقون فانتهز الفرصة فيهم بتفرقهم والتقى بنفسه وعسكره على أول من لقيه منهم فهزمهم وتمت الهزيمة على الجميع وغنم الاربليون أموالهم ودوابهم وسلاحهم وعاد العجم الى بلادهم منهزمين وعاد صاحب اربل الى بلده مظفرا غانما وعاد مجاهد الدين الى الموصل فكان يحكى انى مازلت انتظر العقوبة من الله تعالى على سوء افعال العجم فانى رأيت منهم مالا كنت اظنه يفعله مسلم بمسلم وكنت انهاهم ولا يسمعون حتى كان من الهزيمة ما كان

(ذكر وفاة يوسف بن عبد المؤمن وولاية ابنه يعقوب)

انهم اخذوا مالى ذهبا شخصا وفرانسه فكيف آخذ بدل ذلك نحاسا لا انفع بها فى غير مصر فاعطوه مائتى كيس ذهبا وفرانسه وتحول بالباقى وكيله مكى الخولانى ثم زودوه وأعطوه سكرا وبنا وارزا وشربات وغير ذلك ونزل مسافرا الى المراكب صحبة المعين الى الحجاز من ناحية القصير وبرز ابن باشت طرابلس وصحبته عساكر ايضا الى ناحية العادلية وآخر يقال له قجه بك ومعهم نحو الالف خيال من العرب والمغاربة على طريق البر الى الحجاز (وفى يوم الخميس) رابع عشرينه الموافق لسادس شهر مسرى القبطى أوفى النيل المبارك اذرعه فداروا بالرايات ونودى بالوفاء وكسروا السد فى صبح يوم الجمعة بحضرة كتخدا بك والقاضى والجم الغفير من العساكر (وفى اواخره) وصلت الاخبار بان الباشا توجه الى الطائف وأبقى حسن باشا بمكة

(واستهل شهر رمضان بيوم الاربعاء سنة ١٢٢٩)

فى رابعه حضر موسى أغا تفكجى باشا من الديار الحجازية وكان فيمن باشر حرابة قنفدة ومن جملة من انهزم بها وهلكت جميع عساكره وخدمه ورجع الى مصر وصحبته أربعة انفار من الخدم (وفى عاشره) خرجت العساكر الجردة لسفر الحجاز الى بركة الحج وهم مغاربة وعربان وارتحلوا يوم الاحد ثانى عشره (وفى يوم الاربعاء خامس عشره) برز دبوس أوغلى

في هذه السنة سار ابو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن الى بلاد الاندلس وجاز البحر اليها في جمع عظيم من عساكر المغرب فانه جمع وحشد الفارس والراجل فلما عبر الخليج قصد غربي البلاد فحصر مدينة شنترين وهي للفرنج شهرا فاصابه بها مرض فمات منه في ربيع الاول وحمل في تابوت الى مدينة اشبيلية من الاندلس وكانت مدة ملكه اثنتين وعشرين سنة وشهرا ومات من غير وصية بالملك لاحد من اولاده فاتفق رأي قواد الموحدين واولاد عبد المؤمن على تمليك ولده ابي يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن فملكوه من الوقت الذي مات فيه ابوه لئلا يكونوا بغير ملك يجمع كلمتهم لقربهم من العدو فقام في ذلك احسن قيام واقام راية الجهاد واحسن السيرة في الناس وكان دينا مقيما للحدود في الخاص والعام فاستقامت له الدولة وانقادت اليه باسرها مع سعة اقطارها ورتب ثغور الاندلس وشحنها بالرجال ورتب المقاتلة في سائر بلادها واصلح احوالها وعاد الى مراكش وكان ابوه يوسف حسن السيرة وكان طريقه الين من طريق ابيه مع الناس يحب العلماء ويقربهم ويشاورهم وهم اهل خدمته وخاصته واحبه الناس ومالوا اليه واطاعه من البلاد ما امتنع على ابيه وسلك في جباية الاموال ما كان ابوه يأخذه ولم يتعده الى غيره واستقامت له البلاد بحسن فعله مع اهلها ولم يزل كذلك الى ان توفي رحمه الله تعالى

(ذكر غزو صلاح الدين الكرك)

في هذه السنة في ربيع الآخر سار صلاح الدين من دمشق يريد الغزو وجمع عساكره فاتته من كل ناحية وممن اتاه نور الدين محمد بن قرا ارسلان صاحب الحصن وكتب الى مصر ليحضر عسكرها عنده على الكرك فنازل الكرك وحصره وضيق على من به وامر بنصب المنجنيقات على ربضه واشتد القتال فملك المسلمون الربض وبقي الحصن وهو والربض على سطح جبل واحد الا ان بينهما خندقا عظيما عمقه نحو ستين ذراعا فامر صلاح الدين بالقاء الاحجار والتراب فيه ليطمه فلم يقدر احد على الدنو منه لكثرة الرمي عليهم بالسهام من الجرخ والقوس والاحجار من المنجنيقات فامر ان يبني بالاخشاب واللبن ما يمكن الرجال يمشون تحت السقائف ويلقون في الخندق ما يطمه ومنجنيقات المسلمين مع ذلك ترمي الحصن ليلا ونهارا وارسل من فيه من الفرنج الى ملوكهم وفرسانهم يستمدونهم ويعرفونهم عجزهم وضعفهم عن حفظ الحصن فاجتمعت الفرنج عن آخرها وساروا الى نجدتهم عجلين فلما بلغ الخبر بسيرهم الى صلاح الدين رحل عن الكرك الى طريقهم ليلقاهم ويصافهم ويعود بعد ان يهزمهم الى الكرك فقرب منهم وخيم ونزل ولم يمكنه الدنو منهم لخشونة الارض وصعوبة المسلك اليهم وضيقه فاقام اياما ينتظر خروجهم من ذلك المكان ليتمكن منهم فلم يبرحوا منه خوفا على نفوسهم فلما راى ذلك رحل عنهم عدة فراسخ وجعل بازائهم من يعلمه بسيرهم فساروا ليلا الى الكرك فلما علم صلاح الدين ذلك علم انه لا يتمكن حينئذ

بعساكره الى الحجاز وكذلك حسن آغا سرششمه ونصبوا خيامهم واستمروا يخرجون خارج باب الفتوح ليسافر من المدينة ويدخلون غدوا وعشيا وهم ياكلون ويشربون جهارا في نهار رمضان ويقولون نحن مسافرون ومجاهدون ويمرون بالاسواق ويجلسون على المساطب وبايديهم الاقصاب والشبكات التي يشربون فيها الدخان من غير احتشام ولا حياء ويجوزون بحارات الحسينية على القهاوي في الضحوة فيجدونها مغلوقة فيسالون عن القهوجي ويطلبونه ليفتح لهم القهوة ويوقد لهم النار ويغلي لهم القهوة ويسقيهم فربما هرب القهوجي واختفى منهم فيكسرون الباب ويعبثون بآلاته واوانيه فما يسعه الا المجيء وايقاد النار واشنع من ذلك انه اجتمع بناحية مرضيهم وخيامهم الجم الكثير من النساء الخواطي والبغايا ونصبوا لهن خياما واخصاصا وانضم اليهن بياع البوظة والعرقي والحشاشون والغوازي والرقاصون وامثال ذلك والحشر معهم الكثير من الفساق واهل الاهواء والعياق من اولاد البلد فكانوا اجماعا عظيما ياكلون الحشيش ويشربون المسكرات ويزنون ويلوطون ويشربون الجوزة ويلعبون القمار جهارا في نهار رمضان ولياليه مختلطين مع العساكر كانما سقط عن الجميع التكاليف وخلصوا

ولا

من الحساب وسمعت ممن شاهد ذمته محمود بك المهردار الذي هو اعظم اعيانهم وهو المتولى على قياس الاراضى مع المعلم غالى وهو جالس فى ديوانهم المخصوص بالقرب من سويقة اللالا وهو يشرب فى النارجيلة التنباك وياتونه بالفداديين افرادا او يقول انا مسافر الشرقية اعمل نظام الاراضى (وفى) غايته وصلت هجانة باستعجال العساكر

(واستهل شهر شوال بيوم الخميس سنة ١٢٢٩)

فى ليلته قلدوا عبد الله كاشف الدرندلى اميرا على ركب الحجاج (وفى يوم السبت ثالثه) خرج دبوس اوغلى فى موكب الى مخيمه وكذلك حسن اغا سرششمه ليسافر الى الحجاز (وفى يوم السبت حادى عشره) نزلوا بكسوة الكعبة بالطبول والزمور الى المشهد الحسينى واجتمع الناس على عادتهم للفرجة (وفيه) انتقل محمود بك والمعلم غالى الى بيت حسن افندى الجاتى وعملوا ديوانهم فيه واتلفوا الجنينة التى به وجلسوا تحت اشجارها وربط الاقباط حميرهم فيها وشرع محمود بك فى عمارة الجهة القبلية منه وانزوت صاحبة المنزل فى ناحية منه (وفى سابع عشره) ارتحل دبوس اوغلى وحسن اغا سرششمه ومن معهم من العساكر من منزلتهم متوجهين الى الديار الحجازية (وفى يوم الخميس ثانى عشرينه) رسم كتخدا بك بنفى طائفة من الفقهاء من ناحية طندتا الى ابى قير بسبب فتيا افتوها

ولا يبلغ غرضه فسار الى مدينة نابلس ونهب كل ما على طريقه من البلاد فلما وصل الى نابلس احرقها وخربها وقتل فيها واسر وسبى فاكثر وسار عنها الى سبسطية وبها مشهد زكريا عليه السلام وبها كنيسة وبها جماعة اسرى من المسلمين فاستنقذهم ورحل الى جينين فنهبها وخربها وعاد الى دمشق ونهب ما على طريقه وخربه وبث السرايا فى طريقه يمينا وشمالا يغنمون ويخربون ووصل الى دمشق

(ذكر ملك الملثمين بجاية وعودها الى اولاد عبد المؤمن)

فى هذه السنة فى شعبان خرج على بن اسحق المعروف بابن غانية وهو من اعيان الملثمين الذين كانوا ملوك المغرب وهو حينئذ صاحب جزيرة ميورقة الى بجاية فملكها وسبب ذلك انه لما سمع بوفاة يوسف بن عبد المؤمن عمر اسطوله فكان عشرين قطعة وسار فى جموعه فارسى فى ساحل بجاية وخرجت خيله ورجاله من الشوانى فكانوا نحو مائتى فارس من الملثمين واربعة آلاف راجل فدخل مدينة بجاية بغير قتال لانه اتفق ان واليها سار عنها قبل ذلك بايام الى مراكش ولم يترك فيها جيشا ولا عدة لانه لعدم عدو يحفظها منه فجاء الملثم ولم يكن فى حسابهم انه يحدث نفسه بذلك فارسى بها ووافقه جماعة من بقايا دولة بنى حماد وصاروا معه فكثر جمعه بهم وقويت نفسه فسمع خبره والى بجاية فعاد من طريقه ومعه من الموحدين ثلثمائة فارس فجمع من العرب والقبائل الذين فى تلك الجهات نحو الف فارس فسمع بهم وبقربهم منه فخرج اليهم وقد صار معه قدر الف فارس وتوافقوا ساعة فانضاف جميع الجموع التى كانت مع والى بجاية الى الملثم فانهزم حينئذ والى بجاية ومن معه من الموحدين وساروا الى مراكش وعاد الملثم الى بجاية فجمع جيشه وخرج الى اعمال بجاية فاطاعه جميعها الا قسطنطينية الهوى فحصرها الى ان جاء جيش من الموحدين من مراكش فى صفر سنة احدى وثمانين وخمسمائة الى بجاية فى البر والبحر وكان بها يحيى وعبد الله اخوا على ابن اسحق الملثم فخرجا منها هاربين ولحقا باخيهما فرحل عن القسنطينية وسار الى افريقية وكان سبب ارسال الجيش من مراكش ان والى بجاية وصل الى يعقوب ابن يوسف صاحب المغرب وعرفه ما جرى ببجاية واستيلاء الملثمين عليها وخوفه عاقبة التوانى فجهز العساكر فى البر عشرين الف فارس وجهز الاسطول فى البحر فى خلق كثير واستعادوها

(ذكر وفاة صاحب ماردين وملك ولده)

فى هذه السنة مات قطب الدين ايلغازى بن نجم الدين بن البى بن تمرتاش بن ايلغازى ابن ارتق صاحب ماردين وملك بعده ابنه حسام الدين بولق ارسلان وهو طفل وقام بتربيته وتدبير مملكته نظام الدين البقش مملوك ابيه وكان شاه ارمن صاحب خلاط خال قطب الدين فحكم فى دولته وهو رتب البقش مع ولده وكان البقش دينا خيرا عادلا حسن السيرة سليما فاحسن تربية الولد وتزوج امه فلما كبر الولد لم يمكنه النظام

من مملكته يخبط وهو ج كان فيه وكان لنظام الدين هذا مملوك اسمه لؤلؤ قد تحكم فى دولته وحكم فيها فكان يحمل النظام على ما يفعله مع الولد ولم يزل الامر كذلك الى ان مات الولد وله اخ اصغر منه لقبه قطب الدين فرتبه النظام فى الملك وليس له منه الا الاسم والحكم الى النظام ولؤلؤ فبقى كذلك الى سنة احدى وستمائة فمرض النظام البقش فاتاه قطب الدين يعوده فلما خرج من عنده خرج معه لؤلؤ وضرب به قطب الدين بسكين معه فقتله ثم دخل الى النظام وبيده السكين فقتله أيضا وخرج وحده ومعه غلام له والقى الرأسين الى الاجناد وكانوا كلهم قد انشاهم النظام ولؤلؤ فاذعنوا له بالطاعة فلما تمكن اخرج من اراد وترك من اراد واستولى على قلعة ماردين واعمالها وقلعة البارعية وصور وهو الى الآن حاكم فيها حازم فى افعاله

❁(ذكر عدة حوادث)❁

فى هذه السنة توفى صدر الدين شيخ الشيوخ عبد الرحمن بن شيخ الشيوخ اسمعيل بن شيخ الشيوخ ابى سعيد أحمد فى شعبان وكان قد سار فى ديوان الخلافة رسولا الى صلاح الدين ومعه شهاب الدين بشير الخادم فى معنى الصلح بينه وبين عز الدين صاحب الموصل فوصل دمشق وصلاح الدين يحصر الكرك فاقام الى ان عاد فلم يستقر فى الصلح امر ومرضا وطلبا العودة الى العراق فاشار عليهما صلاح الدين بالمقام الى ان يصطلحا فلم يفعلا وسارا فى الحر فمات بشير بالسخنة ومات صدر الدين بالرحبة ودفن بمشهد البوق وكان واحد زمانه قد جمع بين رياسة الدين والدنيا وكان ملجا لكل خائف صالحا كريما حليما وله مناقب كثيرة ولم يستعمل فى مرضه هذا دواء توكلا على الله تعالى وفيها توفى عبد اللطيف بن محمد بن عبد اللطيف الخجندى الفقيه الشافعى رئيس اصفهان وكان موته بباب همذان وقد عاد من الحج وله شعر فمنه

بالحمى دار سقاها مدمعى ❁ ياسقى الله الحمى من مربع
ليت شعرى والامانى ضلة ❁ هل الى وادى الغضى من مرجع
اذنت علوة للواشى بنا ❁ ما على علوة لو لم تسمع
أو تحرت رشدا فيما وشى ❁ أو عفت عنى خافا بى معى

رحمه الله ورضى عنه وأرضاه

❁(ثم دخلت سنة احدى وثمانين وخمسمائة)❁

❁(ذكر حصر صلاح الدين الموصل ورحيله عنها لوفاة شاه أرمن)❁

فى هذه السنة حصر صلاح الدين يوسف بن ايوب الموصل مرة ثانية وكان مسيره من دمشق فى ذى القعدة من السنة الماضية فوصل الى حلب واقام بها الى ان خرجت السنة وسار منها فعبر الى ارض الجزيرة فلما وصل حران قبض على مظفر الدين كوكبرى ابن زين الدين الذى كان سبب ملكه الديار الجزرية وسبب قبضه عليه ان مظفر الدين كان يراسل صلاح الدين كل وقت ويشير عليه بقصد الموصل ويحسن له ذلك

ويقوى

فى حادثة ببلدهم وقضى بها قاضيهم وانهيت الدعوى الى ديوان مصر فطلبوا الى اعادة الدعوى بحضرو وترافعوا الى قاضى العسكر وانعقدوا عليهم الخطاف رسم بنفى الشاكى والمفتيين والقاضى رابعهم (وفى يوم السبت رابع عشرينه) عملوا موكب خروج المحمل واستعد الناس للفرجة على عادتهم فكان عبارة عن نحو مائة جمل تحمل روايا الماء والقرب وعدة من طائفة الدلاة على رؤسهم طراطير سود ذلابق وأمير الحاج على شكلهم وخلفه ارباب الاشاير ببيارقهم وشراميطهم وطبولهم وزمورهم وجوقاتهم وخلفهم المحمل فكان مدة مرورهم مع تقطيعهم وعدم نظامهم نحو ساعتين فاين ما كان يعمل من المواكب بمصر التى يضرب بحسنها وترتيبها ونظامها المثل فى الدنيا فسبحان مغير الشؤن والاحوال (وفيه) خرجت زوجة الباشا الكبيرة وهى ام اولاده تريد الحج الى خارج باب النصر فى ثلاثة تختوت والمقدم بها بونابارته الخازندار وقد حضر لوداعها ولدها ابراهيم باشا من الصعيد وخرج لتشييعها هو واخوه اسمعيل باشا وصحبتهما محرم بك زوج ابنتها حاكم الجيزة ومصطفى بك دالى باشا ويقال انه أخوها وكذلك محمد بك الدفتردار زوج ابنتها أيضا وطاهر باشا وصالح بك السلحدار وارباب

و يقوى طمعه حتى انه بذل له اذا سار اليه خمسين ألف دينار فلما وصل صلاح الدين الى حران لم يف له بما بذل من المال وأنكر ذلك فقبض عليه ووكل به ثم اطلقه واعاد اليه مدينتى حران والرها وكان قد أخذهما منه وانما أطلقه لانه خاف انحراف الناس عنه بالبلاد الجزرية لانهم كلهم علموا انما اعتمده مظفر الدين معه من تمليك البلاد فاطلقه وسار صلاح الدين عن حران فى ربيع الاول فحضر عنده عساكر الحصن ودارا ومعز الدين سنجرشاه صاحب الجزيرة وهو ابن اخى عز الدين صاحب الموصل وكان قد فارق طاعة عمه بعد قبض مجاهد الدين وسار مع صلاح الدين الى الموصل فلما وصلوا الى مدينة بلد سير اتابك عز الدين والدته الى صلاح الدين ومعها ابنة عمه نور الدين محمود بن زنكى وغيرهما من النساء وجماعة من اعيان الدولة يطلبون منه المصالحة ويبذلون له الموافقة والانجاد بالعساكر ليعود عنهم وانما أرسلهن لانه وكل من عنده ظنوا انهن اذا طلبن منه الشام أجابهن الى ذلك لاسيما ومعهم ابنة مخدومه وولى نعمته نور الدين فلما وصلن اليه انزلهن وأحضر اصحابه واستشارهم فيما يفعله ويقوله فاشار اكثرهم باجابتهن الى ماطلبن منه وقال له الفقيه عيسى وعلى بن أحمد المشطوب وهما من بلد الهكارية من اعمال الموصل مثل الموصل لايترك لامرأة فان عز الدين ما ارسلهن الا وقد عجز عن حفظ البلد ووافق ذلك هواه فاعادهن خائبات واعتذر باعذار غير مقبولة ولم يكن ارسالهن عن ضعف ووهن انما ارسلهن طلبا لدفع الشر بالتى هى أحسن فلما عدن رحل صلاح الدين الى الموصل وهو كالمتيقن انه يملك البلد وكان الامر بخلاف ذلك فلما قارب البلد نزل على فرسخين منه وامتد عسكره فى تلك الصحراء بنواحى الحلة المراقية وكان يجرى بين العسكرين مناوشات بظاهر الباب العمادى وكنت اذذاك بالموصل وبذل العامة نفوسهم غيظا وحنقا لرده النساء فرأى صلاح الدين مالم يكن يحسبه فندم على رده النساء ندامة الكسعى حيث فاته الذكر وملك البلد وعاد على الذين أشاروا بردهن باللوم والتوبيخ وجاءته كتب القاضى الفاضل وغيره ممن ليس له هوى فى الموصل يقبحون فعله وينكرونه واتاه وهو على الموصل زين الدين يوسف بن زين الدين صاحب اربل فانزله ومعه اخوه مظفر الدين كوكبرى وغيرهما من الامراء بالجانب الشرقى من الموصل وسير من المنزلة على بن أحمد المشطوب الهكارى الى قلعة الجزيرة من بلد الهكارية فحصرها واجتمع عليه من الاكراد الهكارية كثير وبقى هناك الى ان رحل صلاح الدين عن الموصل وكان عامة الموصل يعبرون دجلة فيقاتلون من الجانب الشرقى من العسكر ويعودون ولما كان صلاح الدين يحاصر الموصل بلغ اتابك عز الدين صاحبها ان نائبه بالقلعة يكاتبه فمنعه من الصعود الى القلعة وعاد يقتدى برأى مجاهد الدين وكان قد اخرجه كما ذكرناه ويصدر عن رايه وضبط الامور واصلح ما كان فسد من الاحوال حتى آل الامر الى الصلح على مانذكره ان شاء الله وحضر عند صلاح الدين انسان بغدادى اقام بالموصل ثم خرج الى صلاح الدين فاشار عليه بقطع دجلة عن الموصل الى ناحية نينوى

ومن معه فى سادس عشرينه الى بندر السويس وفى ذلك اليوم برزت عساكر المغاربة وغيرهم من تعدى وارتحل امير الحج من الحصوة الى البركة (وفى يوم الثلاثاء) خرجت عساكر كثيرة مجردين للسفر (وفى يوم الخميس تاسع عشرينه) ارتحل امير الحج ومن معه من البركة فى تاسع ساعة من النهار وفى ذلك اليوم هبت رياح غربية شمالية باردة واشتد هبوبها اواخر النهار واطبقت السماء بالغيوم والقتام وابرق البرق برقا متتابعا وارعدت رعدا له دوى متصل ولما قرب من سمت رؤسنا كان له صوت عظيم مزعج ثم نزل مطر غزير استمر نحو نصف ساعة ثم سكن بعد ان تبحرت منه الازقة والطرق وكان ذلك اليوم رابع شهر بابه القبطى (وفيه) ورد الخبر من السويس ان امراة الباشا لما وصلت الى هناك وجدت عالما كبيرا من الحجاج المختلفة الاجناس ممنوعين من نزول المراكب فصرخوا فى وجهها وشكوا اليها تخلفهم وان امير البندر مانعهم من النزول فى المراكب وبذلك المنع يفوتهم الحج الذى تجشموا الاسفار وصرفوا ايضا الاموال من اجله وهم فى مشقة عظيمة من عدم الماء ولا يمكنهم الرجوع لعدم من يحملهم وان امير البندر يشتط عليهم فى الاجرة ويأخذ على كل راس خمسة عشر فرانسا فحلفت انها لاتنزل الى المركب حتى ينزل جميع من بالسويس

وقال ان دجلة اذا نقلت عن الموصل عطش اهلها فلكناها بغير قتال فظن صلاح الدين ان قوله صدق فعزم على ذلك حتى علم انه لا يمكن قطعه بالكلية فان المدة تطول والتعب يكثر ولا فائدة وراءه وقبحه عنده اصحابه فاعرض عنه واقام بمكانه من اول ربيع الآخر الى ان قارب آخره ثم رحل عنها الى ميافارقين وكان سبب ذلك ان شاه ارمن صاحب خلاط توفي بها تاسع ربيع الآخر فوصل الخبر بوفاته في العشرين منه فعزم على الرحيل اليها وتملكها حيث ان شاه ارمن لم يخلف ولدا ولا احدا من اهل بيته يملك بلاده بعده وانما قد استولى عليها مملوك له اسمه بكتمر ولقبه سيف الدين فاستشار صلاح الدين امراءه ووزراءه فاختلفوا فامامنهم من اشار بالمقام وملازمة الحصار لها وامامن يكره اذى البيت الاتابكي فانه اشار بالرحيل وقال ان ولاية خلاط اكبر واعظم وهي سائبة لا حافظ لها وهذه لها سلطان يحفظها او يذب عنها واذا ملكنا تلك سهل امر هذه وغيرها فتردد في امره فاتفق انه جاءه كتب جماعة من اعيان خلاط من اهلها وامرائها يستدعونه ليسلموا اليه البلد فسار عن الموصل وكانت مكاتبة من كاتبه خديعة ومكرا فان شمس الدين البهلوان بن ايلدكز صاحب اذربيجان وهمذان وتلك المملكة قد قصدهم ليأخذ البلاد منهم وكان قبل ذلك قد زوج شاه ارمن على كبر سنه بنتا له ليجعل ذلك طريقا الى ملك خلاط واعمالها فلما بلغهم مسيره اليهم كاتبوا صلاح الدين يستدعونه اليهم ليسلموا البلد اليه ليدفعوا به البهلوان ويدفعوه بالبهلوان وتبقى البلد بايديهم فسار صلاح الدين وسير في مقدمته ابن عمه ناصر الدين محمد بن شيركوه ومظفر الدين بن زين الدين وغيرهما فساروا الى خلاط ونزلوا بطوانة بالقرب من خلاط وسار صلاح الدين الى ميافارقين واما البهلوان فانه سار الى خلاط ونزل قريبا منها وترددت رسل اهل خلاط بينهم وبينه وبين صلاح الدين ثم انهم اصلحوا امرهم مع البهلوان وصاروا من حزبه وخطبوا له

(ذكر وفاة نور الدين صاحب الحصن)

في هذه السنة توفي نور الدين محمد بن قرا ارسلان بن داود صاحب الحصن وآمد لما كان صلاح الدين على الموصل وخلف ابنين فملك الاكبر منهما واسمه سقمان ولقبه قطب الدين وتولى تدبير الامور وزيره القوام بن سماقا الاسعردي وكان عماد الدين بن قرا ارسلان قد سيره اخوه نور الدين في عساكره الى صلاح الدين وهو يحاصر الموصل وهو معه فلما بلغه خبر وفاة اخيه سار ليملك البلاد بعده لصغر اولاده فتعذر عليه ذلك فسار الى خرتبرت فملكها وهي بيد اولاده الى سنة عشرين وستمائة ولما حضر صلاح الدين ميافارقين حضر عنده ولد نور الدين فاقره على ملك ابيه ومن جملته آمد وكانوا خافوا ان يأخذها منهم فلم يفعل وردهم الى بلادهم وشرط عليهم ان يراجعوه فيما يفعلونه ويصدرون عن امره ونهيه ورتب معه امير القبا صلاح الدين من اصحاب ابيه

(ذكر ملك صلاح الدين ميافارقين)

من الحجاج المراكب ولا يؤخذ منهم الا القدر الذي جعلته على كل فرد منهم فكان ما حكمت به هذه الكرمة صار لها به منقبة جيدة وذكرا حسنا وفرجا لهؤلاء الخلائق بعد الشدة

(واستهل شهر ذي القعدة بيوم السبت سنة ١٢٢٩)

وفي يوم الاثنين نادى المنادي بوقود قناديل سهاري على البيوت والوكائل وكل اربع دكاكين قنديل (وفي ثامنه) جرسوا شخصا واركبوه على حمار بالمقلوب وهو قابض بيده على ذنب الحمار ووجهه بصارين ذبيحة وعلى كتفه كرش بعد ان حلقوا نصف لحيته وشواربه قيل ان سبب ذلك انه زور حجة تقرير على اماكن تتعلق بامراة اجنبية وباع بعض الاماكن وكانت تلك المراة غائبة من مصر فلما حضرت وجدت مكانها مسكونا بالذي اشتراه فرفعت قصتها الى كتخدا بك ففعل به ذلك بعد وضوح القضية (وفي ثاني عشره) سافر عبد الله ابن الشريف سرور الى الحجاز باستدعاء من الباشا فاعطوه اكياسا وقضى اشغاله وخرج مسافرا (وفيه) وقعت حادثة بحارة الكعكيين بين شخصين من الدلاتية وعسكري خلف غلام بدوي عمل نفسه عسكريا مع طائفة المغاربة يدعي احدهما ان له عنده دراهم فهرب منهما الى الخطة المذكورة فرجعا خلفه وبيد كل منهما سيفه مسلول لا دخل الغلام الى عطفة الحمام وفزعت عليهما المغاربة لما

لما سار صلاح الدين الى خلاط جعل طريقه على ميافارقين مطمع ملكها حيث كان
صاحبه قطب الدين صاحب ماردين قد توفي كما ذكرنا وملك بعده ابنه وهو طفل وكان
حكمها الى شاه أرمن وعسكره فيها فلما توفي طمع في اخذها فلما نازلها رآها مشحونة
بالرجال وبها زوجة قطب الدين المتوفى ومعها بنات لها منه وهي أخت نور الدين محمد
صاحب الحصن فاقام صلاح الدين عليها يحصرها من أول جمادى الاولى وكان المقدم
على اجنادها أمير اسمه برنقش ولقبه أسد الدين وكان شجاعا شهما يحفظ البلد فاحسن
اليه واشتد القتال عليه ونصب المنجنيقات والعرادات فلم يصل صلاح الدين الى ما يريد
منها فلما رأى ذلك عدل من القوة والحرب الى اعمال الحيلة فراسل امرأة قطب الدين
المقيمة بالبلد يقول لها ان أسد الدين برنقش قد مال الينا في تسليم البلد ونحن نرعى حق
أخيك نور الدين فيك بعد وفاته ونريد أن يكون لك في هذا الامر نصيب وأنا أزوج
بناتك باولادي وتكون ميافارقين وغيرها لك وبحكمك ووضع من أرسل الى الاسد
يعرفه ان الخاتون قد مالت للمقاربة والانقياد الى السلطان وأن من بخلاط قد كاتبوه
ليسلموا اليه فخذ لنفسك واتفق ان رسولا وصله من خلاط يبذلون له الطاعة وقالوا له
من الاستدعاء اليهم ما كانوا يقولونه فامر صلاح الدين الرسول فدخل الى ميافارقين
وقال للاسد أنت عمن تقاتل وأنا قد جئت في تسليم خلاط الى صلاح الدين فسقط في
يده وضعفت قوته وأرسل يقترح اقطاعا ومالا فاجيب الى ذلك وسلم البلد سلخ جمادى
الاولى وعقد النكاح لبعض أولاده على بعض بنات خاتون وأقر بيدها قلعة هتاخ
لتكون فيها هي وبناتها

(ذكر عود صلاح الدين الى بلد الموصل والصلح بينه وبين اتابك عز الدين)

لما فرغ صلاح الدين من امر ميافارقين واحكم قواعدها وقرر اقطاعاتها وولاياتها
اجمع على العود الى الموصل فسار نحوها وجعل طريقه على نصيبين فوصل الى كفر زمار
والزمان شتاء فنزلها في عساكره وعزم على المقام بها واقطاع جميع بلاد الموصل وأخذ
غلاتها ودخلها واضعاف الموصل بذلك اذ علم انه لا يمكنه التغلب عليها وكان نزوله
في شعبان وأقام بها شعبان ورمضان وترددت الرسل بينه وبين عز الدين صاحب
الموصل وصار مجاهد الدين يراسل ويتقرب وكان قوله مقبولا عند سائر الملوك لما
علموا من صحته فبينما الرسل تتردد في الصلح اذ مرض صلاح الدين وسار من كفر زمار
عائدا الى حران فلحقه الرسل بالاجابة الى ما طلب فتقرر الصلح وحلف على ذلك وكانت
القاعدة ان يسلم اليه عز الدين شهرزور وأعمالها وولاية القرابلي وجميع ما وراء الزاب من
أعمال وان يخطب له على منابر بلاده ويضرب اسمه على السكة فلما حلف أرسل رسله
فحلف عز الدين له وتسلم البلاد التي استقرت القاعدة على تسليمها ووصل صلاح الدين
الى حران فاقام بها مريضا وأمنت الدنيا وسكنت الدهماء وانحسمت مادة الفتن وكان
ذلك بتوصل مجاهد الدين قايماز رحمه الله واما صلاح الدين فانه طال مرضه بحران
وكان عنده من أهله اخوه الملك العادل وله حينئذ حلب وولده الملك العزيز عثمان

المتسكرون القاطنون بتلك الناحية وضربوا عليهم ابنادق فسقط حصان أحد الدلاة وأصيب راكبه وهرب
رفيقه الى كتخدا بك فاخبره
فامر باحضار كبراء المغاربة
وطالبهم بالضارب فلم يتبين
امره وقبضوا على الغلام
الضارب وحبسوه وفي ذلك
الوقت حصل في الناس فزعة
واغلقت اهل سوق الغورية
والشوائين والفحامين
حوانيتهم وبقي ذلك الغلام
محبوسا ومات الدلاتي المضروب
في ليلة السبت خامس عشره
فاحضروا ذلك الغلام الى باب
زويلة وقطعوا رأسه ظلما ولم
يكن هو الضارب (وفي عشرينه)
سافر ابن باشت طرابلس
وسافر معه عسكر المغاربة
الخيالة

*(واستهل شهر ذي الحجة
الحرام ختام سنة ١٢٢٩)*
في اوله ورد نجاب من الحجاز
واخبر بموت طاهر افندي
وهو افندي ديوان الباشا
وكان موته في شهر شوال
بالمدينة حتف أنفه وورد
الخبر أيضا بصلح الشريف راجح
مع الباشا وانه قابله واكرمه
وانعم عليه بمائتي كيس واخبر
ايضا بانه تركه الباشا بناحية
الكلخة وهي ما بين الطائف
وتربة وانقضت السنة بحوادثها

(واما من مات في هذه السنة)
فمات العمدة الفاضل الفقيه
النبيه الشيخ حسين المعروف
بابن الكاشف الدمياطي ويعرف بالرشيدي تعلق بالعلم وانخلع من الامرية والجندية

واشتد مرضه حتى أيسوا من عافيته فخلف الناس لاولاده وجعل لكل منهم شيئا من البلاد معلوما وجعل أخاه العادل وصيا على الجميع ثم انه عوفى وعاد الى دمشق فى المحرم سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة ولما كان مريضا بحران كان عنده ابن عمه ناصر الدين محمد بن شيركوه وله من الاقطاع حمص والرحبة فسار من عنده الى حمص فاجتاز بحلب واحضر جماعة من الدمشقيين وواعدهم على تسليم البلد اليه اذا مات صلاح الدين واقام بحمص ينتظر موته ليسير الى دمشق فيملكها فعوفى وبلغه الخبر على جهته فلم يمض غير قليل حتى مات ابن شيركوه ليلة عيد الاضحى فانه شرب الخمر وأكثر منه فاصبح ميتا فذكروا والعهدة عليهم ان صلاح الدين وضع انسانا يقال له الناصح بن العميد وهو من دمشق فحضر عنده ونادمه وسقاه سما فلما أصبحوا من الغد لم يروا الناصح فسألوا عنه فقيل انه سار من ليلته الى صلاح الدين فكان هذا مما قوى الظن فلما توفى أعطى أقطاعه لولده شيركوه وعمره اثنتا عشرة سنة وخلف ناصر الدين من الاموال والخيل والآلات شيئا كثيرا فحضر صلاح الدين فى حمص واستعرض تركته وأخذ أكثرها ولم يترك الا ما لا خير فيه وبلغنى ان شيركوه بن ناصر الدين حضر عند صلاح الدين بعد موت أبيه بسنة فقال له الى أين بلغت من القرآن فقال الى قوله تعالى ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا فعجب صلاح الدين والحاضرون من ذكائه

(ذكر الفتنة بين التركمان والاكراد بديار الجزيرة والموصل)

فى هذه السنة ابتدأت الفتنة بين التركمان والاكراد بديار الجزيرة والموصل وديار بكر وخلاط والشام وشهرزور واذربيجان وقتل فيها من الخلق ما لا يحصى ودامت عدة سنين وتقطعت الطرق ونهبت الاموال واريقت الدماء وكان سببها ان امرأة من التركمان تزوجت بانسان تركمانى واجتازوا فى طريقهم بقلعة من الزوزان للاكراد فجاء اهلها وطلبوا من التركمان وليمة العرس فامتنعوا من ذلك وجرى بينهم كلام صاروا منه الى القتال فنزل صاحب تلك القلعة فاخذ الزوج فقتله فهاجت الفتنة وقام التركمان على ساق وقتلوا جمعا كثيرا من الاكراد وثار الاكراد فقتلوا من التركمان ايضا كذلك وتفاقم الشر ودام ثم ان مجاهد الدين قايماز رحمه الله جمع عنده جمعا من رؤساء الاكراد والتركمان واصلح بينهم واعطاهم الخلع والثياب وغيرها واخرج عليهم مالا جما فانقطعت الفتنة وكفى الله شرها وعادوا الى ما كانوا عليه من الطمانينة والامان

(ذكر ملك الملثمين والعرب أفريقية وعودها الى الموحدين)

قد ذكرنا سنة ثمانين ملك على بن اسحق الملثم بجاية وارسال يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن العساكر واستعادتها فسار الى افريقية فلما وصل اليها اجتمع سليم ورياح ومن هناك من العرب وانضاف اليهم الترك الذين كانوا قد دخلوا من مصر مع شرف الدين قراقوش وقد تقدم ذكر وصوله اليها ودخل أيضا من أتراك مصر مملوك لتقى

الدين

وحضر اشياخ العصر ولازم حضور الشيخ عبد الله الشرقاوى وانتقل من مذهب الحنفية الى الشافعية لملازمته لهم فى المعقول والمنقول وتلقى عن السيد مرتضى أسانيد الحديث والمسلسلات وحفظ القرآن فى مبدأ امره برشيد وجوده على السيد صديق وحفظ شيئا من المتون قبل مجيئه الى مصر وأكب على الاشتغال بالازهر وتزيا بزى الفقهاء بلبس العمامة والفرجية وتصدر ودرس فى الفقه والمعقول وغيرهما ولما وصل محمد باشا الى ولاية مصر اجتمع عليه عند قلعة أبى قير فجعله اماما يصلى خلفه الاوقات وحضر معه الى مصر ولم يزل مواظبا على وظيفته وانتفع بنسبته اليه واقتنى حصصا واقطاعات وتقلد قضايا مناصب البلاد البنادر ويأخذ عن يتولاها الجعالات والهدايا وأخذ ايضا نظر وقف ازبك وغيره ولم يزل تحت نظره بعد انفصال محمد باشا خسرو واستمر المذكور على القراءة والاقراء حتى توفى اواخر السنة (ومات) الفاضل الشيخ عبد الرحمن الجمل وهو اخو الشيخ سليمان الجمل تفقه على اخيه ولازم دروسه وحضر غيره من اشياخ العصر ومشى على طريقة اخيه فى التقشف والانجماع عن خلطة الناس ولما مات اخوه وكان يملى الدروس بجامع المشهد الحسينى بين المغرب والعشاء على جمع من مجاورى الازهر والعامة تصدر للاقراء فى محله فى ذلك الوقت

فقرأ الشمايل والمواهب والجلالين ولم يزل على حالته حتى توفى ثانى عشر ذى الحجة ٢٣٠ (ومات) الشيخ المفيد محمد الاسناوى الشهير بجاد المولى ممن جاور بالازهر وحضر دروس اشياخ الوقت من اهل عصره ولازم الشيخ عبدالله الشرقاوى فى دروسه وبه تخرج وواظب عليه فى مجالس الذكر وتلقى عنه طريقة الخلوتية والبسه التاج وتقدم فى خطابة الجمعة والاعياد بالجامع الازهر بدلا من الشيخ عبدالرحمن البكرى عندما رفعوها عنه وخطب بجامع عمرو بمصر العتيقة يوم الاستسقاء عندما قصرت زيادة النيل فى سنة ثلاث وعشرين وتاخر فى الزيادة عن اوانه ولما حضر محمد باشا خسروا الى مصر وصلى صلاة الجمعة بالازهر فى سنة سبع عشرة خلع عليه بعد الصلاة فروة سمور فكان يخرجها من الخزنة ويلبسها وقت خطبة الجمعة والاعياد وواظب على قراءة الكتب للمبتدئين كالشيخ خالد والازهرية ثم قرأ شرح الاشمونى على الخلاصة واشتهر ذكره وعلا امره فى اقل زمن وكان فصيحا مفوها فى التقرير والالقاء لتفهيم الطلبة ولم يزل على حالة حميدة فى حسن السلوك والطريقة حتى توفى فى شهر الحجة وقد ناهز الاربعين

(سنة ثلاثين ومائتين والف)

(استهل المحرم بيوم الثلاثاء) (فى خامسه) وصل نجاب من الحجاز وعلى يده مكاتبات بالاخبار عن الباشا والحجاج بانهم حجوا ووقفوا بعرفة وقضوا

الدين ابن اخى صلاح الدين اسمه بوزابة فكثر جمعهم وقويت شوكتهم فلما اجتمعوا بلغت عدتهم مبلغا كثيرا وكلهم كاره لدولة الموحدين واتبعوا جميعهم على بن اسحق الملثم لانه من بيت المملكة والرياسة القديمة وانقادوا اليه ولقبوه باميرالمسلمين وقصدوا بلاد افريقية فملكوها جميعها شرقا وغربا الا مدينتين تونس والمهدية فان الموحدين اقاموا بها وحفظوها على خوف وضيق وشدة وانضاف الى المفسد الملثم كل مفسد فى تلك الارض ومن يريد الفتنة والنهب والفساد والشر فخربوا البلاد والحصون والقرى وهتكوا الحرم وقطعوا الاشجار وكان الوالى على افريقية حينئذ عبد الواحد بن عبدالله الهنتاتى وهو بمدينة تونس فارسل الى ملك المغرب يعقوب وهو بمراكش يعلمه الحال وقصد الملثم جزيرة باشرا وهى بقرب تونس تشتمل على قرى كثيرة فنازلها واحاط بها فطلب اهلها منه الامان فامنهم فلما دخلها العسكر نهبوا جميع ما فيها من الاموال والدواب والغلات وسلبوا الناس حتى ثيابهم وامتدت الايدى الى النساء والصبيان وتركوهم هلكى فقصدوا مدينة تونس فاما الاقوياء فكانوا يخدمون ويعملون ما يقوم بقوتهم واما الضعفاء فكانوا يستعطون ويسالون الناس ودخل عليهم فصل الشتاء فاهلكهم البرد ووقع فيهم الوباء فاحصى الموتى منهم فكانوا اثنى عشر الفا هذا من موضع واحد فما الظن بالباقى ولما استولى الملثم على افريقية قطع خطبة اولاد عبدالمؤمن وخطب للامام الناصر لدين الله الخليفة العباسى وارسل اليه يطلب الخلع والاعلام السود وقصد فى سنة اثنتين وثمانين مدينة قفصة فحصرها فاخرج اهلها الموحدين من عساكر ولد عبد المؤمن وسلموها الى الملثم فرتب فيها جندا من الملثمين والاتراك وحصنها بالرجال مع حصانتها فى البناء واما يعقوب بن يوسف بن عبدالمؤمن فانه لما وصله الخبر اختار من عساكره عشرين الف فارس من الموحدين وقصد قلة العسكر لقلة القوت فى البلاد ولما جرى فيها من التخريب والاذى وسار فى صفر سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة فوصل الى مدينة تونس وارسل ستة آلاف فارس مع ابن اخيه فساروا الى على بن اسحق الملثم ليقاتلوه وكان بقفصة فوافوه وكان مع الموحدين جماعة من الترك فخامروا عليهم فانهزم الموحدون وقتل جماعة من مقدميهم وكان ذلك فى ربيع الاول سنة ثلاث وثمانين فلما بلغ يعقوب الخبر اقام بمدينة تونس الى نصف رجب من السنة ثم خرج فيمن معه من العساكر يطلب الملثم والاتراك فوصل اليهم فالتقوا بالقرب من مدينة قابس واقتتلوا فانهزم الملثم ومن معه فاكثر الموحدون القتل حتى كادوا يفنونهم فلم ينج منهم الا القليل فقصدوا البر ورجع يعقوب من يومه الى قابس ففتحها واخذ منها اهل قراقوش واولاده وحملهم الى مراكش وتوجه الى مدينة قفصة فحصرها ثلاثة اشهر وقطع اشجارها وخرب ما حولها فارسل اليه الترك الذين فيها يطلبون الامان لانفسهم ولاهل البلد فاجابهم الى ذلك وخرج الاتراك منها سالمين وسير الاتراك الى الثغور لما رأى من شجاعتهم ونكايتهم فى العدو وتسلم يعقوب البلد وقتل من فيه من الملثمين وهدم اسواره وترك المدينة مثل قرية وظهر ما انذر به

المناسك (وفى تاسعه) حضر ابراهيم باشا من الجهة القبلية الى داره بالجمالية (وفى عاشره) يوم الخميس وصل فى ليلته قابجى وعلى يده تقرير للباشا من الحجاز الى ساحل القصير فضربوا لذلك مدافع من القلعة (وفى صبحها) خرج ابن الباشا وأخوه وكذلك اكابر دولتهم الى ناحية البساتين ومنهم من عدى النيل الى البر الغربى لملاقاته على مقتضى عادته فى مجيئه فى الحضور وعلى حساب مضى الايام من يوم وصوله الى القصير فغابوا فى انتظاره حتى انقضى النهار ثم رجعوا (وفى صبح اليوم الثانى) خرجوا ثم عادوا الى دورهم آخر النهار واستمروا على الخروج والرجوع ثلاثة ايام ولم يحضر وكثر لغط الناس عند ذلك واختلفت رواياتهم واقاويلهم مدة ايام ليلا ونهارا ثم ظهر كذب هذا الخبر وان الباشا لم يزل بارض الحجاز وقيل ان سبب اشاعة خبر مجيئه انه وصل الى ساحل القصير سفينة بها سبعة عشر شخصا من العسكر فسألهم الوكيل الكاشف بالقصير عن مجيئهم فاجابوه انهم مقدمة الباشا وانه واصل فى أثرهم فعندما سمع جوابهم أرسل خطابا الى كاتب من الاقباط بقنا يعرفه بقدوم الباشا فكتب ذلك القبطى خطابا الى وكيل شخص من أعيان كتبة الاقباط باسيوط يسمى المعلم بشارة فعندما وصله الجواب أرسل جوابا الى موكله بشارة المذكور بمصر بذلك الخبر وفى الحال طلع به الى القلعة وأعطاه لابراهيم باشا وكان

المهدى بن تومرت فانه قال انها تخرب اسوارها وتقطع أشجارها وقد تقدم ذكر ذلك فلما فرغ يعقوب من أمر قفصة واستقامت افريقية عاد الى مراكش وكان وصوله اليها سنة أربع وثمانين وخمسمائة

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة فارق الرضى ابو الخير اسمعيل القزوينى الفقيه الشافعى بغداد وكان مدرس النظامية بها وعاد الى قزوين ودرس فيها بعده الشيخ أبو طالب المبارك صاحب ابن الخل وكان من العلماء الصالحين وفيها كان بين أهل الكرخ ببغداد وبين أهل باب البصرة فتنة عظيمة جرح فيها كثير منهم وقتل ثم أصلح النقيب الظاهر بينهم وفيها توفى الفقيه مهذب الدين عبدالله بن اسعد الموصلى وكان عالما بمذهب الشافعى وله نظم ونثر اجاد فيه وكان من محاسن الدنيا وكانت وفاته بحمص

(ثم دخلت سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة)

(ذكر نقل العادل من حلب والملك العزيز الى مصر واخراج الافضل من مصر الى دمشق واقطاعه اياها)

فى هذه السنة اخرج صلاح الدين ولده الافضل عليا من مصر الى دمشق واقطعها له واخذ حلب من أخيه العادل وسيره مع ولده العزيز عثمان الى مصر وجعله نائبا عنه واستدعى تقى الدين منها وسبب ذلك انه كان قد استناب تقى الدين بمصر كما ذكرناه وجعل معه ولده الاكبر الافضل عليا فارسل تقى الدين يشكو من الافضل ويذكر انه قد عجز عن جباية الخراج معه لانه كان حليما كريما اذا اراد تقى الدين معاقبة احد منعه فاحضر ولده الافضل وقال لتقى الدين لا تحتج فى الخراج وغيره بحجة وتغير عليه بذلك وظن انه يريد اخراج ولده الافضل لينفرد بمصر حتى يملكها اذا مات صلاح الدين فلما قوى هذا الخاطر عنده احضر اخاه العادل من حلب وسيره الى مصر ومعه ولده العزيز عثمان واستدعى تقى الدين الى الشام فامتنع من الحضور وجمع الاجناد والعساكر ليسير الى المغرب الى مملوكه قراقوش وكان قد استولى على جبال نفوسة وبرقة وغيرها وقد كتب اليه يرغبه فى تلك البلاد فتجهز للسفر اليه واستصحب معه أجناد العسكر وأكثر منهم فلما سمع ذلك صلاح الدين ساءه وعلم انه ان أرسل اليه يمنعه لم يجبه فارسل اليه يقول له اريد ان تحضر عندى لاودعك وأوصيك بما تفعله فلما حضر عنده منعه وزاد فى اقطاعه فصار اقطاعه حماة ومنبج والمعرة وكفرطاب وميافارقين وجبل جور بجميع اعمالها وكان تقى الدين قد سير فى مقدمته مملوكه بوزابة فاتصل بقراقوش وكان منهم ما ذكرناه سنة احدى وثمانين وخمسمائة وقد بلغنى من خبير باحوال صلاح الدين انه انما حمله على أخذ حلب من العادل واعادة تقى الدين الى الشام ان صلاح الدين لما مرض بحران على ما ذكرناه أرجف بمصر انه قد مات فجرى من تقى الدين حركات من يريد أن يستبد بالملك فلما عوفى صلاح الدين بلغه ذلك فارسل الفقيه عيسى الهكارى

وكان كبير القدر عنده مطاعا في الجند الى مصر وأمره باخراج تقي الدين والمقام بمصر فسار مجدا فلم يشعر تقي الدين الا وقد دخل الفقيه عيسى الى داره بالقاهرة وأرسل اليه يأمره بالخروج منها فطلب ان يمهل الى ان يتجهز فلم يفعل وقال تقيم خارج المدينة وتتجهز فخرج وأظهر انه يريد الدخول الى الغرب فقال له اذهب حيث شئت فلما سمع صلاح الدين الخبر ارسل اليه يطلبه فسار الى الشام فاحسن اليه ولم يظهر له شيئا مما كان لانه كان حليما كريما صبورا رحمه الله واما أخذ حلب من العادل فان السبب فيه انه كان من جملة جندها امير كبير اسمه سليمان بن جندر بينه وبين صلاح الدين صحبة قديمة قبل الملك وكان صلاح الدين يعتمد عليه وكان عاقلا ذا مكر ودهاء فاتفق ان الملك العادل لما كان بحلب لم يفعل معه ما كان يظنه وقدم غيره عليه فتأثر بذلك فلما مرض صلاح الدين وعوفي سار الى الشام فسايره يوما سليمان بن جندر فجرى حديث مرضه فقال له سليمان باي رأي كنت تظن انك تمضي الى الصيد فلا يخالفونك بالله ما تستحي ان يكون الطائر أهدى منك الى المصلحة قال وكيف ذلك وهو يضحك قال اذا أراد الطائر ان يعمل عشا لفراخه قصد اعالي الشجر ليحمي فراخه وانت سلمت الحصون الى اهلك وجعلت اولادك على الارض هذه حلب بيد اخيك وحماة بيد تقي الدين وحمص بيد ابن شيركوه وابنك العزيز مع تقي الدين بمصر يخرجه اي وقت اراد وهذا ابنك الآخر مع اخيك في خيمة يفعل به ما اراد فقال له صدقت واكتم هذا الامر ثم اخذ حلب من اخيه واخرج تقي الدين من مصر ثم اعطى اخاه العادل حران والرها وميافارقين ليخرجه من الشام ومصر لتبقى لاولاده فلم ينفعه ما فعل لما اراد الله تعالى نقل الملك عن اولاده على ما نذكره

(ذكر وفاة البهلوان وملك اخيه قزل)

في هذه السنة في أولها توفي البهلوان محمد بن ايلدكز صاحب بلد الجبل والري واصفهان واذربيجان وارانية وغيرها من البلاد وكان عادلا حسن السيرة عاقلا حليما ذا سياسة حسنة للملك وكانت البلاد في ايامه آمنة والرعايا مطمئنة فلما مات جرى باصفهان بين الشافعية والحنفية من الحروب والقتل والاحراق والنهب ما يجل عن الوصف وكان قاضي البلد رأس الحنفية وابن الخجندي رأس الشافعية وكان بمدينة الري ايضا فتنة عظيمة بين السنية والشيعة وتفرق اهلها وقتل منهم وخربت المدينة وغيرها من البلاد ولما مات البهلوان ملك اخوه قزل ارسلان واسمه عثمان وكان السلطان طغرل بن ارسلان بن طغرل بن محمد بن ملكشاه مع البهلوان والخطبة له في البلاد بالسلطنة وليس له من الامر شيء وانما البلاد والامراء والاموال بحكم البهلوان فلما مات البهلوان خرج طغرل عن حكم قزل ولحق به جماعة من الامراء والجند فاستولى على بعض البلاد وجرت بينه وبين قزل حروب نذكرها ان شاء الله تعالى

(ذكر اختلاف الفرنج بالشام وانحياز القمص صاحب طرابلس الى صلاح الدين)

فانتقل به ابراهيم باشا الى مجلس كتخدا بك تخلع كتخدا بك على بشارة خلعة وأمر بضرب المدافع ونزلت المبشرون وانتشروا بالبشائر الى بيوت الاعيان وأخذوا البقاشيش ولما حصل التراخي والتباطؤ والتأخر في الحضور بعد الاشاعة أخذ الناس في اختلاف الروايات والاقاويل كعادتهم فمنهم من يقول انه حضر مهزوما ومنهم من يقول مجروحا ومنهم من يثبت موته والشئ الذي أوجب في الناس هذه التخليطات ماشاهدوه من حركات اهل الدولة وانتقال نسائهم من المدينة وطلوعهم الى القلعة بمتاعهم واخلاء الكثير منهم البيوت وانتقال طائفة الارنؤد من الدور المتباعدة واجتماعهم وسكناهم بناحية خطة عابدين وكذلك انتقل ابراهيم باشا الى القلعة ونقل اليها الكثير من متاعه واغرب من هذا كله اشاعة اتفاق عظماء الدولة على ولاية ابراهيم باشا على الاحكام عوضا عن أبيه في يوم الخميس و رتبوا له موكبا يركب فيه ذلك اليوم و يشق من وسط المدينة واجتمع الناس للفرجة عليه واصطفوا على المساطب والدكاكين فلم يحصل وظهر كذب ذلك كله وبطلانه واتفق في اثناء ذلك من زيادة الاوهام والتخيلات ان رضوان كاشف المعروف بالشعراوي سد باب داره التي بالشارع بخط باب الشعرية وفتح له بابا صغيرا من داخل العطفة التي بظاهره فاوشى بعض مبغضيه الى كتخدا بك

فملته في هذا الوقت والناس يزدادبهم الوهم ويعتقدون صحة مادار بينهم من الاكاذيب وخصوصا كونه من الاعيان المعروفين فطلبه كتخدا بك وقال له لاي شئ سددت باب دارك وما الذي قاله المنجم لك فقال ان طائفة من العسكر تشاجروا بالخطة ودخلوا الى الدار وأزعجونا فسددتها من ناحية الشارع بعدها من الشر وخوفا مما جرى على داري سابقا من النهب فلم يلتفت لكلامه وأمر بقتله فشفع فيه صالح بك السلحدار وحسن أغا محرم فعفا عنه من القتل وأمر بضربه فبطحوه وضربوه بالعصي ثم نزل بصحبته الاغا الى داره وفتح الباب كما كان (وفي رابع عشرينه) وصلت مكاتبات من الديار الحجازية من عند الباشا وخلافه مؤرخة في ثالث عشر ذي الحجة يذكرون فيها أن الباشا بمكة وطوسون باشا ابنه بالمدينة وحسن باشا وأخاه عابدين بك وخلافهم بالكلخة ما بين الطائف وتربة

•(واستهل شهر صفر الخير بيوم الخميس سنة ١٢٣٠)•

في خامس عشرينه نودي بنقص مصارفة أصناف المعاملة وقد وصل صرف الريال الفرانسه من الفضة العددية الى ثلثمائة وأربعين نصفا منها ثمانية قروش ونصف فنودي عليه بنقص نصف قرش والمحبوب وصل الى عشرة قروش فنودي عليه بتسعة قروش وشددوا في هذه المناداة تشديدا زائدا وقتل كل من زاد على ذلك من غير لذلك

كان القمص صاحب طرابلس واسمه ريمند بن ريمند الصنجيلي قد تزوج بالقومصة صاحبة طبرية وانتقل اليها واقام عندها بطبرية ومات ملك الفرنج بالشام وكان مجذوما واوصى بالملك الى ابن اخت له وكان صغيرا فكفله القمص وقام بسياسة الملك وتدبيره لانه لم يكن للفرنج ذلك الوقت اكبر منه شانا ولا اشجع ولا اجود رايا منه فطمع في الملك بسبب هذا الصغير فاتفق ان الصغير توفي فانتقل الملك الى امه فبطل ما كان القمص يحدث نفسه به ثم ان هذه الملكة هويت رجلا من الفرنج الذين قدموا الشام من الغرب اسمه كي فتزوجته ونقلت الملك اليه وجعلت التاج على راسه واحضرت البطرك والقسوس والرهبان والاسبتارية والداوية والبارونية واعلمتهم انها قد ردت الملك اليه واشهدتهم عليها بذلك فاطاعوه ودانوا له فعظم ذلك على القمص وسقط في يديه وطولب بحساب ما جبى من الاموال مدة ولاية الصبي فادعى انه انفقه عليه وزاده ذلك نفورا وجاهر بالمشاققة والمباينة وواسل صلاح الدين وانتمى اليه واعتضد به وطلب منه المساعدة على بلوغ غرضه من الفرنج ففرح صلاح الدين والمسلمون بذلك ووعده النصرة والسعي له في كل ما يريد وضمن له انه يجعله ملكا مستقلا للفرنج قاطبة وكان عنده جماعة من فرسان القمص فاطلقهم فحل ذلك عنده اعظم محل واظهر طاعة صلاح الدين ووافقه على ما فعل جماعة من الفرنج فاختلفت كلمتهم وتفرق شملهم وكان ذلك من اعظم الاسباب الموجبة لفتح بلادهم واستنقاذ البيت المقدس منهم على ما نذكره ان شا الله وسير صلاح الدين السرايا من ناحية طبرية فشنت الغارات على بلاد الفرنج وخرجت سالمة غانمة فوهن الفرنج بذلك وضعفوا وتجرأ المسلمون عليهم وطمعوا فيهم

•(ذكر غدر البرنس ارناط)•

كان البرنس ارناط صاحب الكرك من اعظم الفرنج واخبثهم واشدهم عداوة للمسلمين واعظمهم ضررا عليهم فلما رأى صلاح الدين ذلك منه قصده بالحصر مرة بعد مرة وبالغارة على بلاده كرة بعد اخرى فذل وخضع وطلب الصلح من صلاح الدين فاجابه الى ذلك وهادنه وتحالفا وترددت القوافل من الشام الى مصر ومن مصر الى الشام فلما كان هذه السنة اجتاز به قافلة عظيمة غزيرة الاموال كثيرة الرجال ومعها جماعة صالحة من الجند فغدر اللعين بهم واخذهم عن آخرهم وغنم اموالهم ودوابهم وسلاحهم واودع السجون من أسره منهم فارسل اليه صلاح الدين يلومه ويقبح فعله وغدره ويتوعده ان لم يطلق الاسرى والاموال فلم يجب الى ذلك واصر على الامتناع فنذر صلاح الدين نذرا أن يقتله ان ظفر به فكان ما نذكره ان شاء الله تعالى

•(ذكر عدة حوادث)•

كان المنجمون قديما وحديثا قد حكموا ان هذه السنة التاسع والعشرين من جمادى الآخرة تجتمع الكواكب الخمسة في برج الميزان ويحدث باقترانها رياح شديدة فلم يكن

معارضة وكتبوا امراسيم الى جميع البنادر وفيها التشديد والتهديد والانتقام ممن يزيد (وفي أواخره) التزم المعلم غالي

عمال الجزية التي تطلب من النصارى على خمسة وثمانين كيسا وسبب ذلك ان بعض اتباع المقيد لقبض الجوالي قبض على شخص من النصارى وكان من قسوسهم وشدد عليه في الطلب واهانه فانهوا الامر الى المعلم غالي ففعل ذلك قصدا لمنع الايذاء عن ابناء جنسه و يكون الطلب منه عليهم ومنع المتظاهرين بالاسلام عنهم

(واستهل شهر ربيع الاول بيوم السبت سنة ١٢٣٠)

في تاسعه وصلت قافلة طيارى من الحجاز قدم صحبتها السيد عبدالله الافغاني ومعها هجانة من الحجاز وعلى يدهم مكاتبات وفيها الاخبار والبشرى بنصرة الباشا على العرب وانه استولى على تربة وغنم منها جمالا وغنائم واخذ منهم اسرى فلما وصلت الاخبار بذلك انطلق المبشرون الى بيوت الاعيان لاخذ البقاشيش وضربوا في صبحها مدافع كثيرة من القلعة (وفي يوم الثلاثاء حادى عشره) كان المولد النبوي فنودي في صبحه بزينة المدينة وبولاق ومصر القديمة ووقود القناديل والسهر ثلاثة أيام بلياليها فلما أصبح يوم الاربعاء والزينة بحالها الى بعد أذان العصر نودي برفعها ففرح أهل الاسواق بازالتها ورفعها لما يحصل لهم من التكاليف

لذلك صحة ولم يهب من الرياح شئ البتة حتى ان الغلال الحنطة والشعير تأخر نجازها لعدم الهواء الذي يذري به الفلاحون فأكذب الله احدوثة المنجمين وأخزاهم وفيها توفي عبدالله بن بري بن عبد الجبار بن بري النحوي المصري وكان اماما في النحو رحمه الله تعالى

(ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة)

اتفق أول هذه السنة يوم السبت وهو يوم النوروز السلطاني ورابع عشر اذار سنة ألف وار بعمائة وثمان وتسعين اسكندرية وكان القمر والشمس في الحمل واتفق اول سنة العرب وأول سنة الفرس التي جددوها اخيرا واول سنة الروم والشمس والقمر في أول البروج وهذا يبعد وقوع مثله

(ذكر حصر صلاح الدين الكرك)

في هذه السنة كتب صلاح الدين الى جميع البلاد يستنفر الناس للجهاد وكتب الى الموصل وديار الجزيرة واربل وغيرها من بلاد الشرق والى مصر وسائر بلاد الشام يدعوهم الى الجهاد ويحثهم عليه ويامرهم بالتجهز له بغاية الامكان ثم خرج من دمشق أواخر المحرم في عسكرها وحلقتها الخاص فسار الى رأس الماء وتلاحقت به العساكر الشامية فلما اجتمعوا جعل عليهم ولده الملك الافضل عليا ليجتمع اليه من يرد اليه منها وسار هو الى بصرى جريدة وكان سبب مسيره وقصده اليها انه أتته الاخبار ان البرنس ارناط صاحب الكرك يريدان يقصد الحجاج ليأخذهم من طريقهم واظهر انه اذا فرغ من أخذ الحجاج يرجع الى طريق العسكر المصري يصدهم عن الوصول الى صلاح الدين فسار الى بصرى ليمنع البرنس ارناط من طلب الحجاج و يلزم بلده خوفا عليه وكان من الحجاج جماعة من اقاربه منهم محمد بن لاجين وهو ابن اخت صلاح الدين وغيره فلما سمع ارناط بقرب صلاح الدين من بلده لم يفارقه وانقطع عما طمع فيه فوصل الحجاج سالمين فلما وصلوا وفرغ سره من جهتهم سار الى الكرك و بث سراياه من هناك على ولاية الكرك والشوبك وغيرهما فنهبوا وخربوا واحرقوا والبرنس محصور لا يقدر على المنع عن بلده وسائر الفرنج قد لزموا طرق بلادهم خوفا من العسكر الذي مع ولده الافضل فتمكن من الحصر والنهب والحريق والتخريب هذا فعل صلاح الدين

(ذكر الغارة على بلد عكا)

ارسل صلاح الدين الى ولده الافضل يأمره ان يرسل قطعة صالحة من الجيش الى بلد عكا ينهبونه ويخربونه فسير مظفر الدين كوكبرى بن زين الدين وهو صاحب حران والرها وأضاف اليه قايماز النجمي ودلدرم الياقوتي وهما من اكابر الامراء وغيرهما وساروا ليلا وصبحوا صفورية أواخر صفر فخرج اليهم الفرنج في جمع من الداوية والاسبتارية وغيرهما فالتقوا هناك وجرت بينهم حرب تشيب لها المفارق السود ثم أنزل الله تعالى

والسهر في البرد والهواء خمرصا وقد حصل في آخر ليلة رياح شديدة باردة (وفي هذه الايام) سافر محمود بك

والمعلم غالي ومن يصحبهما من
النصارى الاقباط وأخذوا
معهم طائفة من الكتبة
الافندية المختصين بالروزنامه
ومنهم محمد افندي ابن حسين
افندي المنفصل عن الروزنامه
ونزلوا لاعادة قياس الاراضي
وتحرير الري والشراقي وسبقهم
القياسون بالاقصاب نزلوا
وسرحوا قبلهم بنحو عشرة
أيام وشرع كشاف النواحي
في قبض الترويجة من المزارعين
وفرضوا على كل فدان
الادنى تسعة ريالات الى خمسة
عشر بحسب جودة الاراضي
ورداءتها وهذا الطلب في غير
وقته لانه لم يحصل حصاد
للزرع وليس عند الفلاحين
ما يقتاتون منه ومن العجب
انه لم يقع مطر في هذه السنة
ابدا ومضت ايام الشتاء ودخل
فصل الربيع ولم يقع غيث ابدا
سوى ما كان يحصل في بعض
الايام من غيوم واهوية
غريبة ينزل مع هبوبها بعض
رشاش قليل لا تبتل الارض
منه ويجف بالهواء بمجرد
نزوله (وفي أواخره) ورد
لحضرة الباشا هدية من بلاد
الانكليز وفيها طيور مختلفة
الاجناس والاشكال كبار
وصغار وفيها ما يتكلم
ويحاكي وآلة مصنوعة لنقل
الماء يقال لها الطلمبه وهي تنقل
الماء الى المسافة البعيدة ومن الاسفل الى العلو ومرآة زجاج بخف كبيرة قطعة واحدة

الجمع

نصره على المسلمين فانهزم الفرنج وقتل منهم جماعة وأسر الباقون وفيمن قتل مقدم الاسبتارية وكان من فرسان الفرنج المشهورين وله النكايات العظيمة في المسلمين ونهب المسلمون ما جاورهم من البلاد وغنموا وسبوا وعادوا سالمين وكان عودهم على طبرية وبها القمص فلم يشكر ذلك فكان فتحا كثيرا فان الداوية والاسبتارية هم جمرة الفرنج وسيرت البشائر الى البلاد بذلك

(ذكر عود صلاح الدين الى عسكره ودخوله الى الفرنج)

لما اتت صلاح الدين البشارة بهزيمة الاسبتارية والداوية وقتل من قتل منهم واسر من اسر منهم عاد عن الكرك الى العسكر الذي مع ولده الملك الافضل وقد تلاحقت سائر الامراء والعساكر واجتمع بهم وساروا جميعا وعرض العسكر فبلغت عدتهم اثني عشر الف فارس ممن له الاقطاع والجامكية سوى المتطوعة فعبى عسكره قلبا وجناحين وميمنة وميسرة وجاليشية وساقة وعرف كل منهم موضعه وموقفه وامره بملازمته وسار على تعبية فنزل بالاقحوانة بقرب طبرية وكان القمص قد انتمى الى صلاح الدين كما ذكرنا وكتبه متصلة اليه يعده النصرة ويمنيه المعاضدة وما يعدهم الشيطان الا غرورا فلما راى الفرنج العساكر الاسلامية وتصميم العزم على قصد بلادهم ارسلوا الى القمص البطرك والقسوس والرهبان وكثيرا من الفرسان فانكروا عليه انتماءه الى صلاح الدين وقالوا له لا شك اسلمت والا لم تصبر على فعل المسلمين امس بالفرنج يقتلون الداوية والاسبتارية ويأسرونهم ويجتازون بهم عليك وانت لا تنكر ذلك ولا تمنع عنه ووافقهم على ذلك من عنده من عسكر طبرية وطرابلس وتهدده البطرك انه يحرمه ويفسخ عليه نكاح زوجته الى غير ذلك من التهديد فلما راى القمص شدة الامر عليه خاف واعتذر وتنصل وتاب فقبلوا عذره وغفروا زلته وطلبوا منه الموافقة على المسلمين والمؤازرة على حفظ بلادهم فاجابهم الى المصالحة والانضمام اليهم والاجتماع بهم وسار معهم الى ملك الفرنج واجتمعت كلمتهم بعد فرقتهم ولم تغن عنهم من الله شيئا وجمعوا فارسهم وراجلهم ثم ساروا من عكا الى صفورية وهم يقدمون رجلا ويؤخرون اخرى قد ملئت قلوبهم رعبا

(ذكر فتح صلاح الدين طبرية)

لما اجتمع الفرنج وساروا الى صفورية جمع صلاح الدين امراءه واستشارهم فاشار اكثرهم عليه بترك اللقاء وان يضعف الفرنج بشن الغارات واخراب الولايات مرة بعد مرة فقال له بعض امرائه الراى عندي اننا نجوس بلادهم وننهب ونخرب ونحرق ونسبي فان وقف احد من عسكر الفرنج بين ايدينا لقيناه فان الناس بالمشرق يلعنوننا ويقولون ترك قتال الكفار واقبل يريد قتال المسلمين والراى ان نفعل فعلا نعذر فيه ونكف الالسنة عنا فقال صلاح الدين الراى عندي ان نلقى بجمع المسلمين جمع الكفار فان الامور لا تجري بحكم الانسان ولا نعلم قدر الباقي من اعمارنا ولا ينبغي ان نفرق هذا

الجمع الابعد الجد بالجهاد ثم رحل من الاقحوانة اليوم الخامس من نزوله بها وهو يوم
الخميس لسبع بقين من ربيع الآخر فسار حتى خلف طبرية وراء ظهره وصعد جبلها
وتقدم حتى قارب الفرنج فلم ير منهم احدا ولا فارقوا خيامهم فنزل وأمر العسكر بالنزول
فلما جنه الليل جعل فى مقابل الفرنج من يمنعهم من القتال ونزل بجريدة الى طبرية وقاتلها
ونقب بعض ابراجها واخذ المدينة عنوة فى ليلة ولجا من بها الى القلعة التى لها فامتنعوا
بها وفيها صاحبتها ومعها اولادها فنهب المدينة واحرقها فلما سمع الفرنج بنزول صلاح
الدين الى طبرية وملكه المدينة وأخذ ما فيها واحراقها واحراق ما تخلف مما لا يحمل
اجتمعوا للمشورة فاشار بعضهم بالتقدم الى المسلمين وقتالهم ومنعهم عن طبرية فقال
القمص ان طبرية لى ولزوجتى وقد فعل صلاح الدين بالمدينة ما فعل وبقى القلعة وفيها
زوجتى وقد رضيت ان ياخذ القلعة وزوجتى وما لنا بها ويعود فوالله لقد رأيت عساكر
الاسلام قديما وحديثا ما رأيت مثل هذا العسكر الذى مع صلاح الدين كثرة وقوة واذا
أخذ طبرية لا يمكنه المقام بها فمتى فارقها وعادعنها اخذناها وان اقام بها لا يقدر على المقام
بها الا بجميع عساكره ولا يقدرون على الصبر طول الزمان عن أوطانهم واهليهم فيضطر
الى تركها ونفتك من اسر منا فقال له برنس ارناط صاحب الكرك قد اطلت فى
التخويف من المسلمين ولا شك انك تريدهم وتميل اليهم والا ما كنت تقول هذا واما
قولك انهم كثيرون فان النار لا يضرها كثرة الحطب فقال انا واحد منكم ان تقدمتم
تقدمت وان تاخرتم تاخرت وسترون ما يكون فقوى عزمهم على التقدم الى المسلمين
وقتالهم فرحلوا من معسكرهم الذى لزموه وقربوا من عساكر الاسلام فلما سمع صلاح
الدين بذلك عاد عن طبرية الى عسكره وكان قريبا منه وانما كان قصده بمحاصرة طبرية
ان يفارق الفرنج مكانهم ليتمكن من قتالهم وكان المسلمون قد نزلوا على الماء والزمان
قيظ شديد الحر فوجد الفرنج العطش ولم يتمكنوا من الوصول الى ذلك الماء من المسلمين
وكانوا قد افنوا ما هناك من ماء الصهاريج ولم يتمكنوا من الرجوع خوفا من المسلمين
فبقوا على حالهم الى الغد وهو يوم السبت وقد اخذ العطش منهم وأما المسلمون فانهم
طمعوا فيهم وكانوا من قبل يخافونهم فباتوا يحرض بعضهم بعضا وقد وجدوا
ريح النصر والظفر وكلما رأوا حال الفرنج خلاف عادتهم مما ركبهم من الخذلان زاد
طمعهم وجرأتهم فاكثروا التكبير والتهليل طول ليلتهم ورتب السلطان تلك الليلة
الجاليشية وفرق فيهم النشاب

(ذكر انهزام الفرنج بحطين)

اصبح صلاح الدين والمسلمون يوم السبت لخمس بقين من ربيع الآخر فركبوا
وتقدموا الى الفرنج فركب الفرنج ودنا بعضهم من بعض الا ان الفرنج قد اشتد بهم
العطش وانخذلوا فاقتتلوا واشتد القتال وصبر الفريقان ورمى جاليشية المسلمين من
النشاب ما كان كالجراد المنتشر فقتلوا من خيول الفرنج كثيرا هذا القتال بينهم

وساعة تضرب مقامات موسيقى فى كل ربع يمضى من الساعة بانغام مطربة
وشمعدان به حركة غريبة كلما
طالت فتيلة الشمعة تحرز بحركة
لطيفة فيخرج منه شخص لطيف
من جانبه فيقطراس الفتيلة
بمقص لطيف بيده ويعود
راجعا الى داخل الشمعدان
هذا ما بلغنى عمن ادعى انه
شاهد ذلك (وفيه) عملوا تسعيرة
على المبيعات والماكولات مثل
اللحم والسمن والجبن والشمع
ونادوا بنقص اسعارها نقصا
فاحشا وشددوا فى ذلك
بالتنكيل والشنق والتعليق
وخرم الآناف فارتفع السمن
والزبد والزيت من الحوانيت
وأخفوه وطفقوا يبيعونه فى
العشيات بالسعر الذى يختارونه
على الزبون وأما السمن
فلكثرة طلبه لاهل الدولة
شح وجوده واذا ورد منه شئ
خطفوه وأخذوه من الطريق
بالسعر الذى سعره الحكام
وانعدم وجوده عند القبانية واذا
بيع منه شئ بيع سرا باقصى
الثمن وأما السكر والصابون
فبلغا الغاية فى غلو الثمن وقلة
الوجود لان ابراهيم باشا احتكر
السكر باجمعه الذى ياتى من
الصعيد وليس بغير الجهة
القبلية شئ منه فيبيعه على
ذمته وهو فى الحقيقة لابيه ثم
صار نفس الباشا يعطى لاهل
المطابخ بالثمن الذى يعنيه
عليهم ويشاركهم فى ربحه
فزاد غلو ثمنه على الناس وبيع
الرطل من السكر الصعيدى الذى كان يباع بخمسة أنصاف فضة بثمانين نصفا وأما

الصابون ففرضوا على تجاره غرامة فامتنع وجوده وبيع الرطل الواحد منه خفية بستين نصفا واكثر وفى هذه
الايام غلا سعر الحنطة والفول
وبيع الاردب بالف ومائتى
نصف فضة خلاف الكلف
والاجرة مع ان الاهراء والشون
ببولاق ملآنة بالغلال
ويأكلها السوس ولا يخرجون
منها للبيع شيئا حتى قيل
لكتخدا بك فى اخراج شئ
منها يباع فى الناس فلم ياذن
وكانه لم يكن ماذونا من مخدومه
•(واستهل شهر ربيع الثانى
بيوم الاثنين سنة ١٢٣٠)
فى ثامنه عمل محرم بك
الكورنتينه بالجيزة على نسق
السنة الماضية من اخراج
الناس وازعاجهم تطيرا وخوفا
من الطاعون (وفيه) خوزقوا
شيخ عرب بلى فيما بين قبة
العزب والهمايل بعد حبسه
أربعة أشهر (وفى يوم الجمعة
ثامن عشرينه) ضربت
مدافع وأشيع الخبر بوصول
شخص عسكرى بمكاتبات
من الباشا وخلافه والخبر
بقدوم الباشا وانتشرت المبشرون
الى بيوت الاعيان واصحاب
المظاهر على عاداتهم لاخذ
البقاشيش فمن قائل انه وصل
الى القصير ومن قائل انه نزل
الى السفينة بالبحر ومنهم من
يقول انه حضر الى السويس
ثم اختلفت الروايات وقالوا
ان الذى وصل الى السويس
حريم الباشا فقط ثم تبين كذب هذه الاقاويل وانها مكاتبات فقط مؤرخة اواخر شهر صفر

والفرنج قد جمعوا نفوسهم براجلهم وهم يقاتلون سائرين نحو طبرية لعلهم يردون
الماء فلما علم صلاح الدين مقصدهم صدهم عن مرادهم ووقف بالعسكر فى وجوههم
وطاف بنفسه على المسلمين يحرضهم ويامرهم بما يصلحهم وينهاهم عما يضرهم والناس
يأتمرون لقوله ويقفون عند نهيه فحمل مملوك من مماليكه الصبيان حملة منكرة على
صف الفرنج فقاتل قتالا عجب منه الناس ثم تكاثر الفرنج عليه فقتلوه فحين قتل حمل
المسلمون حملة منكرة ضعضعوا الكفار وقتلوا منهم كثيرا فلما راى القمص شدة الامر
علم انهم لا طاقة لهم بالمسلمين فاتفق هو وجماعة وحملوا على من يليهم وكان المقدم من
المسلمين فى تلك الناحية تقى الدين عمر ابن أخى صلاح الدين فلما رأى حملة الفرنج
حملة مكروب علم انه لا سبب الى الوقوف فى وجوههم فامر اصحابه ان يفتحوا لهم طريقا
يخرجون منه وكان بعض المتطوعة قد القى فى تلك الارض نارا وكان الحشيش كثيرا
فاحترق وكانت الريح فحملت حر النار والدخان اليهم فاجتمع عليهم العطش وحر
الزمان وحر النار والدخان وحر القتال فلما انهزم القمص سقط فى ايديهم وكادوا
يستسلمون ثم علموا انهم لا ينجيهم من الموت الا الاقدام عليه فحملوا حملات متداركة
كادوا يزيلون المسلمين على كثرتهم عن مواقفهم لولا لطف الله بهم الا ان الفرنج
لا يحملون حملة فيرجعون الا وقد قتل منهم فوهنوا لذلك وهنا عظيما فاحاط بهم المسلمون
احاطة الدائرة بقطرها فارتفع من بقى من الفرنج الى تل بناحية حطين وارادوا ان
ينصبوا خيامهم ويحموا نفوسهم به فاشتد القتال عليهم من سائر الجهات ومنعوهم
عما ارادوا ولم يتمكنوا من نصب خيمة غير خيمة ملكهم لا غير واخذ المسلمون
صليبهم الاعظم الذى يسمونه صليب الصلبوت ويذكرون ان فيه قطعة من الخشبة
التى صلب عليها المسيح عليه السلام بزعمهم فكان اخذه عندهم من اعظم المصائب
عليهم وايقنوا بعده بالقتل والهلاك هذا والقتل والاسر يعملان فى فرسانهم ورجالتهم
فبقى الملك على التل فى مقدار مائة وخمسين فارسا من الفرسان المشهورين والشجعان
المذكورين فحكى عن الملك الافضل ولد صلاح الدين قال كنت الى جانب ابى فى
ذلك المصاف وهو اول مصاف شاهدته فلما صار ملك الفرنج على التل فى تلك الجماعة
حملوا حملة منكرة على من بازائهم من المسلمين حتى الحقوهم بوالدى قال فنظرت اليه
وقد علته كآبة واربد لونه وامسك بلحيته وتقدم وهو يصيح كذب الشيطان قال فعاد
المسلمون على الفرنج فرجعوا فصعدوا الى التل فلما رايت الفرنج قد عادوا والمسلمون
يتبعونهم صحت من فرحى هزمناهم فعاد الفرنج فحملوا حملة ثانية مثل الاولى الحقوا
المسلمين بوالدى وفعل مثل مافعل اولا وعطف المسلمون عليهم فالحقوهم بالتل
فصحت انا ايضا هزمناهم فالتفت والدى الى وقال اسكت ما نهزمهم حتى تسقط تلك
الخيمة قال فهو يقول لى واذا الخيمة قد سقطت فنزل السلطان وسجد شكرا لله تعالى
فبكى من فرحه وكان سبب سقوطها ان الفرنج لما حملوا تلك الحملات ازدادوا عطشا
وقد كانوا يرجون الخلاص فى بعض تلك الحملات مما هم فيه فلم يجدوا الى الخلاص

طريقا

يذكرون فيها ان الباشا حصل له نصر واستولى على ناحية يقال لها تبيشة ورنية وقتل الكثير من الوهابيين وانه عازم على الذهاب الى ناحية قنفدة ثم ينزل بعد ذلك الى البحر ويأتى الى مصر ووصل الخبر بوفاة الشيخ ابراهيم كاتب الصرة

(واستهل شهر جمادى الاولى بيوم الثلاثاء سنة ١٢٣٠)

فى سادسه يوم الاحد ضربت مدافع بعد الظهيرة لورود مكاتبة بان الباشا استولى على ناحية من النواحى جهة قنفدة (وفى يوم الجمعة ثامن عشره) وصل المحمل الى بركة الحج وصحبته من بقى من رجال الركب مثل خطيب الجبل والصيرفى والمحملجية ووردت مكاتبات بالقبض على طامى الذى جرى منه ما جرى فى وقائع قنفدة السابقة وقتله العساكر فلم يزل راجح الذى اصطلح مع الباشا ينصب له الحبائل حتى صاده وذلك انه عمل لابن اخيه مبلغا من المال ان هو اوقعه فى شركه فعمل له وليمة ودعاه الى محله فأتاه آمنا فقبض عليه واعتقله طمعا فى المال وأتوا به الى حضرة الباشا فوجهه الى بندر جدة فى الحال وأنزلوه السفينة وحضروا به الى السويس وعجلوا بحضوره فلما وصل الى البركة والمحمل اذ ذاك بها خرجت جميع العساكر فى ليلة الاثنين حادى عشرينه وانجروا فى صبحها طوائف وخلفهم المحمل وبعد مرورهم

طريقا فنزلوا عن دوابهم وجلسوا على الارض فصعد المسلمون اليهم فالقوا خيمة الملك وأسروهم عن بكرة أبيهم وفيهم الملك وأخوه والبرنس أرناط صاحب الكرك ولم يكن فى الفرنج أشد منه عداوة للمسلمين وأسروا أيضا صاحب جبيل وابن هنفرى ومقدم الداوية وكان من أعظم الفرنج شأنا وأسروا أيضا جماعة من الداوية وجماعة من الاسبتارية وكثر القتل والاسر فيهم فكان من يرى القتلى لا يظن انهم أسروا واحدا ومن يرى الاسرى لا يظن انهم قتلوا أحدا وما أصيب الفرنج منذ خرجوا الى الساحل وهو سنة احدى وتسعين وأربعمائة الى الآن بمثل هذه الوقعة فلما فرغ المسلمون منهم نزل صلاح الدين فى خيمته وأحضر ملك الفرنج عنده وبرنس صاحب الكرك وأجلس الملك الى جانبه وقد أهلكه العطش فسقاه ماء مثلوجا فشرب وأعطى فضله برنس صاحب الكرك فشرب فقال صلاح الدين ان هذا الملعون لم يشرب الماء باذنى فينال أمانى ثم كلم البرنس وقرعه بذنوبه وعدد عليه غدراته وقام اليه بنفسه فضرب رقبته وقال كنت نذرت دفعتين أن أقتله ان ظفرت به احداهما لما أراد المسير الى مكة والمدينة والثانية لما اخذ القفل غدرا فلما قتله وسحب واخرج ارتعدت فرائص الملك فسكن جأشه وامنه واما القمص صاحب طرابلس فانه لما نجا من المعركة كما ذكرناه وصل الى صور ثم قصد طرابلس ولم يلبث الا اياما قلائل حتى مات غيظا وحنقا مما جرى على الفرنج خاصة وعلى دين النصرانية عامة

(ذكر عود صلاح الدين الى طبرية وملك قلعتها مع المدينة)

لما فرغ صلاح الدين من هزيمة الفرنج اقام بموضعه باقى يومه واصبح يوم الاحد عاد الى طبرية ونازلها فارسلت صاحبتها تطلب الامان لها ولاولادها واصحابها ومالها فاجابها الى ذلك فخرجت بالجميع فوفى لها فسارت آمنة ثم امر بالملك وجماعة من اعيان الاسرى فارسلوا الى دمشق وامر بمن اسر من الداوية والاسبتارية ان يجمعوا ليقتلهم ثم علم ان من عنده اسير لا يسمح به لما يرجو من فدائه فبذل فى كل اسير من هذين الصنفين خمسين دينارا مصرية فاحضر عنده فى الحال مائتا اسير منهم فامر بهم فضربت اعناقهم وانما خص هؤلاء بالقتل لانهم اشد شوكة من جميع الفرنج فاراح الناس من شرهم وكتب الى نائبه بدمشق ليقتل من دخل البلد منهم سواء كان له او لغيره ففعل ذلك ولقد اجتزت بموضع الوقعة بعدها بنحو سنة فرايت الارض ملأى من عظامهم تبين على البعد منها المجتمع بعضه على بعض ومنها المفترق هذا سوى ما جحفته السيول واخذته السباع فى تلك الآكام والوهاد

(ذكر فتح مدينة عكا)

لما فرغ صلاح الدين من طبرية سار عنها يوم الثلاثاء ووصل الى عكا يوم الاربعاء وقد صعد أهلها على سورها يظهرون الامتناع والحفظ فعجب هو والناس من ذلك لانهم

دخلوا بطائفة المذكور وهو راكب على هجين وفى رقبته الحديد والجنزير مربوط فى عنق الهجين وصورته رجل شهم عظيم اللحية وهو لابس عباءة عبدانية ويقرأ وهو راكب وعملوا فى ذلك اليوم شنكا ومدافع وحضر أيضا عابدين بك وتوجه الى داره فى ليلة الاثنين

(واستهل شهر جمادى الثانية يوم الخميس سنة ١٢٣٠)

فى خامسه وصلت عساكر فى داوات الى السويس وحضروا الى مصر وعلى رؤسهم شلنجات فضة اعلاما واشارة بانهم مجاهدون وعائدون من غزو الكفار وانهم افتتحوا بلاد الحرمين وطردوا المخالفين لديانتهم حتى ان طوسون باشا وحسن باشا كتبا فى امضائهما على المراسلات بعد اسمهما لفظة المغازى والله اعلم بخلقه (وفى تاسعه) اخرجوا عساكر كثيرة وجوههم الى الثغور ومحافظة الاسكل خوفا من طارق يطرق الثغور لانه اشيع ان بونابارته كبير الفرنساوية خرج من الجزيرة التى كان بها ورجع الى فرانسا وملكها وأغار على بلاد الجورنه وخرج بعمارة كبيرة لا يعلم قصده الى اى جهة يريد فربما طرق ثغر الاسكندرية اودمياط على حين غفلة وقيل غير ذلك وسئل كتخدا بك عن سبب خروجهم فقال خوفا عليهم من الطاعون ولئلا يوخموا المدينة لانه وقع فى هذه السنة

علموا ان عساكرهم من فارس وراجل بين قتيل واسير وانهم لم يسلم منهم الا القليل الا انه نزل يومه وركب يوم الخميس وقد صمم على الزحف الى البلد وقتاله فبينما هو ينظر من أين يزحف ويقاتل اذ خرج كثير من أهلها يضرعون ويطلبون الامان فاجابهم الى ذلك وأمنهم على انفسهم وأموالهم وخيرهم بين الاقامة والظعن فاختاروا الرحيل خوفا من المسلمين وساروا عنها متفرقين وحملوا ما أمكنهم حمله من أموالهم وتركوا الباقى على حاله ودخل المسلمون اليها يوم الجمعة مستهل جمادى الاولى وصلوا بها الجمعة فى جامع كان للمسلمين قديما ثم جعله الفرنج بيعة ثم جعله صلاح الدين جامعا وهذه الجمعة اول جمعة اقيمت بالساحل الشامى بعد ان ملكه الفرنج وسلم البلد الى ولده الافضل واعطى جميع ما كان فيه للداوية من اقطاع وضياع وغير ذلك الفقيه عيسى وغنم المسلمون ما بقى مما لم يطق الفرنج حمله وكان من كثرته يعجز الاحصاء عنه فرأوا فيها من الذهب والجوهر والسقلاط والبندقى والشكر والسلاح وغير ذلك من أنواع الامتعة كثيرا فانها كانت مقصد التجار الفرنج والروم وغيرهم من اقصى البلاد وأدناها وكان كثير منها قد خزنه التجار وسافروا عنه لكساده فلم يكن له من ينقله ففرق صلاح الدين وابنه الافضل ذلك جميعه على اصحابهما واكثر ذلك فعله الافضل لانه كان مقيما بالبلد وكانت شيمته فى الكرم معروفة واقام صلاح الدين بعكا عدة ايام لاصلاح حالها وتقرير قواعدها

(ذكر فتح مجدل يابا)

لما هزم صلاح الدين الفرنج أرسل الى اخيه العادل بمصر يبشره بذلك ويأمره بالمسير الى بلاد الفرنج من جهة مصر بمن بقى عنده من العسكر ومحاصرة ما يليه منها فسارع الى ذلك وسار عن مصر فنازل حصن مجدل يابا وحصره وغنم ما فيه وورد كتابه بذلك الى صلاح الدين وكانت بشارة كبيرة

(ذكر فتح عدة حصون)

فى مدة مقام صلاح الدين بعكا تفرق عسكره الى الناصرة وقيسارية وحيفا وصفورية ومعليا والشقيف والفولة وغيرها من البلاد المجاورة لعكا فملكوها ونهبوها واسروا رجالها وسبوا نساءها واطفالها وقدموا من ذلك بما سد الفضاء وسير تقى الدين فنزل على تبنين ليقطع الميرة عنها وعن صور وسير حسام الدين عمر بن لاجين فى عسكر الى نابلس فاتى سبسطية وبها قبر زكريا فاخذه من ايدى النصارى وسلمه الى المسلمين ووصل الى نابلس فدخلها وحصر قلعتها واستنزل من فيها بالامان وتسلم القلعة وأقام أهل البلد به وأقرهم على أملاكهم وأموالهم

(ذكر فتح يافا)

لما خرج العادل من مصر وفتح مجدل يابا كما ذكرنا سار الى مدينة يافا وهى على الساحل فحصرها وملكها عنوة ونهبها وأسر الرجال وسبى الحريم وجرى على أهلها ما لم يجر على

موتان بالطاعون وهلك الكثير من العسكر واهل البلدة والاطفال والجواري والعبيد خصوصا السودان فانه لم يبق منهم الا القليل النادر وخلت منهم الدور (وفى منتصفه) اخرج كتخدا بك صدقة تفرق على الاولاد الايتام الذين يقرؤن بالكتاتيب ويدعون برفع الطاعون فكانوا يجمعونهم ويأتى بهم فقهاؤهم الى بيت حسين كتخدا الكتخدا عند حيضان مصلى ويدفعون لكل صغير ورقة بها ستون نصفا فضة يأخذ منها جزأ الذى يجمع الطائفة منهم ويدعى انه معلمهم زيادة عن حصته لان معظم المكاتب مغلوقة وليس بها احد بسبب تعطيل الاوقاف وقطع ايرادهم وصار لهذه الاطفال جلبة وغوغاء فى ذهابهم ورجوعهم فى الاسواق وعلى بيت الذى يقسم عليهم

●(واستهل شهر رجب بيوم الجمعة سنة ١٢٣٠)●

فى سادسه يوم الاربعاء وصلت هجانة من ناحية قبلى واخبروا بوصول الباشا الى القصير فخلع عليهم كتخدا بك كساوى ولم يأمر بعمل شنك ولا مدافع حتى يتحقق صحة الخبر (وفى ليلة الجمعة ثامنه) احترق بيت طاهر باشا بالازبكية والبيت الذى بجواره ايضا (وفى يوم الجمعة المذكورة بل العصر ضربت مدافع كثيرة من القلعة والجيزة وذلك عندما ثبت وتحقق ورود الباشا الى قنا وقوص ووصل ايضا جيم

احد من اهل تلك البلاد وكان عندى جارية من اهلها وانا بحلب ومعها طفل عمره نحو سنة فسقط من يدها فانسلخ وجهه فبكت عليه كثيرا فسكنتها واعلمتها انه ليس بولدها ما يوجب البكاء فقالت ماله ابكى انما ابكى لما جرى علينا كان لى ستة اخوة كلهم هلكوا جميعهم وزوج واختان لا اعلم ما كان منهم هذا من امرأة واحدة والباقى بالنسبة ورأيت بحلب امرأة فرنجية قد جاءت مع سيدها الى باب فطرقه سيدها فخرج صاحب البيت فكلمهم ثم اخرج امرأة فرنجية فحين رأتها الاخرى صاحتا واعتنقتا وهما يصرخان ويبكيان وسقطتا الى الارض ثم قعدتا يتحدثان واذ هما اختان وكان لهما عدة من الاهل ليس لهما علم باحد منهم

●(ذكر فتح تبنين وصيدا وجبيل وبيروت)●

فاما تبنين فقد ذكرنا انفاذ صلاح الدين تقى الدين ابن اخيه الى تبنين فلما وصلها نازلها واقام عليها فرأى حصرها لا يتم الا بوصول عمه صلاح الدين اليه فارسل اليه يعلمه الحال ويحثه على الوصول اليه فرحل ثامن جمادى الاولى ونزل عليه حادى عشره فحصرها وضايقها وقاتلها بالزحف وهى من القلاع المنيعة على جبل فلما ضاق عليهم الامر واشتد الحصر اطلقوا من عندهم من اسرى المسلمين وهم يزيدون على مائة رجل فلما دخلوا العسكر احضرهم صلاح الدين وكساهم واعطاهم نفقة وسيرهم الى اهليهم وبقى الفرنج كذلك خمسة ايام ثم ارسلوا يطلبون الامان فامنهم على انفسهم فسلموها اليه ووفى لهم وسيرهم الى مامنهم واما صيدا فان صلاح الدين لما فرغ من تبنين رحل عنها الى صيدا فاجتاز فى طريقه بصرفند فاخذها صفوا عفوا بغير قتال وسار عنها الى صيدا وهى من مدن الساحل المعروفة فلما سمع صاحبها بمسيره نحوه سار عنها وتركها فارغة من مانع ومدافع فلما وصلها صلاح الدين تسلمها ساعة وصوله وكان ملكها تاسع بقين من جمادى الاولى واما بيروت فهى من احصن مدن الساحل وانزهها واطيبها فلما فتح صلاح الدين صيدا سار عنها من يومه نحو بيروت ووصل اليها من الغد فرأى اهلها قد صعدوا على سورها واظهروا القوة والجلد والعدد وقاتلوا على سورها قتالا شديدا واغتروا بحصانة البلد وظنوا انهم قادرون على حفظه وزحف المسلمون اليهم مرة بعد مرة فبينما الفرنج يقاتلون اذ سمعوا من البلد جلبة عظيمة وغلبة زائدة فاتاهم من اخبرهم ان البلد قد دخله المسلمون من الناحية الاخرى قهرا وغلبة فارسلوا ينظرون ما الخبر واذا ليس له صحة فارادوا تسكين من به فلم يمكنهم ذلك لكثرة ما اجتمع فيه من السواد فلما خافوا على انفسهم من الاختلاف الواقع ارسلوا يطلبون الامان فامنهم على انفسهم واموالهم وتسلمها فى التاسع والعشرين من جمادى الاولى من السنة فكان مدة حصرها ثمانية ايام واما جبيل فان صاحبها كان من جملة الاسرى الذين سيروا الى دمشق مع ملكهم فتحدث مع نائب صلاح الدين بدمشق فى تسليم جبيل على شرط اطلاقه فعرف صلاح الدين بذلك فاحضره مقيدا عنده تحت الاستظهار والاحتياط

وكان العسكر حينئذ على بيروت فسلم حصنه واطلق اسرى المسلمين الذين به واطلقه صلاح الدين كما شرط له وكان هذا صاحب جبيل من اعيان الفرنج واصحاب الرأى والمكر والشر به يضرب المثل بينهم وكان للمسلمين منه عدو ازرق وكان اطلاقه من الاسباب الموهنة للمسلمين على ما ياتى بيانه

(ذكر خروج المركيش الى صور)

لما انهزم القمص صاحب طرابلس من حطين الى مدينة صور فاقام بها وهى أعظم بلاد الشام حصانة واشد امتناعا على من رامها فلما رأى السلطان قد ملك تبنين وصيدا وبيروت خاف ان يقصد صلاح الدين صور وهى فارغة ممن يقاتل فيها ويحميها ويمنعها فلا يقوى على حفظها وتركها وسار الى مدينة طرابلس فبقيت صور شاغرة لا مانع لها ولا عاصم من المسلمين فلو بدأ بها صلاح الدين قبل تبنين وغيرها لاخذها بغير مشقة لكنه استعظمها لحصانتها فاراد ان يفرغ باله مما يجاورها من نواحيها ليسهل أخذها فكان ذلك سبب حفظها وكان أمر الله قدرا مقدورا واتفق ان انسانا من الفرنج الذين داخل البحر يقال له المركيش لعنه الله خرج فى البحر بمال كثير للزيارة والتجارة ولم يشعر بما كان من الفرنج فارسى بعكا وقد رابه ما رأى من ترك عوائد الفرنج عند وصول المراكب من الفرح وضرب الاجراس وغير ذلك وما رأى أيضا من زى اهل البلد فوقف ولم يدر ما الخبر وكانت الريح قد ركدت فارسل الملك الافضل اليه بعض اصحابه فى سفينة يبصر من هو وما يريد فاتاه القاصد فسأله المركيش عن الاخبار لما انكره فاخبره بكسرة الفرنج وأخذ عكا وغيرها واعلمه ان صور بيد الفرنج وعسقلان وغيرها وحكى الامر له على وجهه فلم يمكنه الحركة لعدم الريح فرد الرسول يطلب الامان ليدخل البلد بما معه من متاع ومال فاجيب الى ذلك فردده مرارا كل مرة يطلب شيئا لم يطلبه فى المرة الاولى وهو يفعل ذلك انتظارا لهبوب الهواء ليسير به فبينما هو فى مراجعاته اذ هبت الريح فسار نحو صور وسير الملك الافضل الشوانى فى طلبه فلم يدركوه فاتى صور وقد اجتمع بها من الفرنج خلق كثير لان صلاح الدين كان كلما فتح مدينة من عكا وبيروت وغيرهما مما ذكرنا اعطى أهلها الامان فساروا كلهم الى صور وكثر الجمع بها الا انهم ليس لهم رأس يجمعهم ولا مقدم يقاتل بهم وليسوا اهل حرب وهم عازمون على مراسلة صلاح الدين وتسليم البلد اليه فاتاهم المركيش وهم على ذلك العزم فردهم عنه وقوى نفوسهم وضمن لهم حفظ المدينة وبذل ما معه من الاموال وشرط عليهم ان تكون المدينة وأعمالها له دون غيره فاجابوه الى ذلك فاخذ أيمانهم عليه واقام عندهم ودبر احوالهم وكان من شياطين الانس حسن التدبير والحفظ وله شجاعة عظيمة وشرع فى تحصينها فجدد حفر خنادقها وعمل اسوارها وزاد فى حصانتها واتفق من بها على الحفظ والقتال دونها

(ذكر فتح عسقلان وما يجاورها)

الباشا وطلعوا الى قصر شبرا وركب للسلام عليه جميع نساء الاكابر والاعيان بهداياهم وتقادمهم ومنعوا المارين من المسافرين والفلاحين الواصلين من الارياف المرور من تحت القصر الذى هو الطريق المعتادة للمسافرين فكانوا يذهبون ويمرون من طريق استجدوها منعطفة خلف تلك الطريق ومستبعدة بمسافة طويلة (وفى ليله الخميس رابع عشره) انخسف جرم القمر جميعه بعد الساعة الثالثة وكان فى آخر برج القوس (وفى ليلة الجمعة خامس عشره) وصل الباشا الى الجيزة ليلا فاقام بها الى آخر الليل ثم حضر الى داره بالازبكية فاقام بها يومين وحضر كتخدا بك واكابر دولته للسلام عليه فلم ياذن لاحد وكذلك مشايخ الوقت ذهبوا ورجعوا ولم يجتمع به احد سوى ثانى يوم وترادفت عليه التقادم والهدايا من كل نوع من أكابر الدولة والنصارى باجناسهم خصوصا الارمن وخلافهم بكل صنف من التحف حتى السرارى البيض بالحلى والجواهر وغير ذلك واشيع فى الناس فى المصر وفى القرى بانه تاب عن الظلم وعزم على اقامة العدل وانه نذر على نفسه انه اذا رجع منصورا واستولى على ارض الحجاز أفرج للناس عن بعضهم ورد الارزاق الاحباسية الى اهلها وزادوا على هذه الاشاعة انه فعل

ذلك في البلاد القبلية ورد كل شئ الى اصله وتناقلوا ذلك في جميع النواحي وباتوا يتخيلونه في احلامهم ولما
مضى من وقت حضوره ثلاثة ايام كتبوا أوراقا لمشاهير الملتزمين مضمونها انه بلغ حضرة افندينا ما فعله الاقباط من ظلم الملتزمين والجور عليهم في فائظهم فلم يرض بذلك والحال انكم تحضرون بعد ذلك بعدة ايام وتحاسبون على فائظكم وتقبضونه فان افندينا لا يرضى بالظلم وعلى الاوراق امضاء الدفتردار ففرح اكثر المغفلين بهذا الكلام واعتقدوا صحته واشاعوا ايضا انه نصب تجاه قصر شبرا خوازيق للمعلم غالي واكابر القبط (وفي رابع عشرينه) حضر الكثير من اصحاب الارزاق الكائنين بالقرى والبلاد مشايخ واشرافا وفلاحين ومعهم بيارق واعلام مستبشرين وفرحين بما سمعوه واشاعوه وذهبوا الى الباشا وهو يعمل رماحة بناحية القبة ويرمي ببنادق كثيرة وميدان تعليم فلما رآهم واخبروه عن سبب مجيئهم امر بضربهم وطردهم ففعلوا بهم ذلك ورجعوا خائبين (وفيه) حضر محمود بك والمعلم غالي من سرحتهما وقابلا الباشا وخلع عليهما وكساهما والبسهما فراوي سمور فركب المعلم غالي وعليه الخلعة وشق من وسط المدينة وخلفه عدة كثيرة من الاقباط ليراه الناس ويكمد

لما ملك صلاح الدين بيروت وجبيل وغيرهما كان امر عسقلان والقدس اهم عنده لاسباب منها انهما على طريق مصر يقطع بينهما وبين الشام وكان يختار ان تتصل الولايات له ليسهل خروج العساكر منها ودخولهم اليها ولما في فتح القدس من الذكر الجميل والصيت العظيم الى غير ذلك من الاغراض فسار عن بيروت نحو عسقلان واجتمع باخيه العادل ومن معه من عساكر مصر ونازلوها يوم الاحد سادس عشر جمادى الآخرة وكان صلاح الدين قد احضر ملك الفرنج ومقدم الداوية اليه من دمشق وقال لهما ان سلمتما البلاد الي فلكما الامان فارسلا الى من بعسقلان من الفرنج يامرانهم بتسليم البلد فلم يسمعوا امرهما وردوا عليهما اقبح رد وجبهوهما بما يسوءهما فلما رأى السلطان ذلك جد في قتال المدينة ونصب المجانيقات عليها وزحف مرة بعد اخرى وتقدم النقابون الى السور فنالوا من باشورته شيئا هذا وملكهم يكرر المراسلات اليهم بالتسليم ويشير عليهم ويعدهم انه اذا اطلق من الاسر اضرم البلاد على المسلمين نارا واستنجد بالفرنج من البحر واجلب الخيل والرجل من اقاصي بلاد الفرنج وادانيها وهم لا يجيبون الى ما يقول ولا يسمعون ما يشير به ولما رأوا انهم كل يوم يزدادون ضعفا ووهنا واذا قتل منهم الرجل لا يجدون له عوضا ولا لهم نجدة ينتظرونها راسلوا صلاح الدين في تسليم البلد على شروط اقترحوها فاجابهم صلاح الدين اليها وكانوا قتلوا في الحصار اميرا كبيرا من المهرانية فخافوا عند مفارقة البلد ان عشيرته يقتلون منهم بثاره فاحتاطوا فيما اشترطوا لانفسهم فاجيبوا الى ذلك جميعه وسلموا المدينة سلخ جمادى الآخرة من السنة وكانت مدة الحصار اربعة عشر يوما وسيرهم صلاح الدين ونساءهم واموالهم واولادهم الى بيت المقدس ووفى لهم بالامان

(ذكر فتح البلاد والحصون المجاورة لعسقلان)

لما فتح صلاح الدين عسقلان اقام بظاهرها وبث السرايا في اطراف البلاد المجاورة لها ففتحوا الرملة والداروم وغزة ومشهد ابراهيم الخليل عليه السلام وتبنين وبيت لحم وبيت جبريل والنطرون وكل ما كان للداوية

(ذكر فتح البيت المقدس)

لما فرغ صلاح الدين من امر عسقلان وما يجاورها من البلاد على ما تقدم وكان قد ارسل الى مصر فاخرج الاسطول الذي بها في جمع من المقاتلة ومقدمهم حسام الدين لؤلؤ الحاجب وهو معروف بالشجاعة والشهامة ويمن النقيبة فاقاموا في البحر يقطعون الطريق على الفرنج كلما رأوا لهم مركبا غنموه وشانيا اخذوه فحين وصل الاسطول وخلا سره من تلك الناحية سار عن عسقلان الى البيت المقدس وكان به البطرك المعظم عندهم وهو اعظم شانا من ملكهم وبه ايضا باليان بن بيرزان صاحب الرملة وكانت مرتبته عندهم تقارب مرتبة الملك وبه ايضا من خلص من فرسانهم من حطين وقد جمعوا وحشدوا واجتمع اهل تلك النواحي عسقلان وغيرها فاجتمع به كثير من

الخلق كلهم يرى الموت أيسر عليه من أن يملك المسلمون البيت المقدس ويأخذوه منهم ويرى أن بذل نفسه وماله وأولاده بعض ما يجب عليه من حفظه وحصنوه تلك الايام بما وجدوا اليه سبيلا وصعدوا على سوره بحدهم وحديدهم مجتمعين على حفظه والذب عنه بجهدهم وطاقتهم مظهرين العزم على المناضلة دونه بحسب استطاعتهم ونصبوا المنجنيقات ليمنعوا من يريد الدنو منه والنزول عليه ولما قرب صلاح الدين منه تقدم أمير في جماعة من اصحابه غير محتاط ولا حذر فلقيه جمع من الفرنج قد خرجوا من القدس ليكونوا يزكا فقاتلوه وقاتلهم فقتلوه وقتلوا جماعة ممن معه فاهم المسلمين قتله وفجعوا بفقده وساروا حتى نزلوا على القدس منتصف رجب فلما نزلوا عليه رأى المسلمون على سوره من الرجال ما هالهم وسمعوا لاهله من الغلبة والضجيج من وسط المدينة ما استدلوا به على كثرة الجمع وبقي صلاح الدين خمسة أيام يطوف حول المدينة لينظر من أين يقاتله لانه في غاية الحصانة والامتناع فلم يجد عليه موضع قتال الا من جهة الشمال نحو باب عمود او كنيسة صهيون فانتقل الى هذه الناحية في العشرين من رجب ونزلها ونصب تلك الليلة المنجنيقات فاصبح من الغد وقد فرغ من نصبها ورمى بها ونصب الفرنج على سور البلد منجنيقات ورموا بها وقوتلوا أشد قتال رآه أحد من الناس كل واحد من الفريقين يرى ذلك دينا وحتما واجبا فلا يحتاج فيه الى باعث سلطاني بل كانوا يمنعون ولا يمتنعون ويزجرون ولا ينزجرون وكان خيالة الفرنج كل يوم يخرجون الى ظاهر البلد يقاتلون ويبارزون فيقتل من الفريقين وممن استشهد من المسلمين الامير عز الدين عيسى بن مالك وهو من أكابر الامراء وكان أبوه صاحب قلعة جعبر وكان يباشر القتال بنفسه كل يوم فقتل الى رحمة الله تعالى وكان محبوبا الى الخاص والعام فلما رأى المسلمون مصرعه عظم عليهم ذلك وأخذ من قلوبهم فحملوا حملة رجل واحد فازالوا الفرنج عن مواقفهم فادخلوهم بلدهم ووصل المسلمون الى الخندق فجاوزوه والتصقوا الى السور فنقبوه وزحف الرماة يحمونهم والمنجنيقات توالي الرمي لتكشف الفرنج عن الاسوار ليتمكن المسلمون من النقب فلما نقبوه حشوه بما جرت به العادة فلما رأى الفرنج شدة قتال المسلمين وتحكم المنجنيقات بالرمي المتدارك وتمكن النقابين من النقب وانهم قد اشرفوا على الهلاك اجتمع مقدموهم يتشاورون فيما يأتون ويذرون فاتفق رأيهم على طلب الامان وتسليم البيت المقدس الى صلاح الدين فارسلوا جماعة من كبرائهم واعيانهم في طلب الامان فلما ذكروا ذلك للسلطان امتنع من اجابتهم وقال لا افعل بكم الا كما فعلتم باهله حين ملكتموه سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة من القتل والسبي وجزاء السيئة بمثلها فلما رجع الرسل خائبين محرومين أرسل باليان بن بيرزان وطلب الامان لنفسه ليحضر عند صلاح الدين في هذا الامر وتحريره فاجيب الى ذلك وحضر عنده ورغب في الامان وسأل فيه فلم يجبه الى ذلك واستعطفه فلم يعطف عليه واسترحمه فلم يرحمه فلما ايس من ذلك قال له ايها السلطان اعلم اننا في هذه المدينة في خلق كثير لا يعلمهم الا الله تعالى وانما يفترون

الاعداء ويبطل ماقيل من التقولات ثم أقام هو ومحمود بك أياما قليلة ورجع لاشغالهما وتتميم افعالهما من تحرير القياس وجبي الاموال وكانا ارسلا قبل حضورهما عدة كثيرة من الجمال الحاملة للاموال في كل يوم قطارات بعضها اثر بعض من الشرقية والغربية والمنوفية وباقي الاقاليم (وفيه) حضر شيخ طرهونة بجهة قبلي ويسمى كريم بضم الكاف وفتح الراء وتشديد الياء وسكون الميم وكان عاصيا على الباشا ولم يقابله ابدا فلم يزل يحتال عليه ابراهيم باشا ويصالحه ويمنيه حتى اتى اليه وقابله وامنه فلما حضر الباشا ابوه من الحجاز اتاه على امان ابنه وقدم معه هدية واربعين من الابل فقبل هديته ثم امر برمي عنقه بالرميلة

(واستهل شهر شعبان سنة ١٢٣٠)

والناس في امر مريج من قطع ارزاقهم وارباب الالتزامات والحصص التي ضبطها الباشا ورفع ايديهم من التصرف في شيء منها خلا الاطيان الاوسية فانه سامحهم فيه سوى ما زاد عن الروك الذي قاسوه فانه لديوانه ووعدهم بصرف المال الحر المعين بالسند الديواني فقط بعد التحرير والمحاققة ومناقضة الكتبة الاقباط في القوائم واقاموا منتظرين انجاز وعده اياما يغدون ويروحون ويسألون الكتبة ومن له وصلة بهم وقد ضاق خناقهم من التفليس

وقطع الايراد ورضوا بالاقل وتشوفوا لحصوله وكل قليل يعدون بعد اربعة ايام او ثلاثة ايام حتى تحرر الدفاتر فاذا تحررت قيل ان الباشا امر بتغييرها وتحريرها على نسق آخر ويكرر ذلك ثانيا وثالثا على حسب تفاوت المتحصل فى السنين وما يتوفر فى الخزينة قليلا او كثيرا (وفيه) وصل رجل تركى على طريق دمياط يزعم انه عاش من العمر زمنا طويلا وانه ادرك اوائل القرن العاشر ويذكر انه حضر الى مصر مع السلطان سليم وادرك وقته وواقعته مع السلطان الغورى وكان فى ذلك الوقت تابعا لبعض البيرقدارية وشاع ذكره وحكى من رآه ان ذاته تخالف دعواه وامتحنه البعض فى مذاكرة الاخبار والوقائع فحصل منه تخليط ثم امر الباشا بنفيه وابعاده فانزلوه فى مركب وغاب خبره فيقال انهم اغرقوه والله اعلم (وفى خامس عشرينه) عملوا الديوان ببيت الدفتردار وفتحوا باب صرف الفائظ على ارباب حصص الالتزام فجعلوا يعطون منه جانبا واكثر ما يعطونه نصف القدر الذى قرروه واقل وازيد قليلا (وفيه) امر الباشا لجميع العساكر بالخروج الى الميدان لعمل التعليم والرماحة خارج باب النصر حيث قبة العزب فخرجوا من ثلث الليل الاخير

عن القتال رجاء الامان ظنا منهم انك تجيبهم اليه كما اجبت غيرهم وهم يكرهون الموت ويرغبون فى الحياة فاذا رأينا الموت لابد منه فوالله لنقتلن ابناءنا ونساءنا ونحرق اموالنا وامتعتنا ولا نترككم تغنمون منها دينارا واحدا ولا درهما ولا تسبون وتاسرون رجلا ولا امرأة واذا فرغنا من ذلك اخربنا الصخرة والمسجد الاقصى وغيرهما من المواضع ثم نقتل من عندنا من اسارى المسلمين وهم خمسة آلاف اسير ولا نترك لنا دابة ولا حيوانا الا قتلناه ثم خرجنا اليكم كلنا قاتلنا كم قتال من يريد ان يحمى دمه ونفسه وحينئذ لا يقتل الرجل حتى يقتل امثاله ونموت اعزاء او نظفر كراما فاستشار صلاح الدين اصحابه فاجمعوا على اجابتهم الى الامان وان لا يخرجوا ويحملوا على ركوب ما لا يدرى عاقبة الامر فيه عن اى شئ تنجلى ونحسب انهم اسارى بايدينا فنبيعهم نفوسهم بما يستقر بيننا وبينهم فاجاب صلاح الدين حينئذ الى بذل الامان للفرنج فاستقر ان يؤخذ من الرجل عشرة دنانير يستوى فيه الغنى والفقير ويزن الطفل من الذكور والبنات دينارين وتزن المرأة خمسة دنانير فمن ادى ذلك الى اربعين يوما فقد نجا ومن انقضت الاربعون يوما عنه ولم يؤد ما عليه فقد صار مملوكا فبذل باليان بن بيرزان عن الفقراء ثلاثين الف دينار فاجيب الى ذلك وسلمت المدينة يوم الجمعة السابع والعشرين من رجب وكان يوما مشهودا ورفعت الاعلام الاسلامية على اسواره ورتب صلاح الدين على ابواب البلد فى كل باب امينا من الامراء لياخذوا من اهله ما استقر عليهم فاستعملوا الخيانة ولم يؤدوا فيه امانة واقتسم الامناء الاموال وتفرقت ايدى سبا ولو اديت فيه الامانة لملأ الخزائن وعم الناس فانه كان فيه على الضبط ستون الف رجل ما بين فارس وراجل سوى من يتبعهم من النساء والولدان ولا يعجب السامع من ذلك فان البلد كبير واجتمع اليه من تلك النواحى من عسقلان وغيرها والداروم والرملة وغزة وغيرها من القرى بحيث امتلأت الطرق والكنائس وكان الانسان لا يقدر ان يمشى ومن الدليل على كثرة الخلق ان اكثرهم وزن ما استقر من القطيعة واطلق باليان بن بيرزان ثمانية عشر الف رجل وزن عنهم ثلاثين الف دينار وبقى بعد هذا جميعه من لم يكن معه ما يعطى واخذ اسيرا ستة عشر الف آدمى ما بين رجل وامرأة وصبى هذا بالضبط واليقين ثم ان جماعة من الامراء ادعى كل واحد منهم ان جماعة من رعيته اقطاعه مقيمون بالبيت المقدس فيطلقهم وياخذ هو قطيعتهم وكان جماعة من الامراء يلبسون الفرنج زى الجند المسلمين ويخرجونهم وياخذون منهم قطيعة قرروها واستوهب جماعة من صلاح الدين عددا من الفرنج فوهبهم لهم فاخذوا قطيعتهم وبالجملة فلم يصل الى خزائنه الا القليل وكان بالقدس بعض نساء الملوك من الروم وقد ترهبت واقامت به ومعها من الحشم والعبيد والجوارى خلق كثير ولها من الاموال والجواهر النفيسة شئ عظيم فطلبت الامان لنفسها ومن معها فامنها وسيرها وكذلك ايضا اطلق ملكة القدس التى كان زوجها الذى اسره صلاح الدين قد ملك الفرنج بسببها ونيابة عنها كان يقوم بالملك واطلق مالها وحشمها واستاذنته فى المصير

الى زوجها وكان حينئذ محبوسا بقلعة نابلس فاذن لها فاتته واقامت عنده واتته ايضا امرأة للبرنس ارناط صاحب الكرك وهو الذى قتله صلاح الدين بيده يوم المصاف بحطين فشفعت فى ولد لها ماسور فقال لها صلاح الدين ان سلمت الكرك اطلقته فسارت الى الكرك فلم يسمع منها الفرنج ولم يسلموه فلم يطلق ولدها ولكنه اطلق مالها ومن تبعها وخرج البطرك الكبير الذى للفرنج ومعه من اموال البيع منها الصخرة والاقصى وقمامة وغيرها مالا يعلمه الا الله تعالى وكان له من المال مثل ذلك فلم يعرض له صلاح الدين فقيل له ليأخذ ما معه يقوى به المسلمين فقال لا اغدر به ولم يأخذ منه غير عشرة دنانير وسير الجميع ومعهم من يحميهم الى مدينة صور وكان على راس قبة الصخرة صليب كبير مذهب فلما دخل المسلمون البلد يوم الجمعة تسلق جماعة منهم الى اعلى القبة ليقلعوا الصليب فحين صعدوا صاح الناس كلهم صوتا واحدا من البلد ومن ظاهره المسلمون والفرنج اما المسلمون فكبروا فرحا واما الفرنج فصاحوا تفجعا وتوجعا فسمع الناس صيحة كادت الارض ان تميد بهم لعظمها وشدتها فلما ملك البلد وفارقه الكفار امر صلاح الدين باعادة الابنية الى حالها القديم فان الداوية بنوا غربى الاقصى ابنية ليسكنوها وعملوا فيها ما يحتاجون اليه من هرى ومستراح وغير ذلك وادخلوا بعض الاقصى فى ابنيتهم فاعيد الى الاول وامر بتطهير المسجد والصخرة من الاقذار والانجاس ففعل ذلك اجمع ولما كان الجمعة الاخرى رابع شعبان صلى المسلمون فيه الجمعة ومعهم صلاح الدين وصلى فى قبة الصخرة وكان الخطيب والامام محيي الدين ابن الزكى قاضى دمشق ثم رتب فيه صلاح الدين خطيبا واماما برسم الصلوات الخمس وامر ان يعمل له منبر فقيل له ان نور الدين محمودا كان قد عمل بحلب منبرا امر الصناع بالمبالغة فى تحسينه واتقانه وقال هذا قد عملناه لينصب بالبيت المقدس فعمله النجارون فى عدة سنين لم يعمل فى الاسلام مثله فامر باحضاره فحمل من حلب ونصب بالقدس وكان بين عمل المنبر وحمله ما يزيد على عشرين سنة وكان هذا من كرامات نور الدين وحسن مقاصده رحمه الله ولما فرغ صلاح الدين من صلاة الجمعة تقدم بعمارة المسجد الاقصى واستنفاد الوسع فى تحسينه وترصيفه وتدقيق نقوشه فاحضروا من الرخام الذى لا يوجد ومن الفص المذهب القسطنطيني وغير ذلك مما يحتاجون اليه قد ادخر على طول السنين فشرعوا فى عمارته ومحوا ما كان فى تلك الابنية من الصور وكان الفرنج فرشوا الرخام فوق الصخرة وغيبوها فامر بكشفها وكان سبب تغطيتها بالفرش ان القسيسين باعوا كثيرا منها للفرنج الواردين اليهم من داخل البحر للزيارة فكانوا يشترونه بوزنه ذهبا رجاء بركتها وكان احدهم اذا دخل الى بلاده باليسير منها بنى له الكنيسة ويجعل فى مذبحها فخاف بعض ملوكهم ان تفنى فامر بها ففرش فوقها حفظا لها فلما كشفت نقل اليها صلاح الدين المصاحف الحسنة والربعات الجيدة ورتب القراء وادر عليهم الوظائف الكثيرة فعاد الاسلام هناك غضا طريا وهذه المكرمة من فتح البيت المقدس لم يفعلها بعد عمر بن الخطاب رضى الله عنه غير صلاح

الدين

وأخذوا فى الرماحة والبندقة المتواصلة المتتابعة مثل الرعود على طريقة الافرنج وذلك من قبيل الفجر الى الضحوة ولما انقضى ذلك رجعوا داخلين الى المدينة فى كبكبة عظيمة حتى زحموا الطرق بخيولهم من كل ناحية وداسوا أشخاصا من الناس بخيولهم بل وحميرا أيضا واشيع ان الباشا قصده احصاء العسكر وترتيبهم على النظام الجديد وأوضاع الافرنج و يلبسهم الملابس المقمطة و يغير شكلهم وركب فى ثانى يوم الى بولاق وجمع عساكر ابنه اسمعيل باشا وصنفهم على الطريقة المعروفة بالنظام الجديد وعرفهم قصده فعل ذلك بجميع العساكر ومن ابى ذلك قابله بالضرب والطرد والنفى بعد سلبه حتى من ثيابه ثم ركب من بولاق وذهب الى شبرا وحصل فى العسكر قلقلة ولغط وتناجوا فيما بينهم وتفرق الكثير منهم من مخاديمهم وأكابرهم ووافقهم على النفور بعض اعيانهم واتفقوا على غدر الباشا ثم ان الباشا ركب من قصر شبرا وحضر الى بيت الازبكية ليلة الجمعة ثامن عشرينه وقد اجتمع عند عابدين بك بداره جماعة من أكابرهم فى وليمة وفيهم حجو بك وعبد الله اغا صاري جملة وحسن اغا الازرنجلي فتفاوضوا

الدين رحمه الله وكفاه ذلك فخرا وشرفا واما الفرنج من اهله فانهم اقاموا وشرعوا في بيع مالا يمكنهم حمله من امتعتهم وذخائرهم واموالهم ومالا يطيقون حمله وباعوا ذلك بارخص الثمن فاشتراه التجار من اهل العسكر واشتراه النصارى من اهل القدس الذين ليسوا من الفرنج فانهم طلبوا من صلاح الدين ان يمكنهم من المقام في مساكنهم وياخذ منهم الجزية فاجابهم الى ذلك فاستقروا فاشتروا حينئذ من اموال الفرنج وترك الفرنج ايضا اشياء كثيرة لم يمكنهم بيعها من الاسرة والصناديق والبقيات وغير ذلك وتركوا ايضا من الرخام الذى لا يوجد مثله من الاساطين والالواح والفص وغيره شيئا كثيرا ثم ساروا

(ذكر رحيل صلاح الدين الى صور ومحاصرتها)

لما فتح صلاح الدين البيت المقدس اقام بظاهره الى الخامس والعشرين من شعبان يرتب امور البلد واحواله وتقدم بعمل الربط والمدارس فجعل دار الاسبتار مدرسة للشافعية وهى فى غاية ما يكون من الحسن فلما فرغ من امر البلد سار الى مدينة صور وكانت قد اجتمع فيها من الفرنج عالم كثير وقد صار المركيش صاحبها والحاكم فيها وقد ساسهم احسن سياسة وبالغ فى تحصين البلد ووصل صلاح الدين الى عكا واقام بها اياما فلما سمع المركيش بوصوله اليها جد فى عمل سور صور وخنادقها وتعميقها ووصلها من البحر الى البحر من الجانب الآخر فصارت المدينة كالجزيرة فى وسط الماء لا يمكن الوصول اليها ولا الدنو منها ثم رحل صلاح الدين من عكا فوصل الى صور تاسع شهر رمضان فنزل على نهر قريب البلد بحيث يراه حتى اجتمع الناس وتلاحقوا وسار فى الثانى والعشرين من رمضان فنزل على تل يقارب سور البلد بحيث يرى القتال وقسم القتال على العسكر كل جمع منهم له وقت معلوم يقاتلون منه بحيث أن يتصل القتال على أهل البلد على ان الموضع الذى يقاتلون منه قريب المسافة يكفيه الجماعة اليسيرة من أهل البلد تحفظه وعليه الخنادق التى قد وصلت من البحر الى البحر فلا يكاد الطير يطير عليها فان المدينة كالكف فى البحر والساعد متصل بالبر والبحر من جانبى الساعد والقتال انما هو فى الساعد فزحف المسلمون مرة بالمنجنيقات والعرادات والجروخ والدبابات وكان أهل صلاح الدين يتناوبون القتال مثل ولده الافضل وولده الظاهر غازى وأخيه العادل بن أيوب وابن أخيه تقى الدين وكذلك سائر الامراء وكان للفرنج شوانى وحراقات يركبون فيها فى البحر ويقفون من جانبى الموضع الذى يقاتل المسلمون منه اهل البلد فيرمون المسلمين من جانبهم بالجروخ ويقاتلونهم وكان ذلك يعظم عليهم لان اهل البلد يقاتلونهم من بين ايديهم واصحاب الشوانى يقاتلونهم من جانبيهم فكانت سهامهم تنفذ من احد الجانبين الى الجانب الآخر لضيق الموضع فكثرت الجراحات فى المسلمين والقتل ولم يتمكنوا من الدنو الى البلد فارسل صلاح الدين الى الشوانى التى جاءته من مصر وهى عشر قطع وكانت بعكا فاحضرها برجالها

بينهم امر الباشا وما هو شارع فيه واتفقوا على الهجوم عليه فى داره بالازبكية فى الفجرية ثم ان عابدين بك غافلهم وتركهم فى انفسهم وخرج متنكرا مسرعا الى الباشا واخبره ورجع الى أصحابه فاسرع الباشا فى الحال الركوب فى سادس ساعة من الليل وطلب عساكر طاهر باشا فركبوا معه وحوطوا المنزل بالعساكر ثم اختلف الطريق وذهب على ناحية الناصرية ومرمى النشاب وصعد الى القلعة وتبعه من يثق به من العساكر وانخرم امر المتوافقين ولم يسعهم الرجوع عن عزيمتهم فساروا الى بيت الباشا يريدون نهبه فمانعهم المرابطون وتضاربوا بالرصاص والبنادق وقتل بينهم اشخاص ولم ينالوا غرضا فساروا على ناحية القلعة واجتمعوا بالرميلة وقراميدان وتحيروا فى امرهم واشتد غيظهم وعلموا ان وقوفهم بالرميلة لا يجدى شيئا وقد اظهروا المخاصمة ولا ثمرة تعود عليهم فى وجوههم وسكونهم بل ينكسف بالهم وتذل انفسهم ويلحقهم اللوم من اقرانهم الذين لم ينضموا اليهم فاجمع رايهم لسوء طباعهم وخبث عقيدتهم وطرائقهم انهم يتفرقون فى شوارع المدينة وينهبون متاع الرعية واموالهم فاذا

ومقاتلتها وعدتها وكانت في البحر فمنعوا شوانى اهل صور من الخروج الى قتال المسلمين فتمكن المسلمون حينئذ من القرب من البلد ومن قتاله فقاتلوا براً وبحراً وضايقوا حتى كادوا يظفرون فخانت الاقدار بما لم يكن في الحساب وذلك ان خمس قطع من شوانى المسلمين باتت في بعض تلك الليالى مقابل ميناء صور ليمنعوا من الخروج منه والدخول اليه فباتوا ليلتهم يحرسون وكان مقدمهم عبد السلام المغربى الموصوف بالحذق في صناعته وشجاعته فلما كان وقت السحر أمنوا فناموا فما شعروا الا بشوانى الفرنج قد نازلتهم وضايقتهم فاوقعت بهم فقتلوا من ارادوا قتله وأخذوا الباقين بمراكبهم وادخلوهم ميناء صور والمسلمون في البر ينظرون اليهم ورمى جماعة من المسلمين أنفسهم من الشوانى في البحر فمنهم من سبح فنجا ومنهم من غرق وتقدم السلطان الى الشوانى الباقية بالمسير الى بيروت لعدم انتفاعه بها لقلتها فسارت فتبعها شوانى الفرنج فحين رأى من في شوانى المسلمين الفرنج مجدين في طلبهم ألقوا انفسهم في شوانيهم الى البر فنجوا وتركوها فأخذها صلاح الدين ونقضها وعاد الى مقاتلة صور في البر وكان ذلك قليل الجدوى لضيق المجال وفي بعض الايام خرج الفرنج فقاتلوا المسلمين من وراء خندقهم فاشتد القتال بين الفريقين ودام الى آخر النهار وكان خروجهم قبل العصر وأسر منهم فارس كبير مشهور بعد ان كثر القتال والقتل عليه من الفريقين لما سقط فلما أسر قتل وبقوا كذلك عدة أيام

(ذكر الرحيل عن صور الى عكا وتفريق العساكر)

لما رأى صلاح الدين ان أمر صور يطول رحل عنها وهذه كانت عادته متى ثبت البلد بين يديه ضجر منه ومن حصاره فرحل عنه وكان هذه السنة لم يطل مقامه على مدينة بل فتح الجميع في الايام القريبة كما ذكرناه بغير تعب ولا مشقة فلما رأى هو واصحابه شدة أمر صور وملوها وطلبوا الانتقال عنها ولم يكن لاحد ذنب في أمرها غير صلاح الدين فانه هو جهز اليها جنود الفرنج وأمدها بالرجال والاموال من أهل عكا وعسقلان والقدس وغير ذلك كما سبق ذكره كان يعطيهم الامان ويرسلهم الى صور فصار فيها فرسان الفرنج بالساحل بأموالهم وأموال التجار وغيرهم فحفظوا المدينة وراسلوا الفرنج داخل البحر يستمدونهم فاجابوهم بالتلبية لدعوتهم ووعدوهم بالنصرة وامروهم بحفظ صور لتكون دار هجرتهم يحتمون بها ويلجؤن اليها فزادهم ذلك حرصاً على حفظها والذب عنها وسنذكر ان شاء الله ما صار اليه الامر بعد ذلك ليعلم ان الملك لا ينبغى ان يترك الحزم وان ساعدته الاقدار فلأن يعجز حازماً خير له من ان يظفر مفرطاً مضيعاً للحزم واعذر له عند الناس ولما أراد الرحيل استشار امراءه فاختلفوا فالجماعة يقولون الرأى ان نرحل فقد جرح الرجال وقتلوا وملوا وفنيت النفقات وهذا الشتاء قد حضر والشوط بطين فنريح ونستريح في هذا البرد فاذا جاء الربيع اجتمعنا وعاودناها وغيرها وكان هذا قول الاغنياء منهم وكأنهم خافوا ان السلطان يقترض

منهم

المتخلفون عنهم لرغبة الجميع في القبائح الذميمة ويعودون بالغنيمة ويحصلون من الحواصل ولا يضيع سعيهم في الباطل كما يقال في المثل ما قدر على ضرب الحمار فضرب البردعة ونزلوا الى وسط قصبة المدينة على الصليبة على المروجية وهم يكسرون ويهشمون ابواب الحوانيت المغلوقة وينهبون ما فيها لان الناس لما تسامعوا بالحركة اغلقوا حوانيتهم وابوابهم وتركوا اسبابهم طلبا للسلامة وعندما شاهد باقيهم ذلك اسرعوا اللحوق وبادروا معهم للنهب والخطف بل وشاركهم الكثير من الشطار والزعر والعامة المقلين والجياع ومن لا دين له وعند ذلك كثر جمعهم ومضوا على طريقهم الى قصبة رضوان الى داخل باب زويلة وكسروا حوانيت السكرية واخذوا ما وجدوه من الدراهم وما احبوه من اصناف السكر فجعلوا ياكلون ويحملون ويبددون الذى لم ياخذوه ويلقونه تحت الارجل في الطريق وكسروا اوانى الحلوا وقدور المربيات وفيها ماهو من الصينى والبياغورى والافرنجى ومجامع الاشربة واقراص الحلوا الملونة والرشال والملبس والفانيد والحماص والبنفسج وبعيدان باكلوا

منهم ما ينفقه فى العسكر اذا اقام لحاوالخزائن وبيوت الاموال من الدرهم والدينار فانه
كان يخرج كل ما حمل اليه منها وقالت الطائفة الاخرى الرأى ان نصابر البلد ونضايقه
فهو الذى يعتمدون عليهم من حصونهم ومتى أخذناه منهم انقطع طمع من داخل البحر
من هذا الجانب وأخذنا باقى البلاد صفوا فبقى صلاح الدين مترددا بين الرحيل
والاقامة فلما رأى من يرى الرحيل اقامته أخل بما ورد اليه من المحاربة والرمى بالمنجنيق
واعتذر بانجراح رجالهم وانهم قد أرسلوا بعضهم ليحضروا نفقاتهم والعلوفات لدوابهم
والاقوات لهم الى ذلك من الاعذار فصار وامقيمين بغير قتال فاضطر الى الرحيل فرحل
عنها آخر شوال وكان أول كانون الاول الى عكا فاذن العساكر جميعها بالعود الى
أوطانهم والاستراحة فى الشتاء والعود فى الربيع فعادت عساكر الشرق والموصل
وغيرها وعساكر الشام وعساكر مصر وبقى حلقته الخاص مقيما بعكا فنزل بقلعتها
ورد أمر البلد الى عز الدين جورديك وهو من اكابر المماليك النورية جمع الديانة
والشجاعة وحسن السيرة

●(ذكر فتح هونين)●

لما فتح صلاح الدين تبنين امتنع من بهونين من تسليمها وهى من أحصن القلاع وامنع
فلم يرالتعريج عليها ولا الاشتغال بمحاصرتها بل سير اليها جماعة من العسكر والامراء
فحصروها ومنعوا من حمل الميرة اليها واشتغل بما تقدم ذكره من فتح عسقلان والبيت
المقدس وغير ذلك فلما كان يحاصر مدينة صور أرسل من فيها يطلبون الامان فامنهم
فسلموا ونزلوا منها فوفى لهم بامانهم

●(ذكر حصر صفد وكوكب والكرك)●

لما سار صلاح الدين الى عسقلان جعل على قلعة كوكب وهى مطلة على الاردن من
يحصرها ويحفظ الطريق للمجتاز بن الئلا ينزل من به من الفرنج يقطعونه وسير طائفة
اخرى من العسكر أيضا الى قلعة صفد فحصروها وهى مطلة على مدينة طبرية وكان
حصن كوكب للاسبتار وحصن صفد للداوية وهما قريبان من حطين موضع
المصاف فلجأ اليهما جمع ممن سلم من الداوية والاسبتار فحموهما فلما حصرهما
المسلمون استراح الناس من شرهن فيهما واتصلت الطرق حتى كان يسير فيها المنفرد
فلا يخاف وكان مقدم الجماعة الذين يحصرون قلعة كوكب أميرا يقال له سيف الدين
وهو أخو جاولى الاسدى وكان شهما شجاعا يرجع الى دين وعبادة فاقام عليه الى آخر
شوال وكان أصحابه يحرسون نوبا مرتبة فلما كان آخر ليلة من شوال غفل الذين كانت
نوبتهم فى الحراسة وكان قد صلى ورده من الليل الى السحر وكانت ليلة كثيرة الرعد
والبرق والريح والمطر فلم يشعر المسلمون وهم نازلون الا والفرنج قد خالطوهم بالسيوف
ووضعوا السلاح فيهم فقتلوهم أجمعين وأخذوا ما كان عندهم من طعام وسلاح
وغيره وعادوا الى قلعتهم فقووا بذلك قوة عظيمة أمكنهم ان يحفظوا قلعتهم الى ان

ويحملواهم واتباعهم ومن انضاف لهم من الاوباش
البلدية والحرافيش والجعيدية
يلقون مافضل عنهم على
قارعة الطريق بحيث صار
السوق من حد باب زويلة الى
المناخلية مع اتساعه وطوله
مرسوما ومنقوشا بالوان
السكاكر واقراص الاشربة
الملونة واعسال المربيات
سائلة على الارض وكان اهل
ذلك السوق المتسببون
جددوا وطبخوا انواع
المربيات والاشربة عندورود
الفواكه وكثرتها فى اوانها
وهو هذا الشهر المبارك مثل
الخوخ والتفاح والبرقوق
والتوت والقرع المسير
والحصرم والسفرجل وملؤا
الاوعية وصفوها فى
حوانيتهم للبيع وخصوصا
على موسم شهر رمضان
ومضوا فى سيرهم الى العقادين
الرومى والغورية والاشرفية
وسوق الصاغة ووصلت
طائفة الى سوق مرجوش
فكسروا ابواب الحوانيت
والوكائل والخانات ونهبوا
ما فى حواصل التجار من
الاقمشة الهلاوى والبز
والحرير والزردخان ولما
وصلت طائفة الى راس خان
الخليلى وارادوا العبور
والنهب فزعت فيهم الاتراك
والارنؤد الذين يتعاطون
التجارة الساكنون بخان اللبن والنحاس وغيرهما وضربوا

أخذت أواخر سنة أربع وثمانين على ما سنذكره إن شاء الله وأتى الخبر الى صلاح الدين بذلك عند رحيله عن صور فعظم ذلك عليه مضافا الى ما ناله من أخذ شوانيه ومن فيها ورحيله عن صور ثم رتب على حصن كوكب الامير قايماز النجمي في جماعة أخرى من الاجناد فحصروها

ذكر الفتنة بعرفات وقتل ابن المقدم

في هذه السنة يوم عرفة قتل شمس الدين محمد بن عبد الملك المعروف بابن المقدم بعرفات وهو أكبر الامراء الصلاحية وقد تقدم من ذكره ما فيه كفاية وسبب قتله انه لما فتح المسلمون البيت المقدس طلب اذنا من صلاح الدين ليحج ويحرم من القدس ويجمع في سنته بين الجهاد والحج وزيارة الخليل عليه السلام ومن بالشام من مشاهد الانبياء وبين زيارة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين فأذن له وكان قد اجتمع تلك السنة من الحجاج بالشام الخلق العظيم من البلاد والعراق والموصل وديار الجزيرة وخلاط وبلاد الروم ومصر وغيرها ليجمعوا بين زيارة بيت المقدس ومكة فجعل ابن المقدم أميرا عليهم فساروا حتى وصلوا الى عرفات سالمين ووقفوا في تلك المشاعر وأدوا الواجب والسنة فلما كان عشية عرفة تجهز هو وأصحابه ليسيروا من عرفات فأمر بضرب كوساته التي هي أمارة الرحيل فضرب بها أصحابه فأرسل اليه أمير الحاج العراقي وهو مجير الدين طاشتكين ينهاه عن الافاضة من عرفات قبله ويأمره بكف أصحابه عن ضرب كوساته فأرسل اليه يقول انني ليس لي معك تعلق انت أمير الحاج العراقي وأنا أمير الحاج الشامي وكل منا يفعل ما يراه ويختاره وسار ولم يقف ولم يسمع قوله فلما رأى طاشتكين اصراره على مخالفته ركب في أصحابه وأجناده وتبعه من غوغاء الحاج العراقي وبطاطيهم وطماعتهم العالم الكثير والجم الغفير وقصدوا حاج الشام مهولين عليهم فلما قربوا منهم خرج الامر من الضبط وعجزوا عن تلافيه فهجم طماعة العراق على حاج الشام وفتكوا فيهم وقتلوا جماعة ونهبت أموالهم وسبيت جماعة من نسائهم الا انهن رددن عليهم وجرح ابن المقدم عدة جروح وكان يكف أصحابه عن القتال ولو أذن لهم لانتصف منهم وزاد لكنه راقب الله تعالى وحرمة المكان واليوم فلما أثخن بالجراحات أخذه طاشتكين الى خيمته وأنزله عنده ليمرضه ويستدرك الفارط في حقه وساروا تلك الليلة من عرفات فلما كان الغد مات بمنى ودفن بمقبرة المعلى ورزق الشهادة بعد الجهاد وشهود فتح البيت المقدس رحمه الله تعالى

ذكر قوة السلطان طغرل على قزل

في هذه السنة قوي أمر السلطان طغرل وكثر جمعه وملك كثيرا من البلاد فأرسل قزل الى الخليفة يستنجده ويخوفه من طغرل ويبذل من نفسه الطاعة والتصرف على ما يختارونه وأرسل طغرل رسولا الى بغداد يقول أريد أن يتقدم الديوان بعمارة دار السلطنة لاسكنها اذا وصلت فأكرم رسول قزل ووعد بالنجدة ورد رسول

السلطان

عليهم بالرصاص وكذلك الخردجية الساكنون بالرباع بباب الزهومة جعلوا يرمون عليهم من الطبقات بالرصاص حتى ردوهم ومنعوهم وكذلك تعصبت طائفة المغاربة الساكنون بالفحامين وحارة الكعكيين رموا عليهم بالرصاص وطردوهم عن تلك الناحية وأغلقوا البوابات التي على رؤس العطف وجلس عند كل درب أناس ومن فوقهم أناس من أهل الخطة بالرصاص تمنع الواصل اليهم ووصلت طائفة الى خان الحمزاوي فعالجوا في بابه حتى كسروا الخوخة التي في الباب وعبروا الخان وكسروا حواصل التجار من نصارى الشوام وغيرهم ونهبوا ما وجدوه من الذقة وأنواع الأقمشة الهندية والشامية والمقصبات وبالات الجوخ والقطيفة والاسطوفة وأنواع الاطلس والالاجات والسلاوي والجنفس والصندل والحبر وأنواع الشيت والحرير الخام والابريسم وغير ذلك وتبعهم الخدم والعامة في النهب وأخرجوا ما في الدكاكين والحواصل من أنواع الأقمشة وأخذوا ما أعجبهم واختاروه وانتقوه وتركوا ما تركوه ولم يقدروا على حمله مطروحا على الارض ودهليز الخان وخارج السوق يطئون عليه بالارجل

السلطان طغرل بغير جواب وأمر الخليفة بنقض دار السلطنة فهدمت الى الارض وعفى اثرها

(ذكر ملك شرستى من الهند وانهزام المسلمين بعدها)

فى آخر هذه السنة سار شهاب الدين الغورى ملك غزنة الى بلاد الهند وقصد بلاد اجمير وتعرف بولاية السوالك واسم ملكهم كولة وكان شجاعا شهما فلما دخل المسلمون بلاده ملكوا مدينة تبرندة وهى حصن منيع عامر وملكوا شرستى وملكوا كوه رام فلما سمع ملكهم جمع العساكر فاكثر وسار الى المسلمين فالتقوا وقامت الحرب على ساق وكان مع الهند اربعة عشر فيلا فلما اشتدت الحرب انهزمت ميمنة المسلمين وميسرتهم فقال لشهاب الدين بعض خواصه قد انكسرت الميمنة والميسرة فانج بنفسك لا يهلك المسلمون فاخذ شهاب الدين الرمح وحمل على الهنود فوصل الى الفيلة فطعن فيلا منها فى كتفه وجرح الفيل لا يندمل فلما وصل شهاب الدين الى الفيلة زرقه بعض الهنود بحربة فوقعت الحربة فى ساعده فنفذت الحربة من الجانب الآخر فوقع حينئذ الى الارض فقاتل عليه أصحابه ليخلصوه وحرصت الهنود على اخذه وكان عنده حرب لم يسمع بمثله وأخذه اصحابه فركبوا فرسه وعادوا به منهزمين فلم يتبعهم الهنود فلما أبعدوا عن موضع الوقعة بمقدار فرسخ أغمى على شهاب الدين من كثرة خروج الدم فحمله الرجال على اكتافهم فى محفة اليد اربعة وعشرين فرسخا فلما وصل الى لهاوور أخذ الامراء الغورية وهم الذين انهزموا ولم يثبتوا وعلق على كل واحد منهم عليق شعير وقال أنتم دواب ما أنتم امراء وسار الى غزنة وأمر بعضهم فمشى اليها ماشيا فلما وصل الى غزنة أقام بها ليستريح الناس ونذكر ما فعله بملك الهند الذى هزمه سنة ثمان وثمانين ان شاء الله تعالى

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة فى ربيع الاول قتل مجد الدين ابو الفضل بن الصاحب وهو استاذ دار الخليفة امر الخليفة بقتله وكان متحكما فى الدولة ليس للخليفة معه حكم وكان هو القيم بالبيعة له وظهر له أموال عظيمة اخذ جميعها وكان حسن السيرة عفيفا عن الاموال وكان الذى سعى به انسان من اصحابه وصنائعه يقال له عبيد الله بن يونس فسعى به الى الخليفة وقبح آثاره فقبض عليه وقتله وفيها فى ربيع الآخر وقع حريق فى الحظائر ببغداد احترقت احطاب كثيرة وسببه ان فقيها بالمدرسة النظامية كان يطبخ طعاما يأكله فغفل عن النار والطبيخ فعلقت النار واتصلت فاحترقت جميعها واحترق درب السلسلة وغيره مما يجاوره وفيها فى شوال استوزر الخليفة الناصر لدين الله ابا المظفر عبيد الله بن يونس ولقبه جلال الدين ومشى ارباب الدولة فى ركابه حتى قاضى القضاة وكان ابن يونس من شهوده وكان يمشى و يقول لعن الله طول العمر وفيها فى المحرم توفى عبد المغيث بن زهير الحربى ببغداد وكان من اعيان الحنابلة قد سمع الحديث الكثير

والمغالات ويعدوا القوى على الضعيف فيأخذ ما معه من الاشياء الثمينة وقتل بعضهم البعض وكسروا أبواب الدكاكين التى خارج الخان بالخطة واخرجوا ما فيها من التحف والاوانى الصينى والزجاج المذهب والكاسات البلور والصحون والاطباق والفناجين البيشة وأنواع الخردة وأخذوا ما اعجبهم وما وجدوه من نقود ودراهم وهشموا البواقى وكسروه والقوه على الارض تحت الارجل شقافا متنوعة وكذلك فعلوا بسوق البندقانيين وما به من حوانيت العطارين وطرحوا أنواع الاشياء العطرية بوسط الشارع تداس بالارجل أيضا وفعلوا مالاخير فيه من نهب أموال الناس والاتلاف ولولا الذين تصدوا لدفعهم ومنعهم بالبنادق والكرانك وغلق البوابات لكان الوقع افظع من ذلك ولنهبوا ايضا البيوت وفجروا بالنساء والعياذ بالله ولكن الله سلم وشاركهم فى فعلهم الكثير من الاوباش والمغاربة المدافعين أيضا فانهم أخذوا اشياء كثيرة وكانوا يقبضون على من يمر بهم ممن يقدرون عليه من النهابين ويأخذون ما معهم لانفسهم واذا هشمت العساكر حانوتا وخطفوا منها شيئا ولحقهم من يطردهم عنها استاصل اللاحقون ما فيها واستباح

وصنف كتابا في فضائل يزيد بن معاوية اتى فيه بالعجائب وقد رد عليه ابو الفرج بن الجوزي وكان بينهما عداوة وفيها توفي قاضي القضاة ابو الحسن بن الدامغاني وولي القضاء للمقتفي بعده وت الزينبي ثم المستنجد بالله ثم عزل ثم اعيد الى المستضيء بامر الله وفيها توفي علي بن خطاب بن ظفر الشيخ الصالح من جزيرة ابن عمر وكان من الاولياء ارباب الكرامات صحبته انا مدة فلم ار مثله حسن خلق وسمت وكرم وعبادة رحمه الله وفيها ولدت امراة من سواد بغداد بنتا لها اسنان وفيها توفي نصر بن فتيان بن مطر ابو الفتح بن المنى الفقيه الحنبلي لم يكن لهم مثله رحمه الله تعالى

الناس أموال بعضهم البعض وكان هذا الحادث الذي لم نسمع بنظيره في دولة من الدول في ظرف خمس ساعات وذلك من قبيل صلاة الجمعة الى قبيل العصر حصل للناس هذه المدة اليسيرة من الانزعاج والخوف الشديد ونهب الاموال واتلاف الاسباب والبضائع ما لا يوصف ولم تصل الجمعة في ذلك اليوم واغلقت المساجد الكائنة بداخل المدينة واخذ الناس حذرهم ولبسوا اسلحتهم واغلقوا البوابات وقعدوا على السكك والمرابط والمتاريس وسهروا الليالي واقاموا على الحذر والتحفظ والخوف اياما وليالي

(تم الجزء الحادي عشر من تاريخ الكامل لابن الاثير ويليه
(الجزء الثاني عشر اوله ثم دخلت سنة اربع وثمانين وخمسمائة)